إيران وحماس

من مرج الزهور إلى طوفان الأقصى
ما لم يرو من القصة

فاطمة الصمادي



إيران وحماس

من مرج الزهور إلى طوفان الأقصى

ما لم يرو من القصة

إيران وحماس

من مرج الزهور إلى طوفان الأقصى
ما لم يرو من القصة

تأليف

فاطمة الصمادي


مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTRE FOR STUDIES


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى: تشرين الأول/أكتوبر 2024 م - 1446 هـ

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن رأي مركز الجزيرة للدراسات

ردمك 978-625-8479-03-4

ردمك (الدار العربية للعلوم) 978-614-01-3759-2

جميع الحقوق محفوظة

مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTRE FOR STUDIES

الدوحة - قطر

هواتف: 4930181 -4930183- 4930218 (974+)

فاكس: 4831346 (974+) - البريد الإلكتروني: E-mail: jcforstudies@aljazeera.net

توزيع

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

التوزيع في المملكة العربية السعودية

شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر

السجل التجاري 1010921463

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

تصميم وإخراج: **أعل الشيخ أحمد معلوم**

إهداء

إلى غزة العِزّة

إلى شهدائها، أطفالها ونسائها ورجالها وشجرها وحجرها.

شكر

ولو أنني أُوتيتُ كلَّ بلاغـةٍ وأفنيتُ بحرَ النطقِ في النَّظْمِ والنثرِ
لما كنتُ بعدَ الكلِّ إلا مقصرًا ومعترفًا بالعجزِ عن واجبِ الشكرِ

أتوجه بخالص الشـكر لمدير مركز الجزيرة للدراسـات، محمد المختار خليل، الذي تعهد هذا العمل منذ أن كان فكرة حتى استوى على سوقه.

وأخص بالشـكر والامتنـان الزميل، الحاج محمد الناسـك، على جهوده الكبيرة التي لا تقدر بثمن في تحرير هذا الكتاب وتفانيه في ذلك وحرصه على دقة معلوماته وتنقيحه وتجويد صياغته بفضل مهاراته التحريرية.

والشكر موصول إلى أصدقاء كثر ساعدوني في ترتيب المقابلات، المصدر الأساس لهذا الكتاب، وفي مقدمتهم: ثائر أيوب وعلي هاشم وعبد القادر فايز وفاطمة محمدي وآخرون فضلوا أن يبقوا جنودًا مجهولين.

كما أشكر كل من أمدني بالوثائق والصور التي أثْرت هذا الكتاب وأخص بالذكر الباحثين، بلال شلش ومحمد عطائي وزهراء حداد.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر الزميل، إسلام عبد التواب، على جهده المضاعف في تدقيق الكتاب لغويًّا، كما أشكر الزميل، أعل الشيخ أحمد معلوم، الذي تولى الإخراج الفني لهذا العمل وتصميم غلافه.

وفـي الأخير أعتذر لكل من لهم فضل، من قريب أو بعيد، في إنجاز هذا العمل وقصَّرت في شكرهم أو نسيت.

المحتويات

القسم الأول

القسم الثاني

القسم الثالث

مقدمة

أثارت علاقة حركة المقاومة الإسلامية، حماس، الحركة السُّــنِّية الإخوانية المشــرب، وجمهورية إيران الإسلامية الشــيعية الاثني عشرية، جدلاً كبيرًا، وما زالت، وأســالت مدادًا كثيرًا؛ لأنها اســتطاعت التخلص من وطأة تاريخ متســم بالعداء بين السنة والشيعة، وحاضر يصل ما انقطع، بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، ويقلب المواجع.

إن العلاقــة بيــن الطرفيــن متعددة الأبعاد، وتقوم على قواســم مشــتركة فــي الخطاب والفكــر والمصالح والأهداف. لقد تجــاوزت هذه العلاقة البعد الأيديولوجــي وحدود الإقليم لتصبح مؤثرة بصورة ملحوظة على الديناميكيات الإقليمية والدولية وعلى منظومة التحالفات الإقليمية وبناء النفوذ والصراع.

تأسست حماس في أوائل الثمانينات فرعًا لجماعة الإخوان المسلمين في فلســطين، وســرعان ما انفصلت عن الجماعة الأم وتطورت إلى كيان مســتقل في الســاحة الفلســطينية في 1987. ويشكِّل صراع حماس مع الكيان الصهيوني من أجل تحقيق هدفها الأســاس، تحرير فلســطين، دافعًا لبناء منظومة علاقاتها الخارجية بحثًا عن الدعم والمساندة، إقليميًّا ودوليًّا.

تســعى إيران، التي تعد إحدى أبرز القوى الإقليمية في الشــرق الأوسط، إلى تعزيز نفوذها في المنطقة. وقد كانت القضية الفلسطينية في صلب شعارات القوى الثورية التي أســقطت نظام الشاه في 1979، كما كانت قضية مركزية في فكر آية الله روح الله الخميني وأطروحاته وتوجهاته السياسية، وهي كذلك في فكر آية الله علي خامنئي الذي شهد دعم حركة حماس في عهده تطورًا ملحوظًا.

يعــرِّف عدد من صنَّــاع القرار في إيران مصلحة بلدهــم في دعم القضية الفلســطينية ومواجهة إســرائيل، ولذلك فإن دعم حركات المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتها حركة حماس، هو جزء من إســتراتيجية إيران للتأثير في المنطقة ومد نفوذها فيها، وهو كذلك قضية محورية في منظومة الأمن القومي الإيراني.

تعد القضية الفلسطينية حجر الزاوية في سعي الجمهورية الإسلامية إلى بناء

موقـع مركـزي لها في العالم الإسلامي. وبما أنها الدولة الوحيدة ذات الأغلبية الشـيعية التـي لها طموحات إسلاميـة عالمية، فإنها مقتنعة **"بـأن لديها الثقل التاريخـي والثقافي وحتى الأخلاقي لتشـكيل المنطقة بقـوة"** .[1]وتحاول إيران تفادي العزلة في جوار إقليمي عربي سُـنِّي، وتُقدم نفسها إلى العالم الإسلامي، وخاصة جيرانها، ناصرة للمستضعفين. ومن "خلال تبني القضية الفلسطينية في سياستها الداخلية والخارجية، أرادت إيران إظهار استعدادها للتعاون مع الدول العربية المجاورة"[2]، ولكن الإشكال هو أن القضية الفلسطينية فرَّقت السبل بين إيران وجيرانها، خاصة في ظل مشاريع التسوية وعمليات التطبيع مع إسرائيل.

مـرَّت علاقة حركة المقاومـة الإسلامية بالجمهوريـة الإسلامية الإيرانية بمراحل عدة، وشابت مسيرتها تعقيدات وتحديات منها ما ارتبط بطرفي العلاقة، ومنها ما هو إقليمي ودولي، ولعل المشاهد الآتية تلخص للقارئ جانبًا من ذلك:

المشهد الأول

الزمان: شتاء 1992

المكان: مرج الزهور، جنوب لبنان

في أواخر 1992، أبعدت إسرائيل 415 قياديًّا فلسطينيًّا من حركتي حماس والجهاد الإسلامي الفلسـطينيتين إلى منطقة مرج الزهور في جنوب لبنان، وقد أتاحت فترة الإبعاد القاسـية، مدتها سـنة، فرصًا كثيرة للحركة، التي كان أغلب المبعدين من قيادييها، لنسج علاقات خارجية بعد أن أصبح اسمها على خارطة الأحداث الدولية. فما أن اسـتقر المقام بالمبعدين في مخيمهم حتى كان وفد إيراني يجتمع بهم ويعرض تقديم المساعدة، وتوالت الاجتماعات بين الطرفين؛ مما جعل تلك الفترة الأهم في بناء الثقة بين الحركة والجمهورية الإسلامية.

(1) -Maloney, Suzanne. Identity and Change in Iran's Foreign Policy from Identity and Foreign Policy in the Middle East edited by Shibley Telhami and Michael Barnett Cornell University Press: Ithaca and London, 2002, p 97.

(2) Ibid, p4.

المشهد الثاني

الزمان: الثاني من مايو/أيار 1998

المكان: طهران

في مايو/ أيار 1998، زار الشيخ أحمد ياسين طهران، حيث استُقبل بحفاوة كبيـرة، وزاره القائد الأعلى للثـورة الإسلامية، آية الله خامنئي، في مقر إقامته، ودار بين الرجلين كلام يبيِّن بصورة واضحة مواقفهما.

قال الشيخ ياسين: أشكر لكم هذا اللقاء الطيب وهذه الساعات الطيبة التي أتاحـت لـي أن أزور أرض الثورة الإسلامية في إيران. أشـكر لهذا البلد قيادة وشعبًا موقفه الحازم من القضية الفلسطينية. نحن نحتاج إلى دعم من أهلنا في الوطن العربي والإسلامي لنثبِّت الخيار الإسلامي ونثبِّت الشعب الفلسطيني في وجـه العدوان الصهيوني الأميركي، إن شـاء الله. ولا نفرط في ذرة من وطننا ولا شـبر واحد وسنبقى مجاهدين، فإما النصر وإما الشهادة حتى يتحقق تحرير القدس والأقصى، قبلة المسلمين الأولى.

فقال آية الله خامنئي: أعتقد أنك يا شـيخ أحمد ياسـين وأولئك الإخوة والأخـوات الذين يقاتلون في فلسـطين في مقدمة جبهـة الحرب بين الإسلام والكفر والحق والباطل. لم نقبل بالحكم الغاصب في الأرض الفلسـطينية ولو ساعة واحدة ولن نقبل به. نحن أعداء للصهاينة، للحكومة الغاصبة، لهذا الورم السرطاني الذي زرعوه في أرض الإسلام، وسنحاربه. ليس لدينا أي شك بشأن المسـتقبل. المهم هو أن نعد خطة العمل حتى يمكن اختصار هذه المدة قدر الإمكان[1].

---

(1) بعـد شـهر على "طوفان الأقصـى" بث مكتب القائد الأعلى في إيـران فيديو عن اللقاء بين الزعيميـن تحـت عنوان: (على الخط الأمامي)، يوثق بالصوت والصورة زيارة الشـيخ أحمد ياسـين إلى طهران، في 1998، واجتماعه مع آية الله علي خامنئي. انظر: گوشـه‌هایی از دیدار شـیخ احمد یاسـین بنیانگذار جنبش مقاومت اسلامی فلسـطین حماس با حضرت آیت الله خامنه‌ای ،گزیده‌ای از سخنان حضرت آیت‌الله خامنه‌ای رهبر انقلاب اسلامی و آقای شیخ احمد یاسـین در این دیدار را برای نخسـتین‌بار منتشـر میکند. (فيديو من لقاء الشـيخ أحمد ياسـين، مؤسـس حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية حماس، مع آية الله خامنئي، ينشر أول

المشهد الثالث

الزمان: فبراير/شباط 2006

المكان: جامعة طهران

"خالد دوستت داريم" (نحن نحبك يا خالد)، "وأنا أحبكم" يرد خالد مشعل على طلبة جامعة طهران الذين احتشدوا في مشهد حماسي يكبِّرون ويهتفون: "الموت لأميركا"، "الموت لإسرائيل"[1]. اعتلى خالد المنصة وتحدث عن نصر حماس: "أمتنا تتذكر كلام الإمام الخميني الذي وصف إسرائيل بأنها ورم سرطاني يجب استئصاله. لقد كانت الثورة الإسلامية دائمًا منذ الإمام الخميني وحتى الآن من أنصار الشعب الفلسطيني"[2]. في ذلك اللقاء المفعم بالحماس أكد مشعل أن الأمة الإسلامية شريك في النصر الذي أحرزته حماس[3]، وأن قيادة إيران وشعبها شركاء في هذا النصر كذلك.

المشهد الرابع

الزمان: 26 مايو/أيار 2008

المكان: جامعة طهران

كان المشهد حماسيًّا بصورة كبيرة، كانت هتافات طلاب جامعة طهران ترتفع بين الفينة والأخرى كلما ارتفعت نبرة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في ذلك الوقت، خالد مشعل. يومها قال مشعل[4] بلهجة قاطعة استدعت تكبيرات الشباب الذين ملؤوا القاعة: إن "المقاومة لا ترعبها أميركا فهي اليوم

مرة يتضمن جزءًا مما دار بينهما خلال اللقاء)، الموقع الرسمي لحفظ ونشر آثار آية الله خامنئي، 18 آبان 1402ش، (تاريخ الدخول: 13 مارس/آذار 2024)، https://farsi.khamenei.ir/video-content?id=54344

(1) حاشيهي سخنراني خالد مشعل در دانشگاه تهران (هامش محاضرة خالد مشعل في جامعة طهران)، وكالة إيسنا، 2 اسفند 1384 ش، (تاريخ الدخول: 13 مارس/آذار 2024)، https://2u.pw/COGLhund

(2) ملاحظات سجلتها الباحثة في يومياتها في طهران، 21 فبراير/ شباط 2006.

(3) في 2006، اكتسحت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية بحصولها على 76 مقعدًا من 132 مجموع مقاعد المجلس التشريعي.

(4) كانت كلمة مشعل في جامعة طهران، في مايو/أيار 2008، خلال "مؤتمر زوال إسرائيل" من تنظيم تجمع "طلاب العدالة" بمشاركة أساتذة من 12 دولة.

عاجــزة عــن حفظ ماء وجهها في العراق، وســتذهب تهديداتها لإيران والدول الداعمة لتحرير فلسطين هباء"[1].

المشهد الخامس

الزمان: 8 ديسمبر/كانون الأول 2012

المكان: غزة

رفع خالد مشــعل علم "الثورة السورية" في أجواء حماسية خلال احتفال حركة حماس بالذكرى الخامسة والعشرين لتأسيسها[2]. موقف أثنى عليه معارضو النظام الســوري، بينما رأت فيه الجمهورية الإسلامية انتقالاً لحركة حماس إلى محور آخر بعيدًا عن "محور المقاومة".

المشهد السادس

الزمان: 4 مايو/أيار 2017

المكان: طهران

هاجمت صحيفة "الجمهورية الإسلامية" في افتتاحيتها خالد مشعل واتهمته بأنه يقود الحركة نحو التسوية مع إسرائيل، ورأت أن وثيقة المبادئ والسياسات العامة التي أعلنتها الحركة[3] "تعبير عن أفكار خالد مشعل وتوجهاته.. وأن إسقاط الدعوة الصريحة إلى تدمير الكيان الصهيوني منها دليل على تراجع حماس عن المواقف المبدئية؛ الأمر الذي يؤشر على التأثير المباشر وغير المباشر لإملاءات الوسطاء والدور الحاسم لأنظمة النفط العربية"[4].

---

(1) مــن ملاحظات ســجلتها الباحثة التي حضرت المؤتمر، مــن يوميات الباحثة في 26 مايو/أيار 2008.

(2) مشــعل يرفع علم الثورة الســورية في مهرجان انطلاقة حماس، شــبكة القدس الإخبارية، 8 ديســمبر/كانون الأول 2012، (تاريخ الدخول: 6 ديســمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3UyyLM

(3) وثيقــة المبادئ والسياســات العامة لحركة حماس، الجزيرة نــت، 1 أيار/مايو 2017، (تاريخ الدخول: 22 فبراير/شباط 2024)، https://bitly.ws/3dPWj

(4) خيانت حماس به آرمان فلســطين (خيانت حماس للقضية الفلســطينية)، صحيفة "جمهوري

المشهد السابع

الزمان: 6 يناير/كانون الثاني 2020

المكان: طهران

غصَّت شـوارع العاصمة الإيرانية، طهران، بمشـيعي جنازة الجنرال قاسم سـليماني، قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري، في مأتم رسمي وشعبي لم تشـهد البلاد مثيلاً له منذ تشـييع قائد الثورة الإيرانية، الإمام آية الله الخميني. ووفقًا لوكالات أنباء إيرانية فإن عدد المشيعين بلغ خمسة ملايين مشيع. يومها، اعتلى رئيس المكتب السياسـي لحماس، إسـماعيل هنيـة، المنبر وفي أجواء مشحونة بالهتافات والدموع، تحدث معزيًا في "شهيد القدس": أتينا من فلسطين لنقدم التعازي إلى سـماحة القائد، السيد علي خامنئي، والجمهورية الإسلامية، في استشـهاد الفريق سـليماني". في ذلك اليوم بدا أن المصاب ليس مصاب طهران وحدها وقد حسـمت الحركة موقفها: فـ"الشـهيد القائد سليماني، الذي ضحَّى من أجل فلسطين وشعبها، هو شهيد القدس"[(1)].

المشهد الثامن

الزمان: 1 أغسطس/آب 2024

المكان: طهران

تقدَّم آية الله علي خامنئي آلاف المشـيعين الذين احتشـدوا لتشييع رئيس المكتب السياسـي لحركة حماس، الشهيد إسماعيل هنية، الذي اغتالته إسرائيل في طهران في خرق أمني واضح شكَّل مساسًا بـ"شرف الجمهورية الإسلامية"، استشـهد هنية عقب حضوره حفل تنصيب الرئيس الإيراني، مسـعود بزشكيان، الذي أفرد مساحة كبيرة للقضية الفلسطينية في خطابه وعانق هنية بحرارة. ووسط

إسلامي"، 13ارديبهشت 1396ش، العدد، 10861، الصفحة الأولى.

(1) من تأبين إسماعيل هنية لقاسم سليماني وقد شارك في الجنازة وفد رسمي من الحركة ضمَّ الشيخ صالح العاروري وآخرين، من ملاحظات سجلتها الباحثة، طهران، 6 يناير/كانون الثاني 2020. انظر: هنية: سليماني شهيد القدس، الجزيرة مباشر، 6 يناير/ كانون الثاني 2020 (تاريخ الدخول: 22 فبراير/شباط 2024)، https://www.youtube.com/watch?v=KfFqnQSR3TU

التكبيرات وشــعارات "الموت لأميركا" و"الموت لإسرائيل" ودَّع خامنئي الذي اعتبــر نفســه "ولي الدم وصاحب الثأر" واحدًا مــن أقرب قادة محور المقاومة إليه.[1]

مشاهد ثمانية تكشف جانبًا من طبيعة العلاقة المعقدة بين حركة المقاومة الإسلامية حماس وإيران، وتجعلنا نفهم سبب تضارب المواقف منها بين مؤيد ومعــارض ومتحامل يريــد من حركة المقاومة الإسلامية حماس أن ترى العالم بمنظاره.

كثيــرة هي الكتب والدراســات والبحوث الجامعيــة التي تناولت موضوع إيران والقضية الفلســطينية، وكذلك علاقة إيران بحماس والمقاومة الفلسطينية، ومنها رســائل وأطاريح نوقشت في جامعات فلسطينية وإيرانية وغربية اعتمدت في معظمها بصورة أساســية على مصادر مكتوبة، وثانوية، واقتصر بعضها على مقالات منشــورة في مواقع إلكترونية، وأخرى على فترة زمنية محددة أو زاوية معينة، فيما عمد البعض إلى تعميمات وأحكام مســبقة، لا تســاعد في دراســة الموضوع والإلمام به.

تأتــي في مقدمة هذه الدراســات، من حيث المعالجــة والإطار النظري، تلك التي ترســم خريطة العلاقة بين إيران وحماس باســتخدام تحليل الوكيل الرئيســي، ونهــج التكلفة والعائد على أســاس نظرية الاختيــار العقلاني الذي بموجبه يحاول كل طرف تعظيم منافعه الخاصة. وينتقد أصحاب هذه الدراســة التركيــز علــى خطاب طرفي العلاقة (حماس وإيران)؛ لأنه "غالبًا ما يُســتخدم لتضليل الآخرين"[2].

---

(1) رهبــر انــقلاب در واكنش به ترور هنيــه: خونخواهى مهمان عزيزمان را وظيفه خود مى‌دانيم (قائــد الثــورة رداً على اغتيال هنية: نعتبر من واجبنا أن ننتقم لدماء ضيفنا العزيز)، وكالة أنباء إطلاعــات، 31 يوليو/ تمــوز 2024 (تاريخ الدخول: 31 يوليو/ تمــوز 2024): https://bit.ly/3WuVjAx

(2) Thomson, Amy, The ties that bind: Iran and Hamas' principal-agent relationship: University, Turitea, New Zealand, 2012, p 16+ p 26.

- Andreas Krieg and Jean-Marc Rickli, Surrogate Warfare: The Transformation of War in the Twenty-First Century, Georgetown University Press, 2019, p 173.

وعلى عكس ذلك نجد دراسات مهمة توقفت كثيرًا عند الخطاب وأهميته في تشكيل عناوين السياسة الخارجية الإيرانية وتوجهاتها وأولوياتها، ومن ذلك كتاب للسيد علي علوي[1]، وفيه يدرس بصورة مستفيضة جذور المشاعر المؤيدة لفلسطين قبل انتصار الثورة، وهو وإن كان يركز على البعد الأيديولوجي إلا أنه لا يُسقط المصلحة في بحثه في هذه القضية.

إن اعتماد نموذج تفسيري أحادي لا يمكن أن يفسر نشأة العلاقة وتطورها بين إيران الشيعية الاثني عشرية وحركة حماس الإسلامية السُّنية ذات المشرب الإخواني، ولذلك فإن الباحثة تلجأ إلى بناء نموذج تفسيري مركب، يأخذ بعين الاعتبار الأرضية الفكرية والأيديولوجية لطرفي العلاقة وفي مقدمة ذلك الموقف من إسرائيل. ويركز كذلك على توصيف العلاقة بمنأى عن الصيغ الجاهزة ووصمة "الوكيل" أو "الدمية" أو "التابع" التي يستخدمها بعض الدارسين لتوصيف علاقة حماس مع إيران؛ إذ تعتقد الباحثة أن هذا التوصيف، وبناء على معطيات كثيرة، لا يصدق بصورة دقيقة على طريقة إيران في بناء التحالفات كما لا يصدق بصورة خاصة على حركة حماس.

ولذلك فعلى عكس ما ترى بعض الدراسات التي "تُسقط الخطاب من عدَّتها بوصفه مخادعًا ولا يمكن الحكم من خلاله" تؤكد الباحثة أهمية الأطر الفكرية والمعيارية وهوية الطرفين في فهم بنية العلاقة ومسارها دون أن يعني ذلك إغفال عنوان المصلحة وبناء الدور والنفوذ وتعريف هذه المصالح من باب العنوان العريض وهو دعم القضية الفلسطينية.

كما لا يمكن إغفال سياق خطاب طرفي العلاقة؛ حماس وإيران لما له من أهمية كبيرة في فهم المعنى. وبدونه لا توجد طريقة لتحديد المعاني المراد من المتحدث أو الكاتب إيصالها؛ كما أنه ينقذ الباحث من سوء التفسير، استنادًا إلى أن المعنى يعيش في السياق والسياق يحدد المعنى[2].

يمتاز هذا العمل الذي يعد من أعمال "التاريخ الآني"، عن غيره مما كُتب

---

(1) Seyed Ali Alavi, Iran and Palestine Past, Present, Future, Routledge,2020, p 1-6.

(2) Xiaohui Xu, Research on the Application of Context Theory in Vocabulary Study, Theory and Practice in Language Studies, Vol. 3, No. 6, pp. 1059-1064, June 2013, p 1061.

في الموضوع باعتماده أساسًا على الرواية الشفاهية التي تشكل عموده الفقري. ونظرًا لحساسية الموضوع فقد تطلب جمعها من مصادرها في حماس أو إيران وقتًا طويلاً وجهدًا كبيرًا؛ فقد بدأ العمل في هذا الكتاب بصورة فعلية منذ 2016، لكن جمع مادته بدأ في السنوات التي أمضتها الباحثة في إيران (2005–2010).

فـضلاً عن ذلك، اعتمدت الباحثة على مصادر أساسـية: الوثائق المكتوبة التي لا غنى عنها في عمل من هذا النوع، ومنها وثائق تاريخية من أرشيف وزارة الخارجية الإيرانية، وكذلك الصحافة المكتوبة في العهدين، القاجاري والبهلوي. كما اعتمدت على مصادر ومراجع باللغات الفارسية والعربية والإنكليزية.

حاولت الباحثة قدر المسـتطاع أن تفسـح المجال لكل وجهات النظر ، وبما أن اسـم خالد مشـعل، رئيس حركة حماس في الخارج، يتكرر كثيرًا في هذا الكتاب وقيل في حقه كلام يسـتدعي ردَّه، وهو صاحب دور محوري في مسـيرة الحركة وتاريخ العلاقة مع إيران، فقد سـعت الباحثة بشكل حثيث إلى أن يقول شـهادته في علاقة الحركة بإيران ويرد على ما قيل عنه، وعقدت معه اجتماعًا مطولاً في هذا الشأن وتحدثا غير مرة بشأن بعض النقاط الحساسة التي يحويها الكتاب، فوعد أن يقدم شـهادة مكتوبة أو بمقابلة، لكن لم يتيسـر ذلك لأسـباب عدة، ولم يكن في الإمكان تأخير إصدار الكتاب من أجل شـهادة قد تأتي أو لا تأتي.

كانـت الباحثة تأمل أن يشـمل هـذا العمل علاقة إيـران بحركة الجهاد الإسلامي، وقد بذلت ما في وسـعها وناقشـت الأمر مع الأمين العام السـابق للحركـة، الدكتـور رمضان عبد الله، رحمه اللـه، لكنه رأى أن الوقت لم يحن بعد لتقول الحركة كلمتها في الموضوع.

يوثـق هـذا العمل تاريـخ العلاقة بين إيران وفلسـطين منـذ نهاية العهد القاجـاري (1794–1925) مـرورًا بالعهدين البهلوييـن، الأول (1925–1941) والثاني (1941–1979)، وصولاً إلى الجمهورية الإسلامية. والكتاب في جانب آخر توثيق للقضية الفلسـطينية في السياسـة الخارجية الإيرانية على مدى أكثر من قرن من الزمان، وفي جانب ثالث هو توثيق لنشأة العلاقة بين إيران وحركة حماس وتطورها، دون أن يغفل مناقشة منعطفاتها الإشكالية.

القسم الأول

الفصل الأول: إيران وفلسطين في نهاية العهد القاجاري

في أواخر القرن التاسع عشر كانت إيران تعيش في ظل حكم استبدادي وراثي، نتج عنه تخلف سياسي واقتصادي شكّل تربة خصبة للاحتجاجات التي بلغت ذروتها مع الثورة الدستورية، عام 1905، فيما يعرف بـ"المشروطة". وقد باءت بالفشل محاولات عدد من السياسيين الإصلاحية، من أبرزهم أمير كبير؛ مما جعل إيران محط أطماع القوى الاستعمارية وتدخلها في شؤون البلاد وإفشال كل المحاولات الإصلاحية في ظل حكومات خاضعة لسياسات المستعمرين[1].

وقد أجاد السير هنري دوراند (Henry Durand) وأفاد في وصف أحوال البلد في تلك الفترة: "إيران يحكمها نظام سيء للغاية وأوضاعها العامة ليست مُرضية. الوضع المالي سيء، مواردها بكر وأعمالها لا تزدهر. ويمكن رؤية بعض علامات التمرد في البلاد. كما أنه لا يوجد جيش يمكن للحكومة استخدامه للحفاظ على سلطتها. والنفوذ الروسي يتعاظم أمام نفوذنا في طهران"[2].

خلال تلك الفترة شهد العالم حركة استعمارية واسعة النطاق؛ أي إن الإمبريالية وصلت إلى أعلى مراحلها وفقًا لفلاديمير لينين[3]. وهكذا تمزقت

---

(1) قربان على نجف اندرور، قانون گريزى دوره قاجار و نقش آن بر اوضاع سياسى و اجتماعى ايران(انقلاب مشروطه)(التهرب القانوني في العهد القاجاري ودوره في الوضع السياسي والاجتماعي في إيران (الثورة الدستورية)، فصلية تاريخ، السنة ال14ـ، العدد 55، شتاء 1398 ش، ص 144-145.

(2) "گزارش سِر مورتيمر دوراند (اسنادى درباره وضعيت ايران در دهه پايانى قرن نوزدهم)""تقرير السير مورتيمر دوراند (وثائق عن الوضع في إيران في العقد الأخير من القرن التاسع عشر)"، ترجمه إلى الفارسية أحمد سيف، (تهران، شر نى، ١٣٩٢ش)، صص 39-10.

(3) لتراجع: فلاديمير لينين، "الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية"، (القاهرة، مكتبة النهضة، 1947).

الإمبراطوريـــة العثمانيـــة "الرجـــل المريـــض" وأصبحـــت تركتها نهبًـــا للقوى الاستعمارية؛ فاستولت بريطانيا على فلسطين التي كان مصابها أعظم، خاصة مع اشتداد عود الحركة الصهيونية في أوروبا والدعم الذي وجدته من الإمبريالية[1]، ثم جاء "وعد من لا يملك لمن لا يســتحق"؛ وعد بلفور الذي مكّن المشــروع الصهيوني من إقامة دولة على أرض فلسطين ما زالت قائمة إلى اليوم، وإن كان "طوفان الأقصى" قد هز أركانها.

وفقًـــا لعلـــي أكبر ولايتي، فإن علاقة إيران بفلســـطين في الفترة المعاصرة تعود إلى أواخر القرن التاســـع عشـــر؛ فقد دفعت هجرة عـــدد كبير من التجار الإيرانيين إلى فلســـطين الحكومة الإيرانية إلى فتح ممثلية لها في فلسطين، سنة 1897 (التي كانت آنذاك جزءًا من الخلافة العثمانية). وقد تولت تلك الممثلية رعاية المصالح الاقتصادية للتجار الإيرانيين هناك ثم اتســـعت نشـــاطاتها لتنظيم قوافل الزوار الإيرانيين إلى فلسطين، فضلاً عن إعداد التقارير والقيام بنشاطات ثقافية[2].

تكشـــف مراسلات ناصر الدين شـــاه[3] مع عدد من مسؤولي "الأليانس"، الرابطـــة اليهودية العالمية[4]، في النصف الثاني من ســـنة 1873، عن دور ناصر

(1) لتراجع: أليكس ويندر، الموســـوعة التفاعلية للقضية الفلســـطينية، (الحكم العثماني 1516–1917)، (تاريخ الدخول: 11 مارس/آذار 2024)، https://2u.pw/1xqq2vPK

(2) علي أكبر ولايتي، إيران وفلســـطين (1879–1937) جذور العلاقة وتقلبات السياســـة، ترجمة سالم مشكور، (بيروت: دار الحق، 1997)، ص 83.

(3) ناصر الدين القاجاري (1831 –1896): ملك حكم إيران في الفترة (1896–1848) وهو الملك الرابع في الأســـرة القاجارية. اُغتيل على يد واحد من تلامذة جمال الدين الأفغاني في عملية وُصفت بأنها أولى ملامح ظهور حركات الإسلام السياسي على مشارف القرن العشرين. حمل ناصر الدين شاه ألقابًا كثيرة، منها: قبلة العالم و"السلطان صاحبقران" وكان هذا اللقب يُعطى لمن زاد حكمه على 30 عامًا. تعد فترة حكمه التي وصلت إلى 50 عامًا هي الأطول بين ملوك القاجار. كان مولعًا بالأســـفار وتدوين مذكراته. وتعد يومياته التي وثقت لزياراته خارج إيران من المصادر المهمة لتلك الفترة.

(4) "الأليانس" اختصار "الرابطة اليهودية العالمية" (L’Alliance Israélite Universelle). تأسست الرابطة الإسرائيلية في فرنسا، عام 1860، على يد أدولف كريميو (Adolphe Cremieux)، اسمه الحقيقي إسحاق كريميو. رجل دولة فرنسي (1880–1776)، أصدر في 1870، لما كان وزيرًا

الدين شاه في تعزيز نفوذ يهود إيران.

وأورد ناصـــر الدين شـــاه في مذكراته[1]، التي وثَّق فيها أسـفاره إلى دول أوروبية[2]، حديثًا تبادله مع أحد أعضاء فرع عائلة روتشـيلد في فرنسـا؛ إذ قال: "كان يتحـدث كثيرا عن دعم اليهود، ويطالب بتوفير الرخاء ليهود إيران، فقلت له: سمعت أنكم أنتم الإخوة (روتشيلد) تمتلكون أموالاً طائلة، أرى أن الأفضل أن تخصصوا جزءًا من دولة ما أو تشتروا بلدًا تجمعون فيه يهود العالم وتكونوا رؤساء له بدل أن تبقوا مشتتين.. ضحك كثيرًا دون أن يبدي أي إجابة"[3].

للعدل، "مرسوم كريميو" الذي منح الجنسية الفرنسية لـ "الجماعة اليهودية" في الجزائر. اختير كريميو، في 1863، رئيسًـا للرابطة اليهودية العالمية وعمل بها حتى 1866، ثم مرة أخرى من 1868 حتـى وفاتـه. إن اهتمام كريميو بالقضايا اليهودية كان مرتبطًا في المقام الأول بمصالح الدولة الفرنسـية؛ ولهذا كان نشـاط الرابطة يهدف إلى صبغ أعضاء الجماعات اليهودية في العالم الإسلامي بالثقافة الفرنسية وتحويلهم إلى جماعات وظيفية وسيطة تعمل في مؤسسات الاحتلال الفرنسي وتدين له بالولاء وتخدم مصالحه في المنطقة.

منذ تأسيسها، فتحت الرابطة اليهودية العالمية عددًا من المدارس في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تعتمد التعليم العلماني العصري على النمط الفرنسـي لـ "تحرير" الإنسـان اليهودي. وباشـرت مشـروعًا تحت عنوان "مهمة تحضرية" يهدف إلى "ترقية وتحديث" يهود الشرق الأوسط عن طريق جعلهم يتشربون التعليم والثقافة الفرنسية.

عبد الوهاب محمد المسـيري، موسـوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشـروق (القاهرة، 1999)ط 1، ص 55، 56، 57.

جوئل بينين، شتات اليهود المصريين: الجوانب الثقافية والسياسية لتكوين شتات جديد. [ترجمة: محمد شكر] القاهرة، دار الشروق، 2008، الطبعة الثانية. ص 103.

للاستزادة، انظر الموقع الإلكتروني للرابطة:
https://www.aiu.org/en/alliance-israelite-universelle

(1) سـفرنامه ناصرالدين شـاه به فرنگ (كتاب سفر ناصر الدين شاه إلى الغرب)، تقديم عبد الله مستوفي، انتشارات مشعل وانتشارات غزل (اصفهان، 1362 ش)، ط2، ص 141

(2) أمين رحيمي، خواندنی‌های تاريخ| پيشنهاد عجيب ناصرالدين شاه به صهيونيست‌ها! (قراءات تاريخية عرض ناصر الدين شاه الغريب للصهاينة!) فارس نيوز، 4/3/1401 ش (تاريخ الدخول: 29 أبريل/نيسان 2023)، https://bit.ly/3LhxruK

(3) سـفرنامه ناصرالدين شـاه به فرنگ (كتاب سفر ناصر الدين شاه إلى الغرب)، تقديم عبد الله

لقد نجح قادة الرابطة اليهودية العالمية في إقناع ناصر الدين شاه بأن فتْح مدارس تابعة للرابطة في عدد من المدن الإيرانية من شأنه أن يحسِّن أوضاع اليهود التي وصفوها بأنها غير ملائمة[1].

وتناولت مراسلات رئيس الوزراء، حسين خان قزويني[2]، مع مسؤولي الرابطة في فرنسا في الفترة نفسها، الاتفاق على افتتاح فروع لها في إيران[3]. إلا أن ناصر الدين شاه، ورغم موافقته، كان متوجسًا من أهداف مدارس الرابطة[4]، لذلك لم يدخل الاتفاق حيز التنفيذ إلا في عهد مظفر الدين شاه، قبيل الثورة الدستورية، لما أوفدت الرابطة اليهودية العالمية جوزيف كازس، مدير مدارسها في لبنان، إلى إيران حيث أنشأ أول مدرسة للرابطة بطهران في 1900.

مستوفي، انتشارات مشعل وانتشارات غزل (أصفهان، 1362 ش)، ط2، ص 141.

(1) حبيب لوى، تاريخ يهود ايران، ج 3، (تهران، كتابفروشى يهودا برخيم)، 1339ش، ص 711-712.

(2) لُقِّب"ميرزا حسين القزويني" المولود في قزوين في 1828 بـ "مشير الدولة" و "القائد العام"، وشغل منصب وزير الحرب والصدر الأعظم في عهد ناصر الدين شاه، كان واسع الثقافة ومتقنًا للغات عدة، ورغم ما قام به من إصلاحات في الإدارة والحكم فإنه يؤخذ عليه تشجيعه زراعة الأفيون في إيران، وقد انتشرت تجارته في عهده بشكل كبير. ويصفه الدبلوماسي والمؤرخ البريطاني، السير دينس رايت(Sir Denis Wright) ، بأنه كان "أحد رواد المدرسة البريطانية في إيران وكان يرى أن الصداقة والدعم البريطانيين ضروريان للحفاظ على استقلال إيران ضد التوسع الروسي". لتراجع: دنيس رايت، ايرانيان در ميان انگليسيها، صحنههايى از تاريخ مناسبات ايران و بريتانيا، (إيرانيون بين البريطانيين، مشاهد من تاريخ العلاقات بين إيران وبريطانيا)، ترجمه: كريم امامى، ط 2 (تهران، نشر نو، 1368ش)، ص 296.

(3) وفقًا لوثائق وزارة الخارجية الإيرانية، فقد افتتحت أول مدرسة للرابطة اليهودية العالمية في العاصمة الإيرانية، طهران، في 1896، وقد اشتهرت باسم مدرسة "الأليانس الفرنسية"، وتأسست مدرسة أخرى حملت اسم مدرسة "بني إسرائيل"، وكانت المدرستان مدعومتين من جمعية بني إسرائيل، وتأتي جميع مستلزماتهما وكتبهما من باريس. لتراجع:

انسيه شيخ رضايى، مدارس فرانسوى در ايران (المدارس الفرنسية في إيران)، گنجينهٔ اسناد، الدورة 2، العدد 4و3، شتاء 1371ش، ص 98-99.

(4) آليانس فرانسه، مدرسه، مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامى (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى)، 1 دي 1402 ش، (تاريخ الدخول: 22 فبراير/شباط 2024)، https://bitly.ws/3dQ5I

كان إنشــاء المنظمات الصهيونية في إيران، التي اختلقت صورة سياســية تاريخيــة عــن "أرض الميعاد"[1] هــو العامل الأول والأهم فــي إثارة موضوع الهجرة في أوســاط الطائفة اليهودية في إيران وشــجعها على الهجرة من وطنها إلى فلســطين. وتُرجع بعض المصادر اليهودية وجود التنظيمات الصهيونية في إيران إلى 1910، عندما أنشــأت مجموعة من الشباب اليهود من همدان منتدى لدراسة اللغة العبرية[2].

في 1915، تشــكلت في فلســطين لجنة أُطلق عليها اســم "لجنة مهاجري القدس والشــام" كانت ترعى المهاجرين اليهود إلى فلســطين[3] وكان من بين المهاجريــن 51 مهاجــرًا إيرانيًّا، بقي أمر هجرتهم ســرًّا لا يعلم، ويرجح أنهم غادروا إيران بمساعدة مراكز مرتبطة بالحركة الصهيونية[4].

---

(1) الأرض ترمز إلى الأم التي تســقي ولدها لبنًا لتحفظ حياته ونموه كما تســقيه عسلاً لتمنحه حــب الحيــاة. وقد شــرح إيريك فروم هذه العبارة شــرحًا لا يخلو مــن طرافة في كتابه "فن الحب: بحث في طبيعة الحب وأشكاله"، وذلك في سياق حديثه عن الحب الأمومي، فيقول: "جرى التعبير عنها بشكل رمزي في الكتاب المقدس. فأرض الميعاد (الأرض دائمًا هي رمز للأم) توصــف بأنهــا "تتدفق لبنًا وعسلاً". اللبن هو رمز الجانب الأول للحب، ذلك الجانب الخــاص بالرعايــة والتأكيد، تأكيد مطلق لحياة الطفل واحتياجاته، والعســل يرمز إلى حلاوة الحياة ومحبتها". إيريك فروم، فن الحب: بحث في طبيعة الحب وأشــكاله]ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد[بيروت، دار العودة، 2000، ص 49.

(2) فرزندان استر، مجموعه مقالاتي درباره تاريخ و زندگي يهوديان در ايران (مجموعة مقالات حــول تاريــخ وحياة اليهود في إيران)، تحرير هومن سرشــار، ترجمة مهرناز نصريه، (تهران: كارنگ،١٣٨۴ ش)، ص 23.

(3) أرشيف وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، 1334 ه التقرير رقم 191 من وثائق القنصلية الإيرانية في مصر، الصندوق رقم 14 الملف رقم 9 الوثيقة رقم 12 نقلاً عن ولايتي، مرجع سابق، ص 83.

(4) المرجع السابق.

إيران ووعد بلفور

كان الوعد رسالة قصيرة بتاريخ 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1917 وجَّهها وزير الخارجيــة البريطاني، اللورد آرثر جيمس بلفور(Arthur James Balfour)، إلى رئيس الجماعة اليهودية في بريطانيا، اللورد ليونيل وولتر دي روتشيلد (Lionel Walter Rothschild)، بعد موافقة مجلس الوزراء البريطاني على الوعد.

كان وعــد بلفور ثمرة جهود مناصري الصهيونية داخل الحكومة البريطانية (بمــن فيهــم بلفــور، ورئيس الــوزراء، ديفيــد لويد جــورج (David Lloyd George)، وعضــو مجلــس اللــوردات، هربرت صموئيــل (Herbert Louis Samuel)) وخارجهــا. وقد اضطلع حاييم وايزمن (Haim Weissman)، رئيس الاتحــاد الصهيونــي البريطاني منذ فبراير/ شــباط 1917، بدور بالغ الأهمية في تلــك الجهــود؛ إذ كان على علاقة وثيقة وطويلة الأمد مع كلٍّ من بلفور ولويد جورج وونستون تشرتشل (Winston Churchill) والشخصيات النافذة الأخرى من النخبة السياسية.

إن إدراج وعــد بلفور ضمن صك انتــداب بريطانيا من عصبة الأمم على فلسطين، يعني أن القانون الدولي يضمنه، وبالنتيجة أصبح الوعد المبدأ التوجيهي للحكم البريطاني للبلاد، ليتم تنفيذه النهائي مع قيام إسرائيل 1948؛ ما غيَّر وجه الشرق الأوسط وتاريخه.

يسمي عبد الوهاب المسيري "الوعد" "عقدًا"؛ لأنه في نظره بمنزلة "عقد" بين الحضارة الغربية والمنظمة الصهيونية العالمية لوضع "العقد الصامت" بينهما والصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة موضع التنفيذ.

ويجب ألا ننظر إلى "الوعد"، وفقًا للمسيري"، بمعزل عن الوعود البلفورية الســابقة (روســي، ألماني وقبلهما النابليوني الذي كان قبل 100 عام من وعد بلفور) أو اللاحقة، أو عن المعاهدات الاستعمارية الدولية.[1]

---

(1) عبد الوهاب محمد المســيري، موســوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق (القاهرة، 1999)، ط 1، صص 38-51.

لقد هدفت بريطانيا من إصدار "الوعد" إلى تحويل يهود شرق أوروبا عن غربهـــا، أي التخلص من فائض اليهود وتوطينهـــم في أي مكان خارج أوروبا. فالأمر فيه "معاداة لليهود"؛ لأن آرثر بلفور نفسه دعم "قانون الغرباء" الذي صدر قبل وعده بنحو 15 سنة لوضع حدٍّ لدخول اليهود اليديشية إلى بريطانيا. وكان بلفـــور يـــرى أنه "ليس من مصلحة أي بلد أن يكون فيه يهود مهما بلغت درجة وطنيتهـــم وانغماســـهم في الحياة القومية" [1]وهذا مـــا جعل المؤتمر الصهيوني الخامس يصف تصريحاته بأنها معادية للشعب اليهودي بأسره، وهاجمته الصحافة البريطانية.

ورغـــم أهميـــة حدث وعد بلفور فإن علـــي أكبر ولايتي لم يعثر في وثائق وزارة الخارجية الإيرانية على أي وثيقة رسمية عنه؛ وقد يرجع ذلك إلى انقطاع خطوط الاتصال بين طهران وسفاراتها في أوروبا وأميركا بسبب الحرب العالمية الأولى واحتلال إيران[2]. ومع ذلك، فإن بعض الآثار المتبقية والمذكرات تكشف أن اليهود الإيرانيين أسسوا فور صدور وعد بلفور منظمات وجمعيات كان لها دور كبير في مستقبل العلاقة بين إيران وفلسطين[3].

وأكد هادي خســـرو شـــاهي أن صدور وعد بلفور قد شـــجع بعض اليهود الإيرانيين على التفكير في إنشاء "الجمعية الصهيونية في إيران"، وهو ما حدث بالفعـــل فـــي 1919 وأقاموا لهـــا فروعًا في مدن إيرانية عـــدة[4]. وتألفت اللجنة

(1) عبد الوهاب محمد المســـيري، موســـوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المصدر السابق، ص 49.

(2) ولايتي المرجع السابق، ص 67.

(3) المرجع السابق.

(4) سيد هادي خسروشاهي، ايران و رژيم صهيونيستى در دوره پهلوى دوم (قسمت اول) (إيران والنظام الصهيوني في الفترة البهلوية الثانية (الجزء الأول)، راه هادي، دفتر حفظ ونشـــر آثار الأستاذ سيد هادي خسروشاهي، بدون تاريخ (تاريخ الدخول: 29 أبريل/نيسان 2023)، https://bit.ly/41FMRQl

المركزية للجمعية من 13 شخصًا، فكان عزيز الله نعيم رئيسًا لها والدكتور حبيب ليفي[1] مفتشها العام[2].

وتتحدث وثائق رسمية إيرانية، عن أياد كانت تعمل بعد صدور وعد بلفور على خلق أجواء مضطربة وغير آمنة ضد الأقلية اليهودية في إيران لإجبارها على الهجرة إلى فلسطين[3].

ذهبت مصادر إيرانية عدة إلى أن وعد بلفور كان فاتحة لتأسيس منظمات وجمعيات صهيونية في إيران، منها على سبيل المثال المنظمة الرسمية لليهود في طهران المعروفة باسم "هوراكاديشا"، التي تُرجع بعض المصادر تاريخ تأسيسها إلى العام 1910 في حين تقول مصادر أخرى إنها أعلنت انطلاقتها في عيد الفصح وأقامت احتفالات بوعد بلفور في عدد من المدن الإيرانية في 1917 ورأت فيه علامة على "الخلاص". وفي 1921، أعلنت عن نظامها التأسيسي[4] برئاسة شلمو كهن صدق[5].

(1) الدكتور حبيب ليفي (1896–1984) من الشخصيات اليهودية البارزة في إيران المعاصرة؛ كان طبيب أسنان ومؤرخًا وصهيونيًّا وشخصية عامة، ورجل أعمال ناجحًا وإحدى الشخصيات البارزة في يهود إيران. ولد لعائلة يهودية معروفة في طهران. درس الطب في فرنسا وبعد عودته إلى إيران كرّس جزءًا كبيرًا من حياته للبحث في الماضي والتراث اليهودي. من أهم مؤلفاته "تاريخ يهود إيران"؛ كتاب شامل عن الحياة اليهودية في إيران منذ العصور القديمة إلى الفترة المعاصرة، وقد نُشر في 1960 باللغة الفارسية ونُشرت نسخته المنقحة والمختصرة باللغة الإنكليزية في 1999، وقد اعتمد فيه على مصادر لم يُنشر معظمها من قبل. بعد الثورة الإسلامية في إيران، 1979، قرر حبيب ليفي الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية، وواصل أبحاثه وكتاباته إلى أن وافته المنية، في 1984، في لوس أنجلوس ودُفن في القدس تنفيذًا لوصيته. http://www.habiblevy.com/english.html :(Accessed, February 03, 2024)

(2) المرجع السابق.

(3) ولايتي، المرجع السابق، ص 58.

(4) بهبودي، مصدر سابق، ص 12.

(5) شلمو كهن صدق الملقب بـ"السلطان سليمان" (1891–1964)، يعد واحدًا من أبرز القيادات اليهودية في إيران، ولد لعائلة يهودية متدينة. بدأ تعليمه في الفترة التي تأسست فيها مدارس الرابطة اليهودية العالمية "الأليانس" في طهران، عمل في شبابه في قوات الدرك الإيرانية،

وفي مارس/ آذار 1921، قدمت المنظمة نظامها الأساسي للحكومة الإيرانية لتحصل على ترخيص بالعمل رسميًا، وطالبت بعدم الحيلولة دون تأسيس فروع لها في الولايات المختلفة، ودعت إلى حمايتها. وخصص النظام الأساسي تسع مواد لتهيئة الأرضية لهجرة اليهود إلى فلسطين[1]. ورغم أن المنظمة لم تحصل على موافقة الحكومة الإيرانية فإن ذلك لم يوقف نشاطها.

وزاد عدد التنظيمات الصهيونية في إيران وتوسع نشاطها بشكل لافت، توسعًا غير عادي، وفقًا لهدايت الله بهبودي، بالنظر إلى عدد اليهود الإيرانيين. ونشطت التنظيمات والمجموعات في طهران والمدن الأخرى، كل منها حسب التسهيلات والاهتمام الذي أظهره المجتمع اليهودي بها. ورأى أنه لا يمكن الجزم بأن أسس كل تلك المجموعات قائمة على التفكير الصهيوني، لكن معظمها كان ذا ميول سياسية وينفذ أهداف الوكالة اليهودية[2] في إيران[3].

شهدت فترة ما بعد وعد بلفور، وفقًا لوثائق إيرانية، تأسيس نحو عشرين منظمة وتجمعًا يهوديًا في طهران ومدن إيرانية أخرى ومن أهمها المجمع

قبل أن يستقيل منها ويتفرغ لشؤون طائفته، كان له دور مؤثر في تأسيس عدد من المؤسسات اليهودية في إيران من أبرزها أول مجلس ثقافي للشباب اليهودي في إيران، وكان من مؤسسي منظمة "يهود إيران" وفي الفترة من 1919– 1940، جال كهن صدق في 180 مدينة وقرية في إيران ليوثق حياة يهود إيران. كان يتقن لغات عدة، ومن أبرز مؤلفاته "تاريخ يهود إيران" في مجلدين الذي كان من أبرز المراجع الرئيسية لكتاب حبيب ليفي الضخم "تاريخ يهود إيران".

(1) حسن فراهاني، "روزشمار تاريخ معاصر إيران" (يوميات التاريخ الإيراني المعاصر)، ج ١، "مؤسسه مطالعات و پژوهشهاي سياسي"، (تهران: ١٣٨٥ ش)، ص 71.

(2) الوكالة اليهودية هيئة يهودية عامة بمنزلة الجهاز التنفيذي للحركة الصهيونية، رعت هجرة اليهود في الشتات إلى إسرائيل، وأشرفت على اندماجهم في الدولة المعلنة عام 1948. بدأت الوكالة اليهودية في أيام الانتداب البريطاني كحكومة "للمستوطنين الصهيونيين" في فلسطين، وعملت تحت حماية الانتداب بقصد إنشاء وطن قومي لليهود، قبل أن يعترف بها رسميًا عام 1922. انظر موسوعة الجزيرة، 11 يناير/كانون الثاني 2023 (تاريخ الدخول: 11 مارس/آذار 2023)، https://2u.pw/zqoKAur

(3) بهبودي، مرجع سابق، ص 13.

المركـــزي للتنظيمـــات الصهيونية الإيرانية (صيونيت) الذي تأســـس في 1301 ش/ 1922 في طهران[1]. وتكشـــف الوثائق عن حفل أقامته اللجنة اليهودية في مدينة رشت لمناسبة ما أطلقت عليه "استقلال يهود فلسطين"[2].

أدت سياسات الاحتلال البريطاني في فلسطين إلى تقليص الوجود الإيراني فيها[3] وخلقت الأزمات الاقتصادية والسياسية الداخلية في إيران، خلال 1919، أوضاعًـــا جعلت المســـؤولين في إيـــران ينصرفون إلى معالجـــة قضايا الداخل متجاهلين التطورات الإقليمية والدولية. تســـببت زيارة تشرتشـــل إلى يافا، في 1921، وخطابه الحماســـي لفائدة اليهود في اندلاع مواجهات واشـــتباكات في المدينـــة بين قوات الانتداب البريطاني والفلســـطينيين[4]، وهو ما دفع الحكومة الإيرانية، بغية حماية مصالح مواطنيها، إلى إيفاد ميرزا حبيب الله خان آل رضا الملقب بـ"عين الملك" إلى المنطقة لتقييم الأوضاع بدقة، ليتسنى بناء على ذلك وضع سياسة خارجية إقليمية[5].

وقد استخدم "عين الملك" في رسالة إلى وزارة الخارجية، عن حال اليهود الإيرانيين في فلسطين، مصطلح "الصهيونية"، وهي أول مرة يظهر فيها المصطلح في الوثائق الرسمية الإيرانية: "أعتقد أن عدد اليهود الإيرانيين في فلسطين كبير؛ فقد أخذوا يهاجرون بعد الحرب من إيران إلى فلســـطين فوجًا بعد آخر، والله يعلم كم بلغ عددهم اليوم، فلا توجد إحصائية دقيقة، ولا شـــك في أن جميع

---

(1) فرزندان استر، مرجع سابق، ص 237.

(2) أسبوعية "هحييم"، 1301 ش، العدد 7، ص 2.

(3) يشير تقرير رسمي يحمل الرقم 721 من أرشيف وزارة الخارجية الإيرانية 1337 ه، الصندوق رقم 14 الوثيقة رقم 9، إلى قرار للحكومة البريطانية يقضي "بمنع رفع علم إيران وسائر الدول المحايدة في مدينة يافا"، وألحقت ذلك بمذكرة أرسلتها إلى الخارجية الإيرانية، في 11 مارس/ آذار 1919، مفادها أن القوانين الإنكليزية لا تسمح لأحد بالدخول إلى سوريا وفلسطين خلال فترة الاحتلال البريطاني إلا بإذن مسبق من المركز العسكري في القاهرة (أرشيف وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، 1337 ه، الصندوق رقم 14).

(4) صحيفة فلسطين الصادرة في مدينة يافا، العدد 371، 30 مارس/آذار 1921، ص 1.

(5) ولايتي، مصدر سبق ذكره، ص 105.

اليهود الإيرانيين ضاعوا كالقطرة في بحر الصهيونية"[1].

لم يكن "عين الملك" أول دبلوماسي يمثل الحكومة الإيرانية في فلسطين، بل سبقه شخص يدعى السيد إسكوينتش تولى، في 1880، منصب القنصل الفخري لإيران في حيفا[2]، وكان يعمل تحت إشراف قنصلية إيران في مصر[3].

شيئًا فشيئًا أدت الأزمات المالية إلى إغلاق الممثليات الإيرانية في الخارج وكانت القنصلية الإيرانية في مصر هي الوحيدة التي ترسل تقارير من وقت إلى آخر إلى طهران[4].

وتشير وثائق إيرانية إلى شراء يهود إيرانيين، مستغلين تجارتهم غطاء، الجنيه الإسترليني في العراق وإيران[5] بالروبية الهندية لضرب اقتصاد البلدين، وجمع المال لشراء الأراضي في فلسطين[6].

في عشرة أيام صنعت بريطانيا مستقبل المنطقة في مؤتمر القاهرة الذي بحث مصير العرب بعد سقوط الدولة العثمانية واحتلال بريطانيا المنطقة. في ذلك المؤتمر تحدد بالفعل مستقبل دول عدة في المنطقة، العراق وشرق الأردن وفلسطين. ترأَّس المؤتمر الذي عُقد في 1921 وزير المستعمرات البريطاني، ونستون تشرشل، وأربعون إداريًّا وسياسيًّا وعسكريًّا بريطانيًّا كان يتولون آنذاك مناصب رفيعة في أرجاء الوطن العربي.

تذكر الوثائق الإيرانية أن المسؤولين الإيرانيين وفي مقدمتهم رئيس الحكومة ضياء الدين طباطبائي، كانوا على علم بمجريات مؤتمر القاهرة الذي تحدد فيه

---

(1) الوثيقة رقم 17، التقرير رقم 316، 17 صفر 1341ه، 1301ش/1922م، أرشيف وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، الصندوق 6 الملف 24.

(2) أرشيف وثائق الخارجية البريطانية، الوثيقة رقم 733/2، ولايتي نقلاً عن بذور المؤامرة، ص 148.

(3) أرشيف التقرير رقم 2316 وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، 1340ه، الصندوق 16، الملف 13 تقرير 6 ذي القعدة 1339 ه المرقم بـ 844.

(4) ولايتي، مرجع سابق، ص 78.

(5) ولايتي، المرجع السابق، ص 87.

(6) ولايتي، المصدر السابق، ص 89.

المســتقبل السياســي لدول عدة في المنطقة بعد سقوط الخلافة العثمانية، لكن المســؤولين الإيرانيين كانــوا غير مبالين بالأحداث ومنهــا تطورات الموضوع الفلسطيني.

ولقد تحول ما كان يعد شائعات عن مؤتمر القاهرة إلى واقع[1]، ولم تعترض حكومة طباطبائي على نتائجه[2]، وهي حكومة جاءت بدعم بريطاني سري[3] عقب انقلاب فبراير/ شباط 1921؛ إذ جرى تعيين طباطبائي رئيسًا للوزراء، ورضا خان وزيرًا للحرب، ولكن الأمر لم يستتب لطباطبائي إلا قليلاً، فقد أجبره رضا خان على الاستقالة ومغادرة إيران[4].

كان حبيب الله خان الملقب بـ"هويدا" شخصية مؤثرة في وزارة الخارجية الإيرانية في عهد محمد علي شاه الذي يوصف بـ"الاستبداد الصغير"[5]. ورغم

---

(1) ولايتي، مرجع سابق، ص 100.

(2) تولى ضياء الدين طباطبائي رئاســة الوزراء 93 يومًا فقط، فأقصاه رضا خان واســتحوذ على المنصب؛ فتولى رئاسة الوزراء ما بين 1923–1925، ثم جعل البرلمان ينتخبه ملكًا، وفي 1925 نصَّب نفسه شاهًا لإيران، وخلع أحمد شاه من الحكم معلنًا نهاية الدولة القاجارية وبدء الحكم البهلوي في إيران.

(3) Denis Wright، The English amongst the Persians: During the Qajar period 1787–1921، Heinemann: London، 1977، p 184.

(4) أُجبر طباطبائي على الاســتقالة ومغادرة إيران بســبب خلافه مع رضا خان، في 1921، ومَنَحَه الإنكليــز حق اللجوء إلى فلســطين، فعاش فيها حتــى 1943. وفي منفاه ضغط الإنكليز على حكومة أفغانستان فعيَّنته مستشارًا سياسيًّا، ثم عاد إلى إيران وأَسَّس حزب (إرادة الأمة) الموالي للمملكة المتحدة. وفي 1944، انتخب عضوًا في البرلمان، ومارس ضغطًا على رئيس الوزراء لإخراج وزراء حزب توده الشيوعي (حزب الجماهير) من الوزارة؛ الأمر الذي أدَّى إلى اعتقاله، بسبب رغبة رئيس الوزراء في التقارب مع السوفيت آنذاك، وعلى إثر ذلك انسحب طباطبائي من الحياة السياسية حتى وفاته.

(5) يطلق "الاستبداد الصغير" على الفترة من يونيو/حزيران 1908 إلى يونيو/حزيران 1909، وهي فترة مهمة في تاريخ الحركة الدستورية الإيرانية بدأت بحل محمد علي شاه المجلس الوطني وانتهت بســيطرة الدســتوريين على طهران، ولجوء محمد علي شــاه إلى سفارة الإمبراطورية الروســية. وخلال تلك الفترة اعتُقل عدد من الصحافيين والنواب والدســتوريين وأعدموا، أو فرُّوا من البلد.

تجميد نشـــاط "هويدا" بعد صعود الحركة الدستورية، في 1909، فإنه أعيد إلى الوزارة بفضل علاقاته مع القبائل المتنفذة والمرتبطة بالبريطانيين؛ فتولى شؤون القنصلية في كل من ســوريا ولبنان، وفي 1920 ســافر إلى حيفا والقدس بقرار شــخصي[1]. وكان من المثير للشــك أن يسافر دبلوماسي إيراني مكلف بمنطقة تخضع للاستعمار الفرنسي، إلى مدن تخضع للنفوذ البريطاني ويحظى باستقبال البريطانيين له! ثم ما لبث أن اقترح تأسيس إدارة شؤون فلسطين وسعى بشكل حثيث إلى نزعها من القنصلية الإيرانية في مصر[2].

وكانت مراسلاته تعكس إدراكًا لواقع الحالة السياســية في فلسطين، لكنها تكشــف أيضًا عن أغراض شــخصية، من بينها الاهتمام بشــؤون الفرقة البهائية في فلســطين؛ فقد ســعى بشكل حثيث إلى الارتباط بمركز البهائية في فلسطين والتقرب من زعمائها، فضلاً عن تحصيل مكاســب مادية. وقد اشتكى عدد من الإيرانيين في رســالة إلى وزارة الخارجية من نشــاطه الاقتصادي ومكاسبه غير المشروعة[3]. ورغم عزله من منصب قنصل فلسطين، في 1924، فإنه عاد إليه في 1926 واعترفت به الحكومة البريطانية قنصلاً للحكومة الإيرانية في فلسطين[4].

وكان من النتائج السلبية لوجود هويدا في فلسطين تجاهل القنصلية الإيرانية الموضوعات السياســية وقضايا المجتمع الفلســطيني؛ فلم ترسل أي تقرير عن أبعاد الأزمة الفلسطينية وتبعاتها طوال توليه المنصب. وفضلاً عن هذا فقد أغلق ممثليــات إيران فــي يافا وحيفا وعكا التي كانت تتابــع مجريات الأمور بدقة، وألحقت شــؤون فلسطين بشؤون الشام، ونجحت سياسته في الحد بشكل كبير من اهتمام الحكومة الإيرانية بالقضية الفلسطينية.

بناء على ما سبق، يتبين أن مسؤولي وزارة الخارجية الإيرانية في تلك الفترة فشــلوا في حماية مصالح الإيرانيين في فلســطين كما أخفقوا في رســم سياسة واضحة إزاء القضية الفلسطينية.

---

(1) ولايتي، مرجع سابق، ص 106.

(2) ولايتي، مرجع السابق، ص 107.

(3) ولايتي، مرجع سابق، ص 113–114.

(4) رسالة سفارة إيران في لندن، رقم 755/304 بتاريخ 20 /1304/10 ش، في أرشيف وثائق وزارة الخارجية الإيرانية عام 1306 ش الصندوق رقم 31.

النشاط الصهيوني في إيران بعد الحرب العالمية الأولى

توســع النشــاط الصهيوني في إيران بعد الحرب العالمية الثانية وزاد عدد المؤسســات الصهيونيــة والجمعيات التي كانت في ظاهرهــا اجتماعية، ثقافية، إحســانية، لكن كانت لها مــآرب أخرى؛ كجمع التبرعــات للحركة الصهيونية وتهجيــر يهــود إيران إلى فلســطين وكذلك يهود العراق. ووفقًــا لوثائق وزارة الخارجية الإيرانية، فإن الوكالة اليهودية "ســخنوت" هجَّرت يهود كردستان من إيران والعراق (عبر تركيا) إلى فلسطين المحتلة.

وكان بعض قادة تلك الجمعيات من اليهود الأثرياء والرأســماليين، ولهم ارتباطات واسعة النطاق وشاملة مع النظام البهلوي ومسؤوليه[1].

توسلت الحركة الصهيونية، من بين ما توسلت به لنشر أيديولوجيتها وسط يهــود إيــران، بالصحافة؛ فأصدرت صحفًا ومــجلات، وكانت الصحافة إحدى الوسائل التي عبَّرت من خلالها الشخصيات اليهودية عن أفكارها[2].

ورغم أن عدد المتعلمين في إيران ومنهم اليهود لم يكن ليمكِّن الصحف والمجلات من دور مباشــر في نشــوء الظواهر الاجتماعية، فإنها كانت الركيزة الأساســية والثقافية وأداة فعالة، على الأقل بين المتعلمين وشكَّلت صلة وصل بين المثقفين ورجال الدولة والجمهور[3].

لقــد كان هدفها المعلن تقوية الهوية الدينيــة ليهود إيران وخلق مزيد من التقارب بين أفراد الجماعة اليهودية، وتشجيع تعليم اللغة العبرية ونشر أخبارهم الداخلية لكن مع اقتراب نهاية الحرب العالمية الأولى وسيطرة البريطانيين على فلســطين، بدأت تتضح الدوافع السياســية لتلك المطبوعات وبدأت تحل محل الأهداف الثقافية والدينية.

---

(1) ولايتي، المرجع السابق، ص 118.

(2) صامويل أتنجر (تحرير)، اليهود في البلدان الإسلامية (1850 – 1950) [ترجمة: جمال أحمد الرفاعي] الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، عدد 197، مايو/أيار 1995، ص 397.

(3) بهبودي، مرجع سابق، ص 14.

كانت نشرة "شالوم" لمالكها "شالوم مردخاي بن إبراهيم" هي أول منشور ليهود إيران وكان يرأس تحريرها شقيقه، آشر، وكلاهما من خريجي مدرسة "الأليانس". صدر العدد الأول منها في 21 مارس/آذار 1915 في طهران[1]. ورغم أنها لم تكن تدعو يهود إيران صراحة إلى الهجرة إلى فلسطين، فإنها احتوت على إشارات عن "المظلومية اليهودية وزيادة الاهتمام بالأرض المقدسة"[2].

كانت صحيفة "هاجئولا"[3] الأسبوعية التي صدرت في 1920 حلقة وصل بين الحركة الصهيونية الوليدة في إيران والحركة الصهيونية العالمية[4]، وكانت تصدر باللغة العبرية وأحيانًا بالفارسية، وكانت تنشر ترجمات عن الصحف العالمية[5].

ومن النشرات التي أصدرها يهود إيران في تلك الفترة أسبوعية "هحييم" التي كانت تحث يهود إيران على الهجرة إلى فلسطين. أصدر الصحيفة، التي صدر عددها الأول في مايو/أيار 1922، صموئيل حاييم، وهو من خريجي مدارس الرابطة وأصبح نائبًا في المجلس الوطني عن الأقلية اليهودية وناشطًا صهيونيًّا.

ذكرت الصحيفة في افتتاحية عددها الأول أهدافها، ومن بينها حث اليهود على الاهتمام بالسياسة والمشاركة فيها لأنهم بعيدون عنها. ويكشف الدعاء الذي انتهت به الافتتاحية "ندعو الله لأجل أورشليم وطن أجدادنا ولأجل استقلال اليهود" هدفًا آخر من أهداف الصحيفة.

كانت "هحييم" تتابع نشاطات اليهود في فلسطين وتحصي أعداد المهاجرين"[6]، وحظيت بمكانة أكبر في أوساط اليهود، خاصة المثقفين منهم،

---

(1) پادياوند (Padyavand دراسة تاريخ وثقافة يهود إيران)، تحرير أمنون نتصر، المجلد الأول، مزدا، (لوس أنجلوس:1969)، ط1، ص 300.

(2) بهبودي، مرجع سابق، ص 14.

(3) "هاگئولا أو هقهيلا" تعني "النجاة".

(4) "يهوديان إيران در تاريخ معاصر" (يهود إيران في التاريخ المعاصر)، المجلد الرابع، (كاليفورنيا: مركز التاريخ الشفوي لليهود، كاليفورنيا، 2000 م)، ص 18 - 19.

(5) المصدر السابق.

(6) بهبودي، مرجع سابق، ص 15.

مقارنة بـ"شالوم" و"هاجئولا". لقد اشتركت المطبوعات الثلاث في الدعوة إلى الأفكار الصهيونية وتعريف يهود إيران بوجهات نظر قادة الحركة الصهيونية العالمية، وتحريض الشباب اليهود والسياسيين على مواجهة اليهود التقليديين. وهذا ما شكّل تحديًا لسلطة الحاخامات والمؤسسات اليهودية الرسمية في إيران.

هجرة يهود إيران إلى فلسطين

شهدت إيران خلال عشرينات القرن الماضي أحداثًا مفتعلة ضد اليهود لإجبارهم على الهجرة وتوجيه الرأي العالم العالمي لصالح الصهيونية. ولم تكن إيران استثناء في ذلك فقد شهدت بلدان عدة في العالم العربي أحداثًا مماثلة، منها "الفرهود" في العراق" و"أحداث وجدة وجرادة" في المغرب.

لقد كان للسفارات الغربية في طهران يد في تلك الأحداث، ومنها المواجهات بين المسلمين واليهود في حي اليهود في طهران، في 1922، وهو ما استدعى تدخل قوات الجيش[1]. أعقب ذلك مواجهات واشتباكات بين الأقلية اليهودية وسكان طهران ووصلت أخبار المواجهات إلى الخارج.

لقد كان لتلك المواجهات المفتعلة دور فعال في دفع اليهود إلى الهجرة على الرغم من تصدي الحكومة لها ومحاولتها إيجاد حلول للمواجهات المتصاعدة بين المسلمين واليهود. ففي أبريل/ نيسان 1922، شكّلت وزارة الداخلية الإيرانية لجنة للتحقيق في الاشتباكات التي جرت بين المسلمين واليهود في طهران، وأجرى الدكتور لقمان، الممثل اليهودي في مجلس الأمة محادثات مع رئيس الوزراء، مشير الدولة[2]، وما لبثت المواجهات التي جرت أن تحولت من شأن محلي داخلي إلى قضية تهتم بها السفارات. وتشير وثيقة كتبها محمود أنصار، الحاكم الأمني في طهران، إلى دور البريطانيين في تلك المواجهات واعتقال شخصين ممن لهم علاقة بالأمر[3]. وأصبح الصراع المفتعل بين المسلمين واليهود حديث الساعة في إيران، وناقش مجلس الأمة الموضوع؛ فذكّر النائب

(1) ولايتى، المرجع السابق، ص 132.

(2) صحيفة إقدام، العدد 30، ص 2.

(3) وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، الوثيقة رقم 17، الصندوق رقم 6 عام 1301 ش.

عن طهران ورئيس لجنة الأقليات، سليمان ميرزا، بقيم الإسلام في الدفاع عن الضعفاء وأكد ما ينص عليه الدستور الإيراني بخصوص حقوق الأقليات[1]؛ مما أسهم في عودة الهدوء إلى جماعة يهود طهران[2]. وحاولت وزارة الداخلية حل الخلاف جذريًّا بالدعوة إلى اجتماع وتشكيل لجنة تُعنى بالأمر، لكن أُلغي الاجتماع؛ لأن بعض ممثلي اليهود تخلف عن حضوره.[3]

بدأ تهجير اليهود الإيرانيين إلى فلسطين بصورة ممنهجة بالتزامن مع الانتداب البريطاني على فلسطين، 1922، واضطلعت الوكالة اليهودية لشؤون فلسطين بتسهيل هجرة اليهود من خلال "اللجنة التنفيذية الصهيونية"، وتعهدت الحكومة البريطانية بتقديم ما يلزم لهذا الأمر[4]. ووفق تقرير للإدارة السياسية الثالثة في وزارة الخارجية الإيرانية، فإنه منذ أن وقعت فلسطين تحت الإدارة البريطانية، بدأ تشجيع الجماعة اليهودية على الهجرة إلى فلسطين، وبدأت موجات منهم تصل إلى فلسطين من كل أنحاء العالم[5].

على إثر تلك التطورات وغيرها، بدأت مسألة تهجير يهود إيران إلى فلسطين تشغل بال السلطات الإيرانية، فتحركت وزارة الخارجية وأرسلت تقييمها إلى رئاسة الوزراء، وجاء في إحدى المراسلات: "منذ أن وقعت فلسطين تحت سيطرة البريطانيين يجري تشجيع اليهود من كل أنحاء العالم على الهجرة إليها، ويتوافد اليهود من كل أنحاء العالم عليها، ومنهم يهود إيران الذين بدؤوا يبيعون ممتلكاتهم ويهاجرون إلى فلسطين"[6]. وتشير تلك المراسلات إلى أنه على

---

(1) الجريدة الرسمية، الدورة الرابعة، ص 1104-1105.

(2) بهبودي، مصدر سابق، ص 22.

(3) أسبوعية "هحييم"، العدد 21، ص 3.

(4) هدايت الله بهبودي، "نقش انگليس در مهاجرت يهوديان ايران به فلسطين مطالعه موردى:سال 1301 شمسى" (دور الإنكليز في مهاجرة اليهود الإيرانيين إلى فلسطين دراسة حالة: عام 1301 ش)، "مطالعات تاريخى"(دورية دراسات تاريخية)، شتاء 1387 - العدد 23 ،ص 29-10، ص 11.

(5) وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، الوثيقة رقم 16، الصندوق 44، 1301 ش.

(6) وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، الوثيقة رقم 16، المرجع السابق.

عكس الوعود بالرفاهية التي وعدت بها الصهيونية يهود إيران، كما كان الشـــأن في دول أخرى، يعيش اليهود الإيرانيون هناك الفقر والحرمان[1]، واقترحت منع هجرتهم إلى فلســـطين وعدم السماح بالسفر إلى فلسطين إلا لأشخاص معينين من أجل التجارة[2].

حظـــي اقتراح وزارة الخارجية حظر تهجير اليهود الإيرانيين بقبول رئاســـة الوزراء، ويبدو أن ذلك أثار حفيظة الصهاينة في إيران فأخذت منشوراتهم تدعو اليهـــود إلى الهجـــرة بلهجة ملحمية تضفي على الهجرة بُعدًا دينيًّا عقائديًّا، وهو في حقيقة الأمر بعد أســـطوري، فنَّده المؤرخون الجدد، غيَّر الارتباط الروحي للجماعات اليهودية بفلسطين إلى ارتباط استيطاني إحلالي يعتمد العنف والإبادة الجماعية: "يا أبناء إبراهيم الذين طُردتم من وطن أجدادكم. اذهبوا واملؤوا أجواء مدينة القدس المقدســـة بترديد ترانيم رجال الدين. اذهبوا وغنُّوا لأجل حربكم ونشـــيدكم الوطني على قبور أسلافكم وباركوا أرواحهم. اذهبوا يا أبناء يعقوب وانحنوا إكرامًا لمهد ولادتكم. اذهبوا ورَوْا تراب وطن أجدادكم"[3].

ودافعت تلك المطبوعات عن تهجير اليهود وادعت إحداها: "أن اليهود لم يكونـــوا ليفكروا بالهجرة لو توافر لهم الأمن والتعليم والعمل"[4]، وكانت تنهل في دعوتها إلى الهجرة من القاموس الصهيوني[5].

لـــم تُجْدِ إجـــراءات الحكومة الإيرانية لوقف التهجيـــر نفعًا، وما لبث أن

(1) كانت هذه هي حال كل اليهود الشرقيين. شاهد الفيلم الوثائقي "الصعود نحو الشتات"، من إنتاج المحرر، عن معاناة المغاربة اليهود في إسرائيل، الجزيرة، https://www.youtube.com/watch?v=FRSqvM00EN8

(2) وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، المرجع السابق.

(3) أسبوعية "هحييم"، العدد 20، 1922 ص 1.

(4) المرجع السابق، العدد 22، ص 2.

(5) يظهـــر ذلـــك واضحًا في المفردات التي كانت المطبوعات اليهودية في إيران تســـتخدمها عند حديثها عن موضوع الهجرة إلى فلسطين خاصة نشرية "هحييم".

علَّقت قرارها القاضي بمنع ذلك دون ذكر الأســباب[1] لكن بعض الدراســات ذهب إلى أن التعليق كان بضغط من الحكومة البريطانية والمنظمات الصهيونية[2] التــي اشــتكت إيران إلى عصبة الأمم واتهمتها بمخالفــة التزاماتها المتمثلة في مصادقتهــا فــي عصبة الأمم على قرار الانتداب على فلســطين، ومن مواده أن "اليهود أحرار في الهجرة إلى فلسطين من شتى بقاع العالم"[3].

(1) صحيفة إيران، العدد 1277، ص 2.

(2) بهبودي، مرجع سابق، ص 26.

(3) وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، الصندوق رقم 30، الملف رقم 8، 1304 ش.

الفصل الثاني: إيران وفلسطين في العهد البهلوي

بـــدأ العهد البهلوي (1925–1979) بالانقلاب الذي نفذه رضا خان، على أحمد شـــاه قاجار، آخر ملوك العهد القاجاري. وهو العهد الذي عُرف بالعصر الذهبـــي للنشـــاطات الصهيونية في إيـــران[1]؛ فقد زاد في العهـــد البهلوي عدد المنظمات الصهيونية التي بلغت، وفقًا لدراســـة خســـرو شـــاهي، ســـت عشرة، وتوسع نشاطها، خاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بعد سقوط رضا شاه، وكان لها دور في إقامة العلاقة بين نظام الشاه وإسرائيل، ونشاط كبير في تهجير اليهود إلى فلسطين وتقديم الدعم المادي واللوجستي للجيش الصهيوني.

ووفقًا للباحثة، أورلي رحيميان، فإن انقلاب رضا خان والثورة الإسلامية، التـــي أدت إلـــى إعلان الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقيـــادة آية الله روح الله الخميني، 1979، هما أكبر حدثين حدَّدا مصير الجماعة اليهودية في إيران[2].

دخلت إيران مرحلة سياســـية جديـــدة بعد وصول رضا خان (الذي أصبح رضا شـــاه) إلى الحكم (1925–1941)؛ فقد أراد إيران دولة حديثة، خالية من النفوذ الأجنبي، موحدة وقوية عســـكريًا، مع وعي تاريخي ووطني مؤسَّس على ثقافة مصادرها أساسًـــا في إيران ما قبل الإسلام. لم يتســـامح رضا شاه مع أي نشـــاط سياسي أو أيديولوجية ذات ارتباطات بدولة أو مجموعات أجنبية خارج إيران. ونتيجة لذلك، حُظِرت الأنشـــطة الشـــيوعية والصهيونية في إيران في ظل حكمه، وإن كان ذلك لأسباب مختلفة من أبرزها خلافه مع واحد من القيادات اليهوديـــة في إيران وهو شـــموئيل حييم. خلال تلـــك الفترة، حاولت الحكومة عرقلة تهجير اليهود إلى فلسطين فنشب جدل شديد بين المؤسسات الصهيونية في لندن ووزارة الخارجية الإيرانية بشـــأن الحظر الشـــامل للهجرة إلى فلسطين واستخدام اليهود الروس الأراضي الإيرانية محطة عبور في طريقهم إلى فلسطين.

---

(1) المرجع السابق.

(2) Orly R. Rahimiyan, chisme et Khomeynisme: le dépérissement du judaïsme iranien, in: Shmuel Trigano (Direction), La Fin du judaïsme en terres d’Islam, Denoel 2009, (379-446), p. 379.

وفي سبتمبر/ أيلول 1926، أمر رضا شاه باعتقال شموئيل حاييم، رئيس المنظمة الصهيونية الإيرانية، الذي كان يعمل على تهجير يهود إيران إلى فلسطين، واتُّهم بالتجسس لصالح بريطانيا والتورط في انقلاب فاشل فصدر عليه حكم بالإعدام رميًا بالرصاص نُفذ في 15 ديسمبر/ كانون الأول 1931 [1]، ومع ذلك لم يتوقف تهجير يهود إيران إلى فلسطين.

وفضلاً عن دور الحكومة البريطانية في تهجير يهود إيران إلى فلسطين برز كذلك الدور الأميركي؛ فقد أقيمت في طهران، في 1923، حفلة لتكريم السفير الأميركي، جوزف شاؤول كورنفلد [2]، الذي كان مبعوثًا فوق العادة والوزير المفوض في إيران لشكره على الدعم الذي قدمه في هذا الصدد[3].

شيئًا فشيئًا كان عدد المهاجرين يزيد فتحول موضوع هجرة اليهود الإيرانيين إلى مشكلة اقتصادية واجتماعية فقد كانوا يبيعون ممتلكاتهم ويحولون أثمانها إلى عملة صعبة وذهب، وعملت الممثلية الإنكليزية على تشجيع يهود إيران على الهجرة إلى فلسطين وذلك بتيسير حصولهم على التأشيرات. كما أن سياسات السلطات البريطانية في فلسطين أسهمت في زيادة الطلب على الجنسية

(1) JUDEO-PERSIAN COMMUNITIES vi. THE PAHLAVI ERA (1925-1979), Encyclopedia Iranica, (accessed: 7 June 2023): https://www.iranicaonline.org/articles/judeo-persian-vi-the-pahlavi-era-1925-1979

(2) لاحظت الباحثة أن اسم السفير الأميركي في إيران، كما ورد في كتاب علي ولايتي "إيران وتطورات القضية الفلسطينية"، هو روب غزنفيلد، ولكن بمراجعة سجل السفراء الأميركيين في إيران تبين أن السفير الذي مثَّل واشنطن هو الراب (الحاخام) جوزف كورنفلد (1876–1943)، وكان حاخامًا أميركيًّا وسفيرًا لأميركا في إيران. ولد في النمسا وانتقل إلى الولايات المتحدة الأميركية طفلاً. أصبح حاخامًا، عام 1899، بعد تخرجه من اللاهوت اليهودي. عُين سفيرًا للولايات المتحدة في إيران عام 1921، وشغل المنصب بين عامي 1922 و1924. وكان أول حاخام في التاريخ الأميركي يُعيَّن سفيرًا في دولة أجنبية. يوصف بأنه "قدم خدمة جليلة لليهود في إيران"، وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأميركية، عام 1925، عمل حاخامًا في كنيس يهودي هناك. لتراجع:
Joseph Saul Kornfeld (1876–1943), Library of Congress,(accessed: 22 Feb 2024): https://www.loc.gov/item/2014714306

(3) ولايتي، إيران وتطورات القضة الفلسطينية، مرجع سابق، ص 136.

الفلسطينية ما أدى إلى تغيير التركيبة السكانية في فلسطين[1].

كان المهجـرون إلى إسـرائيل في معظمهم من الفقـراء والمعدمين؛ لأن أصحـاب الثروات من اليهود الإيرانيين لم يكونوا يرغبون في مغادرة إيران إلى مـكان يعد السـفر إليه مغامرة؛ إذ فضَّلـوا البقاء في إيران أو الهجرة إلى الدول الأوروبية وأميركا[2].

كان بعض القادة الفلسـطينيين يرى أن القضية الفلسـطينية يجب أن تعالج ضمن إطار إسلامي، ومن أبرز أصحاب هذا الرأي الشيخ أمين الحسيني الذي دعا إلى مؤتمر إسلامي تشارك فيه جميع الدول الإسلامية لحل للقضية الفلسطينية. وفي 1931، سـافر الحاج الحسيني إلى القاهرة واجتمع بالسفير الإيراني هناك، وخاطبه بالقول: "إذا كانت الحكومة الملكية لا تجد مصلحة في إرسال مندوب لحضور المؤتمر، فليشـترك فيه عدد من رجال إيران وعلمائها المعروفين الذين اتصلت بهم ودعوتهم"[3]. شـارك في المؤتمر من الجانب الإيراني ميرزا يحيى دولت آبادي وضياء الدين طباطبائي، رئيس الوزراء السـابق ومن الذين أسهموا في التمهيد لسقوط الدولة القاجارية ومجيء الدولة البهلوية[4]، لكن المؤتمر لم يسفر عن أي نتيجة تذكر.

وذكر حسـين علاء ممثل إيران في عصبة الأمم أن لجنة الانتداب التابعة للعصبـة كانت منحازة لليهود وتسـايرهم، وعندما ناشـد حكومة بلاده إبلاغه الموقف الرسـمي بهذا الخصوص وصله رد وزير الخارجية آنذاك، ذكاء الملك فروغي، وفحواه: "ينبغي التحدث لصالح المسلمين بدون الإعراب بشكل صريح عن معارضة دولة أو جماعة ما"[5].

---

(1) ولايتي، مرجع سابق، ص 136.

(2) خسروشاهي، مرجع سابق.

(3) البرقية رقم 1095 المرسلة من السفارة الإيرانية في مصر بتاريخ 8/22/ 1310 ش، أرشيف وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، الصندوق رقم 8، الملف 9/143.

(4) ولايتي، مرجع سابق، ص 157.

(5) البرقية رقم 603، من أرشـيف وزارة الخارجية الإيرانية، بتاريخ 1309/6/15 ش، الصندوق 8

ويبدو أن الزعماء الصهاينة كانوا يرغبون في استغلال بعض الزعماء العرب "المعتدلين"، مثل الأمير فيصل، لتشكيل حكومة في فلسطين، ولذلك طلب الممثل الصهيوني، جاكوبسن (David Jacobson)، من ممثل إيران في عصبة الأمم أن يسأل الأمير فيصل "إن كان مستعدًّا لاستخدام نفوذه بين العرب الفلسطينيين لتهدئتهم وإقناعهم بالوصول إلى اتفاق"[1].

بالتزامن مع هذا الطلب استقال وزير الخارجية في ذلك الوقت، محمد علي فروغي، وعُيِّن مكانه باقر كاظمي مهذب الدولة الذي كان وجهًا وطنيًّا إسلاميًّا مقبولاً.[2] لما عُيِّن السيد باقر كاظمي مهذب الدولة ، سنة 1933، في وزارة الخارجية، حدثت تغييرات في سياسة إيران الخارجية؛ فقد كان موقفه في دعم حقوق الفلسطينيين فاعلاً في سياسة إيران الخارجية. وقد ترأَّس الوفد الإيراني في جلسة الجمعية العامة لعصبة الأمم التي عقدت في جنيف في أكتوبر/ تشرين الأول 1935، فدافع في كلمته عن حقوق المسلمين المضطهدين في فلسطين. لاقى هذا الخطاب تجاوبًا إيجابيًّا من الفلسطينيين خاصة الحاج أمين الحسيني لكن انشغال رضا شاه بالقضايا الداخلية وتركيزه على ترسيخ قواعد سلطته في إيران جعل قضية فلسطين قضية هامشية في السياسة الخارجية، ونادرًا ما اتبعت الحكومات في ذلك الوقت سياسات فعالة تجاه تطورات قضية فلسطين.

انقلاب الموقف الرسمي من القضية الفلسطينية ومعارضة رجال الدين

في مارس/ آذار 1937، حدث انقلاب في موقف إيران من القضية الفلسطينية، وذلك عندما أوصى عناية الله سميعي، وزير الخارجية في حكومة محمود جام، في تقرير إلى المكتب الإمبراطوري، بدعم سياسة إقامة الدولة اليهودية في فلسطين باعتباره الموقف الرسمي لإيران. ويعد ذلك التقرير، الذي

الملف 6/2.

(1) البرقية رقم 621، أرشيف وزارة الخارجية الإيرانية، بتاريخ 1309/6/17ش، الصندوق رقم 8، الملف 6/2.

(2) التقرير رقم 1364 الصادر عن قنصلية إيران في فلسطين، وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، بتاريخ 8/19/ 1316 ش، الصندوق رقم 12، الملف 18/5.

سرد فيه سميعي قائمة تهديدات محتملة من طرف العرب لحدود إيران الغربية والجنوبية، أول وثيقة رسمية إيرانية تدعم خطة إقامة دولة يهودية في فلسطين[1].

اتسمت سياسة إيران الخارجية في تلك الفترة بالدعوة إلى الحفاظ على وحدة الأراضي الفلسطينية باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الأراضي الإسلامية، ولكنها وبصفتها أحد الأعضاء النشطين في لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة، قبلت بالحكم الذاتي اليهودي على أجزاء من الأرض الفلسطينية في إطار خطة لإنشاء نظام فيدرالي مع العرب، إلا أنها لم توافق على التقسيم حلًّا نهائيًّا للقضية الفلسطينية.

مواقف العلماء الشيعة

بخلاف رجال السياسة كانت مواقف علماء الشيعة داعمة للقضية الفلسطينية بوضوح، ووقف عدد من المقيمين منهم في العراق موقفًا رافضًا لقرار تقسيم فلسطين الصادر عن عصبة الأمم ودعوا علماء العالم الإسلامي إلى التصدي له. وفي 1937، أرسل كل من هبة الدين شهرستاني ومحمد مهدي الصدر ومحمد مهدي الأصفهاني ومحمد مهدي الخراساني، وكانوا يقيمون في بغداد والكاظمية، والشيخ راضي آل ياسين، وهو من علماء الشيعة العرب، ومفتي بغداد، يوسف عطا، ومفتي الموصل وغيرهم؛ أرسلوا برقية إلى عصبة الأمم ووزارة الخارجية البريطانية، جاء فيها:

"نحن، العلماء الممثلين للمذاهب الإسلامية، نعلن عن عدم رضانا على قرار اللجنة الملكية بشأن تقسيم فلسطين البلد الإسلامي والعربي العزيز ونعلن اعتراضنا عليه ونعده طعنة في قلب الإسلام والعرب"[2].

كان للأنباء والتقارير المتعلقة بفلسطين تداعيات قوية داخل إيران وطالب

(1) دیپلماسی پنهان :جستاری در روابط ایران و اسرائیل در عصر پهلوی با مروری بر پیشینه تاریخی یهودیان ایران.

(2) عبد الأمير سليماني، يوم القدس مظهر وحدة الأمة وصرخة وجودها، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، (تاريخ الدخول: 18 فبراير/شباط 2024)، https://taqrib.ir/index.php/ar/article/print/408

رجال الدين والقوى الفاعلة في المجتمع الحكومة الإيرانية بالتعاون مع الدول العربية المجاورة للدفاع عن فلسطين ووضع حكومة أحمد قوام (رئيس الوزراء آنذاك) تحت ضغط شديد لإبداء استعدادها للتعاون مع الدول العربية من أجل تحرير فلسطين، ورافق إصدار قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين رقم 181 بتاريخ 8 نوفمبر/ تشرين الثاني 1947 مظاهرات حاشدة قادتها الحوزات الدينية في إيران والعراق.

رأى آية الله كاشاني أن "إنشاء الدولة اليهودية في المستقبل سيكون مركزًا لإلحاق ضرر كبير بمسلمي المنطقة والعالم بأسره، ولن يقف الضرر عند العرب الفلسطينيين فقط"، ووصف تقسيم فلسطين من طرف الأمم المتحدة بـ"الظلم الجسيم"، وأعلن عن فتح حساب لجمع التبرعات لتزويد فلسطين بالسلاح[1].

قاد كاشاني، يوم الجمعة، 21 مايو/ أيار 1948، تجمعًا حاشدًا في الجامع السلطاني تضمن الدعوة لدعم المسلمين الفلسطينيين ماديًّا ومعنويًّا، وأصدر التجمع بيانًا من ست مواد، دعا الحكومة والبرلمان إلى عدم التقاعس عن مساعدة المسلمين والتعاون معهم في قضية فلسطين، ومنع إقامة اليهود الذين قدموا إلى إيران من الدول الغربية، والذين يمدون الصهاينة بالمساعدات المالية[2].

لقد اهتمت الحوزات الدينية في إيران بالقضية الفلسطينية وانعكس ذلك على نطاق واسع في أنشطتها وما فتئ رجال الدين يتحدثون عنها، وكان من أبرزهم آية الله كاشاني وآية الله بروجردي والإمام الخميني ونواب الصفوي وآية الله طالقاني والعلامة الطباطبائي وآية الله كلبايكاني ونجفي مرعشي وآية الله مطهري وغيرهم.

قرن آية الله كاشاني، النضال ضد البريطانيين في مسألة تأميم النفط، بخطر الصهيونية وكان يرى أن خطة توطين اليهود في الأرض المقدسة مؤامرة بريطانية

(1) تاريخ سياسی معاصر ايران، مجموعه مكتوبات، سخنرانيها و پيامهای آيت الله كاشانی، (مجموعة كتابات، خطابات ورسائل آية الله كاشاني)، المجلد الأول، ص 33-29.

(2) التقرير رقم 4147 لسفارة إيران في بغداد، وثائق وزارة الخارجية الإيرانية الصندوق رقم 12، الجزوة 3/18.

ليصـــدر أول بيان مناهــض للصهيونية عام 1948 بعد أربعة أيام من قيام الكيان الصهيوني، وجاء في البيان: "إن قيام الحكومة الصهيونية في المستقبل سيكون بؤرة فساد كبير في المنطقة والعالم، ويتعين على جميع المسلمين منع هذا الظلم بأي وسيلة ممكنة وصد هذا الأذى عن مسلمي فلسطين[1].

عكســت خطابات ومراسلات آية الله كاشــاني في مناسبات عدة، إدراكًا لخطــورة الحركة الصهيونيــة على العالم الإسلامي والعالم بصورة عامة، ورأى ضــرورة توظيف الإرث السياســي والمادي لجميع المســلمين في الدفاع عن الفلســطينيين. وتحدث آية الله فلســفي في أحد اللقــاءات التي نظمها آية الله كاشاني لدعم فلسطين عن خطورة هؤلاء "الضيوف غير المرغوب بهم" وأكد أن مساعدة العرب المظلومين في الوضع الراهن أمر ضروري وواجب على الرجال والنساء. وفرَّق بين اليهود والصهاينة؛ فقال: يهود إيران تحت حماية المسلمين وينبغــي عدم مهاجمتهم.. كما ندد آية الله بروجردي بجرائم المحتلين للقدس في بيان أصدره، في مايو/أيار من العام 1948، ودعا مسلمي إيران والعالم إلى إعلان براءتهم وكراهية اليهود المحتلين ودعم المجاهدين في فلسطين[2].

وتذكر الوثائق الإيرانية أن خمســة آلاف من أتباع منظمة "فدائي الإسلام" التي أسســها نواب الصفوي، تقدموا بطلب رســمي للحكومــة الإيرانية للإذن بـ"الذهاب إلى فلسطين لمساعدة أشقائهم الفلسطينيين" لكن الحكومة الإيرانية لم تقبل خطة إرسال أشخاص إلى فلسطين ولم تصل هذه الأنشطة إلى نتيجة. بعدها، ســافر نواب الصفوي إلى لبنان والتقى هناك بقادة من العالم الإسلامي وبياسر عرفات وكان وقتها طالبًا وشجَّعه على محاربة الصهاينة وتشكيل منظمة فلســطينية للدفاع عن فلســطين. توجه نواب الصفوي إلى مصر للمشــاركة في المؤتمــر الإسلامــي، في 1948، وكتــب مقالات في الصحــف المصرية عن ضرورة مســاعدة الفلسطينيين وأن ذلك من الواجبات الدينية لجميع المسلمين.

---

(1) عباس رضوي، علماى شــيعه و حمايت فقهى و سياســى از فلسطين (علماء الشيعة والحماية الفقهية والسياسية لفلسطين)، مجلة "پگاه حوزه" 16 آذر 1381ش، العدد78 (تاريخ الدخول: 22 أغسطس/آب 2022)، https://bit.ly/3PAgpIp

(2) المرجع السابق.

في 1953، زار الصفوي القدس للمشـــاركة في المؤتمر الإسلامي الذي اســـتمر ستة أيام، وقال في خطابه عن القضية الفلسطينية: من أجل تحقيق حرية القدس "علينا أن نخطو إلى الميدان بعَلَم الاستشـــهاد الأحمر؛ لأن فلســـطين لن تتحرر بالكلام والمفاوضات، ولن يفهم العدو شيئًا غير لغة الاستشهاد الحمراء"[1].

ومن الملاحظ أن علماء الشـيعة في إيران أدركوا مبكرًا خطورة المشـــروع الصهيونـــي وحـــذروا منه باعتباره حالة اســـتعمارية في حيـــن رأى فيه كثير من رموز اليســـار الإيراني أنموذجًا يحتذى وأثنى بعضهم على اقتصاد المستوطنات الإســـرائيلية التشـــاركي، وهذا ما سنبســـط فيه الكلام لما نتحدث عن جلال آل أحمد.

رغم معاداة الشـــعب الإيراني لإســـرائيل، إلا أن نظام الشاه (رضا بهلوي) قدم تســـهيلات عدة للصهاينة والوكالـــة اليهودية لنقل اليهود الفارِّين من الدول العربية إلى فلســـطين المحتلة عبر إيران وتركيا، وذلك في إطار سياســـة صبت لصالح تقوية إسرائيل عسكريًّا واقتصاديًّا.

أســـهمت تطورات عدة في عهد رئاســـة سعيد مراغي للوزراء، بعد سقوط حكومة هجير[2]، في 30 نوفمبر/ تشـــرين الثاني 1948، بدور مؤثر في تســـريع اعتراف إيران بإســـرائيل. ومن بين العوامل والأحداث التي كان لها دور رئيسي في ذلك[3]:

---

(1) أمان الله شفايي، هم گرايى اسلامى در انديشه و عمل شهيد نواب صفوى (التقارب الاسلامي في فكر وعمل الشـــهيد نواب صفوي)، موقع الحوزة، فصلية "انديشـــه تقريب"، ربيع 1389 ش، العـــدد 22 (تاريـــخ الدخول: (تاريـــخ الدخول: 23 أغســـطس/آب 2022): https://bit.ly/3pD9y6h

(2) وُلد عبد الحســـين هجير (1902 –1949) في طهران، وكان سياســـيًّا شغل منصب رئيس وزراء إيران من يونيو/حزيران 1948 إلى نوفمبر/تشرين الثاني 1948. كان شخصًا متدينًا، ضغط لإلغاء العديد من القوانين العلمانية أو المعادية للدين في عهد رضا شـــاه بهلوي. خلال فترة رئاســـته للوزراء، حاول الحصول على تأييد رجال الدين، واستخدم نفوذه لإطلاق سراح سيد حسين إمامي، مرتكب جريمة قتل الكاتب أحمد كسروي، من السجن. وبعد أربع سنوات قام إمامي نفسه باغتيال هجير أثناء توجهه للصلاة، وذلك بحجة تدخله في الانتخابات.

(3) وحيد آرائى وشعبان نجف پور " تحليلى بر روابگ ايران ورژيم صهيونيستى در دوره پهلوى؛

- محاولة اغتيال الشاه الفاشلة في فبراير/ شباط 1949.
- زيادة صلاحيات الشاه نتيجة تشكيل المجلس التأسيسي.
- هزيمة العرب 1948.
- زيادة تهريب اليهود إلى إسرائيل عبر إيران.
- خلقت هذه الهجرة مشاكل أمنية واجتماعية عدة في إيران.
- ضغوط الجالية الإيرانية في فلسطين المحتلة على الحكومة الإيرانية لتعويضها عن الأضرار التي لحقت بها جرَّاء الحرب في فلسطين.
- الدور الخاص للطائفة البهائية في فلسطين المحتلة.
- توتر علاقات إيران بالدول العربية بسبب مشاكل ونزاعات سياسية أو إقليمية مع الجيران العرب مثل العراق والكويت.
- زيارة الشاه إلى الولايات المتحدة الأميركية أول مرة، في 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 1949، واجتماعه بالرئيس ترومان (كان هدف الزيارة الحصول على المساعدات المالية والاقتصادية الأميركية لتنفيذ خطة تنمية إيران التي تمتد سبع سنوات والحصول على المزيد من المساعدات العسكرية).
- الفساد والرشوة، فقد دفع عملاء للنظام الصهيوني 240 ألف دولار رشوة للحكومة الإيرانية عبر وسيط أميركي مقابل الاعتراف بإسرائيل. بعد تلقي محمد سعيد مراغة، رئيس وزراء إيران آنذاك، الرشوة، أعلن أن حدود إيران مفتوحة لجميع اللاجئين اليهود.

بعد إعلان استقلال ما سمي بـ"اسرائيل" واندلاع الحرب في فلسطين، نشطت حركة تهجير اليهود من دول المنطقة إلى الكيان الجديد. وفي أثناء ذلك، تحولت إيران، إلى مركز عبور للمهاجرين الذين لم يتمكنوا من السفر مباشرة من بلادهم إلى فلسطين المحتلة، وأدى ذلك إلى احتجاج بعض دول المنطقة، وهو ما دفع وزارة الخارجية الإيرانية، في فبراير/ شباط 1959، إلى اتخاذ قرار يلزم بالحصول على تأشيرة لدخول إيران، والتعميم على جميع

توازن يا وابستگى (تحليل لعلاقات إيران والكيان الصهيوني في العهد البهلوي: التوازن أم التبعية؟)، فصلية "تاريخ روابط خارجى" السنة 14، العدد 56، خريف 1392، صص 121- 139، ص 122.

السفارات الإيرانية في الخارج، بعدم منح تأشيرة ليهود الدول الأخرى، وخاصة يهود الشرق الأوسط. وشمل القرار أيضا يهود دول الاتحاد السوفيتي وبولندا والتشيك وسلوفاكيا والبلقان[1].

أصبح تهجير يهود إيران إلى فلسطين مسألة أمنية وسياسية في إيران[2]، التي لجأ إليها كثير من اليهود العراقيين لترتيب أوضاعهم للوصول إلى "دولتهم الموعودة". ونشط اليهود والوكالة اليهودية في إيران واستخدموا أساليب متنوعة فيها كثير من التجاوز للقوانين[3]. وتقدمت المؤسسات الأمنية بتقارير إلى المسؤولين ومن ضمنهم رئاسة الوزراء تطالب بمواجهة الدعاية الصهيونية وعمليات تهريب اليهود، واتخاذ التدابير اللازمة لذلك[4].

اكتفت حكومتا "هجير" و"ساعد" بالتوصيات ولم تتصرفا بصرامة مع المسألة ما أدى إلى استفحالها؛ مما دفع محمد ساعد، رئيس الوزراء آنذاك، إلى أن يكتب، في 24 فبراير/ شباط 1949، في هامش رسالة إلى وزارة الخارجية يطلب "إعداد كشف بجميع المواطنين اليهود في العراق ومصر وفلسطين الذين دخلوا إيران وتشكيل لجنة للتعامل مع أوضاعهم وأن يمنح اليهود الذين قدموا من العراق ومصر وفلسطين عبر طرق مصرح بها أو غير مصرح لها تصاريح خروج لمغادرة إيران في أسرع وقت ممكن"[5].

---

(1) روابط ايران و اسرائيل به روايت اسناد نخست وزيرى(1327–1357)(علاقات إيران وإسرائيل برواية وثائق رئاسة الوزراء (1979–1949)، (تهران:رياست جمهورى، 1377ش)، ص 9–68.

(2) هوشنگ مهدوى عبد الرضا، سياست خارجى ايران در دوران پهلوى "(تهران" البرز" 1373ش)" ص 153.

(3) الوثيقة رقم 4، وثائق رئاسة الوزراء الإيرانية قبل الثورة، والمحفوظة في "مركز وثائق الشهيد باهنر" التابع لرئاسة الجمهورية والمجموعة تحت باب: العلاقات الإيرانية الإسرائيلية.

(4) احمد گل محمدى، دورية "پژوهش حقوق عمومى" ربيع وصيف 1381 ش العدد 6 (ص 79 108–)، ص 84.

(5) الوثيقة رقم 1، 10/10 من وثائق رئاسة الوزراء الإيرانية قبل الثورة، المرجع السابق.

اعتراف إيران بإسرائيل

في الفترة ما بين 1948، إعلان قيام إسرائيل، و1950، تاريخ اعتراف إيران بهـا، لم تكن السياسـة الإيرانيـة تجاه القضية الفلسـطينية واضحة، وقد تكون المواقف الشعبية المعارضة لإسرائيل قد أعاقت بعض الوقت اعتراف الحكومة الإيرانية بإسرائيل، لتعترف بها بحكم الأمر الواقع[1].

وتميل بعض الآراء إلى أن السبب الحقيقي لموقف إيران في ذلك الوقت هو الطبيعة الغامضة للعلاقات الإسرائيلية مع الاتحاد السوفيتي.

لقد كان تأييد إيران مقترح الأقلية[2] وتصويتها ضد تقسـيم فلسـطين قبل ولادة إسرائيل يتماشى مع المبادئ الأساسية والتوجهات القومية الإيرانية، وهي

---

(1) مهيـن كفـاش، روابط خارجى ايران بعـد از انقلاب اسلامى (العلاقات الخارجية لإيران بعد الثورة الإسلامية)، (تهران :انتشارات آواي نور، 1388)، ص 75.

(2) مقتـرح الأقليـة، واحـد من المقترحات التي نوقشـت في الأمم المتحـدة بخصوص القضية الفلسطينية عام 1947، ويتضمن:

- الاعتراف بحق شعب فلسطين في الاستقلال.
- إنشاء دولة فلسطين الفيدرالية المستقلة بعد فترة انتقالية لا تتجاوز ثلاث سنوات.
- تتكون دولة فلسطين الاتحادية المستقلة من دولة عربية ودولة يهودية.
- ينتخب سكان فلسطين خلال الفترة الانتقالية جمعية تأسيسية تتولى صياغة دستور دولة فلسطين الاتحادية المستقلة.
- تعلـن الجمعيـة العامة للأمم المتحدة عن حصول دولة فلسـطين الاتحادية المسـتقلة على استقلالها.
- تكون جنسية ومواطنة فلسطينية واحدة، تمنح للعرب واليهود وغيرهم.
- تكون القدس عاصمة دولة فلسطين الاتحادية المستقلة.
- وضع المقترح قيودًا على الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

لتراجع:

The Origins and Evolution of the Palestine Problem: Part II (1947-1977), United Nations, (accessed: 25 February 2024): https://bitly.ws/3e5YV

التوجهات التي نشأت بسبب المشاعر المعادية لبريطانيا والرغبة في الاستقلال. لقد وقفت إيران إلى جانب الدول العربية داخل الأمم المتحدة العام 1947. ودعمت مقترح الأقلية الذي ينادي بدولة فلسطينية واحدة مستقلة ذات أغلبية عربية وهجرة يهودية محدودة. كما صوتت إيران ضد خطة التقسيم جنبًا إلى جنب مصر والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن. ومع ذلك، بمجرد ولادة دولة "إسرائيل"، بدأت إيران تنظر إلى علاقتها بها في المقام الأول ضمن سياق سياسي وإستراتيجي أكبر، ويرى بعض الدارسين في موقف إيران من الصراع العربي-الإسرائيلي بين 1948 عندما وُلدت دولة إسرائيل، و1950، عندما اعترفت بها إيران بحكم الأمر الواقع، أنه "ازدواجية محسوبة"[1].

ومع مطلع خمسينات القرن العشرين بدأ اسم محمد مصدق يبرز أكثر فأكثر في الساحة السياسية الإيرانية. وقد كان الرجل الذي ارتبطت قضية تأميم النفط الإيراني باسمه معارضًا للاعتراف بإسرائيل. تصاعدت شعبية مصدق منذ أن كان عضوًا بارزًا في البرلمان بين عامي 1923 و1928، ولم يكن الشاه رضا بهلوي سعيدًا بآراء مصدق السياسية والاقتصادية القومية فقام بنفيه، لكن الضغط الشعبي أجبره على السماح بعودته، عام 1939. وكان البرلمان الساحة الأساسية التي أدار فيها مصدق معركته ضد النفوذ الغربي في إيران. وفي أبريل/ نيسان 1951 جرى انتخاب محمد مصدق رئيسًا للوزراء ليكون انتخابه حدثًا بارزًا صبغ السياسة الإيرانية وطبيعة العلاقة مع الغرب[2].

استطاعت القوى المعارضة أن تغير من موقف الحكومة من العلاقة مع إسرائيل، وشملت هذه القوى قطاعات من الشعب والأحزاب والعلماء، وبعض المسؤولين ورجال الدين وفي مقدمتهم آية الله كاشاني. ونتيجة الضغوط العربية والإسلامية، جرى تداول أحاديث عن قيام حكومة الدكتور مصدق بسحب الاعتراف بإسرائيل وقطع العلاقات معها.

(1) R.K. Ramazani, Independence without Freedom Iran’s foreign policy, university of Virginia Press, first published 2013, p 320.

(2) في 1952، اختارت مجلة التايم (Time) الأميركية محمد مصدق رجل العام وأطلقت عليه لقب "جورج واشنطن الإيراني، والرجل الأبرز في ساحة الدولة". انظر: إبراهيم فريد، العملية أجاكس.. كيف قادت أميركا الانقلاب على محمد مصدق؟، الجزيرة نت، 16 سبتمبر/ أيلول 2018 (تاريخ الدخول: 20 فبراير/شباط 2024)، https://bitly.ws/3dDSY

موقف مصدق من قضية فلسطين

ألَّبت مواقف مصدق، كموقفه من إســرائيل وتأميم صناعة النفط، أصدقاء الكيان الصهيوني في بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية ضده وكان ذلك من أهم أسباب الانقلاب عليه في أغسطس/آب 1953 [1]. لكن روح الله رمضاني يشــكِّك في قطع مصدق العلاقات بإسرائيل ويعزو إغلاق القنصلية الإيرانية في إســرائيل إلى الضغط المالي الذي واجهته الحكومة؛ فإغلاقها في 1952، وفقًا لرمضاني، لم يؤدِّ إلى أي تغيير أساســي في تعاطف إيران الناشــئ مع إسرائيل؛ فالدافع وراء القرار، في المقام الأول، هو العجز في الميزانية الذي شكَّل ضغطًا على حكومة مصدق.

يعتقد بعض أصدقاء مصدق في فترة شــبابه، مثل حســين شاه حسيني، أن مصــدق: "مــن ناحية، كان يعترف بحق اليهود في أن تكون لهم دولة مســتقلة وأرض في الشــرق الأوســط، ومن ناحية أخرى، كان رافضًا للصهيونية بسبب عنفها وعنصريتها، كما كان معارضًا لطرد العرب من أراضيهم. ويرى أن معارضة مصدق لهذا الجانب من الصهيونية في فلســطين ليس لها أي جانب ديني على الإطلاق، بل كانت نتيجة لروحه الليبرالية المناهضة للسلطوية[2].

لاحقًا، في مطلع ســتينات القرن العشــرين وعندما كان مصدق قيد الإقامة الجبرية في منطقة أحمد آباد، قرأ كتاب أكرم زعيتر "القضية الفلسطينية"، الذي ترجمه أكبر هاشــمي رفســنجاني إلى الفارسية تحت عنوان "تاريخ فلسطين أو الســجل الأسود للاستعمار". أبدى مصدق إعجابه بهذا العمل، وخصص المال لشراء وتوزيع 300 نسخة منه بين الطلبة[3].

---

(1) عليرضــا ازغندي، روابط خارجى إيران 1357-1330 ش (العلاقات الخارجية لإيران 1950-1979)، (تهران: قومس، 1384)، ص411.

(2) روشــنفكران ايران و مســئله فلسطين (المثقفون الإيرانيون والقضية الفلسطينية)، عصر ايران، 2 آبــان 1402 (تاريــخ الدخــول: 3 مــارس/آذار 2024)، https://www.asriran.com/fa/print/912889

(3) روشــنفكران ايران و مســئله فلســطين، (المثقفون الإيرانيون والقضية الفلسطينية)، المرجع السابق.

وبمراجعــة الوثائق الرســمية الإيرانية لتلك الفتــرة لا نجد وثيقة تتحدث بوضوح عن إلغاء اعتراف إيران بإسرائيل، لكن نجد كثيرًا من تقارير السفارات الإيرانيــة في مصر وســوريا والعــراق ولبنان تتضمن ملخصــات لما ورد عن الموضوع في الصحف العربية التي أشــادت بحكومة مصدق وموقفها المعادي لإسرائيل، كما نجد مراسلات بين أحزاب وشخصيات عربية مع آية الله كاشاني ركزت على الموضوع[1].

وبارك مفتي فلســطين، محمد أمين الحســيني، في رسالة للدكتور مصدق، "النصر العظيم الذي تحقق على يده.. وقال: إن رجال الأزهر الشريف و"الشبان المسلمون" و"الإخوان المسلمون" وجمعية "الهداية الإسلامية" وجماعة "شباب محمــد" و"اتحاد الجمعيات الإسلامية" يقفــون مؤيدين لنضاله المبارك"، ورد الدكتور مصدق بالقول: "إن الأمة الإيرانية في هذه الخطوة الخطرة التي خطتها، تحتاج إلى دعاء عموم المسلمين ودعائكم خاصة"[2].

وتحدثت مصادر صحفية كثيرة عن خطة للدكتور مصدق لتقوية العلاقة بين إيران والدول الإسلامية؛ فوفقًا لوكالة رويترز وصحيفة الأهرام، فإن الأوســاط السياسية الإيرانية تتداول أخبارًا مفادها أن إيران تفكر في إلغاء اعترافها بإسرائيل، وأنها ســتحيل الأمر إلى لجنة الأمن القومي للبت فيه وأن إيران بصدد ســحب ممثلها في إســرائيل، وســتوكل إدارة شؤون الإيرانيين في فلسطين إلى سفارتها في عمَّان[3]. وجاء في رد بعث به آية الله كاشــاني، عبر التلغراف إلى صحيفة المصري في القاهرة أن إيران لن تكتفي بســحب الاعتراف القانوني بإســرائيل فحســب، بل ســتقف داعمة للســعي نحو الاستقلال الذي تســعى إليه مصر،

---

(1) مسعود كوهستانى نژاد، روابط ايران وإسرائيل در دوره دكتر مصدق (1332-1330) (علاقات إيران وإســرائيل في فترة الدكتور مصدق)، فصلية "تاريخ روابط خارجي"، العدد 15، 1382 ش، ص 111-114.

(2) محمود طاهر أحمدي، اســنادي پراكنده از نهضت ملى شــدن نفت ايران (وثائق متفرقة حول حركة تأميم النفط الوطنية الإيرانية)، دورية "گنجينه اســناد"، العدد 47و48، خريف وشــتاء 1381 ش، ص 97.

(3) وثائق وزارة الخارجية الإيرانية، الوثائق القديمة، ملف رقم 1330/12/3ش.

وســتدعم أيضًا وحدة مصر والســودان[1]. وأعلن باقر كاظمي، وزير الخارجية في حكومة مصدق، في جلســة لمجلس الشورى الوطني، أن الحكومة الإيرانية قررت أن تنفذ قرارها بإغلاق القنصلية في بيت القدس، وأن توكل أعمالها إلى السفارة الإيرانية في عمان، وأن الحكومة ليست مصممة على أن تقوم بأي إجراء آخر على صعيد الاعتراف الرسمي بإسرائيل، وأنها لن تقبل ممثلاً لإسرائيل في إيران.

عزا الإعلان الرسمي للحكومة[2] إغلاق القنصلية في القدس إلى مشكلات مالية؛ لأن وزارة الخارجية تسعى إلى تخفيض الإنفاق بعد تراجع عائدات النفط وضرورة ترشــيد الإنفــاق الاقتصادي، ولذلك بدأت إعــادة النظر في تموضع ســفاراتها وممثليها في الخارج. وذكر تقرير لوكالة رويترز أن الحكومة الإيرانية كذبت رسميًّا إلغاء اعترافها بإسرائيل وأعلنت أن هذا الموضوع لم يعرض على اللجنة الوزارية، وأن ممثل إيران في إسرائيل استُدعي لأسباب خاصة[3].

إسقاط مصدق ودعم معلن لإسرائيل

بعد إســقاط حكومة مصدق الوطنية، في 19 أغســطس/آب 1953، شرع الشاه محمد رضا بهلوي وبصورة تدريجية في بناء وتقوية العلاقة مع إسرائيل. ويعتقد رمضاني أن اعتراف إيران الفعلي بإسرائيل، في 1950، كان نهاية موقفها المتناقض تجاه الصراع العربي-الإســرائيلي من 1948 إلى 1950. بعد ســقوط حكومة مصدق وعودة الأســرة البهلوية تعاظم موقفها المؤيد لإسرائيل. وارتبط ذلك بظهور مصالح نفطية أميركية في إيران وقرار نظام الشاه بالانحياز للولايات المتحدة في نزاع الشــرق والغرب بالانضمام إلى حلف بغداد[4]. وارتبط الأمر

(1) مســعود كوهســتانى نژاد، روابط ايران وإســرائيل در دوره دكتر مصدق، مرجع ســابق، ص 115.

(2) المرجع السابق، ص 115.

(3) المرجع السابق، ص115

(4) حلف بغداد: تأســس هذا الحلف في منتصف خمســينات القرن الماضي، وضمَّ -إلى جانب بريطانيا- كلاًّ من العراق وتركيا وباكستان وإيران، وكان هدفه إيقاف المد السوفيتي إبان الحرب

أيضًا بتوطيد جمال عبد الناصر لحكمه ومبيعات الأسلحة السوفيتية لمصر[1].

أجَّجــت انتفاضــة 15 خرداد[2] (5 يونيو/ حزيــران 1963) حالة المعارضة لنظام الشــاه وكان الموقف من إســرائيل عنوانًا بارزًا في تلك الانتفاضة؛ فقد أصــدر الإمــام الخميني مع مجموعة أخرى من علماء قــم إعلانًا تضمن براءة علماء الإسلام من إســرائيل وحذروا فيه العالم الإسلامي من مخاطر الاعتراف بها[3]. وعلى مدى العقود التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية كانت العلاقة مع إسرائيل من أهم القضايا التي أثارت سخط الناس وكانت حاضرة بقوة في مسيرة الثورة التي قطعت العلاقة مع إسرائيل.

ويكشف رد الإمام الخميني على رسالة تعزية من الزعيم الفلسطيني، ياسر عرفات[4]، في وفاة ابنه، مصطفى، مكانة القضية الفلســطينية عنده: "لقد شــهدنا كيف أن الشــاه وحكومته وفي الوقت الذي كان فيه المســلمون يحاربون كفار إســرائيل اعترفوا رسميًّا بها، وهو ما عارضه العلماء. لقد شهدنا مساعدات هذا الرجل ذي القلب الأســود لإســرائيل التي شردت المسلمين وسفكت دماءهم؛ لقد قدم لها النفط والسلاح ومساعدات أخرى من دم وعرق الشعب الإيراني...

الباردة. وكان واحدًا من أســباب انقلاب 1958 الذي أطاح بالحكم الملكي في العراق، لكن الحلف لم يكمل عامه الرابع حيث انسحب العراق، في مارس/آذار 1959، من الحلف ليتغير اسمه إلى "الحلف المركزي".

(1) r. k. Ramazani Ibid, p32

(2) خرداد هو الشــهر الثالث في الســنة الفارســية، وقد انطلقت شــرارة هذه الانتفاضة من مدينة قم احتجاجًا على اعتقال نظام الشــاه الإمام الخميني بعد خطبته في يوم عاشــوراء بالمدرســة الفيضية في قم، التي هاجم فيها الشــاه وإســرائيل والولايات المتحدة الأميركية، وقد انتقلت هذه الانتفاضة من قم إلى مدن أخرى في إيران واتســع نطاقها، فقمعتها قوات الأمن وقتلت عددًا من المحتجين.

(3) علــى اكبــر ولايتــى، جمهوري اسلامى ايــران و تحولات فلســطين (الجمهورية الإسلامية وتطورات فلسطين)، (تهران: وزارت امور خارجه، 1386)، ص 24.

(4) ترد هذه المراسلة في مذكرات جلال الدين الفارسي المعنونة بـ"الزوايا المظلمة"، لتراجع:

جلال الديــن فارســي، زواياى تاريک (الزويا المظلمة)، (نشــر حديــث – تهران، 1373 ش)، ص 402.

نحن شـاهدون على هذه المصائـب والانحرافات والخيانات التي تهون أمامها أية مصيبة شخصية"[1]. بقيت القضية الفلسطينية حاضرة عنوانًا رئيسيًّا في حراك الشـخصيات الدينية والسياسـية المعارضة للشـاه؛ ففي 1969، اعتُقل آية الله مرتضى مطهري ووُضع في زنزانة انفرادية بسبب بيان أصدره وخطبة ألقاها دعمًا لفلسطين، ومُنع من الخطابة وظل ممنوعًا منها حتى انتصار الثورة الإسلامية[2].

ولعل سـاحة كرة القدم قد قدمت دليلاً واضحًا على حالة السـخط على سياسـة الشاه وعلاقته بإسرائيل، ففي يوم الجمعة، 10 أبريل/ نيسان 1970، فاز منتخب إيران لكرة القدم على المنتخب الإسرائيلي فخرج عشرات الآلاف إلى شوارع في طهران ليحتفلوا بالنصر[3].

لقد كانت تلك المباراة إحدى المناسـبات التي أظهر فيها الناس غضبهم الشـديد على أجهزة الحكم البهلوي ومؤيدي الصهاينة، وكانت في الواقع أكثر من مجرد مباراة كرة قدم. لقد هتف الناس ضد إسـرائيل في الملعب، واحتفوا بالنصر في الشـوارع والحسـينيات، ورفع رجال الدين في سـن السبعين أكف الدعـاء، وبعد الفوز بقي الفريق الإسـرائيلي تحت حمايـة الأمن إلى أن غادر إيران في اليوم التالي تحت حراسة مشددة[4].

بعد عودة الأسرة البهلوية إلى حكم إيران إثر إسقاط حكومة محمد مصدق، في 1953، وحتى انتصار الثورة الإسلامية، في 1979، تنوعت أشكال التعاون بين إيران وإسـرائيل، في المجالات الزراعية والاستخباراتية والعسكرية والسياسية.

---

(1) المرجع السابق.

(2) جـواد منصـوري، خاطـرات يک ديپلمات: خاطـرات جواد منصورى (جلـد 1) (مذكرات دبلوماسـي: مذكرات جواد منصوري)، تحرير محمد محسـن مصحفي، (تهران: سوره مهر، 1394 ش)، ط1، ص 75.

(3) – صحيفة اطلاعات، 22 فروردين 1349 ش (11 أبريل/ نيسان 1970م)، ص 1.

(4) روزى كـه انزجـار مردم ايران از اسـرائيل در زمين فوتبال نمايان شـد! (اليوم الذي برز فيه اشمئزاز الشعب الإيراني من إسرائيل في ملعب كرة القدم!)، مذكرات مصطفى حائري زاده، مركز وثائق الثورة، 5 أذر 1401 ش (تاريخ الدخول: 11 مارس/آذار 2024)، https://2u.pw/FOlFdr5

وكان تعزيز العلاقات برغبة من الجانبين. لقد يمَّمت إسرائيل وجهها شطر إيران الشاه ووطدت العلاقة بها وفق العقيدة التي رسمها ديفيد بن غوريون[1] التي تدعو إلى تعزيز العلاقة مع الدول المحادة للعالم العربي وعلى وجه الخصوص تركيا وإيران، ضمن إستراتيجية ترى أن هذه العلاقات على المدى البعيد باستطاعتها إخراج إسرائيل من عزلتها وتأمين مصالحها الاقتصادية والأمنية مقابل الدول العربية[2].

تفتقد إسرائيل، بحكم نشأتها، إلى عمق إستراتيجي مع قابلية عالية للتهديد العسكري مما يجعلها في أَمَسِّ الحاجة إلى علاقات أمنية واستخبارية مع دول المنطقة تساعدها في تحقيق أهدافها. وكانت ترى في يهود إيران وما يتمتعون به من حرية في العمل الثقافي والديني والاقتصادي، ونفوذ في مؤسسات الحكم، استثمارًا مهمًّا. واستغلت حاجة المخابرات الإيرانية الـ"سافاك" للتدريب في تهيئة الأرضية لوجود الموساد في إيران، وكان لهذه العوامل وغيرها دور كبير في التعاون الاستخباري بين إسرائيل وإيران[3]. لقد استخدمت إسرائيل إيران مخبأ لتجنيد العملاء من الدول العربية وذلك لقربها الجغرافي وطبيعة العلاقة معها، وكان يتم الالتقاء بهؤلاء العملاء وتأمين سفر بعضهم لإسرائيل بعيدًا عن أعين دولهم التي كانت على عداء معها. وتكشف مستندات[4] تتضمن مراسلات بين الـ"سافاك" والموساد، نشرها مركز وثائق الثورة أن العملاء كانوا يسافرون إلى إيران للقاء ضباط الموساد المسؤولين عنهم وذلك تجنبًا لخطر اللقاء في الدول العربية وكذلك تحاشيًا لوجود الختم الإسرائيلي على جوازات سفرهم وجاء ذلك ضمن توافق سُمي بـ"خطة كريستال"[5].

---

(1) Yossi Alpher, srael: Alternative regional options in a changing Middle East, 22NOREF Report – June 2013 (accessed: 23 November 2022): https://www.files.ethz.ch/isn/166559/b151938c198b0872c368a0eacebe96f0.pdf

(2) أزغندي، مرجع سابق، ص 411–412.

(3) المرجع السابق، ص 413.

(4) من ذلك وثيقة لـ"سافاك" حملت رقم 243/280 بتاريخ 1/25 /1352 ش الموافق 14 أبريل/ نيسان 1973.

(5) عبد الرحمن أحمدي، ساواك ودستگاه اطلاعاتى اسرائيل (السافاك والمخابرات الإسرائيلية)،

وعلى صعيد التسـليح أصبحت إسـرائيل المزود الثاني لإيران بالأسـلحة والاستشارات العسكرية بعد الولايات المتحدة الأميركية[1].

وعلـى الصعيـد الاقتصادي، كانت إيران أكبر مصدِّر للنفط إلى إسـرائيل بسـبب مقاطعة العـرب لها. وتنوع التعـاون الاقتصادي بين الجانبين فشـمل المشـاريع الزراعية وبناء السدود والمصانع والمجمعات السكنية وغيرها. وكان الشاه محمد رضا بهلوي ينظر إلى تقدم إسرائيل السريع على أنه أنموذج تنموي يُحتذى[2].

النخبة الإيرانية والقضية الفلسطينية

لا يسـتقيم بسـط الكلام عن موقف النخبة الإيرانية من القضية الفلسطينية دون البدء بموقف حسـين حسيني طالقاني، الذي اشتُهر بـجلال آل أحمد[3]؛

(تهران:موسسه مطالعات وپژوهش هاى سياسى)، ط 4 ، 1402 ش، ص 245–246.

(1) إلهام شهبازي، ايران وإسرائيل از همكارى تا منازعه (إيران وإسرائيل من التعاون إلى الصراع)، دورية "خرنامه"، العدد 12، ربيع وصيف 1393 ش، ص 97.

(2) المرجع السابق، ص 97–98.

(3) وُلد جلال آل أحمد، في 1 ديسـمبر/كانون الأول 1923، في طهران، لعائلة محافظة، إذ كان والده رجل دين ناشـطًا في الحقل الاجتماعي. وفي سـنة 1944 انخرط في الحزب الشيوعي الإيراني "توده"، وسـرعان ما ارتقى في السـلَّم الحزبي، حتى أصبح بعد أعوام قليلة عضوًا قياديًّا، ومشرفًا على النشاط الإعلامي والثقافي للحزب، ثم ما لبث أن انشق عنه في 1947. لقد شعر آل أحمد بعمق تلك التحولات التي كانت تعصف بالمجتمع الإيراني، ورصد آثارها في الحاضر، وحاول أن يستشرف مآلها ونتائجها ليدرك أن مجتمعه يجتاحه إعصار إذا لم تُسخَّر كل الطاقات لمقاومته فإنه سيعصف بمرتكزاته ويطيح بمقومات وجوده، ويمسخه، فيحيله إلى كائن مشـوه. وأطلق جلال على عملية الاجتياح هذه "غرب زدگي"، أي "وباء التغريب" أو "نزعـة التغريـب"، وهو مفهوم ابتكره المفكر أحمد فرديد، لكن آل أحمد صاغ هذا المفهوم الفلسفي صياغة أيديولوجية وشحنه بأفكاره التي استقى شيئًا منها من المرحلة الماركسية من حياته.

يعرِّف آل أحمد "وباء التغريب" بأنه "مجموعة الأعراض التي تطرأ على حياتنا في جوانبها الثقافية والحضاريـة والفكريـة من دون أن يكون لها أية جـذور في التراث، أو أي عمق في التاريخ، وبدون أن يكون دخولها تدريجيًّا يسمح بالاستعداد لها، وإنما تداهمنا دفعة واحدة.

لأنــه زار الكيــان الصهيوني بعد نحو عقد علــى قيامه بدعوة من حكومته وعبَّر عــن إعجابــه به في كتاب، ورأى فيه مثــالاً يُحتذى، وكان هذا موقف جزء من النخبة الإيرانية آنذاك.

شــنَّع آل أحمد في كتابة "غرب زدگي"، أي "وباء التغريب" على النخبة الإيرانية المتيمة بالغرب، لكن ســرعان ما ابتُلي بما هو أسوأ "إسرائيل زدگي"، وذلك بعد أن زار الكيان الصهيوني، في 1963، بمعية زوجته الأديبة، ســيمين دانشور، زيارة تزامنت مع تنامي العداء لإسرائيل داخل إيران.

نشر آل أحمد نص رحلته: "ولايت إسرائيل/ ولاية إسرائيل"، في سبتمبر/ أيلول 1964، في العدد الرابع من مجلة "انديشه وهنر" التي كان يديرها الكاتب المعــروف، ناصــر وثوقي، وفيها أبــدى آل أحمد إعجابه بما أســماه "تجربة الاقتصاد الاشتراكي والقرى التعاونية" ويقصد "الكيبوتسات" في المستوطنات. وتنقل مقدمة الطبعة الخامســة من كتاب "ســفر به ولايت عزرائيل/ السفر إلى ولاية عزرائيل"، عن علي خامنئي، الذي كان وقتها طالبًا في قم، أنه سافر إلى طهران واتصل بآل أحمد وعاتبه على هذا المقال وســجل اعتراضه عليه، لكنه لم يسمع منه ردًّا مرضيًا[1].

لم تمض سوى سنوات قليلة حتى بدَّل آل أحمد موقفه من إسرائيل وأصبح يرى فيها صنيعة الرأسمالية الغربية التي تقوم على الظلم، وحاكم نفسه محاكمة

ويُعرف آل أحمد بتوجســه الشــديد من كل شــيء يرمز للغرب وثقافته، ولعل مصدر ذلك هو خيبة الأمل المزدوجة من الغرب بقناعه الأميركي الذي أسقط مصدق ومن الاتحاد السوفيتي بقمعه الستاليني.

ضمَّن آل أحمد أفكاره كتابًا بعنوان "نزعة التغريب"، وقد أثار ضجة كبيرة عند صدوره، بين النخبة فــي إيران، وما لبث أن أضحى بعد ســنوات من أخطــر النصوص لتعبئة الجماهير، وتجييش المجتمع ضد الشاه المتحالف مع الغرب.

هــذا التعريــف بــآل أحمد ومفهوم "وباء التغريب" من تقديم عبد الجبــار الرفاعي للترجمة العربية لكتاب جلال آل أحمد "قشــة في الميقات بحث عن الإنســان لا عن اللّه في الحج"، ترجمة حيدر نجف، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2017.

(1) جلال آل أحمد، مقدمه سفر به ولايت عزرائيل، (تهران: انتشارات مجيد)، ط5، ص 36.

قاسية في مقالة نشرها، في يونيو/ حزيران 1967، وكانت عبارة عن رسالة متخيلة من صديق له تحت عنوان "نامه يک دوست ايرانى فرنگ نشسته/ رسالة من صديق إيراني يقيم في الغرب".

ومما قاله آل أحمد في مقالته: بسبب إلقاء النازية -جوهرة تاج الحضارة البرجوازية الغربية ستة ملايين يهودي جائع في الأفران- يجب اليوم قتل وتشريد مليونين أو ثلاثة ملايين عربي من فلسطين وغزة وغرب الأردن دعمًا لرأسماليي وول ستريت، وبنك روتشيلد. ولم يكن المثقفون الأوروبيون متواطئين مع جرائم هتلر فحسب، بل أقاموا الآن جسرًا لأولئك اليهود في الشرق الأوسط لجلد أمم مصر وسوريا والجزائر والعراق، حتى تقعد عن قتال الاستعمار الغربي، ولا تجرؤ على إغلاق قناة السويس في وجه الأمم المتحضرة!"[1].

لقد ارتبط تغيير آل أحمد رأيه في إسرائيل؛ بمغامرات فكرية تمثلت في تقلبات وتنقلات بين "محطات أربع" وُصفت بأنها "كعبات أربع،" هي: موسكو، وباريس، والقدس، ومكة، التي ترمز إلى مراحل توجهه السياسي، والثقافي، والإلهامي، والإيماني، وأنه غادرها جميعًا، باستثناء مكة المكرمة، كما يؤكد شقيقه، شمس آل أحمد، وتؤكده زوجته، سيمين دانشور، في مقالها الرثائي له. لقد اختبر الماركسية والاشتراكية وإلى حدٍّ ما الوجودية ثم عاد إلى الدين عن وعي وبصيرة، وكانت عودته طريقًا للتحرر من الإمبريالية، وصيانة للهوية الوطنية، وسبيلاً إلى الشرف الإنساني، والتراحم، والعدالة، والمنطق، والتقوى كان جلال يحمل همَّ هذا الدين[2]...

وإن كانت أسماء مهمة من المثقفين الإيرانيين في عهد الشاه، محمد رضا بهلوي، قد رفعت صوتها ضد إسرائيل من أمثال علي أصغر حاج سيد

(1) نشرت هذه المقالة للمرة الأولى في أسبوعية "دنياى جديد" التي كان يرأس تحريرها سيروس طاهباز، ورغم أنها طبعت بأعداد محدودة إلا أن الـ"سافاك" صادر النسخ وأغلق المجلة، ثم أعادت دار نشر "أبو رشاد" في قم نشر المقال تحت عنوان "إسرائيل، عامل امپرياليسم- إسرائيل عميل الإمبريالية)، لتراجع: بيژن تقى زاده، "يك پرداشت از رويكرد جلال أل احمد به معضل صهيونيسم (فهم مقاربة جلال آل أحمد لمشكلة الصهيونية)، فصلية 15 خرداد، السنة الثامنة، العدد 28 (صيف 1390 ش)، ص 248.

(2) من مقدمة عبد الجبار الرفاعي لـ"قشة في الميقات"، مرجع سابق.

جــوادی، ومنوچهــر هزارخانی، ورضا براهنی، إلا أن عــددًا آخر من المثقفين الإيرانيين وقف موقف الداعم لإســرائيل، ومن أبرزهـم: خليل ملكي وداريوش عاشوري[1] اللذان، وعلى عكس آل أحمد، ظلا على موقفهما المؤيد لإسرائيل حتى بعد حرب 1967؛ فقد كانت الاشــتراكية الإســرائيلية في رأيهما "متفوقة على الشيوعية السوفييتية، وأكثر رقيًّا وتقدمًا من الحكومات". وفي مقال بعنوان "معاداة الصهيونية ومعاداة الإمبريالية في الشــرق"، يعرض داريوش عاشــوري حجته؛ التي قوبلت برد قوي من علي شريعتي[2].

يقول شــريعتي ردًّا على آشــوري في مقالة نشــرها في "مجلة فردوسي" بعنوان "الاســتعمار الجديد وسماســرته": إن النظام الذي يحتل أرضًا بأسلحة إنجلترا وأميركا وفرنسا ويجذب الرأسماليين من كل أنحاء أوروبا إلى بلد عربي ويشرد شعبه في صحراء سيناء والأردن الحارقة وفي جميع أنحاء إفريقيا والشرق الأوســط، ويســجن الفلاحين في قراهم، وكلما أراد بلد عربي الهروب من نير الاســتعمار الغربي، انقض عليه بتشجيع من الإمبريالية، ويعذب أسرى الحرب بوحشية، ويطرد الناس من منازلهم، ويقوم على يهودية العرق والدين، هو نظام فاشي[3].

وبرز شــعراء إيرانيون رفعوا الصوت دعمًا لفلســطين، ومن بينهم "حسين ممتحني" الملقب بحميد ســبزواري، ولقيت بعض أشعاره عن فلسطين انتشارًا واسعًا عشية انتصار الثورة الإسلامية، يقول في قصيدة عنوانها "لنمضِ معًا إلى الأمام"[4]:

---

(1) كان دريوش آشــوري عضوًا في مجموعة تســمى القوة الثالثة (بقيادة خليل ملكي) وأحد من يسمون بالوكلاء الثقافيين لنظام الشاه، تم إرساله إلى إسرائيل خلال أيام دراسته، عام 1961، بموافقة من السافاك للمشاركة في ندوة طلابية هناك.

(2) روشنفكران ايران ومسئله فلسطين (المثقفون الإيرانيون والقضية الفلسطينية)، مرجع سابق.

(3) دكتر شريعتى و تب اسرائيل‌دوستى داريوش آشورى (الدكتور شريعني وحمى داريوش آشوري المحب لإسرائيل) صحيفة كيهان ـ 14 آذر 1394 ش ـ العدد 21224 ـ ص 7(تاريخ الدخول: 10 مارس/آذار 2024)، http://kayhan.ir/fa/news/62335

(4) "اميد بر عزم جلودار اســت"نگاهى به شــعر "همپاى جلو دار"ســروده حميد ســبزوارى

حان الوقت لنمضيَ يا رفيق!

لنمضِ يا رفيق!

روحي تحوم حولك يا جولان

أرسم خط الحب بين بلادي ولبنان

أُبعِد نجمة اليهود عن جبلك

وأزرع الزعتر في صور وصيدا

أمضي نحو تلة الشهداء

هناك

حيث نام مئة جميل على طريق المنفى

غُصَّة لبنان قتلتنا

وكسرت ظهرنا دير ياسين

انهض لنزيح التعب عن كاهل ذاك الجبل

مكتوب علينا أن نصل إلى سهل الأمل

ونمسح الغبار عن طور سينا

مكتوب علينا أن نيمم بصدورنا نحو فلسطين

ونمضي بحلمنا نحو المسجد الأقصى

مكتوب علينا أن نعبر الطريق يا صديق

أرواحنا تعلو مع أجراس القائد

("الأمل يسـبق العزائم" نظرة على قصيدة "معًا إلى الأمام" بقلم حميد سـبزواري، حوزه، 8آبان1390ش(تاريخ الدخول: 10 مارس/آذار 2024)،https://bitly.ws/3gRFR

وترفرف الرايات أمامنا

فَلْيَعْلُ الصوت "لبيك"

ونحو الديار المقدسة

فلنمض معًا للأمام

لقد راهنت إسـرائيل في إطار علاقتها الإسـتراتيجية بإيـران على الثقافة والتعليـم، بصفة خاصة، مـن أجل خلق منصة دعائيـة لتغيير موقف المجتمع الإيراني منها. وركزت الدعاية الإسـرائيلية علـى أن الإيرانيين منفصلون لغويًّا وأيديولوجيًّا وعرقيًّا وثقافيًّا عن العرب في سعي لزيادة حدة المنافسة بين العرب وإيران، للوصول إلى قناعة بأن البعد عن العربٍ يعني التقرب من إسرائيل. وفي مطلع السـتينات سلَّمت إيران مسألة الترويج السياحي لخبراء إسرائيليين، وزاد عدد المؤتمرات والفعاليات الجامعية بمشاركة طلاب وأساتذة من الجانبين[1].

دوافع الشاه للتحالف مع إسرائيل

تضافرت عوامل داخلية وإقليمية ودولية ساعدت في بناء تحالف بين نظام الشـاه، محمد رضا بهلوي، وإسـرائيل. فعلى الصعيد الداخلي، كان نظام الشاه يعاني أزمة شرعية وكانت المعارضة ضده تتصاعد ولجأ إلى الخبرات الإسرائيلية لقمـع المواطنين[2]. وفي المقابل، كانت إسـرائيل معزولة وتعاني أزمة وجودية لكونها نظام احتلال. وكان اعتماد نظام الشاه والكيان الصهيوني القمع الداخلي للبقاء أبرز الأسباب التي عززت العلاقات بينهما.

إقليميًّا، كان توتر العلاقات مع الدول العربية ذريعة نظام الشاه للتقارب مع إسرائيل، التي كانت منبوذة في المحيط العربي. وبعد تركيا، كانت إيران الدولة

---

(1) حسـين آجورلو و سـيد روح الله حاج زرگر باشـى، ايران و مسئله ي اسرائيل(إيران ومسألة إسرائيل) (تهران :دفتر گسترش توليد علم 1388)، ص 115.

(2) داود امينى، باز بينى مواضع رژيم پهلوي، روحانيت و مردم ايران، در منازعات فلسـطين و اسـرائيل" ،(إعادة قراءة مواقف النظام البهلوي ورجال الدين والشـعب الإيراني فيما يتعلق بنزاع فلسطين وإسرائيل)، فصلية گنجينۀ اسناد(العدد 61 ،1385ش)، ص67.

الشرق أوسطية الوحيدة التي لها علاقات سياسية مع إسرائيل، ولأسباب مختلفة كان لإســرائيل مكانة بارزة في السياســة الخارجية لإيران، ومن هذه الأسباب: دعم إيران لإســرائيل ضد العرب على أســاس مبدأ المحــاور الطرفية وحاجة إسرائيل للنفط الإيراني مصدرًا رئيسيًّا وبيع المعدات العسكرية، والدعم المالي والمساعدات الحكومية وإقامة المشاريع الاستثمارية في إيران[1].

على الصعيد الدولي، أصبحت إيران وإســرائيل، في ذروة الحرب الباردة والاختلافــات الأيديولوجية بين القوتين العظميين، معتمدتين عمليًّا على الكتلة الغربية والرأسمالية الدولية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، وجرى بناء سياستهما الخارجية وتوجيهها وفق هذه المعادلة، وكانت المبالغة في قدرة اللوبي اليهودي على منح المساعدات الأميركية لإيران قد خلقت الانطباع لدى ممثلي إيران في واشــنطن بأن الإسرائيليين قادرون على العمل وسطاء لإيران في واشنطن، وهو عامل مهم في تطوير العلاقات طهران وتل أبيب[2].

يرى رمضاني أن تفسير علاقة إيران بإسرائيل من منظورات ثقافية، يوظفها رجال الدولة لعقلنة السياسة، هي أقل فائدة للباحثين لتفسير السياسة. وبناء عليه، فإن تفسير "الصداقة" الإيرانية-الإسرائيلية بتحرير كوروش الكبير للعبرانيين من الأسر البابلي العام 538 قبل الميلاد مجرد تكهنات. ومن باب التكهنات كذلك القول: إن الصدام بين المذاهب والمجتمعات الشيعية واليهودية اليوم يؤدي إلى "الكراهية" الإيرانية-الإسرائيلية[3].

إن تنمية العلاقات مع إســرائيل كانت وســيلة لخلق عقبة إيرانية-إسرائيلية فعالة أمام القوة الســوفيتية متزايدة التأثير في الشــرق الأوســط العربي. كما أن معارضة إيران، مثل الولايات المتحدة، للعدوان الثلاثي على مصر، عام 1956، جاءت في الأســاس خوفًا من زيادة القوة الســوفيتية والتأثير في المنطقة وليس

(1) شهبازي، مرجع سابق، ص 100.

(2) ولايتي، مرجع سابق، ص57.

(3) r. k. Ramazani, "Iran and the Arab-Israeli Confl ict" was originally published in Middle East Journal 32, no. 4 (Autumn.
1978): 413–28.

بسبب التعاطف مع نظام عبد الناصر. ومع أن قناة السويس كان يمر منها 73٪ من واردات إيران و76٪ من صادراتها في ذلك الوقت فإنها كانت أقل أهمية من تأثير هذا الاعتبار الإستراتيجي الأساسي في موقف إيران من حرب السويس[1].

إن القول بغموض "الطبيعة الحقيقية" لسلوك إيران تجاه الصراع العربي–الإسرائيلي خلال تلك الفترة افتراض واقعي؛ فنهج الشاه الذي كان غالبًا سريًّا هو في الأساس نتيجة سياسة مدروسة سعت إلى تحقيق أهداف السياسة الخارجية الإيرانية.

هدأ هجوم الدعاية السوفيتية ضد نظام الشاه، في 1962، بعد أن تعهد للاتحاد السوفيتي بأنه لن يمكِّن الولايات المتحدة من إقامة قاعدة للصواريخ[2]، ولكن ظلت علاقات إيران متوترة مع الدول العربية الثورية خاصة الناصرية منها. وفي الفترة ما بين 1950 (تاريخ اعتراف إيران بإسرائيل) وهزيمة العرب في حرب 1967 كانت السياسة الإيرانية تدور على استثمار ما تتصوره طهران من فائدة سياسية وإستراتيجية لإسرائيل في إحباط تقدم النفوذ السوفيتي وانتشار الشيوعية في الشرق الأوسط.

رأت إيران أن انتصار إسرائيل في حرب 1967 أدى في الواقع إلى تقليص حجم عبد الناصر، وأن انسحاب القوات المصرية من اليمن أزال التهديد المصري لشبه الجزيرة العربية. وكان دور المواقف الشخصية في علاقة الشاه بعبد الناصر جوهريًّا في قطع العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وطهران عقدًا من الزمن، واستمر ذلك سنوات عدة بعد حرب 1967، ولم تبذل أي من الدولتين محاولة جادة لاستئناف العلاقات الدبلوماسية. وبدا لطهران أن الحرب رسخت القوة السوفيتية بشكل أعمق في مصر، وقرأت طهران حرب الاستنزاف[3] بين مصر وإسرائيل على أنها تعزيز للتأثير السوفيتي في الشرق

(1) Ramazani, Ibid, p 322.

(2) Roham Alvandi Mentions, The Shah's Détente with Khrushchev: Iran's 1962 Missile Base Pledge to the Soviet Union, roultedge ,Cold War History,Volume 14, 2014 - Issue 3, pp 423-444, p426-437.

(3) حرب الاستنزاف أو حرب الألف، وفق التسمية الإسرائيلية. والاستنزاف هو مصطلح أطلقه الرئيس المصري الراحل، جمال عبد الناصر، على الحرب التي اندلعت بين مصر وإسرائيل

الأوســط. ومع ذلك، راقبت طهران باهتمام شديد الشكوك الناشئة في الموقف المصري تجاه الاتحاد السوفيتي وتزامن ذلك مع استعداد نظام عبد الناصر قبول مبادرة السلام الأميركية[1]. وبدأت ملامح ذلك تظهر، ثم ما لبث الرئيس المصري أن قبل بمبادرة روجرز عام 1970، وقرر استئناف العلاقات الدبلوماسية مع إيران وتحسنت لاحقًا في عهد الرئيس المصري، محمد أنور السادات، وهي المرحلة التي شــهدت تغييرات في السياســة الخارجية لــكلا البلدين، صحيح أن بذور التقارب الإيراني-المصري التي نمت منذ حرب أكتوبر/ تشــرين الأول 1973، كانــت قد زُرعت قبل الحرب بســنوات قليلة، لكن ذلــك كان مرتبطًا بتدهور العلاقات بين القاهرة وموســكو، الذي ما إن بدت ملامحه حتى بدأت العلاقة بين طهران والقاهرة في التحسن[2].

بــرز تعاطــف إيران مع العــرب، بصورة واضحــة، خلال حرب أكتوبر/ تشــرين الأول 1973، وذلك عكس موقفها خلال حرب 1967، فقد أرســلت طهران طيارين وطائرات إلى المملكة العربية الســعودية للمساعدة في المشاكل اللوجســتية، وســمحت بتحليق الطائرات المدنية السوفيتية التي تحمل معدات عســكرية إلى الدول العربية[3]، ومنعت نقل المتطوعين اليهود من أســتراليا إلى

على ضفتي قناة السويس. بدأت عندما حاولت المدرعات الإسرائيلية احتلال مدينة بور فؤاد، في يوليو/تموز 1967، فتصدت لها قوة من الصاعقة المصرية بنجاح فيما عُرف بمعركة رأس العش. تصاعدت العمليات العســكرية بعد مســاندة العرب لدول المواجهة أثناء مؤتمر القمة العربية في الخرطوم، ورفض إســرائيل لقرار مجلس الأمن 242 الداعي لانســحاب إســرائيل من الأراضي العربية التي احتلتها عقب هزيمة يونيو/حزيران. ولنحو ثلاث سنوات، استهدفت غارات سلاح الجو الإسرائيلي المدنيين المصريين أملاً في إخضاع القيادة السياسية المصرية، مســتخدمين في ذلك مقــاتلات الفانتوم الأميركية الحديثة فيما اســتعان المصريون بالخبراء الســوفيت وصواريخ الدفاع الجوي الســوفيتية لتأمين العمق المصري.. وفي 7 أغسطس/آب 1970، انتهت المواجهات بقرار الرئيس عبد الناصر والملك حسين قبول مبادرة روجرز لوقف إطلاق النار.

(1) Ibid., p323-324.

(2) Ibid.,p 324-325.

(3) Bahgat, G, Egypt and Iran: The 30-year Estrangement. Middle East Policy, (2009), 16(4): 47-54.

إسرائيل عبر طهران[1]. ومع ذلك، لم تخرج طهران في موقفها هذا عن الهدف الأعم والأساسي للسياسة الخارجية الإيرانية، ألا وهو إعاقة القوة السوفيتية وتأثيرها في الشرق الأوسط، فقد قيَّمت في المقام الأول التوازن الإقليمي أو رجحان القوة في 1973 كما فعلت في 1967 بقصد تحقيق الهدف[2]. لكن، بعد حرب أكتوبر/ تشرين الأول 1973، بدأ الشاه ينتقد السياسة الإسرائيلية خاصة بعدما أبدى السادات استعداده للانخراط في العملية السلمية. وبحسب الوثائق الأميركية، ومنها برقية أميركية من بيروت، في 12 ديسمبر/ كانون الأول 1974، حذَّر فيها الشاه، في مقابلة مع صحيفة أسبوعية محلية مستقلة، إسرائيل من مواجهة حرب جديدة مع العرب إن لم توافق على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة في المرحلة التالية من محادثات السلام وأشار إلى أن الحرب القادمة "ستكون حربنا هذه المرة، ولن يكون أمام أيٍّ منَّا أي خيار". وأعرب الشاه عن أسفه؛ لأن الإسرائيليين لم يلتقوا بالسادات، الذي وصفه بأنه "رجل عظيم ومحب للسلام" في منتصف الطريق، ورأى الشاه أن الولايات المتحدة الأميركية فشلت في مساعدة مصر لإقناعها بجدوى المسار السلمي.[3]

التقطت الصحافة في واشنطن تهديد الشاه، وما لبثت وزارة الخارجية الأميركية أن طلبت من سفارتها في طهران تقييمًا على تعليق صحيفة "الواشنطن بوست" بأن "شاه إيران هدد بانضمام بلاده المدججة بالسلاح إلى الحرب ضد إسرائيل إذا لم تحل أزمة الشرق الأوسط بما يتفق مع قرارات الأمم المتحدة". وردَّت السفارة بأن مساعدة الشاه "لن تتجاوز كثيرًا ما قدمه خلال حرب 1973، وستقتصر إلى حدٍّ كبير على الدعم النفسي السياسي". ونقلت برقية من طهران نفي وزير الخارجية الإيراني، عباس خلعتبري، "عزم إيران شن حرب على إسرائيل، رغم تعاطفها مع العرب"[4].وذكرت الصحافة اللبنانية أن إيران تخطط

(1) R. K. Ramazani, Iran and the Arab-Israeli Conflict, Middle East Journal, Vol. 32, No. 4 (Autumn, 1978), pp. 413-428.

(2) Ibid.

(3) National Archives, RG 59, Central Foreign Policy Files, D740361–0634, Foreign Relations of the United States, 1969–1976, Volume XXVII, Iran; Iraq, 1973–1976 (accessed: April11, 2023): https://bit.ly/3MuRtEf.

(4) Foreign Relations of the United States, 1969–1976, Volume XXVII, Iran; Iraq, 1973–1976 (accessed: April 11, 2023): https://bit.ly/3MuRtEf.

لتزويد مصر بأسلحة وتدريب طيارين، ولكن برقية أميركية من طهران حملت الرقم 10870، تضمنت تأكيدات خلعتبري بأن إيران لا تنوي مدَّ مصر بأسلحة. وفسرت السفارة الأمر بأن الصحف اللبنانية تحاول إظهار عزلة إسرائيل عن أصدقاء سابقين مثل إيران. ومع تكرر ما تنشره الصحف بهذا الشأن اضطرت السفارة الأميركية في طهران إلى التأكيد في برقية أخرى، بتاريخ 23 فبراير/شباط 1975، أن إيران "لم تغير سياستها تجاه الصراع العربي-الإسرائيلي أو التزامها تجاه إسرائيل واستمرارها، لكنها غيرت لهجتها من أجل تعزيز محادثات السلام"[1].

في هذا الصدد يرى روح الله رمضاني أن وجهة النظر القائلة: إن إيران "مالت"، بطريقة ما، خلال حرب أكتوبر/تشرين الأول نحو الموقف العربي ضد إسرائيل غير دقيقة من حيث الأساس؛ إذ يفترض مفهوم "الميل" وجود موقف متوازن سابقًا تجاه الخصمين؛ فالصراع الشديد بين التوجهات الأساسية في السياسة الخارجية الإيرانية ودول المواجهة الرئيسية، مصر وسوريا، حال دون تطوير أي علاقة ذات مغزى مع هذه الدول العربية. إن ما حدث منذ 1970، وخاصة منذ حرب أكتوبر/تشرين الأول، كان ظهور خيار عربي، وهو ما وفَّر فرصة لتنمية الصداقة الإيرانية مع دول عربية مع صعود القوة الإيرانية داخل المنطقة. لقد وجد الشاه أن "العرب هذه المرة لا يتحدثون عن إلقاء إسرائيل في البحر؛ إنهم ليسوا في مرحلة ما بعد تدمير الدولة اليهودية" بل يسعون نحو تحقيق أهداف جزئية، كما اعتقد الشاه أن المفهوم الإسرائيلي للأمن يجب أن يخضع للتغيير، فقد صرَّح قبل نحو شهر أو نحو ذلك من توقيع اتفاقية سيناء الثانية بين مصر وإسرائيل بأن "إسرائيل ترتكب خطًا كبيرًا في الاعتماد على الأراضي العربية المحتلة من أجل أمنها"[2].

(1) Ibid.

(2) R.K Ramazani, Ibid., p 326- 327.

القسم الثاني

الفصل الثالث: الجمهورية الإسلامية والقضية الفلسطينية

تغير جذري في السياسة الخارجية الإيرانية

على إثر انتصار الثورة الإيرانية، 1979، وإقامة الجمهورية الإسلامية حدث تغير جذري في السياسة الخارجية الإيرانية؛ فقد أصبحت إيران خارج المعسكر الغربي واتجهت نحو دعم قضايا العالم الثالث وعدم الانحياز، ورفعت شعار مقارعة الاستعمار والاستكبار. وسارعت إلى إلغاء الاعتراف بإسرائيل وبدأت الأدبيات السياسية الإيرانية تصفها بأنها غدة سرطانية، وأنها ورم يجب استئصاله وقطع أي علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية معه.

أصبح دعم القضية الفلسطينية في مقدمة أولويات سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية الخارجية، وترى الأدبيات المتعلقة بفكر مؤسس الجمهورية الإسلامية، روح الله آية الله الخميني، أنه إذا كانت إقامة حكومة إسلامية في إيران هي أولى أولويات الفكر السياسي للإمام الخميني، فإن تحرير بيت المقدس وفلسطين كان شاغله الفكري والسياسي الأهم خارج إيران، وكان يرى أن قيام إسرائيل هو نتيجة لعلاقة الصهاينة بالرأسمالية الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية[1].

قبل انتصار الثورة احتلت فلسطين مكانًا بارزًا في شعارات وخطب قادتها، وفي ذروة الاحتجاجات ضد نظام الشاه انتقد الإمام الخميني علاقاته السرية والعلنية مع إسرائيل. وكان الخميني أول مرجع تقليدي وعالم شيعي يفتي بمساعدة المقاتلين الفلسطينيين من أموال الزكاة والخُمس[2]. يقول آية الله الخميني: "إحدى القضايا التي وضعتنا في مواجهة الشاه هي مساعدته

---

(1) شهبازى، مرجع سابق، ص101.

(2) فلسطين از ديدگاه امام خمينى(س) (فلسطين من وجهة نظر الإمام الخميني)، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، 3/ 12/ 1395 ش (تاريخ الدخول: 24 نوفمبر/تشرين الثاني 2022)، https://bit.ly/425P1sC

إســرائيل. فطالما قلت: إن الشاه تعاون مع إسرائيل منذ بداية وجودها، وعندما بلغت الحرب بين إســرائيل والمســلمين ذروتها، استمر الشاه في اغتصاب نفط المسلمين وإعطائه لها وهذا أحد أسباب معارضتي له"[1].

نظــر آية اللــه الخميني إلى الصهيونية على أنها ظاهرة سياســية جشــعة وعنصرية اســتعمارية، تتخذ الديانة اليهودية دثارًا وتصور نفســها منقذًا للشعب اليهــودي، وأن ادعاء الصهاينة الوحــدة العرقية ليهود العالم وهم، فهم يريدون تســويغ اغتصاب الأرض الفلســطينية وجرائمهم في الأراضي المحتلة بالتشبث بهذا الوهم. ويربط الخميني الاستعمار البريطاني الذي سلم الراية لرجال البيت الأبيض من بعده والصهيونية باعتبارها حركة سياسية. ورأى أن الاستعمار الغربي الجديد لا يهتم بدين الله والناس المتدينين ولا يفكر إلا بمصالحه الاستعمارية؛ ولذلك يقدم الدعم للصهيونية التي تعد حركة سياسية في صراع أساسي مع مبدأ الدين والأهداف الإلهية للأنبياء[2].

كان زعيم الثورة الإسلامية يرى في العودة إلى الإسلام والتوحيد شــرطًا لإنقاذ فلســطين ومنع الرغبات التوســعية للصهيونية، وطالب بنبذ أي خلافات، ومن بينها الخلافات المذهبية. ورأى أن قضية فلســطين مرتبطة بالإسلام كله، ولذلك شــجع باســتمرار جميع المسلمين، وخاصة شــيعة لبنان، على مساعدة الفلسطينيين، ونظر إلى مشكلة فلسطين على أنها مشكلة العالم الإسلامي، وأن حكم عدد صغير من الصهاينة على أكثر من مليار مسلم في العالم وصمة عار[3].

ورأى مؤســس الجمهوريــة الإسلاميــة، أنه من أجل الدفــاع عن حقوق المظلومين في فلســطين، يجب حشــد وتعبئة الأمم الإسلامية لدعم الانتفاضة الفلســطينية، وبــدلاً من "اللجوء إلى المناســبات التي لا جــذور لها في ثقافة المســلم"، أوصى باســتلهام الفكر الإسلامي وقدراته الكامنة. وبناء عليه، أعلن الجمعة الأخيرة من شــهر رمضان "يوم القدس العالمي". فشــهر رمضان فرصة

---

(1) الإمام الخميني، صحيفة النور، ج5، (تهران: مؤسســة تنظيم ونشــر آثار الإمام الخميني، ذو الحجة 1398ه)، ص 164.

(2) فلسطين از ديدگاه امام خمينى(س) (فلسطين من وجهة نظر الإمام الخميني)، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق.

للعالم الإسلامي للانتباه إلى مسـؤوليات الأمة الجادة تجاه حرية القبلة الأولى للمسـلمين، ومع الروحانية الناتجة عن شـهر صيام المؤمنين فإن يوم القدس العالمي يمكن أن يكون دوره مهمًّا في توحيد الشعوب الإسلامية وتعبئة القوى الإسلامية لتحرير القدس[1].

حضرت قضية فلسطين مبكرًا في خطاب قادة الثورة ومنظِّريها. وطالما كان دعم القضية الفلسطينية والمقاومة ضد إسرائيل لأسباب أيديولوجية وإستراتيجية جـزءًا لا يتجزأ من الهوية والنهـج الدولي للجمهورية الإسلامية، وقد جاء في فصول عدة من دستور جمهورية إيران الإسلامية، وهو الأساس النظري والسلوكي لسياسـتها الخارجية، أن من واجب إيران الدفاع عن المظلومين والمسلمين في العالم ودعمهم، ويتضح ذلك بصورة جلية في مادتين من الدستور الإيراني هما المادة 152 والمادة 154.

تنـص المادة 152 من الدسـتور الإيرانـي على الآتي: "ترتكز السياسـة الخارجيـة للجمهورية الإسلامية الإيرانية على أسـاس رفض كل أنواع الهيمنة والخضوع والمحافظة على الاسـتقلال الشامل، ووحدة أراضي البلاد، والدفاع عن حقوق جميع المسـلمين، وعدم الانحياز لقوى التوسـع والتسـلط، وإقامة علاقـات السلام مع الدول غير المعادية"، كما تنص المادة 154 من الدسـتور الإيرانـي: "تَعُـدُّ الجمهورية الإسلامية الإيرانية سـعادة الإنسـان في المجتمع الإنسـاني قضية مقدسة، والاسـتقلال والحرية وقيام حكومة الحق والعدل حقًّا لجميع الشـعوب في العالم، وعلى هذا فإن الجمهورية الإسلامية في إيران لن تتوانى عن دعم النضال المشـروع للمسـتضعفين ضد المستكبرين في كل بقعة من بقاع العالم، ومع تمسك الجمهورية الإسلامية، في ذات الوقت، بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى بشكل كامل".

ياسر عرفات في طهران

في السـابع عشـر من فبراير/ شـباط 1979، كانت طائرة قادمة من دمشق تحلق في سـماء طهران وتقل على متنها ضيفا مهما فخرج لاسـتقبالها سـرب من طائرات فانتوم التابعة لسلاح الجو الإيراني، "اعتدنا أن تقوم طائرات الفانتوم

(1) المرجع السابق.

بقصف مخيماتنا، هذه أول مرة تحلق لحمايتنا" هكذا علق الزعيم الفلسطيني القادم إلى طهران ليهنئ بانتصار الثورة[1].

كان ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، أول زعيم سياسي يزور إيران بعد الثورة[2]، وقد استُقبل في مطار مهرآباد بحفاوة لا سابق لها[3]. أقام عرفات في المبنى نفسه الذي اختير لإقامة الإمام الخميني حيث التقى الرجلان وسط هتافات جماهير احتشدت حول المبنى.

لقد توجت زيارة عرفات سنوات من التعاون والتحالف بين الفصائل الفلسطينية والمعارضة الإيرانية في معسكرات وساحات تدريب منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان وسوريا.

ألغت الجمهورية الإسلامية الاعتراف بإسرائيل وسلَّمت مقار ومكاتب التمثيل الدبلوماسي الإسرائيلي[4] إلى الفلسطينيين لتُفتح أول سفارة فلسطينية، ليس في طهران فقط بل كانت أول سفارة فلسطينية في العالم، وقدَّمت الدعم السياسي والمالي للمنظمة بوصفها قائدة الثورة الفلسطينية.

في الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية في إيران، 1979، أصدر محمد منتظري مجلة "شهيد" التي عكست شعارات الثورة الإسلامية وأفكارها، وبرزت قضية فلسطين في أعدادها التي تحدثت عن عالم إسلامي بلا حدود، كما نظَّرت لأممية النضال ووقوفه في وجه الإمبريالية والرأسمالية، وأفردت المجلة مساحات لأحاديث ياسر عرفات وشخصيات فلسطينية أخرى، كما نشرت مقابلات مع قيادات من حركة فتح من أبرزها مقابلة مع خليل الوزير (أبو جهاد).

---

(1) جواد منصوري، خاطرات يک ديپلمات: خاطرات جواد منصورى (جلد 1) (مذكرات دبلوماسي: مذكرات جواد منصوري)، تحرير محمد محسن مصحفي، (تهران: سوره مهر، 1394 ش)، ط1، ص 30.

(2) منصورة، المرجع السابق.

(3) يوثق لهذه الزيارة جلال الدين فارسي الذي كان مرافقًا لعرفات على نفس الرحلة في كتابه "الزوايا المظلمة"، انظر: جلال الدين فارسي، ص 451.

(4) – طردت إيران 32 موظفًا إسرائيليًّا في إيران واستدعت جميع موظفي مكتب التمثيل الإيراني في إسرائيل.

وتضمـــن العـــدد الأول من المجلة حديثًا عن فلســطين والثورة الإسلامية كما تضمن نقاشًـــا حول الذكرى الحادية والثلاثين لاحتلال فلســطين بالتركيز على العلاقة بين الصهيونية والإمبريالية، وتحدث بإعجاب عن مقاومة الشـــعب الفلســطيني وقادته من أمثال عز الدين القســـام وأمين الحسيني. كما نشر العدد رسالة من ياسر عرفات إلى هاشمي رفسنجاني تستنكر تعرضه لمحاولة اغتيال[1].

وأعادت المجلة في عددها الثالث نشــر أجزاء من مقابلة أجرتها صحيفة النهـــار اللبنانية مع ياســـر عرفات، واقتطفت من مقابلتـــه عنوانًا يقول: الأخ أبو عمار في مقابلة مع "النهار": نحن راهنَّا على الخميني فيما راهن الآخرون على الشاه[2].

وعلى غلاف عددها الرابع نشـــرت المجلة صـــورة تجمع عرفات بالإمام الخميني مع عنوان: اليوم إيران وغدًا فلسطين. وأفردت مساحة لسيرة عبد القادر الحســيني وعز الدين القسام وحســـن سلامة ومحمد أمين الحسيني في تمجيد لدورهم الجهادي ومقاومتهم للاحتلال الصهيوني[3].

ولكـــن، مـــن الواضح أن توقعات كل طرف مـــن الآخر كانت متباينة، وما كان يراد للعلاقة من تطور لم يتحقق. فقد برز الخلاف الأيديولوجي ســـريعًا إلى الســـطح؛ إذ سرعان ما اصطدم التوجه الإيراني بعلمانية المنظمة التي أبدى قادتها حساسية عالية تجاه السعي الإيراني لأسلمة الثورة الفلسطينية. ومع اندلاع الحرب مع العراق وجدت طهران حليفها الفلســطيني الأبرز ينحاز إلى العراق بفعل التوجه القومي لدى بعض قادة المنظمة.

لقد أسهم حدثان مؤثران في تراجع العلاقة بين عرفات وإيران، وهما: أزمة الرهائن الأميركيين في إيران، والحرب الإيرانية-العراقية[4]؛ ففي أولهما رفضت القيـــادة الثورية الإيرانية والطلاب الذين اقتحموا الســـفارة الأميركية واحتجزوا رهائن بداخلها، وســـاطةَ ياســـر عرفات لحل الأزمة؛ على أســـاس أنه كان يريد

---

(1) مجلة الـ(شهيد)، السنة الأولى، العدد الأول، 9 رجب 1399 ه، 14/3/1358 ش، غلاف المجلة، وصص 43-42.

(2) مجلة الـ(شهيد)، السنة الأولى، العدد الثالث، العدد 28 خرداد 1358ش.

(3) مجلة الـ(شـــهيد)، العدد الرابع، الســـنة الأولى، العدد الرابع 4 تير 1358، الغلاف، صص 16-17.

(4) Alavi,Ibid, p65.

التفاوض لصالح الأميركيين، وهو ما قد يؤثر سلبيًّا على الشعور الشعبي الإيراني الداعم للقضية الفلسطينية.

انتقد آية الله حسين منتظري رفض وساطة عرفات: لقد أضعنا فرصًا جيدة لتحرير الرهائن؛ منها أن المرحوم ياسر عرفات عرض الوساطة في هذا القضية وأعطى وعودًا للشـــعب الأميركي، لكننا رفضنا وســـاطته، ولو قُبلت لعُدَّ ذلك انتصارًا وامتيازًا كبيرًا للفلسطينيين، خصوصًا لدى الرأي العام العالمي، وتحديدًا الشعب الأميركي[(1)].

ســـعى عرفات إلى التوســـط بين العراق وإيران؛ لأنـــه كان يرى في ذلك مصلحة للقضية الفلســـطينية. فالحرب بين دولتيـــن إسلاميتين تضعف الموقف الفلســـطيني وتبدد الوضع الاقتصادي والاجتماعي والقدرات الدفاعية للبلدين. لم تفلح وســـاطة عرفات هذه المـــرة كذلك؛ فقد رفضت الجمهورية الإسلامية التفـــاوض مـــع العراق في الســـنوات الأولـــى من الحرب، وهو ما أســـهم في إحـــداث تحول فـــي موقف عرفات. يرى علي العلوي أن موقف إيران المنطلق من أيديولوجيتها رأى أن اصطفاف منظمة التحرير الفلســـطينية مع العراق يشـــير إلى عدم ترسيخ مفهومها للثورة، خاصة أنها أصبحت تميل نحو طريق التسوية (مشروع الفهد 1981)[(2)].

يشير جواد منصوري في مذكراته إلى أن علاقة عرفات مع مجاهدي خلق وموقفه الداعم لصدام حســـين قد أثَّرا بصورة كبيرة على مكانته في إيران: بعد ســـفر عرفات إلى طهران نظرنا إليه بوصفه ثوريًّا مســـلمًا، لكنَّ صديقًا من لبنان يدعى "أبو جواد" كان يقول لنا: أنتم لا تعرفون حقيقة هذا الرجل، كان التوجه نحو عرفات إيجابيًّا باستثناء عدد قليل من الأشخاص، لكن علاقاته مع مجاهدي خلق، ودعمه صدام جعلني أدرك صحة ما قال صديقنا اللبناني"[(3)].

---

(1) - سعيد منتظري، آية الله حسين علي منتظري في حوار نقد ومكاشفة للتجربة الإيرانية، ت: فاطمة الصمادي، المركز العربي للأبحاث ودراســـة السياســـات، (بيروت، 2020)، ط1، ص 168.

(2) Alavi,Ibid, p65.

(3) منصوري، مرجع سابق، ص 31.

استمرت الثورة الإيرانية في دعم القضية الفلسطينية رغم الفتور في العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، وظلت العلاقة قائمة حتى 1993 لما وقَّع عرفات "اتفاقية أوسلو" التي عارضتها إيران ورأت فيه تخليًا عن المقاومة وتفريطًا في القضية الفلسطينية. انتهى الرهان الإيراني على منظمة التحرير، ولكن البحث عن حليف فلسطيني قوي لم يتوقف، وكانت حركة الجهاد الإسلامي هي الأقرب أيديولوجيًّا لإيران في الساحة الفلسطينية، فقد رأت الحركة التي انشقت عن جماعة الإخوان المسلمين في 1980 [1]، في الثورة الإيرانية أنموذجًا مُلهمًا وكان زعيمها فتحي الشقاقي معجبًا بحركة التغيير التي أحدثتها الثورة الإسلامية، ومع ذلك كانت إيران تسعى إلى تحالف مع قوة يكون حجمها ونشاطها أوسع، وهو ما وجدته في حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

علاقة الجمهورية الإسلامية بإسرائيل

بدأت القوى تتصارع في الجمهورية الإسلامية الناشئة؛ فكانت القوى الثورية المنضوية تحت راية الإمام الخميني مسكونة بالقلق من أن تسيطر القوى المعادية للثورة على السلطة وأن تحرفها عن مسارها، وشهدت البدايات كثيرًا من المواجهات والانقسامات مصحوبة بتعددية لم تشهد إيران مثيلاً لها، وبرز كثير من القوى السياسية بتوجهات متنوعة على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لكن هذا التنوع الفكري والأيديولوجي كان سببًا في اندلاع مواجهات سياسية بين المجموعات والأحزاب المتعددة.

كانت القوى التي وُجدت على الساحة خلال المواجهات التي سبقت سقوط نظام الشاه محمد رضا بهلوي، وأسهمت في انتصار الثورة، تبحث عن حصة في السلطة. وتحولت هذه المواجهات إلى صدامات دموية أدت إلى إيجاد فضاء غلبت عليه عمليات الاغتيالات، ودخلت إيران الثمانينات من القرن الماضي مسكونة بهاجس الأمن الذي كان سببًا في كثير من القرارات التي تركت تأثيرها في إيران إلى اليوم، ولم يكن ذلك بلا ثمن. ومع اندلاع الحرب العراقية-الإيرانية كانت الجمهورية الناشئة تشعر بتهديد وجودي مما أعطى صبغة أمنية

(1) محمد غازي الجمل، من الانتفاضة الأولى إلى سيف القدس.. لماذا تدعم إيران حركة حماس؟، الجزيرة نت، 30 مايو/أيار 2021، (تاريخ الدخول: 18 مارس/آذار 2024)، https:// bitly.ws/3gcan

واضحـــة لعدد من قراراتها[1]. جاء الخطاب الـــذي حكم الجمهورية الإسلامية في عقدها الأول مليئًا بالمفردات الثورية والخطب الحماســية للإمام الخميني، وبلغ ذروته بفعل الحرب، واســتند على عدد من المفاهيم، أهمها: الاســتقلال، والعدالة، والمحرومية، والمســتضعفون، والشهادة، والحج الإبراهيمي، وتصدير الثـــورة، والإسلام المحمـــدي الأصيل. وصنع هذا الخطـــاب هويته من خلال الضديـــة مع إســـرائيل وعدم القبول بهـــا، وبناء الغيرية والتمايـــز مع الولايات المتحدة الأميركية[2].

ورغـــم موقـــف الجمهورية الإسلاميـــة الداعم للقضية الفلســـطينية إلا أن عقـــد الثمانينات لا يخلو من محطات إشـــكالية فيمـــا يتعلق بعلاقتها مع الكيان الصهيوني وعلاقته بها. لقد اســـتطاعت القوى المناصرة للمقاومة الفلسطينية أن تلغي الاعتراف بإســـرائيل وجاءت هذه القرارات مدعومة بزخم ثوري كبير لم يكن يســـمح بالدفاع عن العلاقة مع إسرائيل، خاصة مع الإعدامات التي نفذتها محاكم الثورة بحق شخصيات لعبت أدوارًا مهمة في تقوية العلاقة مع إسرائيل زمن الشاه.

فـــي المقابـــل، لم تكن إســـرائيل ترغب في قطع العلاقـــات مع إيران في الســـنوات الأولى بعد الثورة الإسلامية، وقد أتاحـــت الحرب العراقية-الإيرانية أساسًـــا مناســـبًا لتلك الرغبة؛ فقد أطلقت الحرب موجة من الكراهية في العالم العربـــي ضـــد إيران، ورأى بعض صنَّاع القرار في إســـرائيل أن من المســـتحيل الصلح مع الدول العربية، ولذلك، على إســـرائيل أن تواصل علاقاتها مع إيران التي تخوض حربًا ضد العرب. لكن مع ما أفرزته مشـــاريع السلام واســـتمرار السياســـة الخارجية الإيرانية المناهضة للاحتلال الإسرائيلي بدأت إسرائيل تتخذ نهجًا معاديًا لإيران أخذ بعدًا تصاعديًّا ارتبط بصورة أساســـية بتعاظم نفوذ إيران الإقليمي[3].

(1) فاطمة الصمادي، التيارات السياســـية في إيران: صراع رجال الدين والساســـة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (بيروت، 2019)، ط2، ص 32.

(2) محمد علي حســـيني زاده، اسلام سياســـى در ايران ("الإسلام السياسي في إيران")، (تهران، انتشارات دانشگاه مفيد، 1386) ط 1، ص 370 371-.

(3) شهبازي، مرجع سابق، ص 101.

شهد العقد الأول من عمر الجمهورية الإسلامية عددًا من القضايا الإشكالية المرتبطـة بالعلاقة مع إسـرائيل التي كان لهـا دور في مد إيران بالسلاح مقابل الإفراج عن الرهائن الأميركيين. لقد طلبت إيران أسلحة أميركية لمواصلة حربها ضد العراق، وكانت الولايات المتحدة على استعداد لبيعها أسـلحة على أمل تحرير الرهائن وكذلك تمويل "عصابات الكونترا" التي كانت تقاتل ضد النظام الماركسي في نيكاراغوا[(1)].

يدَّعي جاك سـترو، وزير الخارجية البريطاني السـابق، أن إيران وإسرائيل نسَّـقتا وتعاونتا مباشـرة في المجالات العسكرية والاسـتخباراتية ضد العراق خلال الحرب العراقية-الإيرانية (1980-1988)، وقد بلغت صادرات إسـرائيل من السلاح لإيران حينها ما قيمته مليارا دولار[(2)]. ووفق رواية سترو، فإنَّ إسرائيل منحـت إيران معلومات عن مواقع عسـكرية في غربي العراق، فقصفتها إيران، التـي أمدت إسـرائيل بصور كثيرة لمفاعل تموز النـووي العراقي، الذي دمرته إسرائيل[(3)].

أصبحت إسرائيل قناة لنقل الأسلحة من الولايات المتحدة إلى إيران، ليس لأن عمليات نقل الأسلحة كانت مربحة ماليًّا لتجار الأسلحة الإسرائيليين فحسب، بل لأن المسؤولين الإسرائيليين سعوا إلى توظيف دعم إيران في مواجهة التهديد العراقي وترك الباب مفتوحًا لتحسـين العلاقات مع إيران في المسـتقبل[(4)]. لقد كانت الغاية من ذلك ترك نافذة صغيرة لإمكانية إقامة علاقات ودية بين البلدين في المسـتقبل وفق ما صرَّح به مسـؤولون إسرائيليون، وقد اعتبر آرييل شارون وشـيمون بيريز والعديد من رجال الدولة الإسـرائيليين أن هذه السياسـة وليدة

(1) Arshin Adib-Moghaddam, Iran in World Politics: The Question of the Islamic Republic, New York: Columbia University Press, 2008, p. 113; Takeyh, 2006, p. 106.

(2) جاك سترو لـ"التليفزيون العربي": إيران وإسرائيل تعاونتا عسكريًّا واستخباراتيًّا لتدمير العراق، صحيفة العربي الجديد، 21 فبراير/شـباط 2020، (تاريخ الدخول: 24 نوفمبر/تشـرين الثاني 2022)، https://bit.ly/3NDGtVp

(3) المرجع السابق.

(4) Dalia Dassa Kaye, Alireza Nader, Parisa Roshan, Israel and Iran, A Dangerous Rivalry, RAND National Defense Research Institute, 2011,p15

لعقيـدة الأطـراف[1] التي صاغها بن غوريون وتدعو لبناء جسـور خارج العالم العربي وتعزيز علاقات قوية مع تركيا وإيران وإثيوبيا، لكن النافذة الإسـرائيلية لم تحقق الغاية منها وكان الخطاب المعادي لإسرائيل يتصاعد في إيران.

في هذا السياق، يوثِّق آية الله منتظري في "نقد الذات" أمر زيارة مستشار الأمن القومي الأميركي، روبرت ماكفرلين، لإيران (سبتمبر/ أيلول 1986) وكيف أنها جرت بسـرية تامة ودون علم مجلس الشـورى، متهمًا رفسنجاني ومقربين منه بتدبيرها[2]. وكان منتظري قد اتُّهم بأنه هو من أفشـى خبر الزيارة لصحيفة "الشراع" اللبنانية.

ولا نجد في كتاب منتظري ما يشير إلى أن الإمام الخميني كان على علم بهذه القضية واتهم رفسـنجاني ومقربين منه بشكل واضح. وأكد منتظري، وفقًا

(1) Trita Parsi, Treacherous Alliance. Yale University Press. 2007, p.121

(2) في مقابلة أجريت مع محمد خامنئي (وكان من بين ثمانية نواب في المجلس سجلوا اعتراضهم على زيارة ماكفرلين)، في 2014، اتهم هاشـمي رفسـنجاني بالمسؤولية المباشرة عن الزيارة، وقال إنه دخل بجواز سـفر أيرلندي مزور، وجرى اسـتقباله وتبادل الهدايا معه، وأن مرافقيه كانوا من الأميركيين والإسرائيليين، وأن الإمام الخميني لم يكن على اطلاع كامل على موضوع الزيـارة. وأكـد خامنئي أن فضح الزيارة كان نتيجة التنافس والصراع السياسـي بين هاشـمي رفسـنجاني وآيـة الله منتظـري. وقد أثارت هذه المقابلة حالة مـن الجدل وردَّ عليها مكتب هاشمي رفسنجاني، ووصفت بأنها تمس بمقام الإمام الخميني وتقوم على قصة متخيلة، وقال مهدي طباطبائي، أحد نواب المجلس، إنه سأل رفسنجاني عن حركة غير عادية في المطار وعن الزيارة وأعرب عن مخاوفه بشأنها فأجابه رفسنجاني: "كن مطمئنًا؛ الإمام على علم".

انظر:

ناگفته‌های آیت‌الله سـید محمد خامنه‌ای از ماجرای مک فارلین "ما لم يروه آية الله السـيد محمـد خامنئي عن حادثة ماكفرلين"، تسـنيم نيـوز، 19 آذار 1393، (تاريخ الدخول: 4 مايو/ أيار 2023)، https://bit.ly/44saopA

انظر أيضًا:

جدال هاشمی ومحمد خامنه‌ای؛ امام از سفر مک‌فارلین بی‌خبر بود؟" جدال هاشمي ومحمد خامنئي، هل كان الإمام لا يعلم عن زيارة ماكفرلين، موقع تاريخ إيران، 26 آذر 1393(تاريخ الدخول: 4 مايو/أيار 2023)، https://bit.ly/3pa8CJP

لوثائق أميركية، أن الولايات المتحدة وإسرائيل لم تكونا تريدان قطعًا أن تنتصر الجمهورية الإسلامية في الحرب، فهما لا تبيعان السلاح لإيران في سبيل الله ودون مصلحة.. وأن الأسلحة التي باعتها أميركا لإيران هي أسلحة ذات طبيعة دفاعية، ولا يمكن أن تُحدث تغييرًا جوهريًّا في جبهات الحرب. وبقي منتظري مصرًّا في تقييمه أن هدف الولايات المتحدة من إرسال عدد من صواريخ "التاو" عبر إسرائيل، هو أن تستمر الحرب ليتحقق هدفهم النهائي، وهو إضعاف البنية الإنسانية والعسكرية، في كلا البلدين اللذين يشكلان قوتين رئيسيتين في المنطقة[1].

تتحدث تقارير الصحافة الغربية التي وثقتها حركة الحرية (نهضت آزادي) الإيرانية في قاعدة بياناتها على مدى سنوات مختلفة من عقد الثمانينات عن اعتقالات تمت بحق تجار سلاح إسرائيليين كانوا يعتزمون بيع أسلحة لإيران[2].

وتكشف هذه التقارير وجود قراءتين متضادتين داخل إسرائيل لمسألة العلاقة مع إيران في تلك الفترة، فمجموعة منهم كانت ترى أن العراق عدو إستراتيجي وملتزم بالقضية الفلسطينية، وأن انتصار العراق سيكون أمرًا خطرًا، ومنهم رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الذي صرَّح لصحيفة لوموند (Le Monde) الفرنسية، في 18 نوفمبر/ تشرين الثاني 1986، بأن "انتصار العراق سيكون كابوسًا" لهم[3]. وهذا الفريق هو الذي اقترح مسألة تجزئة العراق في فترة مبكرة في ثمانينات القرن العشرين بالتركيز على الفاعل الكردي، وكان يرى أن التقارب مع إيران مهم لتحقيق هذا الهدف. لكن مجموعة أخرى من الخبراء الصهاينة كانت ترفض صراحة هذا الرأي؛ فكون إيران عدوًّا للعراق لا يعني أنها صديقة إسرائيل، فهي عدو العراق وفي الوقت ذاته عدو إسرائيل، ورأت أنه

---

(1) سعيد منتظري، نقد الذات، مرجع سابق، ص 55-56.

(2) نقش اسرائيل در جنگ ايران وعراق (دور إسرائيل في الحرب الإيرانية العراقية)، وثائق حركة الحرية (نهضت آزادي)، قاعدة البيانات المجلد 17، 11 بهمن ماه 1365 ش المواقف، 31 يناير/كانون الثاني 1987.

(3) المرجع السابق.

ليس من الحكمة أن تساعد بشكل غير مباشر نظامًا عدوًّا؛ لأنه عدو العراق[1].

حاججــت هذه المجموعة بأن العراق غير موجود على حدود إســرائيل، لكن إيران بســبب هويتها الدينيــة والأيديولوجية أصبحت موجودة على حدود إسرائيل، وذلك في إشارة إلى حزب الله اللبناني ودعمها للمقاومة الفلسطينية. ورأى مسؤولون إسرائيليون أن "انتصار إيران في الحرب سيكون أخطر بدرجات كبيرة من انتصار العراق" [2].

والواضح أن التيار المعارض لإسرائيل وخاصة في داخل الحرس الثوري قــد قطــع الطريق على أية محــاولات لبناء علاقات مع إســرائيل كما أنه كان حريصًا على حماية الخطاب المعادي لإســرائيل. ويمكن النظر إلى نشأة حزب الله وتصاعد دوره في مواجهة الاحتلال الإســرائيلي، فضلاً عن استمرار الدعم الإيراني للقضية الفلسطينية، ورفض الاعتراف بإسرائيل، بوصفها عوامل أسهمت بصورة كبيرة في تغيير التوجه نحو إيران وبناء إستراتيجية عدائية إسرائيلية تجاه الجمهورية الإسلامية.

وتذهب دراســة لمؤسسة راند إلى أن العلاقات بين البلدين غالبًا ما كانت مبنية على أســاس المصالح الجيوسياســية المشتركة؛ مما أدى إلى سنوات من التعاون قبل ثورة 1979 الإيرانية وبعدها. وقد رأى آخر ملوك إيران، الشاه محمد رضا بهلوي، تحالف الأمر الواقع مع إسرائيل ثقلاً موازنًا لجيران إيران العرب[3]. وتؤكد الدراسة أن التعاون الإيراني الضمني مع إسرائيل استمر حتى بعد سقوط الشــاه. فقد رأى كل من النظام الإيراني وإســرائيل عراق صدام حسين على أنه أكبر عقبة أمام مصالح أمنهما القومي، وكانت إيران في حاجة ماسَّة إلى أسلحة حديثة وتشبثت إسرائيل بعقيدة الأطراف القديمة، التي ترى أن الدول غير العربية مثل إيران وتركيا يمكنها مواجهة أعداء إسرائيل[4].

---

(1) صحيفة لوموند، 18 نوفمبر/تشرين الثاني 1986، نقلاً عن قاعدة بيانات حركة الحرية.

(2) نيويورك تايمز، 22 نوفمبر/تشرين الثاني 1986، نقلاً عن قاعدة بيانات حركة الحرية.

(3) Dalia Dassa Kaye, Alireza Nader, Parisa Roshan, Israel and IranA Dangerous Rivalry, RAND National Defense Research Institute, 2011, px.

(4) Ibid.

ووفق الدراســة، فقــد اتبع بعض القادة الإيرانيين في فتــرة ما بعد الثورة سياسات أكثر براغماتية تجاه إسرائيل، وهذا ما كانت عليه الحال، بشكل خاص، في فترة رئاســة هاشــمي رفســنجاني (1989–1997) ومحمد خاتمي (1997–2005). لقــد كان الاثنــان يهدفان إلى إصلاح النظــام الاقتصادي والاجتماعي والسياســي في إيــران من خلال تضييق الفجوة بين إيــران والمجتمع الدولي؛ مما أدى إلى تلميحات بتخفيف التوتر مع إســرائيل. لكن هذه الجهود جوبهت بمقاومة شــخصيات أصولية داخل إيــران، خاصة في صفوف الحرس الثوري، واجهت دعوات التفاوض مع إســرائيل بشراســة. وفي المقابل، تجاهل القادة الإســرائيليون تلك الإيمــاءات من الإصلاحيين الإيرانييــن[1]. والواقع أنه من الصعب على أي رئيس إيراني مهما بلغ نفوذه أن يغير السياسة الخارجية الإيرانية تجاه فلسطين والعلاقة مع إسرائيل إلا إذا حدث تغيير جذري في شكل النظام، وذلك بفعل مجموعة من العوامل أهمها الأسس الفكرية والدستورية التي قامت عليها الدولة بعد انتصار الثورة وقيام الجمهورية الإسلامية التي أعلنت منذ البداية أن سياستها تقوم على أساس عدم شرعية إسرائيل وأنها كيان غاصب يجب أن يزول. فضلاً عن هذا، فإن صاحب القرار في هذه الملفات الأمنية التي يشرف عليها الحرس الثوري ويديرها بصورة مباشرة، هو مؤسسة القيادة العليا إذ يتراجع دور الرئاسة في حال الحاجة إلى كلمة فصل بشأنها.

وحتى أواخر التســعينات، لم تكن المؤسســة الأمنية الإســرائيلية ترى في إيران التحدي الأمني المهيمن، ولكن اليوم تشــير أصابع الإسرائيليين إلى إيران فــي كل تهديــد إقليمي. وتنبع تصورات إســرائيل للتهديد الإيراني، جزئيًّا، من تطــور القــدرات الصاروخية الإيرانية والتقدم النــووي، كما أن النفوذ الإقليمي الإيراني آخذ في الازدياد، وجاء الدعم الإيراني للمقاومة الفلســطينية ليعزز من إمكانياتها العســكرية ويرفع قدرتها علــى المواجهة؛ الأمر الذي يهدد المصالح الإســرائيلية الأساسية، وبات القلق يساور القادة الإسرائيليين من حصول إيران على السلاح النووي، لأن ذلك ســيزيد من نفوذها، مما يحد بشــدة من القدرة على المناورة العســكرية والسياســية الإسرائيلية والأميركية في المنطقة[2]؛ يقول

(1) Ibid.

(2) Ibid.

شـــيمون بيريز الرئيس الإسرائيلي الأسبق: "إيران تشكل الخطر الأكبر على أمن إسرائيل ووجودها"[1].

ســـعت سياســـة إســـرائيل الخارجية إلى عزل إيران بعد الثورة الإسلامية، وبالنظر إلى ارتفاع مستوى الصراع بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإسرائيل، فـــإن تهديدات إســـرائيل لإيران متنوعة تشـــمل المجالات السياســـية والأمنية، والاقتصادية والعسكرية والثقافية.

وتتركـــز جهود إيران فـــي مختلف المحافل الدولية علـــى إضعاف مكانة إســـرائيل الدولية، وأهم إســـتراتيجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في الشـــرق الأوســـط هي إضعاف الكيان الإســـرائيلي، ويعزز من هذه الإستراتيجية الطبيعة الثورية والمناهضة لإسرائيل لدى إيران، كما أن عدم وجود حدود مشتركة جعل إيران تتحرك بشكلٍ غير مباشر لمواجهة إسرائيل لا من خلال حزب الله اللبناني فحسب، ولكن أيضًا من داخل الأراضي الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة)؛ إذ تقـــوم إســـتراتيجية إيران على تقوية هذه المجموعات في مواجهة إســـرائيل والصراع معها. وضمن هذه الرؤية، أقامت إيران تحالفًا مع ســـوريا، يمكّنها من تقديم الدعم والمســـاعدة لحركات المقاومة في لبنان وفلسطين عبر سوريا، بل إن ســـوريا شكّلت حلقة الوصل بين إيران وجماعات المقاومة[2]. وبشكل عام، يمكـــن القول: إن أهم الإجراءات[3] التي اتخذتها إيران في العقود الماضية ضد إسرائيل هي:

- تكثيف الحرب الكلامية ضد إسرائيل.
- دعم ومســـاعدة الحركات الحكومية وغيـــر الحكومية في جميع أنحاء العالم ضد إسرائيل.

---

(1) President Peres: Iran ‘Greatest Danger’ for Israel, Haaretz, Nov 6, 2011,(accessed: N0v29,2022): https://bit.ly/3GUWN10

(2) أمير محمد حاجي يوســـفي، ايران و رژيم صهيونيســـتى از همكاري تا منازعه (إيران والنظام الصهيونـــي: مـــن التعاون إلى الصراع)، (تهران: تهران دانشـــگاه امام صادق، 1382ش)، ص 148.

(3) جواد شـــعرباف، "موازنۀ تهديد؛ جمهوري اسلامى و رژيم صهيونيســـتى" (موازنة التهديـــد: الجمهوريـــة الإسلامية والنظام الصهيوني)، فصلية "ديپلماســـى دفاعى"، العدد 4 ، 1391 ش، ص 60.

- تقوية القاعدة الدفاعية والهجومية للبلاد.
- مساعدة الدول المعادية لإسرائيل.
- حـــرب بالوكالـــة من خلال تعزيز قوة حزب اللـــه اللبناني ومجموعات أخرى.
- تعزيز العلاقة مع سوريا ودعمها باستمرار.
- تقوية شاملة لحركات المقاومة الفلسطينية.
- إفشال عملية السلام في الشرق الأوسط.

ومن الملاحظ أن مســتوى عداء إسرائيل لإيران قد تصاعد عقب هجمات الحادي عشـــر من ســـبتمبر/ أيلول 2001 وما أعقبها من تطـــورات كان أبرزها احتلال أفغانســـتان والعراق وإســـقاط نظام طالبان ونظام صدام حسين، وهو ما أفـــرز نتائـــج وتغيرات كان من أبرزها زيادة نقاط تفـــوق إيران في ميزان القوى الإقليمـــي. وخلال العقـــد الماضي تصاعدت حرب الظل بين طهران وتل أبيب واســـتهدفت إسرائيل إيران على مستويات عدة. تدرك إسرائيل أن العامل الأهم فـــي صراعها مع الجمهورية الإسلاميـــة هو الطبيعة الأيديولوجية للنظام الحاكم في إيران، لذا فإنها تســـعى بقوة إلى اســـتهداف هـــذا الجانب من خلال تدابير ثقافيـــة واجتماعيـــة، والتركيز علـــى بناء صورة مفادها أن إيران تشـــكل تهديدًا للسلام والأمن العالميين، فهي تدعم الإرهاب الدولي، وتهدد تدفق النفط وأمن الخليج، وتســـعى إلى امتلاك أســـلحة الدمار الشامل(1). وخلال العقد الماضي، اتبعت إســـرائيل سياســـة الدفع نحو تصعيد متعدد الأطراف ضد إيران وتطبيق إستراتيجية مرسومة أعدها قادة أمنيون وبدأ تنفيذها منذ سنوات، لبُّها الأساسي الإضعاف التدريجي متعدد الجوانب لإيران(2).

---

(1) مرتضى شـــمس، "تهديدهاي نظامى امنيتى اســـرائيل عليه جمهوري اسلامى ايران"(التهديد العسكري والأمني لإسرائيل ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، فصلية "مطالعات راهبردى"، العدد الثاني 1377 ش، ص 180.

(2) Ilan Goldenberg, Nicholas Heras, Kaleigh Thomas and Jennie Matuschak, Countering Iran in the Gray Zone, What the United States Should Learn from Israel’s Operations in Syria, CNAS, April 14, 2020 (accessed: December 10, 2023): https://bitly.ws/35dKd

الفصل الرابع: الجمهورية الإسلامية والمقاومة الفلسطينية

الإطار النظري للعلاقة

استندت مقاربات الباحثين الإيرانيين ودراساتهم لسياسة الجمهورية الإسلامية، إلى مواد الدستور، وحاولوا المزاوجة بين نظريات المثالية والواقعية. هذا ما لاحظه علي رضا رضائي في دراسته "تحليل السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية على ضوء نظريات العلاقات الدولية"[(1)].

واقترح حسين سيف زاده، خلاف النظرة المتفائلة للمثاليين والنظرة المتشائمة للواقعين، ضرورة اعتماد المقاربة المثالية ذات الرؤية الواقعية أساسًا لتحليل السياسة الخارجية الإيرانية. ويبدي الدكتور كاظم سجاد بور، من خلال المزاوجة بين قسمين؛ نظري وعملي، ميلاً واضحًا لتوظيف نظرية الواقعية الجديدة لتفسير السياسة الخارجية الإيرانية وفهمها، وهو ما بدا جليًّا خلال فترة الرئيس حسن روحاني. فيما يجمع أمير محمد حاجي يوسفي بين النظرية الواقعية والواقعية الجديدة ويرى أنها تمكن من إدراك أكبر للسياسة الخارجية الإيرانية. أما علي رضا أزغندي فيعتمد في دراسة السياسة الخارجية لإيران على النظرية البنائية، وينتقد استناد المقاربات السابقة إلى النظريات العقلانية والتجريبية التي لا تستطيع تحليل الظواهر الاجتماعية بصورة كاملة[(2)].

إلا أن اعتماد نظرية واحدة قد لا يسعف في فهم السياسة الخارجية الإيرانية تجاه حماس، كما أن نتائج دراسة الموضوع تختلف باختلاف النظرية المعتمدة. ومع ذلك، يمكن القول: إن الإطار النظري المناسب لشرح وتحليل العلاقة بين

---

(1) عليرضا رضايي، تحليل سياست خارجى جمهورى اسلامى ايران در پرتو ن/ريه هاى روابط بين الملل (تحليل السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية على ضوء نظريات العلاقات الدولية)، راهبرد، العدد 17 ربيع 88 ش، صص -260 288.

(2) عليرضا أزغندي، پوزيتيويسم شناخت مسلط بر سياست خارجي ج .ا .ا (الفلسفة الوضعية الإدراك المهيمن على السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية)، دورية "علوم سياسي"، السنة الأولى، العدد 1، صيف 1384ش، صص 148-120.

إيران وحركة حماس له مجموعة من السمات النظرية[1]:

- الحكومة جهة فاعلة يتم تحديد وتعريف هويتها ومصالحها في العملية السياسية على أساس المعايير الوطنية والعابرة للحدود.
- الاعتـــراف بـــدور وتأثير الهياكل الأيديولوجيـــة والاجتماعية في عملية صناعة السياسة الخارجية.
- لا يمكن النظر إلى مصالح الحكومات وتفضيلاتها الخارجية بمعزل عن التفاعل الاجتماعي والسياسي الداخلي.
- إمكانية تفسير ما ينتجه تفاعل السياسة الداخلية والخارجية، وكذلك دور الهياكل الاجتماعية والقيم والمعايير الوطنية والدولية في تشكيل الهوية الوطنية وتحديد المصالح وتحديدها.
- عقلانية السياسة الخارجية لا تقتصر على العقلانية الأداتية القائمة على تحليل التكلفة الصرفة؛ إذ توجد أنواع أخرى من العقلانية يجب الاهتمام بها.

يـــرى كل مـــن إبراهيم عباس وزينب تبريزي أن الســـمات الســـابقة توفر الإطار النظري المناســـب[2]. ويبدو أن البنائية، بسبب وجود جميع الافتراضات المذكورة أعلاه وتأكيد الهوية والقيم المشـــتركة، نظرية مناسبة لفهم العلاقة بين إيران وحركة حماس؛ فمنذ بداية الثورة الإسلامية الإيرانية شكلت قضية فلسطين جوهرًا في سياســـة إيران الخارجية، وطالما كان دعمها المقاومة ضد إســـرائيل لأســـباب أيديولوجية وإســـتراتيجية، جزءًا لا يتجزأ مـــن الهوية والنهج الدولي للجمهورية الإسلامية[3].

---

(1) سيد جلال دهقانى فيروزآبادي وفيروزه رادفر، الگوي صدور انقلاب در سياست خارجى(نموذج تصدير الثورة في السياسة الخارجية) ، مجلة "دانش سياسى"، السنة الخامسة، العدد الأول، ربيع وصيف 1388 ش، صص -123 150، ص 126.

(2) إبراهيم عباس وزينب تبريزي، بررســـى روابط ايران و جنبش حماس بعد از بيدارى اسلامى (بحث العلاقات بين إيران وحماس بعد الصحوة الإسلامية)، فصلية "پژوهش هاى سياســـى وبين المللى"، الدورة السادسة، العدد 24، خريف 1394ش، ص 33.

(3) إبراهيم عباس وزينب تبريزي، بررســـى روابط ايران و جنبش حماس بعد از بيداري اسلامى

يوضح ذلك وزير الخارجية الإيراني السابق ورئيس المجلس الإستراتيجي للعلاقات الخارجية، كمال خرازي، بالقول: من وجهة نظر الجمهورية الإسلامية فإن فلسطين أرض إسلامية محتلة، ومن واجب المسلمين أن يقفوا مدافعين عن المستضعفين وخاصة في فلسطين. ولأنها أول قبلة للمسلمين فهي أرض للمسلمين كافة، ولأن دستورنا ينص صراحة على الدفاع عن المظلومين، فقد وجدنا منذ بداية الثورة أن من وظائفنا الأساسية أن ندافع عن الفلسطينيين ونقدم الدعم لهم؛ ولذلك فعندما انتصرت الثورة سارعنا إلى إغلاق سفارة إسرائيل وتسليم المبنى للفلسطينيين حيث أصبح مبنى السفارة الفلسطينية وما زال إلى اليوم[1].

ورغم أن علاقة حماس مع إيران، من الناحية الفكرية ليست مثل العلاقة مع حزب الله اللبناني؛ فإن "موقف حماس من الكيان الصهيوني، والتزامها بقضية فلسطين، وموقعها في العالم الإسلامي.. كل ذلك جعلها متقاربة مع مواقف وأهداف ومصالح الجمهورية الإسلامية"[2]، ومن هنا، فإن إيران تكسب من دعمها السياسي، المعنوي والمادي، لحركة حماس، قوة تأثير ونفوذ في المعادلات السياسية في المنطقة.

تشارك حماس إيران في نظرتها إلى الكيان الصهيوني بوصفه كيانًا غاصبًا وغير قانوني وعنصريًّا وتوسعيًّا لا مجال للتفاوض معه، وتجب معارضة كل ما من شأنه أن يعزز ثبات وأمن هذا الكيان. لقد استطاعت حركة حماس أن تبني قوة كبيرة ومقتدرة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة وخارجها، وأن تقوم بدور كبير في الدفاع عن الشعب الفلسطيني.

كما أن قيام الحركة على أسس فكرية إسلامية، وانبثاقها من قلب الانتفاضة الفلسطينية، وانتهاجها خطًّا سياسيًّا يلتقي مع أصول الثورة الإسلامية الإيرانية،

(بحث العلاقات بين إيران وحركة حماس بعد الصحوة الإسلامية)، فصلية "پژوهش هاى سياسى و بين المللى"، الدورة 6، العدد24، خريف 1394، صص -32 70، ص 33.

(1) مقابلة للباحثة مع الدكتور كمال خرازي، الدوحة، 12 فبراير/ شباط 2019.

(2) مقابلة للباحثة مع الدبلوماسي والسياسي حسين شيخ الإسلام، طهران، 18ديسمبر/ كانون الأول 2018.

من حيث مركزية القضية الفلسطينية لمحور المقاومة؛ يوجب دعم إيران لها[1].

ويرتبط ذلك في جانب من جوانبه بخطاب تصدير الثورة، وتقديم النموذج المطالب بالعدالة؛ فالدفاع عن المسلمين والمستضعفين والمظلومين هو وجه من أوجه المطالبة بالعدالة في السياسة الخارجية الإيرانية، وهو ما جرى التعبير عنه بصورة عملية في دعم الحركات والأحزاب التي تنضوي تحت هذا العنوان العريض المتمثل بمجابهة الاستكبار والظلم[2].

ويرى وزير الخارجية الإيراني السابق، أمير حسين عبد اللهيان، أن علاقة إيران بالتيارات والفصائل الفلسطينية تتميز بأمرين أساسيين[3]:

- ضرورة تحرير القدس الشريف؛ أول القبلتين وثالث الحرمين المقدسين عند جميع المسلمين.
- المؤامرة الدولية المتمثلة في الهجوم على أراضي فلسطين؛ السد الدفاعي للمسلمين ضد أعداء الأمة الإسلامية.

"فتثبيت هذه الغدة السرطانية (إسرائيل) في فلسطين يشكل خطرًا كبيرًا على جميع المسلمين ويمثل تهديدًا للأراضي الإسلامية كافة.. وسيهدد بشكل جاد مكة المكرمة والمدينة المنورة"[4].

لذلك، فإن الشعب الفلسطيني يحمل على عاتقه في الواقع رسالة الدفاع عن الأمة الإسلامية وصموده التاريخي يعد أكبر خدمة للأمة الاسلامية جمعاء. ومن هنا ترى إيران أن "الدفاع عن مقاومة الشعب الفلسطيني ودعمها ضرورة وواجب الأمة الإسلامية والضمائر الإنسانية الواعية".

---

(1) من مقابلة الباحثة مع خرازي، والمقابلة مع شيخ الإسلام.

(2) -جلال فيروز أبادي دهقاني، "هويت ومنفعت درسياست خارجى جمهورى اسلامى ايران" (الهوية والمصلحة في سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية"، فصل في كتاب: "منافع ملي جمهوري إسلامي إيران" (المصالح الوطنية للجمهورية الإسلامية الإيرانية)، (تهران: پژوهشكده مطالعات راهبردى، 1388ش)، ص 171.

(3) مقابلة مكتوبة أجرتها الباحثة مع وزير الخارجية الإيراني السابق، أمير حسين عبد اللهيان، ووصلت أجوبتها في 2023.

(4) من المقابلة مع عبد اللهيان.

يواصل عبد اللهيان شـرح الموقف الإيراني بالقول: "سياسـة الجمهورية الإسلامية تكمن في الدفاع عن كافة التيارات الفلسـطينية التي تسـعى لمقارعة المحتلين الصهاينة، ودعمها بشكل مناسب، ومنها حركة حماس التي هي واحدة من تيارات المقاومة الفلسطينية الرئيسية"[1].

وإجمالاً؛ يمكن القول: إن السياسة الخارجية الإيرانية تجاه فلسطين امتازت بالثبات، رغم القاعدة التي تقول: إن السياسـة الخارجية لأي دولة، تقوم على النُظم والأساليب والقيم وطباع الفاعلين؛ وهو ما يجعل الثبات صفة مفارقة لها في أغلب الأحيان.

القضية الفلسطينية في السياسة الخارجية الإيرانية

إن فهـم علاقة إيـران الثورة بالقضية الفلسـطينية وبحركة حماس، خلال المراحل التي مرَّت بها السياسـة الخارجية الإيرانية، يقتضي النظر إلى مكانتها في هذه السياسـة وفي خطاب الحكومات المتعاقبة على الحكم منذ تأسـيس الجمهورية الإسلامية.

وهذا البحث يعمد أحيانًا إلى بيان عدد من الثوابت في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية عمومًا، والعلاقة مع حركة حماس بصورة كلية ضمـن الخطوط العريضـة، وفي أحيان أخرى يبحث سـلوك الحكومات التي تعاقبت على إيران منذ انتصار الثورة الإسلامية إلى اليوم، ويرصد أوجه الشـبه والاختلاف في موقفها من القضية الفلسطينية، وذلك بتحليل خطابها.

يقسِّم علي رضا رضائي السياسة الخارجية الإيرانية بعد الثورة الإيرانية، بعد تحليله خطاب الحكومات المتعاقبة، إلى مراحل عدة[2]، تبعًا للخطاب الذي ساد في كل مرحلة وهو ما نناقشه في الآتي:

---

(1) من المقابلة مع عبد اللهيان.

(2) عليرضا رضائي، تبيين دوره هاى سياست خارجى ج.ا.ا از منظر تئورى هاى روابط بين الملل (شرح دورات السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية من منظور نظريات العلاقات الدولية)، فصلية "راهبرد"،السنة 16، العدد 48 1387ش، صص 100-83.

1- **الواقعيــة المتمحورة حول الحفاظ على المكتسـبات (1979–1981):** وقـد بـدأت بانتصار الثورة الإسـلامية، والحكومة المؤقتة التي ترأَّسـها مهدي بازرجان. وفيها ركز المسـؤولون علـى حفظ الثورة ووحدة البلد. ويرى البعض أن السياسـة الخارجية في تلك الفترة تعد استمرارًا لما كان قبل الثورة، مع فروق جوهرية واضحة فيما يتعلق بالأصول الإسلامية التي وردت في خطاب آية الله الخميني وشـعار: "لا شرقية ولا غربية"[1]، كما أنها أحدثت تحولًا جذريًّا في العلاقة بالقضية الفلسطينية وإسرائيل.

ولعـل هاجس الحفـاظ على وحدة البلاد ومنع انهيار الدولة، وفي الوقت ذاتـه النظر إلـى الثورة على أنها منجز ينبغي الحفـاظ عليه، قد أوجد موقفين متضادين فيما يتعلق بالسياسة الخارجية لإيران:

يعتقـد الموقـف الأول أن حفظ وتثبيت النظام الإسلامي حديث النشـأة منـوط بحفظ وتوسـعة العلاقات مع الدول الغربيـة وخاصة الولايات المتحدة الأميركية. فيما يرى الموقف الثاني، الذي حملته قيادات الثورة وعلى رأسـهم الإمام الخميني، أن حفظ وتثبيت النظام الإسلامي الوليد منوط بالاستقلال عن أيـة قوة خارجيـة. وهذه الثورة ثورة إسلامية ولذلك فإنها ملزمة بوضع المنافع والمصالح الإسلامية على قائمة أولوياتها.

يقـول مهدي بازرجـان في كتابه "ثورة إيران فـي حركتين": لقد اتخذت الحكومـة المؤقتـة هدفًا هـو أن تخدم إيران مـن خلال الإسلام، في حين أن

---

(1) شعار "لا شرقية ولا غربية" هو شعار أطلقه آية الله الخميني وصار ملازمًا للخطاب السياسي الإيراني لفترة طويلة، وحاول كل تيار سياسـي أن يعطيه ملمحًا بما يتناسـب مع توجهه. من الناحية التاريخية يمكن الإشـارة إلى "سياسـة التوازن" التي دعا إليها ميرزا تقي خان "أمير كبير" عام 1847–1850 كرد فعل لوقف تدخل بريطانيا وروسـيا في شـؤون إيران، كما يعيد إلى الأذهان سياسـة مصدق المناهضة لتدخل الإنكليز في شـؤون إيران في خمسينات القرن العشـرين، ومع انتصار الثورة الإسلامية ورغم وجود تفسـيرات متعددة بين الفاعلين سياسـيًّا على الساحة الإيرانية فإنها شكَّلت شعارًا أساسيًّا في السياسة الخارجية الإيرانية. انظر:

سـيد حسـن ميرفخرائـي، سياست خارجى دولت موقت: از عدم تعهد تا اصل نه شرقى، نه غربى(السياسة الخارجية للحكومة المؤقتة: من عدم الالتزام إلى أساس "لا شرقية، لا غربية"، فصلية " راهبردي سياست"، السنة الثانية، العدد 8 ، ربيع 1393 ش، ص66.

السيد الخميني ولأجل رسالته ورسالة الثورة، قد اختار خدمة الإسلام عن طريق إيران"؛ اعتقادًا منه أن "الشعب الإيراني يريد الإسلام وبذل دمه خدمة له"[1].

وقد وصل التعارض بين الموقفين أوجه باستيلاء طلبة من خط الإمام الخميني على السفارة الأميركية في طهران، وهي الحادثة التي حسمت الخلاف لصالح الفريق المعادي للولايات المتحدة الأميركية.

أما ملامح السياسة الخارجية الإيرانية في هذه الفترة القصيرة فقد اتسمت بالتحذير من المجموعات القائلة بتصدير الثورة والقبول بالنظام الدولي الجديد، الذي كانت تدعو إليه الولايات المتحدة، وترجيح المصالح الوطنية على المصالح الإسلامية[2].

2- **المثالية المتمحورة حول التوسع (1981-1991)**: وهي رد فعل على الخطاب الواقعي المتمركز حول الحفاظ على المكتسبات، وقد تحولت مع مطلع الثمانينات من القرن العشرين إلى الخطاب الغالب في إيران، فتأكد نهج الدبلوماسية المستقلة عن "قوى الاستكبار" ورفض النظام الدولي، والسعي إلى بناء "نظام دولي عادل". ورافق ذلك تأكيد الوجه الأخلاقي للدولة ووظائفها، إلى جانب الاهتمام بموضوع "تصدير الثورة"، وهو ما كان سببًا في إعطاء السياسة الخارجية في تلك الفترة مظهرًا أيديولوجيًّا رساليًّا[3].

أكد هذا الخطاب على نشر وتوسعة الأيديولوجيا التحررية الإسلامية، وتصدير الثورة للدول التي تعاني الاستبداد والظلم، ونشر الأفكار والرسائل والشعارات الثورية، واستبدال الحدود الأيديولوجية بالحدود الجغرافية. ومن هنا، جاء السعي إلى التوظيف السياسي للمناسبات الدينية، وخاصة الحج. ثم جاءت الحرب مع العراق لترسخ هذا الخطاب.

---

(1) مهدى بازرگان، انقلاب ايران در دو حركت، تهران (ثورة إيران في حركتين)، (نهضت آزادى ايران، تهران) ط5، 1363، ص 111.

(2) المصدر السابق.

(3) رضائي، مرجع سابق، ص 270.

كان عنـــوان تلـــك المرحلة هـــو التواصل مع الشـــعوب والأمم، بدلاً من التواصل مع الحكومات، ونســـج علاقات مع حـــركات التحرر لتصدير الثورة. ووفقًا للإمام الخميني، كان "المقصد هو إحياء الإسلام وأحكام الإسلام العالمية واتباعها، وأن يعيش الجميع برفاه وأن يعيشوا أحرارًا ومستقلين".[1]

وبسط آية الله الخميني رؤيته لماهية تصدير الثورة بالقول: "نريد أن نصدِّر ثورتنـــا الإسلاميـــة إلى جميع الممالك الإسلامية، وإذا جرى تصدير هذه الثورة فإنها ستحل المشاكل في أي مكان تصله"[2].

ظهـــر "تصديـــر الثورة" بغية إيجاد مجال أمنـــي كان يعد واحدًا من أصول السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية في تلك الفترة، وجاء انعكاسًا للديناميات داخل السياســـة الداخلية. لقد وضعت إيران بعد احتلال الســـفارة الأميركية في طهران، مشروعية النظام الدولي موضع شك وذلك عن طريق سياسة "لا شرقية ولا غربية" وتصدير الثورة. ويعتقد رضائي أن مفهوم "تصدير الثورة" جاء نتيجة اجتماع الثقافة السياسية الإسلامية والفلسفة السياسة عند الإمام الخميني.[3]

وقد استهدف تصدير الثورة أربع مناطق جغرافية هي:

- الخليج.
- لبنان وفلسطين.
- آسيا الوسطى والقوقاز.
- أفغانستان.

اتســـم خطاب المثالية المتمحورة حول التوسع بمجموعات من السمات، أهمها:

- رفض الحدود الجغرافية، ورسم الحدود الأيديولوجية؛
- بناء الاتصالات مع الأمم لأجل الدفاع عن حالات التحرر، عوضا عن الاتصال بالحكومات والدول؛

---

(1) صدور انقلاب از ديدگاه امام (تصدير الثورة من وجهة نظر الإمام)، (تهران: موسســـه نشـــر وتنظيم آثار امام) 1378 ش، ص 31.

(2) المصدر السابق، ص 57.

(3) رضائي، مرجع سبق ذكره.

- تصدير الثورة والدفاع عن مستضعفي العالم؛
- إدراك مختلف للمصالح الوطنية وترجيح المنافع والمصالح الإسلامية عليها.

بدأ خطاب "تصدير الثورة" يلقى معارضة داخلية، فقد بدأ عدد من الساسة يدعون شيئا فشيئا إلى "خطاب التنمية"، وكانوا يعتقدون أن تصدير الثورة الإسلامية إلى نقاط مختلفة من العالم يكون بالتنمية والتقدم المتواصل، وتقديم إيران على الصعيد الدولي دولة صناعية متقدمة. وقد تضافرت عوامل عدة جعلت هذا الخطاب يهيمن على السياسة الخارجية الإيرانية، ويقصي خطاب المثالية المتمحورة حول التوسع.

3- **التنمية المتمحورة حول الاقتصاد (1991-1998)**: شهدت هذه الفترة متغيرات عدة، من أهمها نهاية الحرب مع العراق وقبول إيران القرار 598 القاضي بوقف إطلاق النار. وعلى الصعيد الداخلي، تعديل الدستور وانتخاب هاشمي رفسنجاني رئيسًا للجمهورية. كما أن دمار الحرب والحصار الاقتصادي وانهيار الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة... كل ذلك جعل التنمية المتمحورة حول الاقتصاد السمة الغالبة على الخطاب السياسي الإيراني[1].

قفزت في هذه الفترة التنمية الاقتصادية إلى رأس قائمة أولويات حكومة رفسنجاني، وهو ما اقتضى السعي إلى تطبيع العلاقات مع الدول الأخرى لجذب الاستثمارات الخارجية، وتوظيف جزء من عائداتها لبناء ما دمرته الحرب.

سعى رفسنجاني بعد حرب الخليج الأولى إلى تهيئة الظروف المناسبة لتطبيع العلاقات مع الفاعلين الإقليميين والدوليين. واجه ذلك السعي إشكاليات في السياسة الخارجية الإيرانية عبَّر عنها رفسنجاني، بقوله: "توجد حالات يناقض فيها أداء واجباتنا الإسلامية أو الوفاء بالتزامنا الدستورية، مصالحنا الوطنية..."[2].

---

(1) علي رضا ازغندي، تنش زدايي در سياست خارجي: مورد جمهوري إسلامي إيران (78-1367)، فصلية "سياست خارجي"، 1378 ش، العدد 52، ص 1043.

(2) مصاحبه آيت ا... هاشمى رفسنجانى در خصوص سياست خارجى ايران مصاحبه كنندگان : كارشناسان مجله راهبرد (مقابلة آية الله هاشمي رفسنجاني فيما يتعلق بالسياسة الخارجية

يرتبط ذلك بما يطلق عليه رفسنجاني نفسه "الواقعيات الدولية التي تعني أننا لا نملك دائمًا حق الاختيار.. ثوابتنا محترمة ولكن من الممكن أن تكون يدنا مقيدة في بعض الحالات، ونكون مضطرين أن نغض الطرف عن بعض الثوابت"[(1)].

قدم رفسنجاني تصورًا مختلفًا لتصدير الثورة، دون بُعد أيديولوجي، فركز على الأنموذج الاقتصادي، "تصدير الثورة عن طريق التنمية وتقدم إيران"، وكان السعي إلى تطبيع العلاقات أولوية لحكومة رفسنجاني الذي كان نشطًا على هذا الصعيد إذ قام بثلاث وثلاثين رحلة خارجية.

وذهب وزير الخارجية الإيراني الأسبق، على أكبر ولايتي، في تفسيره لشعار: "لا شرقية ولا غربية" إلى أنه "رفْض فرض الوصاية الخارجية وليس قطع خيوط العلاقات مع الدول الأخرى. إن إنكار العلاقات السياسية مع الدول الأخرى اليوم هو إنكار لهويتها الثقافية"[(2)].

مع انتهاج السياسة الخارجية المتمحورة حول الاقتصاد بهتت إلى حدٍّ ما سياسة "تصدير الثورة"، ورافق ذلك "محاولات إعادة إدماج إيران في النظام الاقتصادي العالمي وقبول اشتراطات صندوق النقد الدولي"[(3)].

وكان من أبرز ملامح هذه الفترة جعل العلاقات مع مختلف الدول من مقتضيات الاقتصاد الداخلي وإعادة البناء. والاستعاضة عن إدراك السياسة العالمية أيديولوجيًّا بإدراكها جيوسياسيًّا؛ والتوجه لإخراج إيران من العزلة التي نتجت عن الحرب مع العراق؛ وتأكيد تصدير الثورة عن طريق التقدم والتنمية الاقتصادية لتكون الثورة أنموذجًا يمكن تصديره للمحرومين.

وكان التمحور حول الاقتصاد مدخلاً لخلاف سياسي بين هاشمي

لإيران، مجرو المقابلة: متخصصون في مجلة "راهبرد"، الموقع الرسمي لآية الله رفسنجاني، 12 بهمن 1381 ش (تاريخ الدخول: 29 سبتمبر/أيلول 2020)، https://bit.ly/3iavgbO

(1) رمضاني، مرجع سابق.

(2) رمضاني، 1386 ش، مرجع سابق، ص 70.

(3) محمد رضا دهشيري، چرخه آرمان گرايي و واقع گرايي در سياست خارجي جمهوري اسلامي ايران (دورة المثالية والواقعية في السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية)، دورية "سياست خارجي" الدورة 15، العدد 2 ، 1380 ش، صص369-397، ص 383.

رفسنجاني ومعارضته، ومن رحم تلك المعارضة ظهر خطاب التنمية المتمحور حول السياسة، والذي مهَّد لمجيء خاتمي والإصلاحيين.

4- **التنمية المتمحورة حول** السياسة (1998- 2005): ساد هذا الخطاب خلال فترة رئاسة محمد خاتمي، وكانت السياسة الخارجية لتلك الفترة استمرارًا لسياسة التنمية خلال فترة هاشمي رفسنجاني، ولكن مع فروق في المكونات السياسية والثقافية، مع جعل الأولوية للتنمية السياسية. في هذه الفترة حدث تغير ملحوظ في مفردات الخطاب والسلوك نحو الخارج، وجرى الحديث عن سياسة التحول الاقتصادي، وحلت التنمية السياسية محل التنمية الاقتصادية. وفي العلاقات الخارجية جرى القبول بالتعددية داخل النظام الدولي ورفض الأحادية القطبية والدعوة إلى حوار الحضارات؛ وهو ما أصبح محورًا أصليًّا في سياسة إيران الخارجية[1].

احتلت سياسة الحد من التوتر مكانة متقدمة في السياسة الخارجية الإيرانية، إضافة إلى الدعوة إلى نبذ العنف واعتماد الطرق السلمية لفض النزاعات من خلال المحادثات الثنائية والمتعددة، مع تأكيد أن الخلاف الأيديولوجي والتوجهات السياسية لا ينبغي أن تؤثر في العلاقات بين الدول.

وفُسِّر "رفض التوتر" بأن إيران في سياستها الخارجية بصدد حل سوء التفاهم المتراكم والسعي إلى إنهاء التوتر على الصعيد الدولي، والاهتمام بمجريات الواقع الدولي لضمان أمنها.

ويرى روح الله رمضاني أن السياسة الخارجية الإيرانية في تلك الفترة استندت إلى ثلاثة أركان مهمة، هي: إبطال الاحتواء، والردع، ونزع التوتر (الانفراج). وانتهج خاتمي سياسة نزع التوتر لإنهاء التعارض بين إيران ودول المنطقة الجارة بأسلوب مبتكر تمثل في دعوته إلى "حوار الحضارات" الذي اقترحه في الأمم المتحدة[2]، وجاء في إطار القبول بالنظام الدولي والسعي لتكون إيران مساهمًا في هذا النظام. وجرى الرهان على أن يسهم حوار الحضارات في بناء أنموذج جديد للعلاقة مع الخارج.

---

(1) - رضائي، مرجع سابق، ص 276.

(2) r. k. Ramazani, Independence without Freedom iran’s foreign policy, university of virginia press, First published 2013, p. 173.

وقد فرضت النظرة السياسـية الواقعية إيجاد نوع من التطابق بين المحيط الفكـري الإدراكـي والمحيط العملياتي في السياسـية الخارجيـة، وأتاح تطور المجتمع المدني الفرصة لتقوية دور مؤسسـة الرئاسـة الإيرانية في عملية صنع القرار ورسم السياسة الخارجية، بشكل جعل خاتمي من موقع رئاسة الجمهورية يدين بشدة تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول ويعلن تعاطفه مع الضحايا وعوائلهم[1].

لـم يغـب عن خطاب خاتمي، نقـد البعد الهجومي الغربـي على الهوية الإسلامية، وضرورة مواجهته، لكنه في الوقت ذاته بدا معنيًّا بـ"المنتج الإيجابي للحداثـة الغربية"، وضرورة الحوار والتبادل الثقافي. وقد تعرض خاتمي لنقد[2] كثير وهجوم[3] بسـبب موقفه من الحداثـة الغربية؛ فقد جعل من معرفة الغرب وضرورة العبور من متنه الشرط الأساسي لأي تحول مثمر: "اليوم يمكن القول بجرأة: إن حياة شعب مصمِّم على الرفعة والحيوية، لن يكون بمقدورها إحداث التحول بدون العبور من متن التمدن الغربي. إن شـرط التحول الأساسـي هو المعرفة بالغرب ولمس روح تلك الحضارة، أي الحداثة. أولئك الذين ليسـوا على دراية بهذه الروح لن يكون بمقدورهم خلق تحول مثمر في حياتهم"[4].

---

(1) - متن كامل پيام رييس جمهورى ايران خطاب به ملت امريكا (النص الكامل لرسـالة رئيس جمهورية إيران إلى الشعب الأميركي)، وكالة إيرنا، 20 شهريور 1380 ش با 11 سبتمبر/أيلول 2001 (تاريخ الدخول: 21 مارس/آذار 2024)، https://bitly.ws/3gucN

(2) "نظـر محمد خاتمـى درباره تمدن غرب"("نظـرة محمد خاتمي حول التمـدن الغربي")، فـارس نيوز، 28 اسـفند، 1391(تاريخ الدخول: 13 سـبتمبر/أيلول 2023)، https://2u.pw/QVXXFOd

(3) من أبرز الكتب التي هاجمت خاتمي على هذا الصعيد، انظر:

ياسـر جبرائيلى، "سـوداى سكولاريسم (رمزگشايى از زندگى وكارنامه سيد محمد خاتمى)" (ربح العلمانية: تفكيك رموز حياة السيد محمد خاتمي وعمله)، (تهران: خبرگزارى فارس،1391)، ط 1.

(4) من خطاب لخاتمي في مايو/أيار 1996 ونشرته صحيفة سلام، 30 ارديبهشت 1375، ص 1.

غزو العراق ورسالة حكومة خاتمي للأميركيين

في أبريل/ نيسان 2003، وبينما كانت الدبابات الأميركية تذرع شوارع بغداد، كان القلق يتزايد في طهران من احتمال أن يأتي الدور على إيران بعد العراق. وبين الإثبات والنفي تحدثت تسريبات عن أنه بعد شهر على احتلال بغداد، بعثت إيران برسالة إلى الحكومة الأميركية عبر سويسرا، في خطوة غير مسبوقة، أعلنت فيها استعدادها لحل كافة الخلافات. وفي تلك الرسالة لم تتحدث إيران عن التخلي عن الدعم للجماعات الفلسطينية فحسب، بل اقترحت أيضًا نزع سلاح حزب الله والكشف عن جميع أنشطتها النووية. وفي المقابل، طلبت من أميركا وقف سلوكها العدائي تجاه الجمهورية الإسلامية وإصدار بيان يقول: إن إيران ليست جزءًا من "محور الشر"[1].

وفقًا لمحمد حسين عادلي، الذي كان نائبًا لوزير الخارجية الإيراني آنذاك: "لقد أُرسلت تلك الرسالة إلى الأميركيين لإظهار أننا مستعدون للتحدث وحل المشاكل. وكان ذلك تماشيًا مع سياسات محمد خاتمي الذي أراد تجربة كل الطرق السلمية". وقال لورنس ويلكرسون (Lawrence Wilkerson) كبير موظفي وزير الخارجية الأميركي آنذاك، كولن باول: "كل ما رأيته هو تقرير يفيد بتلقي مثل هذه الرسالة، وردٌّ أُرسل إلى إيران عبر السلطات السويسرية". ورغم أن المسؤولين الحكوميين، ومن بينهم عبد الله رمضان زاده، المتحدث باسم الحكومة الإيرانية آنذاك، نَفَوا وجود تلك الرسالة، فإن "دينيس روس" (Dennis Ross)، كبير مستشاري جورج بوش الأب والابن، قال في مقالة، نُشرت في مجلة نيوزويك: إن صادق خرازي، نائب وزير الخارجية، في حكومة خاتمي هو كاتب الرسالة[2]. وبعد نشر المقال والكشف عن اسم كاتب الرسالة،

(1) هاجمت صحيفة كيهان حكومة خاتمي مرجحة وجود مثل هذه الرسالة، انظر: نقش شبه روشنفكران در تاريخ معاصر ايران نامة محرمانه دولت خاتمى به رئيس‌جمهورآمريكا! (دور المثقفين الزائفين في تاريخ إيران المعاصر: رسالة سرية من حكومة خاتمي إلى الرئيس الأميركي!)، صحيفة كيهان، 9 دي 1399 ش (تاريخ الدخول: 29 أغسطس/آب 2023)، https://2u.pw/rXuY8SM

(2) Dennis Ross: How to Stop Iran From Getting Nukes,NewsWeek, 11/28/08 (accessed: August 29, 2023): https://2u.pw/Aa545Th

اعترف صادق خرازي بوجود تلك الرسـالة في جلسـة حول السياسة الخارجية الإيرانية في مؤسسـة باران التابعة لخاتمي، وقال: "في 2003، كان يوجد جدار عالٍ من عدم الثقة بين إيران والولايات المتحدة، وكان من الممكن في أي لحظة أن تهاجمنا الولايات المتحدة. ولهذا السبب، بناءً على اقتراحي، كتبت الحكومة رسالة إلى الولايات المتحدة الأميركية وأعلنت دعمها لبعض سياساتها في دول الشـرق الأوسـط، مثل عملية السلام في فلسـطين وضرورة تحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي وكشف الأنشطة النووية[1]، ولكن الحكومة الأميركية لم تُجب على الرسالة وتجاهلتها بالكامل"[2].

ووفقًا لعلي باقري، كبير مفاوضي الملف النووي، والذي كان يشغل منصب أمين مجلس حقوق الإنسـان التابع للقضاء الإيراني عندما أدلى بتصريح بشـأن هذه القضية، فإن الرسالة كُتبت بعد أقل من شهرين من غزو الولايات المتحدة الأميركية العراق. وانتقد باقري، في مقابلة بثها تليفزيون أفق يومي 3 و4 مايو/أيـار 2020، قرار ألمانيا حظر حزب الله اللبناني، وانتقد محمد خاتمي وإدارته على تقديم اقتراح إلى البيت الأبيض، في 2003، بشأن المخاوف الأميركية في الشـرق الأوسـط. وقال باقري: إن من المقترحات الواردة في الرسـالة عرض خاتمـي إجبار حزب الله اللبناني على إنهاء موقفه المناهض للولايات المتحدة ومقاومته إسرائيل والتحول إلى حزب سياسي. وبعد تصريحات باقري نفى رئيس المجلس الإسـتراتيجي للعلاقات الخارجية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كمال خرازي، في بيان له وجود الرسالة أو أي عرض لإجبار حزب الله اللبناني على إلقاء سلاحه. وقال خرازي في بيان نشرته وكالة الأنباء الرسمية للجمهورية الإسلامية، إيرنا: إن هذا الادعاء "لا أساس له من الصحة" وإن تصريحات علي

(1) ياسـر جبرائيلى، سـوداى سكولاريسـم، تهران: انتشـارات خبرگزارى فارس، 1390، ص 276.

(2) واكنش صادق خرازى به نامه جنجالي 2003 (رد فعل صادق خرازي على رسالة 2003 المثيرة للجدل)، عصر إيران، 1/ 12/ 1385 ش (تاريخ الدخول: 29 أغسطس/آب 2023)، https://2u.pw/AT0qn8Z

باقري لا ينبغي أن تستند إلى "شائعات وادعاءات أجنبية"[(1)]. وكان المنتظر من شـخص مثل باقري، وهو من عائلة عُرف عنها التقوى، ألا يتهم حكومة كانت مساعداتها لحزب الله، موضع تقدير دائم من زعيم المقاومة السيد حسن نصر الله[(2)].

أعطت سياسـة خاتمي رسـائل بعضها مبطن وبعضها واضح بأن السياسة الإيرانية باتت تتعايش مع التسـوية السلمية؛ إذ "لا حاجة لإيران لعرقلة مساعي السلام فإسرائيل تتكفل بهذا والسلام ممكن لو تم الاعتراف بحقوق الفلسطينيين وسـيادتهم على أرضهم، وإيران تريد سلامًا عادلاً وشـاملاً.. وسـتحترم الحل النهائي الذي يقبل به الفلسـطينيون إذا حقق مصالحهم حتى لو لم يكن متوافقًا مع موقفها فهي لا تريد فرض آرائها على الغير"[(3)].

وفي مؤتمر القمة الإسلامية الذي عُقد لأول مرة في طهران، في ديسمبر/كانون الأول 1997، أكدت الفقرة الـ28 من البيان الختامي "دعم المؤتمر الكامل لعملية السلام في الشـرق الأوسـط وتمسكه بأسـس ومرجعية عملية السلام.. وطالب إسرائيل بتنفيذ التزاماتها والاتفاقات التي تم التوصل إليها بموجب هذه العملية ووفق الأسس التي انطلق على أساسها مؤتمر مدريد"[(4)].

وقد أثار البيان الكثير من النقد في إيران، واتُّهمت حكومة خاتمي بالسعي إلى الاعتراف بإسـرائيل. يعلق ياسـر جبرائيلي مهاجمًا خاتمي، وهو كاتب ذو توجه أصولي مقرب من الحرس: لقد كان موقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية،

---

(1) كمال خرازى اظهارات على باقرى را تكذيب كرد،(كمال خرازي يكذِّب تصريحات باقري)، وكالـة ايرنـا 6 خـرداد 1399، (تاريخ الدخـول: 29 أغسـطس/آب 2023)، https://2u.pw/WhWHzQB

(2) المصدر السابق.

(3) صحيفة الشرق الأوسط، العدد 8443، 9 يناير/كانون الثاني 2002، ص 10.

(4) البيان الختامي الدورة الثامنة لمؤتمر القمة الإسلامي (دورة عزة وحوار ومشـاركة)، طهران- الجمهوريـة الإسلاميـة الإيرانية 9-11 شـعبان 1418هـ 9-11 ديسـمبر/كانون الأول 1997، منظمة التعاون الإسلامي، (تاريخ الدخول: 1 أبريل/نيسـان 2024)، https://www.oic-oci.org/confdetail/?cID=9&lan=ar

منذ بداية الثورة وحتى اليوم، هو عدم الاعتراف بهذا الكيان الغاصب وضرورة الانسـحاب الكامـل مـن الأرض الفلسـطينية. وفي مرحلة مـا، تقرر حكومة الإصلاحييـن الاعتراف بالحكومتين، الإسـرائيلية والفلسـطينية، لتقوم بدورها فـي عمليـة السلام التي يريدها الغرب، ولكن هذا التوجه "تم إيقافه بيقظة قائد الثورة"[1].

وكان لعدد من الأحداث تأثيرها في إيران، وَوُظِّفت آثارها داخليًّا للضغط على خاتمي خاصة من أطراف لم تكن راضية عن سياسته الداخلية؛ فبعد احتلال أفغانستان والعراق وسياسة إدارة بوش العدائية تجاه إيران كانت تلك الأطراف تنادي ببطلان حوار الحضارات والتفاهمات مع الأعداء. وعادوا مجددًا لتعريف الأصـول الأولـى للثورة، ورأوا أن التخلي عنها غيـر ممكن؛ الأمر الذي مهَّد لخطاب المثالية الأصولية الذي جاء بعد فترة خاتمي.

5- **المثاليـة الأصولية (2005–2013)**: كانت غلبة خطاب المثالية الأصولية على السياسة الخارجية الإيرانية متأثرة بعدد من العوامل الداخلية والدولية؛ فقـد دفعت القضية النوويـة، وزيادة الضغط الدولي على إيران، وعمليات التفتيش المتعددة التي قام بها مفتشو الوكالة الدولية للطاقة الذرية، حكومةَ محمـود أحمدي نجاد إلى انتهاج سياسـة مغايرة، تنتقـد ممالأة حكومة خاتمي للغرب، وتصر على التمسـك بـ"الحقوق النووية". وهكذا علقت إيران التعاون الطوعي في المجال النووي مع المؤسسات الدولية، فأصدر مجلس الأمن الدولي قرارات تفرض عقوبات دولية على إيران.

كان الموقف الداعم للقضية الفلسـطينية وكذلك الموقف من "إسـرائيل" شديد الوضوح في سياسة أحمدي نجاد[2] خاصة في فترته الرئاسية الأولى؛ فقد أكد شـعار "محو إسرائيل" من خارطة العالم في مؤتمر عن الهولوكوست عُقد

---

(1) جبرائيلي، مرجع سابق، 257.

(2) حميد مولانا و منوچهر محمدي،سياست خارجى جمهوري اسلامى ايران در دورة دولت احمدي نژاد(السياسة الخارجية الإيرانية في حكومة أحمدي نجاد)، (تهران: دادگستر،1387)، ص158.

في طهران عام 2006، بمشاركة شخصيات من بلدان مختلفة[1]، وقدم ذلك على أنه يأتي انسجامًا مع شعارات الثورة الأولى، التي تقوم على الضدية للولايات المتحدة وإسرائيل. ودعا أحمدي نجاد غير مرة، في الأمم المتحدة ومؤتمرات دولية، إلى ضرورة إزالة إسرائيل من الوجود.

تصف حركة حماس الفترة من 2005-2013 بأنها كانت الفترة الذهبية في العلاقة بين حماس وإيران. فقد تلقت الحركة دعمًا كبيرًا ومهمًّا، سياسيًّا وماليًّا وعسكريًّا، ويرجع ذلك في واحد من أسبابه إلى عمق العلاقة بين قاسم سليماني وأحمدي نجاد الذي كان مقتنعًا بأهمية العلاقة مع حماس كما كان لديه وفرة مالية بسبب مبيعات إيران من النفط التي وصلت إلى أرقام كبيرة[2].

لقد قامت سياسة أحمدي نجاد على دعم معلن وغير مسبوق لحركة حماس وحزب الله اللبناني، واحتل ذلك مكانة واضحة في خطابه السياسي وأحاديثه الرسمية، ودافعت حكومته عن بناء علاقات مع دول الشرق المقتدرة[3]. وكان من نتائج تلك السياسة تشديد العقوبات على إيران.

6- **أولوية التنمية: روحاني وإعادة إنتاج خطاب رفسنجاني:** بعد فوز الإصلاحيين الساحق، 1997، وما أعقبه من سعى إلى تغيير شامل وعميق في بنية المجتمع الإيراني؛ سارع عدد من التكنوقراط إلى التقرب من العلمانيين المطالبين بإجراء مراجعات سياسية، كما أنشأ عدد من الساسة المعتدلين، الذي يميلون أكثر نحو اليمين، حزب (الاعتدال والتنمية). ولم تكن هاتان المفردتان (الاعتدال والتنمية) ببعيدتين عن الإرث الذي خلَّفته فترة البناء التي قادها الراحل، هاشمي رفسنجاني[4].

---

(1) عليرضا سلطان شاهى، فروباشى اسطورة هولوكاست سيرى در آراء و انديشه‌هاى دكتر محمود احمدى نژاد رئيس جمهورى اسلامى ايران پيرامون فلسطين و رژيم اشغالگر قدس (سقوط أسطورة الهولوكوست: مرور على أفكار الدكتور محمود أحمدي نجاد حول فلسطين والكيان المحتل للقدس)، (تهران:نشر جمهور، 1388)، ط1، ص21.

(2) مقابلة للباحثة مع الدكتور موسى أبو مرزوق، الدوحة، 23 يناير/كانون الثاني 2020.

(3) ثقفي عامري، 1385، ص 49.

(4) فاطمة الصمادي، التيارات السياسية في إيران، المركز العربي (بيروت، 2019)، ط 2، ص 383.

لقد تداعى سياسيون، محامون وسفراء ووزراء سابقون، للاجتماع والتشاور، وخلصوا إلى نتيجة تقول بضرورة تقوية مسار سياسي يقوم على الاعتدال[1]. وما أن تولى روحاني منصب نائب رئيس مركز الدراسات الإستراتيجية التابع للرئاسة الإيرانية، حتى شكَّل حلقة تنظير تعقد جلسات عن التنمية ومتطلباتها. ومن الأسماء التي كانت تشارك في تلك الجلسات[2]: محمد باقر نوبخت[3] وعلي ربيعي[4] ومحمد حسين ملايري[5]، ومحمود سريع القلم[6]، ومحمد نهاونديان[7].

---

(1) تاريخچه حزب (تاريخ الحزب)، الموقع الرسمي لحزب الاعتدال والتنمية، بدون تاريخ، (تاريخ الدخول: 14 أكتوبر/تشرين الأول 2017)،

http://www.hezbet.ir/vsdfs6di3prwkbwis.7gsai.html

(2) رضا سراج محمد جوان اخوان، مرجع سابق ص 27.

(3) نائب في مجلس الشورى لأكثر من دورة، الأمين العام لحزب الاعتدال والتنمية، ارتبط اسمه بروحاني منذ أن كان نائبًا، وعمل مساعدًا لروحاني في مركز الأبحاث الإستراتيجية، ورأس مؤسسة الإدارة والتخطيط في حكومة روحاني الأولى.

(4) علي ربيعي، من المديرين السابقين لوزارة الاستخبارات، وعمل مع روحاني في الأمانة العامة لمجلس الأمن القومي، وشغل منصب وزير التعاون، ووزير العمل والرفاه الاجتماعي في حكومة روحاني الأولى.

(5) محمد حسين ملايري: عمل مساعدًا لوزير الصناعة، ومن مؤسسي مركز الأبحاث التابع لمجلس الشورى، وعمل في مركز الدراسات التابع لمجمع تشخيص مصلحة النظام، ويصنف بأنه كان مساعدًا خاصًّا لروحاني في مركز الدراسات، وأسهم معه في تأليف عدد من الكتب.

(6) محمود سريع القلم، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة شهيد بهشتي في طهران، وهو خريج جامعة جنوب كاليفورنيا، ويتركز إنتاجه العلمي في موضوع التنمية السياسية والعلاقات الدولية، ومنذ مطلع عقد الألفية الثانية ارتبط اسمه بحلقة نياوران، وشغل منصب مستشار روحاني للشؤون الدولية.

(7) محمد نهاونديان، خريج جامعة جورج واشنطن، وعمل مساعدًا اقتصاديًّا في الأمانة العامة لمجلس الأمن القومي، ورأس غرفة التجارة والصناعة والمعادن، كما شغل منصب رئيس مكتب رئاسة الجمهورية.

وقد جُمعت الأطروحات التي ناقشتها الحلقة ما بين 2002 و2005 في كتاب موسوم بـ"الأمن القومي والنظام الاقتصادي الإيراني"[1]، وهي تقدم خريطة للتنمية الاقتصادية ومتطلباتها[2].

شكَّل "الاعتدال" نواة الطرح الفكري لتيار الاعتدال، وكان ذلك واضحًا وجليًّا في البرنامج الانتخابي[3] لروحاني في الانتخابات الرئاسية الحادية عشرة في 2013. ولم يكن روحاني أول من أدخل مفهوم "الاعتدال" إلى الساحة السياسية الإيرانية فقد سبقه إلى ذلك هاشمي رفسنجاني الذي جعل من المفهوم هدفًا سياسيًّا له، وذلك قبل عقود من مجيء روحاني رئيسًا.

إن الاعتدال عند روحاني يعني "أن يسمع العالم صوتنا، وهو ليس إلا تكرارًا لصوت الأمة الإيرانية. الإيرانيون في هذه الانتخابات اختاروا الاعتدال والوسطية في السياسية الخارجية، وهو ما يعني التعامل البنَّاء مع دول العالم"[4].

يقوم نظام الجمهورية الإسلامية في إيران على محورين: الجمهورية والإسلامية، ولكل منهما منطقه؛ إذ تقوم الجمهورية على منطق "الواقعية"، فيما تقوم "الإسلامية" على منطق "المثل العليا". أظهر التيار الإصلاحي ميلاً واضحًا نحو جمهورية النظام، فيما اتكأ التيار الأصولي على "إسلامية النظام"، فيما يرى تيار الاعتدال أن بقاء نظام الجمهورية الإسلامية يقوم على التعادل بين الأساسين. حاول الرئيس الإيراني، حسن روحاني، التنظير لتياره مرتكزًا على

---

(1) حسن روحاني، امنيت ملي ونظام اقتصادي ايران، (تهران: مجمع تشخيص مصلحة النظام، مركز تحقيقات استراتژيک، 1391)، ط 7، ص33.

(2) حظي الكتاب بالكثير من المتابعة، وناله كثير من النقد؛ حيث اعتبر أنه ينظِّر لاقتصاد يقوم على نظام بنكي ربوي:

https://www.tribunezamaneh.com/wp-content/uploads/2013/11/critic-rouhani-total-41.pdf

(3) برنامه دولت تدبير وآميد (برنامج حكومة التدبير والأمل)، خرداد ماه 1392 ش (مايو/أيار 2013).

(4) متن كامل گفتگوی شبکه تلویزیونی ان. بی. سی آمریکا با دکتر روحانی(النص الكامل لمقابلة شبكة إن بي سي مع الدكتور روحاني)، الموقع الرسمي للرئيس الإيراني، 29 شهريور 1392ش (تاريخ الدخول: 28 نوفمبر/تشرين الثاني 2017)، http://www.president.ir/fa/71342

ثنائيــة "المثاليــة والواقعية"، يقول في لقاء جمعه بعــدد من رجال الدين عقب انتخابه رئيسًا في دورته الرئاسية الأولى في صيف 2013: "من غير الممكن أن يســير الاعتدال بدون مثالية جنبًا إلى جنب الواقعية"[1]. وفي موضع آخر يركز على مفهوم الاعتدال في مجال السياسة الخارجية بقوله: "إن الواقعية في خطاب الاعتدال في السياسة الخارجية هي أصل من الأصول، لكن على أساس الاهتمام بقيــم ومثل جمهورية إيران الإسلامية؛ من وظيفــة الاعتدال إيجاد التوازن بين الواقعية والمثالية"[2].

جاء اختيار "التنمية" لتكون عنوانًا أساسيًّا في أطروحات الاعتداليين، استنادًا إلى نقاشات أصحاب هذا التوجه في أمانة المجلس الأعلى للأمن القومي[3].

---

(1) روحانــي: كار بررســي افــراد كابينه را آغاز كردهام / دولت قوى بــه معنى دولت مداخله‌گر نيست، الموقع الرسمي لحسن روحاني، 12 تير 1293، 3 يوليو/تموز 2013، (تاريخ الدخول: 2 أغسطس/آب 2017)، http://rouhani.ir/event.php?event_id=109

(2) "حسن روحانى در سى‌ودومين همايش افق رسانه ملى: سختگيرى نكنيد، مردم اخلاق‌مدارند ("حســن روحانــي في المؤتمر الثانــي والثلاثين لأفق الإعلام الوطني: لا تتشــددوا/ الناس أخلاقيون)، صحيفة "مريم سالاري"، 8 تير 1392، 29 يونيو/حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 13 سبتمبر/أيلول 2023)، https://2u.pw/SCXmjd9

(3) بين الأعوام 1990 و1991م، عُقدت اجتماعات عديدة في أمانة المجلس الأعلى للأمن القومي، قد يصل تعدادها إلى 50 اجتماعًا بمشاركة كبيرة؛ حيث تمت دعوة جميع الوزراء، ومسؤولي الأمن والدفاع والنخب. وكانت النقاشات تدور حول عناوين بمحاور ثلاثة، هي:

- محورية الحفاظ.
- محورية النمو.
- محورية التنمية والتطور والتوسع.

وكانت نتيجة تلك النقاشــات، تدور حول الإجابة على الســؤال التالي: أي من هذه العناوين الثلاثــة سيشــكل أســاس إســتراتيجيتنا الوطنية؟ ويبــدو أنه لم يكن ثمة إجمــاع على ماهية الإســتراتيجية الوطنية المبتغاة، فالبعض كان يؤيد إســتراتيجية المحافظة على النظام والبعض الآخر من المســؤولين كان يدافع عن إســتراتيجية النمو أو إســتراتيجية التطور. انظر: حســن روحانى، انديشه‌هاى سياسى اسلام (الأفكار السياسية الإسلامية)، المجلد الثاني، باب السياسة الخارجية، (تهران: نشر كميل)، ط 2، ص42-43.

إن التنميــة فــي نظر أســاتذة وباحثي تيار الاعتدال مرتبطــة بصورة جلية بـ"الاستثمار الخارجي"، لكن الخارج المنشود "ليس بنغلاديش أو كينيا أو اليونان أو ســنغافورة أو روســيا البيضاء، بل هو اليابان وبريطانيا وألمانيا وفرنســا وفي بعض القطاعات الولايات المتحدة الأميركية"[1]، وضمن هذه الرؤية فإن "الصلح بين إيران والولايات المتحدة الأميركية، يتيح لإيران إمكانيات أكبر للاســتثمار والتجــارة الخارجييــن"[2]. إن نقطة التلاقي بين إيــران والغرب وفق ما يقترحه منظِّــرو تيار الاعتدال تأتي في مجالات "التطــور الاقتصادي والتكنولوجي"[3]، لكن نقطة التلاقي المقترحة هذه تفرض تحولاً في السياسة الخارجية الإيرانية، وترى أن الفصل بين الغرب وتقدمه التكنولوجي غير ممكن[4].

كانت سياسة روحاني الخارجية، متماشية مع أطروحات الاعتدال، واتسمت بمحاولــة التخلــص من البعــد الصدامي في العلاقة مع الغــرب، وفي الداخل الإيراني. ودخل إلى القاموس السياسي الإيراني مقولات: "المرونة الشجاعة"[5]

---

(1) موسويان، مرجع سابق، ص 105.

(2) موسويان، مرجع سابق، ص 458.

(3) محمود ســريع القلم، بازنگرى نظرى در سياســت خارجى جمهورى اسلامى ايران: پارادايم ائتلاف (المراجعة النظرية للسياســة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية: نموذج الائتلاف)، دورية "اطلاعات سياسي واقتصادي، فروردين وارديبهشت 1380 - العدد 163 و164 (صص 52 - 67)، ص 66.

(4) محمود سريع القلم، "ايران وجهانى شدن: چالشها و راه حلها"("إيران والعولمة: التحديات والحلول")، (تهران: مركز تحقيقات استراتژيک، مجمع تشخيص مصلحة النظام، 1384)، ص 111.

(5) أدخــل مرشــد الثورة الإسلامية، آية اللــه علي خامنئي، مصطلح "نرمــش قهرمانانه/المرونة الشــجاعة" إلى القاموس السياســي الإيراني، وقد قدم له تعريفات عدة في أكثر من مناســبة تصب في مجملها في "الاســتفادة من مجموعة متنوعة من الأســاليب للوصول إلى الهدف المنشود"، انظر: نرمش قهرمانانه، الموقع الرسمي لمرشد الثورة الإسلامية: http://farsi.khamenei.ir/newspart-index?tid=4952

انظر أيضًا: مفهوم نرمش قهرمانانه و الزامات آن (مفهوم المرونة البطولية ومتطلباتها)، موقع تســنيم، 3 آبــان 1392، (تاريخ الدخــول: 12 ديســمبر/كانون الأول 2017)، https://2u.pw/DuI317A6

والتفاعل البنَّاء"[1] وتعديل السلوك في مجال العقوبات الدوليةٍ المعتدلة وتجنب الخطاب غير البناء والمثير للتوتر. كان حسن روحاني متحفظًا بشدة فيما يتعلق بفلسطين، على الرغم من التزامه بالخط الرسمي في تصريحاته خلال المناسبات التي عُقدت حول فلسطين، وكان واضحًا أن القضية ليست من أولوياته؛ لذلك لم يســتقبل طوال فترة رئاســته (ثماني ســنوات) أيًّا من قيادات حماس رغم طلب الحركة ذلك، واكتفى باتصال هاتفي واحد مع إســماعيل هنية. وفي هذا الصدد، يقول ممثل حماس في طهران، خالد القدومي، أقول وأؤكد: إن القضية الفلســطينية لم تكن من أولويات حكومة روحانــي، ولم يكن الرئيس روحاني مهتمًّا بأي شــي يتعلق بالمقاومة أو القضية الفلســطينية، بل إن فترته الرئاســية شهدت تراجعًا في دعم رئاسة الجمهورية للقضية.. أقول: في رئاسة الجمهورية؛ لأنه كان هناك دعم من الرئاسة في عهد أحمدي نجاد، قُطع في فترة روحاني[2].

لكن القدومي يثني على موقف وزير الخارجية، محمد جواد ظريف، ويرى أنه لو كانت القرارات المالية بيده ما انقطع دعم الرئاسة للقضية الفلسطينية، وهو دعم لا يستهان به (مئات الملايين من الدولارات)[3].

كان ظريف على اتصال دائم برئاسة الحركة وذلك بسبب إيمانه الشخصي بالقضية الفلســطينية. ورغم وجود تباين في المواقف من القضية الفلسطينية في إيــران لكــن من المهم، يؤكد القدومي، أن نثبت أن صانع القرار الرئيســي في الجمهوريــة الإسلامية الإيرانية (آية الله علي خامنئي)، وضع معادلة مهمة جدًّا في التعاطي مع المقاومة الفلسطينية تضمن ديمومة الدعم وعدم تأثره. لقد فقدنا دعم رئاسة الجمهورية؛ لأن الرئيس لم تكن القضية الفلسطينية من أولوياته بل كان همــه ملف العلاقة مع الولايات المتحدة الأميركية وحل إشــكالية الملف النووي[4].

(1) Hassan Rouhani, Time to engage, September 19, 2013,(accessed: March 13, 2018): https://2u.pw/1wLonN2C

(2) مقابلة للباحثة مع خالد القدومي.

(3) من المقابلة مع القدومي.

(4) من المقابلة مع القدومي.

ويــروي القدومــي أنه طلب من وزير مقرب جدًّا من الرئيس روحاني، أن يولي الرئيس اهتمامًا للقضية الفلسطينية، وأن يجعل لها مكانًا في خطاباته خاصة موضوع المقاومة. وكان جواب الوزير: "أنا الآن أهم وزير للرئيس روحاني في هذه الدورة، لو قلت له الآن أن ينتبه لأي شيء غير الموضوع النووي والعلاقة مع أميركا لن يستمع لي، سواء أكان موضوع فلسطين أم أي موضوع آخر"[1].

7- "التوجه شرقًا": أولويات رئيسي

وصل إبراهيم رئيسي إلى الرئاسة، في 2021، وسط ظروف شديدة التعقيد؛ فمفاوضات إحياء الاتفاق النووي لم تصل إلى نتيجة، والرهان على الغرب لم يفلح في التعامل مع تبعات الانســحاب الأميركي من الاتفاق النووي، في 2018، والأوضاع الاقتصادية الداخلية في أســوأ حال. وبدا واضحًا أن سياسته الخارجية ستأخذ منحى مختلفًا عن سياسة روحاني. فقد أحيا شعار "التوجــه شــرقًا" الذي كان عنوانًا بارزًا فــي عهد أحمدي نجاد، وزاد عليه "أولوية الجوار"، وأرسل رسائل إيجابية تجاه العربية السعودية.

لم يُخْفِ رئيسي التزامه بدعم "محور المقاومة"، حتى قبل وصوله إلى سدة الرئاسة. وكان نفوذ إيران الإقليمي عنوانًا بارزًا في برامجه الانتخابية. وقد عكس ترتيب مقاعد ضيوف حفل تنصيبه موقف حكومته من المقاومة الفلسطينية التي بوأها صدارة المجلس، ومن خلفها ممثلو الدول الغربية.

كان رئيسي من الملتزمين بدعم المقاومة، ومن المنادين بإنهاء حالة الصبر الإستراتيجي في التعامل مع الهجمات الإسرائيلية المتكررة على أهداف إيرانية في الداخل والخارج. وكانت سياســته فيما يتعلق بالقضية الفلســطينية تستلهم المبادئ التي يحملها فكر القائد الأعلى للثورة في إيران، آية الله علي خامنئي.[2]

لكن إيران وجدت نفسها أمام تحديات داخلية وخارجية إثر الرحيل المفاجئ لرئيس البلاد، إبراهيم رئيسي، ووزير الخارجية، حسين أمير عبد اللهيان، نتيجة

---

(1) من المقابلة مع القدومي.

(2) رئيســی: اولويت اصلی دولت من ســفره مردم اســت (رئيسي: أولوية الحكومة الرئيسية هي مائدة الشعب)، وكالة إيرنا الرسمية، 13 خرداد 1400 ش، (تاريخ الدخول: 11 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://2u.pw/eaRSesL

تحطم طائرة هيلوكوبتر كانا على متنها مع آخرين، 19 مايو/أيار 2024، في غابة دزمار بمحافظة أذربيجان الشرقية[1].

أبدت الجمهورية الإسلامية حرصًا كبيرًا على إرسال رسائل واضحة مفادها أن رحيل رئيسي وأمير عبد اللهيان لن يغير من مكانة قضية فلسطين في سياسات الجمهورية الإسلامية وأنها ستبقى كما كانت.

لقد كان اختيار رئيس المكتب السياسي لحماس، إسماعيل هنية، ليلقى كلمة[2] في تشييع رئيسي ومن معه واحدة من الرسائل البليغة؛ فهنية الذي وضعته الجنائية الدولية على قائمة المطلوبين جنبًا إلى جنب رئيس وزراء الكيان الصهيوني، بنيامين نتنياهو، ووزير دفاعه، يوآف غالانت؛ استقبلته إيران بحفاوة مع الوفد المرافق له، واستقبله القائد الأعلى في إيران آية الله، علي خامنئي، الذي أكد ثقته بنصر غزة وأن: محمد مخبر (الرئيس المؤقت) سيسير على نهج الرئيس الراحل تجاه فلسطين، وأن "الوعد الإلهي بزوال الكيان الصهيوني سوف يتحقق[3]، وستقام دولة فلسطين من البحر إلى النهر إن شاء الله"[4].

ومن المرجح أن الإستراتيجية الدفاعية الإيرانية ستصاغ مجددًا بناء على قراءة إيران لتأثيرات "طوفان الأقصى" وعملية "الوعد الصادق"، وأن مرحلة

---

(1) كانت رحلة إبراهيم رئيسي لتدشين سد "غيزقلعه سي" المشترك مع أذربيجان، بغرض تعزيز التعاون بين البلدين.

(2) قال رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، إسماعيل هنية، في كلمته: إن المقاومة الفلسطينية مستمرة حتى تحرير كل الأراضي الفلسطينية ومنها القدس. وأكد هنية مواقف رئيسي الداعمة لمحور المقاومة، وأن إيران مستمرة في دعمها للقضية الفلسطينية.

(3) توقف خامنئي في حديثه مع هنية عند آيات قرآنية تتحدث عن الوعدين الإلهيين لأم النبي موسى عليه السلام قائلاً: لقد تحقَّق الآن الوعد الإلهي الأول بشأن شعب فلسطين، وهو غلبة شعب غزة، الذين هم فئة قليلة، فئةً كبيرةً وقويةً هي أميركا والناتو وبريطانيا ودول أخرى، وعلى هذا الأساس، يُمكن تحقُّق الوعد الإلهي الثاني، أي زوال الكيان الصهيوني، وسوف يأتي، بفضل الله، اليوم الذي "تقوم فيه فلسطين من البحر إلى النهر".

(4) قائد الثورة الإسلامية خلال لقاء مع رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس" سيتحقَّق الوعد الإلهي بتحرير فلسطين من "البحر" إلى "النهر"، الموقع الرسمي لقائد الثورة الإسلامية باللغة العربية، 22 مايو/أيار 2024، (تاريخ الدخول: 23 مايو/أيار 2024)، https://arabic.khamenei.ir/news/8431

الصبر الإستراتيجي قد أصبحت من ماضي السياسة الإيرانية.

في يوليو/ تموز 2024، أصبح طبيب القلب والبرلماني، مسعود بزشكيان، الرئيس التاسع للجمهورية الإسلامية بعد أن فاز في الانتخابات الرئاسية الرابعة عشرة على حساب منافسه، سعيد جليلي. وفي رسالته[1] حول الانتخابات الرئاسية الرابعة عشـــرة، هنَّأ آية الله علي خامنئي، الرئيس الإيراني المنتخب، ودعاه إلى مواصلة الســـير على طريق الرئيس الإيراني الراحل، إبراهيم رئيسي، وإن كانت الرسالة ليست الأولى التي يخاطب فيها خامنئي رئيس البلاد المنتخب إلا أنها المرة الأولى التي يدعوه فيها إلى مواصلة نهج الرئيس الذي سبقه.

ومن المبكر الحكم على توجهات بزشكيان تجاه القضية الفلسطينية، لكن من الملاحظ أنها حازت جزءًا من خطابه خلال حملته الانتخابية، وفي رده[2] على رسالة التهنئة التي أرسلها رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، أكد بزشـــكيان أن "إيران ســـتواصل دعمها الكامل للشعب الفلسطيني المظلوم حتى تحقيق كافة مطالبه وتحرير القدس الشريف". وقال إنه "واثق بأن الشعب الفلسطيني، بفضل صموده التاريخي وبطولات مقاومته، سيحقق النصر".

وسبق هذه الرسالة رسالة أخرى رد[3] فيها بزشكيان على تهنئة الأمين العام لحزب الله، حســـن نصر الله، وعد فيها باســـتمرار الدعم للمقاومة، وقال: إن "إيران دعمت دائمًا مقاومة شعوب المنطقة ضد الكيان الصهيوني الزائف، وإن هذا الدعم متجذر في السياســـات المبدئية لنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتطلعات الإمام الراحل وتوجيهات قائد الثورة الاسلامية وسيستمر بقوة".

فـــي حفل تنصيبه، تحدث بزشـــكيان بصورة مركـــزة وواضحة عن القضية

---

(1) پيـــام رهبـــر انقلاب به مناســـبت انتخابات رياســـت جمهورى چهاردهم (رســـالة قائد الثورة بمناســـبة انتخابات رئاســـة الجمهورية الرابعة عشرة)، الموقع الرسمي لآية الله علي خامنئي، 1403/4/16 ش (تاريخ الدخول: 11يوليو/تموز 2024)، https://farsi.khamenei.ir/message-content?id=56911

(2) الرئيس الايراني المنتخب يرد على رسالة هنية، تليفزيون العالم، 10 يوليو/تموز 2024 (تاريخ الدخول: 11 يوليو/تموز 2024)، https://2u.pw/26mSwpjr

(3) بزشـــكيان في رســـالة الى السيد حسن نصر الله: دعم المقاومة سيستمر بقوة، وكالة تسنيم، 8 يوليو/ تموز 2024 (تاريخ الدخول: 11يوليو/تموز 2024)، https://2u.pw/AWrbBgG0

الفلســطينية وانتقد السكوت على الجرائم الإسرائيلية بحق أطفال ونساء غزة[1]. وبدت طهران حريصة على إيصال رســالة مفادها أن سياســتها الخارجية تجاه فلسطين ومحور المقاومة لن تتغير. انتهى حفل التنصيب الذي جلس في صفوفه الأولى قادة محور المقاومة، لكن بزشكيان بدأ مسؤولياته على وقع ضربة تمس بهيبة الدولة التي قال: إنها "لن ترضخ للابتزاز" فقد أقدمت إسرائيل على اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، في طهران[2].

نعى الرئيس الإيراني، مسعود بزشكيان، إسماعيل هنية ووصفه بأنه "شريك إيران في حزنها وفرحها.. الرفيق المقاوم الشجاع.. شهيد القدس"[3]، وقال: "في الأمــس رفعــت يده منتصرًا واليوم عليَّ أن أحمله على كتفي مشــيعًا"[4]، وأكد بزشــكيان أن إيران "ســتدافع عن سلامة أراضيها وشرفها وستجعل الإرهابيين يندمون على عملهم الجبان".

وتبــدو هذه الوعود مطمئنة للمقاومة ومحورها، لكن الأســئلة تبدو كثيرة بخصوص تأثيرات حلقة الفكر التي تحيط ببزشكيان وفي مقدمتهم جواد ظريف، إذ يبدو هذا الفريق أكثر ميلاً للدعم السياسي والدبلوماسي للقضية الفلسطينية، وضرورة موازنة ذلك مع المصالح الوطنية الإيرانية.

يفــرِّق ممثل حماس في إيران في مقارنته مواقف الرؤســاء الإيرانيين من

---

(1) پزشكيان: از عزت و منافع ايران پاسدارى مى‌كنم/ به آينده اميدوارم (بزشكيان: سأدافع عن غزة ومصالح إيران/ متفائل بالمســتقبل)، وكالة إيرنا، 9 مرداد 1203 ش(تاريخ الدخول: 30 يوليو/ تموز 2024)، www.irna.ir/xjRbJT

(2) اسماعيل هنيه به شهادت رسيد (استشهاد إسماعيل هنية)، وكالة تسنيم، 10 مرداد 1403 ش (تاريخ الدخول: 31 يوليو/ تموز 2024)، https://bit.ly/3yrNzY6

(3) إيران: الرئيس مســعود بزشــكيان: تنعى إيران اليوم شــريكها في الأحزان والأفراح والرفيق الدائم في درب المقاومة قائد المقاومة الفلســطينية الشــجاع وشــهيد القدس إسماعيل هنية، الميادين، 31 يوليــو/ تموز 2024، (تاريــخ الدخول: 31 يوليو/ تموز 2024)، https://bit.ly/3LXcRQN

(4) "أمس رفعت يده في البرلمان واليوم أشيعه على أكتافي"، الرئيس الإيراني ينعى هنية، روسيا اليــوم، 31 يوليو/ تمــوز 2024، (تاريــخ الدخــول: 31 يوليو/ تمــوز 2024)، https://bit.ly/4cby3gA

القضية الفلسطينية والعلاقة مع المقاومة، بين ما يطلق عليه "الهوية الشخصية والهوية الحزبية أو التيار الذي ينتمي إليه هذا الرئيس أو ذاك"، يقول القدومي: عندما نتكلم عن شخصية مثل الرئيس رفسنجاني رحمه الله، فقد كان مسكونًا بالموضوع الفلسطيني ولديه كتاب حول فلسطين وفي مذكراته يشير إلى أنه ألَّف هذا الكتاب عن فلسطين وهو مطارد، ولكن التركيبة الشخصية والمواقف تجاه قضايا الأمة، وعلى رأسها قضية فلسطين، تختلف عن الأداء السياسي وأولويات الحكم. وهذا من وجهة نظر القدومي ينطبق على كافة الرؤساء الإيرانيين الذين جاؤوا بعد رفسنجاني[1].

ولعل أبرز حدث في فترة الرئيس خاتمي كان استقبال الشيخ أحمد ياسين عندما زار إيران، في 1998، فالتقى بالقائد الأعلى، آية الله علي خامنئي، ورئيس الجمهورية، محمد خاتمي، ورئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام وقتها، هاشمي رفسنجاني، ووزير الخارجية، كمال خرازي[2].

كان الرئيس روحاني رغم وجود تباينات، يعد تلميذًا لرفسنجاني وجرى تصوير سياسته على أنها استمرار لسياسته، إلا أنه كان لديه مواقف شخصية من المقاومة، فقد رفض لقاء قادة المقاومة بذريعة وجود رئيس الوزراء العراقي بالتزامن مع زيارة وفد حركة حماس لطهران، وكان ردُّ مكتبه: "أهلاً وسهلاً، ولكن وقت الرئيس لا يسمح"[3].

يعلق القدومي على ذلك بالقول: من الناحية الفنية يمكن تصديق ذلك لكن من الناحية التحليلية، شخصيًّا أعتقد أنه لم يكن يريد اللقاء[4]. في حين أن خاتمي -وإن كان هناك رموز في تياره كان يُنتظر منهم أن ينظِّروا للعلاقة مع إسرائيل ومنهم من تحدث بذلك علنيًّا- كان له موقف مختلف[5]. ويسوق القدومي مثالاً آخر يتعلق بشخصية أحمدي نجاد، الذي وحتى في الدورة الثانية

(1) من المقابلة مع القدومي.

(2) من المقابلة مع القدومي.

(3) من المقابلة مع القدومي.

(4) المرجع نفسه.

(5) المرجع نفسه.

من رئاسته والتي شهدت خلافه مع القائد الأعلى حول طريقة الحكم، إلا أن موقفه فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية بقي ثابتًا[1].

وبناء على ما سبق، نستطيع الاستنتاج أنه لم يحدث تغيير جذري في المواقف الأساسية لرؤساء الجمهورية الإسلامية من القضية الفلسطينية، وإنما كان التباين في ترتيب أولويات كل رئيس؛ وما كان يتجاذبه من تياره وما يرتب على ذلك من ضغوط عليه [2].

وفي تقييمه لسياسة إبراهيم رئيسي يشير إلى أن أول خطاب له، قام على ثلاثة مبادئ رئيسية، كان أحدها فلسطين والمقاومة. وفي حفل التنصيب "حرص على التقاط صورة له مع الأخ إسماعيل هنية، كما وحرص أن يكون له معه لقاء خاص بحضور ممثلين عن مؤسسات الدولة من مؤسسة الحرس ممثلة بإسماعيل قاآني ومساعده ومجلس الأمن القومي، ووزير الخارجية، أمير عبد اللهيان"[3]. ومع ذلك، وإلى اليوم لم تتم إعادة الدعم المالي المقدم للحركة من رئاسة الجمهورية، والذي توقف في فترة روحاني. وكان يؤمَّل أن تتم استعادته في فترة رئيسي. وقد يعود ذلك لسببين: تراجع الوفرة المالية نتيجة العقوبات، وسياسة الانسجام بين مؤسسات الحكم، وما تبعها من توحيد مصادر الدعم ولذلك أصبح الدعم مركزيًّا[4].

دورات الخطاب وموقف آية الله خامنئي

رغم دورات الخطاب المختلفة في السياسة الإيرانية وتباين مواقف الرؤساء الإيرانيين من القضية الفلسطينية واختلاف توجهاتهم إلا أن موقف القيادة العليا في شخص علي خامنئي كان حاسمًا في جعل القضية الفلسطينية في صلب الأولويات الإستراتيجية لإيران، وتدخل شخصيًّا غير مرة لمنع أي تغيير في هذه المعادلة.

---

(1) المرجع نفسه.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

لقد أسهم انتصار الثورة الإسلامية، العام 1979، إسهامًا بالغ الأهمية في التركيبة النفسية والفكرية لآية الله علي خامنئي؛ فقرأ الإطاحة بالشاه، على الرغم من دعم أقوى حكومة في العالم له، مؤشرًا على الدعم الإلهي للقوى التي أطاحت به بقيادة معلمه، روح الله الخميني. ويمتزج في خطاب خامنئي القول بضرورة التخطيط وحساب الفاعلية البشرية بصورة محورية مع عزو التوفيق والنصر في نهاية المطاف إلى الإرادة الإلهية. وهذا المزج يحضر بكثافة في خطابه عن القضية الفلسطينية، إذ لا يكاد يخلو اجتماع له من الحديث عن فلسطين والمقاومة باعتبارها من أوجه مقارعة الاستكبار. وقد يرتبط ذلك بما يمكن أن نسميه المسؤولية الأيديولوجية، وهي مسؤولية عابرة للحدود الوطنية وتأخذ صفة "الواجب". وهذا الواجب يحضر في خطابه مقرونًا بالحديث عن "مقارعة الاستكبار" و"رفض الهيمنة" و"المقاومة" و"انعدام الثقة في الغرب" و"علو الإسلام ونفي السبيل"[1].

ومنذ مؤتمر الانتفاضة الأول، العام 1991، وإلى اليوم، عقد آية الله علي خامنئي عشرات اللقاءات والاجتماعات مع المقاومة الفلسطينية، وكان من أبرزها الاجتماعات التي جرت مع قيادة حماس.

وبتحليل مضمون هذه اللقاءات نجدها تضم عناوين محورية متكررة، وأهمها:

- رفض الاعتراف بإسرائيل بوصفها "كيانًا احتلاليًّا" يجب أن يزول.
- النظر إلى إسرائيل بوصفها مشروعًا استعماريًّا غربيًّا.
- دعم المقاومة الفلسطينية سياسيًّا وعسكريًّا.
- الدعوة للجهاد والتضامن الإسلامي: يحث خامنئي المسلمين في جميع أنحاء العالم على دعم القضية الفلسطينية وتقديم المساعدة للفلسطينيين بشكل مالي ومعنوي، ويدعو إلى الجهاد ضد إسرائيل.
- إدانة التطبيع مع إسرائيل، واعتباره خيانة للقضية الفلسطينية وللأمة الإسلامية.

---

(1) قاعدة نفي السبيل: قاعدة فقهية بمعنى أنه لا يوجد في الدين حكم يؤدي إلى سلطة الكافرين على المسلمين، استنادًا إلى الآية 141 من سورة النساء ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ الله لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾، والحديث "الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه".

- تمجيد "إيمان الشعب الفلسطيني وجهاده وصموده".
- انتقاد سياسات الدول العربية تجاه فلسطين والقول بأنها "خانت القضية الفلسطينية".
- رفض التسوية والتفاوض والاعتراف بالكيان الصهيوني.
- الإصـــرار على الجهـــاد والمقاومة فالنصر والنجـــاح لن يتحقق إلا في ظلهما.
- تحرير فلسطين وعد إلهي لابد أن يتحقق.
- إسرائيل تضعف يومًا بعد يوم بفعل المقاومة.
- مقاومة الاحتلال الإســـرائيلي هي صورة من صور مقارعة الاســـتكبار ومواجهة الولايات المتحدة الأميركية.
- قضية فلسطين هي أحد المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية وأحد الأسباب الرئيسية لعداء الاستكبار للجمهورية الإسلامية الإيرانية هو دعمها لقضية فلسطين.
- المقاومة الفلسطينية في مقدمة أسباب الصحوة الإسلامية.
- الشرق الأوسط الذي يجب أن يتكون هو الشرق الأوسط الإسلامي.

دعم فلسطين وأسئلة المجتمع الإيراني

لا يعـــد دعـــم القضية الفلســـطينية محل إجمـــاع كل الإيرانيين، وقد ظهر ذلك بوضوح في شـــعارات الحركة الخضراء المؤيدة لمير حســـين موسوي في الانتخابات الرئاســـية العاشـــرة في 2009، مثل: "لا غزة ولا لبنان روحي فداء إيـــران"، وكذلـــك في كثير من المقولات مثل: "المصبـــاح الذي يحتاجه البيت يحرم على المســـجد". وقد أخذت تلك المقولة بُعدًا سياســـيًّا أكبر لما رددها أصحابها، في 18 ســـبتمبر/ أيلول 2009، في مســـيرات يوم القدس الذي تحييه إيران سنويًّا في الجمعة الأخيرة من رمضان، دعمًا للقضية الفلسطينية[1].

وقد تعاملت إيران بشـــكل حاســـم مع من رفعوا تلك الشـــعارات، وحول ذلك يعلق قائد فيلق القدس الســـابق، قاسم سليماني، بالقول: في إيران بالنسبة

(1) من يوميات الباحثة في إيران، 18 سبتمبر/أيلول 2009.

لفلسطين الكل ثوري، وهي قضية أساسية حتى في وضعنا الداخلي، قبل سنوات رفع البعض شعار (لا) غزة ولا لبنان.. روحي فداء إيران، أسألكم أين هؤلاء الناس اليوم، لقد سجلنا في قاموسنا السياسي الداخلي، أن من رفع هذا الشعار لن يكون في أي من مناصب الدولة، ولن يكون له دور في صناعة القرار السياسي في هذه البلاد[1].

ويتهم بعض رجال الدين التقليديين النظام الإيراني بإعطاء الأولوية لمصالح الأمة الإسلامية المكونة من الأغلبية السنية، على حساب المجتمع الشيعي[2]. ويتفقون مع أصحاب شعار "لا غزة ولا لبنان" في أن على إيران أن توجه مواردها المحدودة وطاقتها إلى تنمية مجتمعها ودعم الأقليات الشيعية الضعيفة في البلدان الأخرى، وألا تستثمر بكثافة في القضية الفلسطينية.

وخلال الحرب على غزة، والتي أعقبت "طوفان الأقصى"، انتقد رجل الدين محمد تقي أكبر نجاد، آية الله علي خامنئي وقال إنه يولي أهمية للخارج ولغزة أكثر مما يهتم بأمور البلاد الداخلية. ورأى أن إصرار خامنئي على عدم تقديم تنازلات بشأن الموقف من إسرائيل قد أدى إلى ضغوط كبيرة بفعل العقوبات يتحملها المواطن الإيراني.[3]

ويعتقد هؤلاء أن مواقف إيران تجاه إسرائيل طغت على علاقتها بالعديد من دول العالم وألحقت أضرارًا سياسية واقتصادية وإقليمية خطرة بالشعب الإيراني[4]. ويدعم هذا التوجه أيضًا سياسيون وكتّاب وأساتذة جامعات من أمثال محمود سريع القلم وصادق زيبا كلام وحسن محدثي وغيرهم.

---

(1) من لقاء جمع اللواء سليماني مع وفد الفصائل الفلسطينية في 2016.

(2) محمود پَرگو، آيا تقدس فلسطين در تشيع سنتی جايی دارد؟ (هل لقداسة فلسطين مكان في التشيع التقليدي؟)، بي بي سي فارسي، 13 أبريل/نيسان 2019 (تاريخ الدخول: 23 أبريل/نيسان 2023)، https://bbc.in/41yEdmw

(3) مصاحبه استاد اكبرنژاد با ديدار نيوز (مقابلة الأستاذ أكبر نجاد مع ديدار نيوز)، الحساب الرسمي لأكبر نجاد على يوتيوب، 2 يناير/ كانون الثاني 2024 (تاريخ الدخول: 20 يناير/ كانون الثاني 2024): https://www.youtube.com/watch?v=TJYXSkFokNI

(4) المرجع السابق.

يستند علماء الشيعة من المعارضين لدعم القضية الفلسطينية في موقفهم إلى المصادر الشيعية التقليدية التي لا ترى قدسية للمسجد الأقصى وبيت المقدس، وتستفيض بدلاً من ذلك في الحديث عن فضائل كربلاء والنجف وغيرهما.. وهذا ما يجعل التقديس لفلسطين وحرمة الأقصى في الأدبيات الثورية الإيرانية مثيرًا للدهشة. ويرجع الفضل في ذلك إلى أطروحات الإمام الخميني الذي جعل من صراع الجمهورية الإسلامية الإيرانية مع إسرائيل أحد الرموز المهمة للهوية الثورية الإسلامية للنظام. وهذا الموقف من الأقصى وفلسطين يُعد خروجًا على المدونة الفقهية التقليدية للشيعة، على غرار "ولاية الفقيه" التي قدمها الإمام الخميني في كتابه "الحكومة الإسلامية"، ومن قبله النراقي ونائيني[1].

وقد برزت فلسطين مبكرًا في حركة الخميني المناهضة للشاه، وقد حاول إنشاء جسر للتواصل مع فلسطين؛ لأنه كان يدرك أن النضال في فلسطين ليس من أجل منطقة جغرافية صغيرة، بل هو صراع يهم حاضر الإسلام ومستقبله[2].

يرى الباحث حميد عظيمي أن المناصرين للقضية الفلسطينية في الجمهورية الإسلامية في معظمهم من الطبقة المتوسطة المتدينة وأن القضية الفلسطينية أدت إلى كسر "حاجز الغيبة"؛ فقد كان الفكر السياسي الشيعي مبنيًّا على فكرة الانتظار؛ انتظار القائم (المهدي)، لكن ظهور الصهيونية وما تلاه من تحديات، أسهم في تحرير العقل الشيعي من سلطان الغيبة.

ويرى حسين شيخ الإسلام أن كلا الاتجاهين، المؤيد والمعارض لدعم فلسطين، موجود في إيران. ويعتقد أن هذا التباين مسألة في غاية الأهمية، لكن هذه "القضية ترتبط بالدستور الإيراني الذي قال له الإيرانيون نعم"[3]. وهو الدستور الذي جرى الاستفتاء عليه عقب انتصار الثورة، ولذلك فإن رئيس

---

(1) في قصيدة لحميد سبزفاري، وهو واحد من أشهر شعراء الثورة ويعبِّر عن الموقف الديني للقدس والمسجد الأقصى في العقلية الثورية: "على المرء أن يسافر إلى المسجد الأقصى، عليه أن يترك حياته ويمضي في طريقه نحو القدس).

(2) نصرت الله تاجيك، سرزمين بيت المقدس وامام خمينى (أرض بيت المقدس والإمام الخميني)، مجلة حضور، العدد47 شتاء 1382، ص 241.

(3) من المقابلة مع حسين شيخ الإسلام.

الجمهورية بصفته رئيس السلطة التنفيذية والوزراء، وكل نواب مجلس الشورى يقسمون على تنفيذ الدستور، وبنية السلطة في إيران تجعلهم ملزمين بتنفيذ بنوده ، ولا خيار آخر أمامهم. صحيح أن هناك من لديه وجهة نظر أخرى لكن التطبيق يجب أن يحتكم للدستور. ومادام هذا الدستور قائما فيجب احترامه[1].

وبالنســبة للمجتمع الإيراني لا يعتقد شــيخ الإسلام بوجود نســبة كبيرة تعــارض تقديم الدعم لقضية فلســطين، لكن هناك فئة لديها مشــكلة مع نظام الجمهورية الإسلامية من حيث الأســاس، وتلجأ لشــعارات بعينها ظنا منها أنها بذلك تســتهدف نقاط ضعف النظام، فيتحدثون عن المال الذي يجب أن ينفق هنا داخل إيران ويقدم لفلســطين ولبنان[2]. ويســتعيد شيخ الإسلام قوة الشعار الخاص بفلســطين وزخمه خلال الثورة بالقول: اليوم عندما تحدث التظاهرات الكبــرى تقــوم لجان خاصة بصياغة الشــعارات ولكن في أيــام الثورة لم يكن أحد يملي على الناس الشــعارات التي يرددونها كانت الشــعارات تخرج عفوية وترددها الجماهير المعارضة للشــاه، وكان من أبرزها شعار: "اليوم إيران وغدا فلسطين".[3]

ويؤكد كمال خرازي أن نســبة المعارضين لدعم القضية الفلسطينية "أقلية، تقابلهم أمواج من الإيرانيين المســتعدين للقتال دفاعًا عن فلســطين إذا أتيحت لهــم الفرصة"[4]. وفي رأي خرازي فإن وجــود أقلية لديها وجهة نظر معارضة ليســت قضية، فمن حقهم التعبير عن ذلك بحرية، المهم هو وجهة نظر معظم الناس في إيران، والموقف الرسمي، والواقع أن تحرير القدس هو قضية مركزية

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق

(3) كان هذا الشعار من أبرز شعارات الثورة الإسلامية، انظر: مرورى دوباره بر داستان فلسطين و روز قدس، (عودة أخرى لقصة فلسطين ويوم القدس)، مجلة "مبلغان"، مهر وآبان 1385 شمسي، العدد 83، ص 57.

(4) من المقابلة مع خرازي.

عند الإيرانيين[1]. ويرد خرازي مقالة: إن الدعم يذهب إلى محور المقاومة بدل المناطق المحرومة في إيران بالقول: "الواقع أن ما تقدمه إيران لحماس لا يعد شيئًا مقابل ما تقدمه لمواطنيها في المناطق النائية والمحرومة، ويمكن المقارنة من سنة لأخرى وملاحظة توسع مساحة العمران في إيران. فالغاز والماء يصلان إلى المناطق النائية في إيران، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال مقارنة ما نقدمه لحماس بما يتم صرفه فعلاً داخل إيران لرفاه الناس وتحسين مستوى معيشتهم"[2].

تدرك حماس تحولات المجتمع الإيراني وتراقب التباينات السياسية التي تطل برأسها من فترة إلى أخرى، وعن هذا يقول العاروري: نحن مطلعون بشكل جيد على الوضع في إيران، ونتابع التيارات الجديدة والأزمات الاقتصادية ونعرف أن ذلك مؤثر، لكننا على هذا الصعيد مراقبون، غير قادرين على التأثير.. ومن الطبيعي أننا نفكر في الاحتمالات المستقبلية. ولعل السؤال هو: هل يمكن أن تستمر المعادلة هكذا؟ وأيهما سيفرض حضوره: فكر الثورة أم فكر الدولة؟[3]

---

(1) من المقابلة مع خرازي.

(2) من المقابلة مع خرازي.

(3) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

الفصل الخامس: إيران وحماس: الدولة والحركة

أي أنموذج للعلاقة؟

قبل انتصار الثورة الإيرانية وإنشاء الجمهورية الإسلامية، وكذلك قبل نشأة مؤسسة حرس الثورة، أقامت شخصيات مؤثرة في مسار الثورة وتأسيس الحرس الثوري علاقات مع مجموعات مسلحة خارج إيران.

نسج محمد منتظري[1]، وجلال الدين الفارسي[2] ومصطفى شمران[3] علاقات

(1) وُلد محمد منتظري عام 1944 في مدينة نجف آباد التابعة لمحافظة أصفهان وهو ابن آية الله علي منتظري. وكان من أبرز الشخصيات الدينية والسياسية المعارضة للشاه، وانتُخب عضوًا في البرلمان الإيراني في دورته الأولى بعد انتصار الثورة الإسلامية. كان شديد الولاء للإمام الخميني. سُجن عام 1966 وأطلق سراحه، لينتقل إلى العراق عام 1973 بعد ملاحقته من قبل أجهزة أمن الشاه وبدأ بتدريب المعارضين الإيرانيين هناك. في عام 1975، انتقل إلى لبنان حيث أقام علاقات قوية مع حركة فتح وخضع لتدريبات عسكرية في معسكرات الفدائيين الفلسطينيين، وقاتل ضد إسرائيل إلى جانب المجاهدين الفلسطينيين واللبنانيين. كان من مؤسسي الحرس الثوري. اُغتيل عام 1981 على يد منظمة مجاهدي خلق بعد تفجير مكتب حزب الجمهورية الإسلامية.

(2) جلال الدين فارسي: من مواليد مشهد في 1933، شخصية ثورية، وهو كاتب له عشرات المؤلفات وسياسي سابق وممثل في الدورة الثانية لمجلس الشورى الإسلامي الإيراني. وكان أول مرشح من حزب الجمهورية الإسلامية في الانتخابات الرئاسية الأولى في إيران، ولكنه اضطر إلى الانسحاب بسبب أصوله الأفغانية إذ يشترط القانون أن يكون إيراني الأصل. لعب دورًا بارزًا في بناء العلاقة بين المجموعات الثورية الإيرانية وحركات المقاومة الفلسطينية. وخلال زيارته إلى سوريا ولبنان، عام 1970، لاحظ الفارسي تأثير التعاليم الماركسية على الجماعات الفلسطينية المسلحة؛ لهذا كتب كتاب "دروس حول الماركسية"، وهو كتاب لقي استحسانًا من الإمام الخميني. وتمت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان "دروس في الماركسية"، وقد رافق الفارسي ياسر عرفات عندما زار إيران عقب انتصار الثورة. انظر: نويسندگان برجسته دينى ـ سياسى مؤثر در پيروزى انقلاب اسلامى/۱ كدام نويسنده و كدام كتاب با استقبال امام روبه رو شد (الكتّاب الكبار في المجالات الدينية والسياسية الذين أثّروا في انتصار الثورة الإسلامية/1 أي كاتب وأي كتاب لقي ترحيب الإمام؟)، وكالة فارس، 21 /11/ 1392 (تاريخ الدخول: 29 مارس/آذار 2023)، https://bit.ly/3TU7tBk

(3) ولد مصطفى شمران عام 1932، في مدينة قم، ثم انتقل مع عائلته إلى طهران، حيث حصل

قوية مع المجموعات الفلسطينية المقاتلة في لبنان التي دربت مجموعات إيرانية أخذت على عاتقها بناء الحرس الثوري. وقد أرَّق ذلك التعاون شاه إيران، وقال عنــه فــي مقابلة مع مجلة "الحوادث" اللبنانية: "لقد وقفنا، وما زلنا، إلى جانب الفلســطينيين، رغم أن بعض مجموعات المقاومة دربت مخربين إيرانيين على اقتحام أراضينا وقتل الناس وتفجير منشآت مختلفة. نحن نعرف كيف نميز بين عدالة قضية فلســطين والظلم الذي يوجَّه ضدنا من قبل بعض الفلســطينيين. ما أخشاه هو أن يسمح الفلسطينيون للظروف الدولية بجعل قضيتهم أداة لإستراتيجية ســوفيتية أو إســتراتيجية دولية أخرى. على مصر، والسعودية، وسوريا، والدول العربية الأخرى مساعدة الفلسطينيين على تجنب مثل هذه المآزق"[1].

وتوثــق مــراسلات الإمام الخميني أنه تلقى رســالة من أبو جهاد عبَّر فيها عن تضامن حركة فتح مع نضال الشــعب الإيراني وعرض فيها وضع إمكانات المنظمة تحت تصرف معارضي الشــاه وردَّ عليها الإمام الخميني بتعيين ممثل عنه لدى حركة فتح[2]. وجاء في ســيرة أنيس النقاش عن تلك العلاقة: كنَّا من القريبين جدًّا إلى هذه الثورة (الثورة الإسلامية في إيران)، ولنا فيها دور. وصرنا

على شــهادة البكالوريوس عام 1957 من قســم هندسة الإلكترو-ميكانيك التابع للكلية الفنية بجامعــة طهــران، بعدها غادر إلى الولايات المتحدة الأميركية حيث حصل على الماجســتير في الهندسة الكهربائية من جامعة تكساس، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الإلكترونيات والفيزياء الحيوية بتقدير ممتاز من جامعة بيركلي بكاليفورنيا عام 1963. وعمل باحثًا وأكاديميًّا في الجامعات الأميركية، إلى جانب عمله في مختبرات بيل، ومختبر الدفع النفاث التابع لوكالة "ناســا" الأميركية لعلوم الفضاء. وبدأ نشــاطه المعارض للشــاه منذ أن كان طالبًا في جامعة طهران. وفي الولايات المتحدة أســهم بتأســيس اتحاد الطلاب الإيرانيين وكان من منظمي الأنشــطة والتظاهرات المناهضة للشــاه. وقد تنقل لتعلم وتعليم أساليب الحرب غير النظامية بين مصر ولبنان وسوريا، وانخرط مع موسى الصدر في حركة المحرومين. وبعد انتصار الثورة شغل مناصب عدة حيث عُيِّن وزيرًا للدفاع في حكومة بازرجان، وفاز بعضوية مجلس الشورى وكان مستشارًا لمجلس الدفاع الوطني. ترك شمران البرلمان والتحق بساحة القتال حيث قتل شمران بشظية أصابته خلال الحرب العراقية الإيرانية عام 1981. انظر: مادلين الحلبي، مصطفى شــمران... مؤســس الحروب الإيرانية غير النظامية، جاده ايران، 4 يوليو/ تموز 2020 (تاريخ الدخول: 29 مارس/ آذار 2023)، https: / /aljadah.media /archives / 16766/

(1) al-Hawadis (Beirut), 13 December 1974, as monitored by Foreignو, Broadcast Information Service, in FBIS-MEA, 13 December 1974

(2) جاء في نص الرسالة: السيد أبو جهاد، أيده الله تعالى

نبحث كيف نستفيد من هذه الروح الثورية في إيران لتفعيل الروح الإسلامية في جنوب لبنان. وفي هذا السياق، أصبح ثمة شكل من أشكال العودة إلى التدين في الكتيبة الطلابية، وبدأت عناصر الكتيبة وضباطها يترددون على المساجد والحسينيات؛ وهذا الأمر أوجد لُحمة جيدة جدًّا مع أهالي الجنوب. يتذكر النقاش: كان شعار أول ملصق وزعناه في الجنوب: "قادمون إلى كل الجبهات"، وكان ذلك بناء على "رغبة المتطوعين الإيرانيين الذين أرادوا القتال في جنوب لبنان[1]، وكان يقود الحملة حينذاك الشهيد محمد منتظري. كان لدينا بعض المتطوعين الإيرانيين بأعداد كبيرة، وكانوا يتدربون عندنا من أجل انتصار الثورة الإيرانية لكن بعد انتصار الثورة ما عاد هناك مانع من أن يأتوا إلينا للقتال في سبيل فلسطين[2].

في 23 أغسطس/ آب 1978، حمل السيد هاني فحص رسالة من ياسر عرفات إلى الإمام الخميني في النجف في وقت كانت الحكومة العراقية تضغط عليه لوقف نشاطه السياسي. ردَّ الإمام الخميني على رسالة عرفات، في 19 سبتمبر/ أيلول 1978، برسالة حملها إلى بيروت علي أكبر محتشمي بور، دعاه فيها إلى "التضامن مع شعبه المظلوم وأن يكون صوتًا لهم وأن يسخِّر وسائل إعلامه لإيصال صوتهم إلى العالم"[3].

بعد تقديم التحية، وإلحاقًا بخطابكم المحترم، تاريخ 10/ 12/ 1978، عيَّنت السيد جلال الدين -أيده الله تعالى- من أجل ذلك الموضوع، والسلام عليكم ورحمة الله.

روح الله الموسوي الخميني.

وأرسلت فتح عبره رسالة إلى الخميني معلنة دعمها وطالبة المزيد من التنسيق والتعاون. انظر: نامه به آقاى ابو جهاد درباره تعيين نماينده(رسالة إلى السيد أبو جهاد حول تعيين ممثل)، ۳ دى ۱۳۵۷ش/۲۳ محرّم ۱۳۹۹، صحيفه امام خمينى، المجلد الخامس، صفحه 273، سايت جامع امام خميني(ره)، (تاريخ الدخول: 29 مارس/ آذار 2023)، http://emam.com/posts/view/1153

(1) صقر أبو فخر، "أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، 2010)، ط 2 ص 102.

(2) صقر أبو فخر، "أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، 2010)، ط 2 ص 102.

(3) جلال الدين فارسي، زواياى تاريك، ص 402.

جاءت العلاقة بين فتح والمجموعات الثورية الإيرانية في سياق ما يسميه النقاش "التحالف مع القوى الثورية". وفي هذا الصدد، كتب النقاش تقريرًا لأبو جهاد جاء فيه: "الإمبريالية تخطط بشمول وعلى الثورة أن ترد بشمول"، وذلك استنادًا إلى أن للولايات المتحدة الأميركية حليفين كبيرين في المنطقة، هما: تركيا وإيران، وإذا أرادت المقاومة الفلسطينية تغيير الموازين في المنطقة فعليها أن تعمل على التغيير في هاتين الدولتين. فرد عليه أبو جهاد: "توكل على الله يا أخي". وبدأ النقاش في نسج علاقات متشعبة مع قوى ثورية تركية وإيرانية. وكان أبو جهاد على اتصال بالقوى الإيرانية، وجاءت قوى إيرانية أخرى إلى لبنان من منابت شتى.

يزعم النقاش أنه هو صاحب مشروع إنشاء الحرس الثوري بينما تقول الوثائق الإيرانية: إن صاحب الفكرة هو محمد منتظري وحملها آية الله مطهري إلى الإمام الخميني[1].

يقول النقاش في روايته: كتبت مشروع الحرس الثوري، وجاء جلال الدين الفارسي إلى منزلي قبل سفره إلى إيران، وقال لي: لدينا خوف كبير من أن تتكرر تجربة محمد مصدق وأن يقوم الجيش وضباطه الذي تدربوا في أميركا بانقلاب عسكري. قلت له: لنبنِ إذن جيشًا رديفًا. لنبنِ حرسًا يحمي الثورة. فقال لي: هل يمكنك أن تكتب لنَا مشروعًا في هذا الشَأن؟ وكتبت المشروع، وأسميته "الحرس الثوري"، وذكرت في المشروع أن تشكيلات الحرس يجب أن يكون تسليحها خفيفًا (كلاشينكوف وآر بي جي) وأن يتم توزيع العناصر على جميع ثكنات الجيش مثل الشرطة العسكرية، حتى إذا أراد الجيش القيام بانقلاب تبادر عناصر الحرس إلى إفشال الانقلاب. يومذاك سافر جلال الدين الفارسي مع الأخ أبو عمار إلى طهران في طائرة واحدة، ولم يتمكن من الحضور إلى منزلي لاستلام المشروع. فجاء محمد صالح الحسيني الذي كان سيغادر لبنان إلى إيران من طريق سوريا ليرافق محمد منتظري، فقلت له: هذا المشروع طلبه منّي جلال الدين، فخذه له إلى إيران. فأخذ محمد صالح الحسيني المشروع وسافر إلى سوريا ومنها إلى إيران[2].

(1) الشهيد حجة الإسلام الشيخ محمد منتظري، موقع الولاية، بدون تاريخ، (تاريخ الدخول: 29 مارس/آذار 2023)، https://alwelayah.net/post/print/16503

(2) صقر أبو فخر، "أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار"، مرجع سابق~، ص 163-164.

جاء الإعلان عن تأسيس الحرس بعد أن قام عدد من الشبان الإيرانيين ممن تربطهم علاقة قوية بالتنظيمات الفلسطينية وأبرزهم جلال الدين الفارسي[1]، ومحمد صالح الحسيني، ومحمد منتظري، باحتلال إحدى ثكنات الجيش وظن الضابط المسؤول أن لديهم قوات كبيرة، وقالوا له: هذه الثكنة ستكون مركزًا للحرس[2].

عاش جلال الدين الفارسي فترة طويلة في بيروت وعمل مع حركة فتح، وكان هو وصادق قطب زاده من الإيرانيين الذين تتردد أسماؤهم في لبنان، أما الأكثر فاعلية في نسج العلاقة بين المجموعات الإيرانية والفلسطينية فكان محمد صالح الحسيني، الذي سُجن في العراق بسبب نشاطه الإسلامي واستطاع أن يفر من السجن إلى لبنان حيث التحق بالثورة الفلسطينية، وكان له أثر في حركة فتح وخارج فتح؛ إذ أثَّر كثيرًا في مجموعات إسلامية في جنوب لبنان أصبحت العمود الفقري لحزب الله، كما كانت له في البقاع علاقات قوية مع كوادر أسست، فيما بعد، "أمل الإسلامية". ووفقًا للنقاش، فقد كان الحسيني، حقًّا، مهندس العلاقات الأولى بين الإمام الخميني والقيادة الفلسطينية[3].

ويبدو أن التوجه نحو المقاومة الفلسطينية سعيًا للتدريب والحصول على السلاح لم يكن مقتصرًا على نشطاء الثورة من الاتجاهات الإسلامية، بل كان

---

(1) حاولت الباحثة التواصل مع جلال الدين الفارسي لإجراء مقابلة معه، لكن ظروفه الصحية وكبر سنه؛ حيث إنه تجاوز التسعين من عمره حالا دون إجراء مقابلة معه، لكن عائلته زودت الباحثة بنسخة من كتاب يوثق لهذه المرحلة ومراحل أخرى.

(2) أجرى النقاش مع أبو جهاد نوعًا من تقدير الموقف: ما احتياجاتهم المادية والسياسية؟ كيف يخوضون حوارًا إستراتيجيًّا معهم؟ وبعد فترة، وجدا أن الأتراك ليسوا على مستوى الجدية؛ فهم مجموعات تروتسكية أو ماوية صغيرة يمكنها القيام بعمل عنفي كبير لكن ليست لهم امتدادات جماهيرية، في حين أن الوضع في إيران كان مختلفًا جدًّا، فالقوى الإيرانية كانت لها امتدادات شعبية، ولها مرجعيات مثل التيار الإسلامي. انظر:

صقر أبو فخر، "أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار"، مرجع سابق~، ص 163-164.

(3) أبو فخر، مرجع سابق، صص 158-155.

من مشارب أخرى وهذا ما يؤكده فرهاد فرجاد، العضو السابق في حزب توده[1] الإيراني (حزب الجماهير)؛ إذ يقول: قبل ثلاثة أشهر من انتصار الثورة الإسلامية في إيران، في ديسمبر/ كانون الأول 1978، سافرت إلى بيروت بحجة المشاركة في مؤتمر المنظمة الشبابية في جبهة التحرير الفلسطينية ممثلاً عن منظمة "الشباب والطلاب الديمقراطيون في إيران". كنَّا، الجيل الأصغر في الحزب، نعتقد أن الثورة ستدخل المرحلة المسلحة قريبًا بعد صعود الموجات الشعبية للثورة. لم يكن انتصار الثورة بالسرعة التي حدثت في فبراير/ شباط 1979، متوقعًا، لذلك خططت للقاء قادة حركة فتح نيابة عن شباب حزبنا لنطلب منهم التدريب والتسليح[2]. ويروي فرجاد تفاصيل اجتماعه مع ياسر عرفات الذي رحَّب به ونصحه أن تكون أسلحتهم من نوع أسلحة الجيش الإيراني حتى لا تُتهم المنظمة بتلقي أسلحة أجنبية. وفي ذلك اللقاء حمَّله السلام إلى "الرفيق ألكساندر" يقصد إيرج إسكندري[3].

اجتمع فرجاد أيضًا مع أبو جهاد فرحَّب به وطلب منه قائمة المعدات والأسلحة المطلوبة. وذكر فرجاد أن وضع فصيل أبو جهاد المالي والتسليحي كان الأفضل بين فصائل تنظيم فتح[4]. والتقى بقادة الجبهة الديمقراطية الفلسطينية،

---

(1) حزب توده إيران (حزب الجماهير): حزب إيراني ذو توجه ماركسي لينيني تأسس عام 1941. كان من ضمن الأحزاب والحركات المعارضة لنظام الشاه محمد رضا بهلوي، وبعد انتصار الثورة كان من بين الأحزاب التي جرى حظرها، وتعرض أعضاؤه لمحاكمات وإعدامات.

(2) اتحاد سرخ و سياه: گزارشى از سفر آموزش نظامى به كمپهاى فلسطينى اتحاد الأحمر والأسود: تقرير عن رحلة تدريب عسكرية الى المخيمات الفلسطينية دورية "انديشه پويا"، السنة الثالثة، العدد 22، آذر 1393 ش، ص 74.

(3) المصدر السابق.

(4) يسجل فرجاد ملاحظات ناقدة عن تنظيم فتح بقوله:

كنت أعتقد أن هذه المنظمة مجموعة من العصابات المثالية؛ وأنها على قدم وساق مع أقوى جيش في المنطقة. رأيت في بيروت أن معظم أعضاء منظمة فتح ليس لديهم ما يفعلونه. كانوا مثل الناس العاديين في المدينة. بعض الناس قاتلوا في الخطوط الأمامية مع إسرائيل واستشهدوا فيما تحول العديد من الانتهازيين في بيروت من مقاتلين إلى قوة بيروقراطية تنظيمية. لقد تلقوا

فوعدوا بتقديم المساعدة على الرغم من "أوضاعهم السيئة"[1].

وكما أن التعاون بين المجموعات الثورية الإيرانية لم يكن مقتصرًا على توجه بعينه فإنه لم يقتصر على الرجال كذلك؛ وهذا ما تكشفه مذكرات جلال الدين فارسي، الذي يقول إنه مع تصاعد المواجهة الثورية المسلحة ضد الشاه في أواخر 1977 ومطلع 1978 زاد عدد القادمين والقادمات من إيران للتدريب في معسكرات فتح. كانت المرأة الإيرانية حاضرة في ميادين التدريب. وقد كانت زوجة محمد بنكدار، أحد قادة الثورة، أول امرأة إيرانية تتلقى تدريبًا عسكريًّا لدى حركة فتح، وتنقل مذكرات فارسي عن مريم أميني ميلاني قولها: "في باريس سألت حضرة الإمام بشأن التعليم العسكري للأخوات، وكان رده أنه تعليم جيد"[2].

كانت علاقة فتح بالثورة الإيرانية علاقة وطيدة، وكان للقوى ذات التوجه الإسلامي دور مهم فيها، ومن الوجوه التي كان لها نصيب من ذلك: عباس أقا زماني، وهادي غفاري، ومحمد منتظري، وجلال الدين فارسي، ومحسن غلاب بخش، وأصغر جمالي فرد، ومئات من الرجال والنساء المقاتلين الذين يصفهم أمير حسين جعفري بأنهم ضحوا بأرواحهم وممتلكاتهم من أجل الثورة[3].

شبكة الحلفاء وخصوصية النموذج الإيراني

انتصرت الثورة وتأسست الجمهورية الإسلامية على يد مجموعة كان لها علاقات متشعبة ومعقدة مع مجموعات ثورية في أنحاء مختلفة من العالم، وفي فترة مبكرة بنت الجمهورية الوليدة أنموذجًا في التحالف يتكون من شبكة منظمات مسلحة غير حكومية، وأنشأت لذلك الغرض وحدة خاصة داخل

رواتب فقط وشغلوا مناصب تنظيمية غير معهودة.

(1) المصدر السابق.

(2) جلال الدين فارسي، زواياي تاريك، مرجع سابق، ص 404.

(3) اميرحسين جعفرى، كدام گروه‌هاى عربى با انقلاب‌اسلامى همراهى كردند، شبكة شرق، 21 بهمن 1400 ش، (تاريخ الدخول: 28 مارس/آذار 2023)، https://bit.ly/40dYKw9

الحــرس الثوري، ســمتها "وحدة حــركات التحرر"[1].وكانت تلك الوحدة هي النواة الأولى لـ"فيلق القدس" الذي تأسس لاحقًا، وتزامن تأسيسها مع تأسيس الحرس الثوري في مطلع ثمانينات القرن العشرين[2].

تشكَّلت "وحدة المستضعفين وحركات التحرر"، وأُسندت رئاستها لمحمد منتظري، صاحب العلاقات الواسعة مع التشكيلات الفلسطينية المقاومة. وعمل مع منتظري شخصيات كان لها دور كبير في مسيرة الحرس الثوري من أبرزهم عباس أقا زماني "أبو شريف" الذي تقلد لاحقًا منصب قائد الحرس.

شــكلت الوحدة في أيامها الأولى الأداة الأساســية للجمهورية الإسلامية لتصدير الثورة، وكان لصفات محمد منتظري الشــخصية، ومعه مهدي هاشمي، دور كبير في طبيعة عمل الوحدة؛ فقد كانا يؤمنان بثورة عابرة للحدود وقيم ثورية مشــتركة، فضلاً عن ولعهما بالأســاليب غير التقليدية في المواجهة والمقاومة، وهكذا دخلت الحرب غير المتناظرة إلى خطط الحرس من خلال وحدة حركات التحرر.

لم يمض سوى وقت يسير على تشكيل الوحدة حتى اغتيل محمد منتظري في تفجير استهدف مبنى حزب الجمهورية الإسلامية، في 1981، وخلفه في إدارة الوحدة مهدي هاشمي. وكان لوحدة "حركات التحرر" علاقات خارجية متشعبة، مــع المنظمات المعارضة في الخليــج والعراق، مثل "منظمة العمل الإسلامي" فــي العراق، و"منظمة الثورة الإسلامية في الجزيــرة العربية"، و"حركة الجهاد الإسلامي" في فلســطين، و"حركة الجهاد" في مصر، كما بنى هاشمي علاقات بمنظمــات في شــمال إفريقيا والقــرن الإفريقي، وأميــركا الجنوبية، والحزب الشيوعي الإسباني[3].

---

(1) Ali Alfoneh, The Revolutionary Guards' Role in Iranian Politics, Middle East Quarterly,September 01, 2008,(accessed :September 20 2020), https://2u.pw/T8HZnlXC

(2) نیروی قدس ســپاه چگونه تشــكيل شــد؟ (كيف تشكلت قوات فيلق القدس)، صحيفة دنياى اقتصاد، 1400/2/13 ش(تاريخ الدخول: 28 مارس/آذار 2023)، https://donya-e-eqtesad.com/fa/tiny/news-3761462

(3) حسن المصطفى، كيف تدير إيران شبكة الحلفاء والميليشيات في الشرق الأوسط!، العربية نت،

وقد ارتبط اســـم مهدي هاشـــمي بوحدة حركة التحرر[1] إلى أن عُزل من منصبـــه وأعدم في عهد الرئيس الراحل، هاشـــمي رفســـنجاني، الذي كان على خلاف صريح معه. حوكم هاشـــمي بتهم كثيرة من أبرزها محاولة اغتيال أحد رجال الدين زمن الشـــاه (آية الله شـــمس آبادي) وعدد من الاغتيالات الأخرى إضافة إلى المسؤولية عن عدد من عمليات التفجير. وجاء في نص الحكم الذي أصدره القاضي، علي رازيني، بإعدام هاشـــمي بتهمة مناهضة النظام والفســـاد والتحريض على الفتنة وترويع المواطنين[2].

ويُعتقد أن حل وحدة "حركات التحرر"، وإزاحة مهدي هاشمي، كان نتيجة مفاوضات سرية بين وفد أرسله رفسنجاني وممثلين عن البيت الأبيض. ويؤكد ســـعيد منتظـــري في نقد الذات أن أحد مستشـــاري الرئيـــس ريغان صرح، بعد اجتمـــاع الطرفين، بأن الجمهوريـــة الإسلامية تعهدت بالتعامل بحدة مع تصدير الإرهاب، وأن مسؤول هذا التوجه (مهدي هاشمي) يقبع اليوم في السجن[3].

---

11 مايو/أيار 2021، (تاريخ الدخول: 29 مارس/آذار 2023)، https://bit.ly/3LYLR4M

(1) - يقدم حســـين شـــيخ الإسلام توصيفًا ســـلبيًّا لمهدي هاشمي، إذ يقول: قد قررت منذ البداية أن أُبعـــد مســـير عملي عنه. وقد وصل إلى نتيجة بـــأن طبيعة عملي تضطره إلى التقارب معي فسعى لاستمالتي بطريقة سخيفة ومنذ تلك اللحظة فهمت أن هذا الرجل لديه مشكلة. ويصف شـــيخ الإسلام هاشـــمي بقوله: كان شخصًا خبيثًا وقد كنت أخاف من عينيه. في أفغانستان لم يكن يتورع عن ارتكاب أية جريمة وأفسد حياة الناس هناك، حتى إن حياة عوائل فريقه كانت بيده، لقد كان لديه سلوك المنافقين. انظر: راضيه حقيقت و محمدحسن روزی‌طلب، "سفير قدس"، برش‌هایی از خاطرات مرحوم حســـین شـــیخ الاسلام("سفير القدس"(مقتطفات من مذكرات المرحوم حسين شيخ الإسلام)، (تهران:راه يار، 1400ش)، ط1، 189.

(2) اتهامات سيد مهدى هاشمى چه بود؟(ماذا كانت تهم السيد مهدي هاشمي)، وكالة ايسنا، 20 مهر 1400 ش، (تاريخ الدخول: 29 مارس/آذار 2023)، isna.ir/xdKcJw

(3) ســـعيد منتظري، نقد الذات: آية الله حســـين علي منتظري في حوار نقد ومكاشـــفة للتجربة الإيرانية، مرجع سابق، ص90.

تشكيل فيلق القدس

تربــط الأدبيــات الإيرانية بين تشــكيل فيلق القدس والوجود العســكري الأميركــي في المنطقة. بعــد حرب الخليج الثانية[1] أعادت إيران صياغة الفكرة الأولــى (وحدة حركات التحرر) بصورة مؤسســية أكثر، فجرى تشــكيل فيلق القــدس ليضطلــع بمهمات الخــارج وينظم العلاقة مع شــبكة الحلفاء. يعرِّف القيادي السابق في الحرس، حسين كنعاني مقدم، فيلق القدس بأنه "جبهة مقاومة قوية في مواجهة الصهيونية وأميركا في المنطقة من البحر المتوســط إلى شرقي آســيا"، ويربط ذلك بالسياســة الخارجية الإيرانية التي تعتمد مبدأ "وقف العدو خارج الحدود" الإيرانية، وهو ما فرضته تجربة الحرب مع العراق خلال ثماني سنوات. [2]

في مقابلة مع وزير الدفاع الإيراني الســابق، حســين دهقاني، في برنامج "بأفق فلســطين" ، يجيب عن ســؤال سبب تســمية فيلق القدس بهذا الاسم[3]، ويشــرح القائد السابق للحرس الثوري، محسن رضائي، السياق الذي جاءت به

(1) به مناسبت سالروز تشكيل سپاه قدس؛ سپاه قدس از شكل‌گيرى تا به امروز (بمناسبة الذكرى الســنوية لتأســيس فيلق القدس؛ من النشــأة وإلى اليوم)، وكالة إيرنا، 8بهمن 1400ش (تاريخ الدخول: 4 أيار/ مايو 2023): irna.ir /xjHsKd

(2) طاهر غل عنبري، ما نعرفه عن "فيلق القدس": النشأة والقيادات (1-2)، العربي الجديد، 23مايو 2022 (تاريخ الدخول: 4 أيار/ مايو 2023): https:/ /bit.ly/3NxJLK2

(3) - يقول دهقان :جاء الاســم بفعل النصر الذي تحقق في خرم شــهر والعمليات التي وقعت وأطلق عليها اســم "عمليات بيت المقدس" ، كانت إســرائيل قد هاجمت لبنان ووصلت إلى بيروت وفي ذلك الوقت قام مجموعة من منتسبي الحرس بالقتال ضد إسرائيل في لبنان، حينها قــال الإمــام الخميني أن طريق القدس يمر من كربلاء، وفي ذلك الوقت لم يكن فيلق القدس قد أســس بعد حيث تأســس في عهد السيد (علي خامنئي)، لكن ذهبت مجموعة من الحرس وقاتلت في لبنان وبدأ تشــكيل حزب الله هناك، كان لدينا في الحرس مجموعة تعمل خارج الحدود انضوت تحت فيلق يعمل في الخارج وسمي "فيلق القدس".أنظر:

سردار حسين دهقان در برنامه به افق فلسطين : ريشه سپاه قدس در اولين اقدام نظامى برون مرزى بعد از عمليات بيت المقدس اســت، 22 أكتوبر/ تشــرين الأول 2023 (تاريخ الدخول: 23 أكتوبر/ تشرين الأول 2023): https: / /2u.pw /gnahZWs

عبارة "طريق القدس يمر من كربلاء"[1]، يقول: "مع تحرير "خرم شهر" ووصول مقاتلينا إلى بعض النقاط على الحدود مع العراق قامت إسرائيل بمهاجمة جنوب لبنان، وذهبت برفقة آخرين من الحرس إلى سوريا واجتمعنا مع حافظ الأسد وعرضنا الذهاب وتقديم المساعدة، ثم اجتمعنا مع المجلس الأعلى للدفاع في إيران وكان برئاسة السيد خامنئي وكان رئيسًا للمجلس وقتها، والذي أصدر قرارًا بتشكيل فريقين من الجيش والحرس وإرسالهما للمساعدة. وعندما علم الإمام بالأمر قال: لا. نحن لا نريد الآن الدخول بحرب هناك؛ لأن طريق القدس يمر من كربلاء، لكن إذا كان لتقديم المشورة والعون يمكنكم البقاء هناك[2].

كان تأسيس فيلق القدس بناء على اقتناع مفاده أن ممارسة الدبلوماسية في المنطقة من دون حضور ميداني عملياتي "غير ممكنة"[3].

تأسس فيلق القدس عقب انتهاء الحرب مع العراق، عندما قرر الحرس الثوري الإيراني تعزيز أنشطته الخارجية وتنظيمها، فأصدر علي خامنئي، سنة 1990، بعد فترة وجيزة من توليه منصب القائد الأعلى، مرسومًا يقضي بتشكيل قوة جديدة في الحرس الثوري باسم "قوة القدس" أو "فيلق القدس"، ليصبح الفيلق القوة الخامسة في الحرس الثوري الإيراني، بعد القوات البرية والجوية والبحرية والبسيج (قوات التعبئة والاستخبارات)[4].

ويعد فيلق القدس جزءًا من العقيدة العسكرية الإيرانية المرتكزة على مفهوم الدفاع الفسيفسائي؛ أي الحرب الشبكية لوحدات صغيرة ورشيقة، مستقل

---

(1) محسن رضایی در برنامه به افق فلسطین: امام فرمودند راه قدس از کربلا می گذرد و ما الان از کربلا عبور کردیم (محسن رضائي في برنامج "به افق فلسطين": الإمام صرح بأن طريق القدس يمر من كربلاء، ونحن الآن مررنا من كربلاء، شبكة أفق، 1 نوفمبر/ تشرين الثاني 2023 (تاريخ الدخول: 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 2023): https://web.telegram.org/k/#@ofogh_tv

(2) من المقابلة مع القائد السابق للحرس الثوري، محسن رضائي.

(3) المرجع السابق.

(4) به مناسبت سالروز تشکیل سپاه قدس؛ سپاه قدس از شکل‌گیری تا به امروز (في الذكرى السنوية لتأسيسه: فيلق القدس منذ النشأة وحتى اليوم)، إيرنا، 18 بهمن 1400 (تاريخ الدخول: 4 مايو/أيار 2023)، https://bit.ly/3VwVUkk

بعضها عن بعض[1]. لقد أوجِد حضور إيران العملياتي في الخارج مشكلات في علاقاتها الخارجية، ويشــكل مثار خلاف داخلي كشــفت عنه تسجيلات مسربة لوزير الخارجية الإيراني السابق، جواد ظريف، يشتكي فيها من الأثمان الكثيرة التي تحملتها الدبلوماســية الإيرانية بسبب الميدان الذي كانت له الأولوية لدى النظــام وتمت التضحية بالدبلوماســية من أجل الميــدان[2]، وكان ظريف يقصد بالميدان نشاط "فيلق القدس".

شبكة الحلفاء والفسيفساء الدفاعية الإيرانية

ظل مفهوم "تصدير الثورة" عنصرًا أساســيًّا في إستراتيجية إيران الدفاعية. وكان مــن أولوياتهــا الأمنية، بعد حربها مع العــراق، بناء تحالف إقليمي يكون قــوة ردع تواجه أعداءها في الخارج وتبعد الخطر عن حدودها، فتكون خطوط الدفاع الإستراتيجي الإيراني، في المقام الأول، في لبنان وسوريا والعراق واليمن وفلسطين.

فلو وقع هجوم أميركي/ إسرائيلي على إيران فإن المنطقة بأكملها "ستتحول إلى منطقة حرب فسيفســائية، بحيث لا يبقى للعدو أي نقطة آمنة.. ولن تكون القواعــد الأميركية والإســرائيلية الــ32 في المنطقة، في مأمــن من الصواريخ الإيرانية.. وســتكون مصالحهم مهددة في عشرات الدول، في الوقت نفسه"[3]. كما يقول مجتبى ذو النوري، القيادي في الحرس الثوري، في مقابلة معه، سنة 2010.

---

(1) AndreaS Krieg and Jean-Marc rickli, Surrogate Warfare: The Transformation of War in the Twenty-First Century, Georgetown University Press, 2019,p173

(2) صداى مكتوب ديپلماســى؛ متن كامل مصاحبه حاشيه‌ســاز،(صوت الدبلوماسية المكتوب: النص الكامل للمقابلة المثيرة للجدل)، إيســنا، 7 ارديبهشــت 1400 (تاريخ الدخول: 4 مايو/ أيار 2023)، https://bit.ly/3LUQWuo

(3) حجــت‌الاسلام مجتبــي ذوالنور در گفت‌وگوي تفصيلي بــا خبرنگار فارس:32 پايگاه أميركا و اســرائيل در منطقه نقطه امني در مقابل موشــك‌هاي ايران نيست (حجة الإسلام مجتبي ذو النور في مقابلة مفصلة مع مراسل فارس: 32 قاعدة أميركية وإسرائيلية في المنطقة لن تكون آمنة في مواجهة الصواريخ الإيرانية)، وكالة أنباء فارس، 1389/3/30 ش (تاريخ الدخول: 10 سبتمبر/أيلول 2023): https://2u.pw/LMcPWxZ

وفي هذه السبيل قامت سياسة إيران على:

- أن يكون التحالف الإقليمي، أساسًا، من شبكات ترتبط بإيران عقائديًّا واقتصاديًّا وإستراتيجيًّا. ومن أمثلة ذلك ما يسمى "مدافعي الحرم"، وهم مقاتلون من بلاد شتى يدافعون عن مصالح إيران خارج حدودها، بعضهم في "لواء فاطميون"، ولأسرهم منزلة خاصة عند قائد الثورة[1]، على خامنئي، وعنها يقول: "هذه العائلات لها دَيْنٌ في عنق الإيرانيين جميعًا، فقد قاتل أبناؤها دفاعًا عن حريم آل البيت في سوريا والعراق، وواجهوا أعداء إيران في الخارج، وبدون هذه المواجهة كان يمكن لهؤلاء الأعداء أن يدخلوا إيران، ولو لم يقفوا في وجههم فإن إيران كانت مجبرة على محاربتهم في كرمنشاه وهمدان وبقية المدن الإيرانية"[2].

- جعل المساعدات الأمنية للحركات الإسلامية محورًا في إستراتيجية الأمن القومي[3].

-المرونة في التعاطي مع الجماعات المؤيدة لها؛ فتترك لهم حرية اتخاذ القرار وفقًا للمعطيات الميدانية التي يرونها[4]، وتتغاضى عن خصوصية بعضهم المذهبية والفكرية والميدانية؛ فلا تنتظر من حماس مثلاً أكثر من قتال إسرائيل، يقول مجتبى أبطحي: "قرارنا هو الدفاع عن حماس، وإذا ما حدثت المعركة مع إيران فمن المؤكد أن حزب الله سيشارك والحشد الشعبي سيشارك وكذلك أنصار الله وزينبيون، وهي إستراتيجية دفاعية بنيناها. أما حماس فيكفي أن تقاتل

---

(1) يحرص خامنئي على عقد لقاءات دورية مع عوائل "مدافعي الحرم"، ويوثق موقعه الرسمي عددًا كبيرًا من هذه اللقاءات والفعاليات التي تتم بصورة مستمرة.

(2) بيانات در ديدار جمعى از خانوادههاى شهداى مدافع حرم، "تصريحات في لقاء جماعي لعوائل الشهداء مدافعي الحرم"، 15/ 11/1394 ش، (تاريخ الدخول: 12 سبتمبر/أيلول 2023)، https://2u.pw/DOv124F

(3) Abdolrasool Divsallar & Hamidreza Azizi,Towards a non-Western model of security assistance: How Iran assists militaries, Taylor & Francis, 26 Feb 2023 (accessed: 21 December 2023): https://bitly.ws/36MRZ

(4) ARIANE M. TABATABAI, JEFFREY MARTINI, BECCA WASSER, The Iran Threat Network (ITN) Four Models of Iran's Nonstate Client Partnerships, rand, September 2019 (accessed: March27, 2023): https://bit.ly/42MLqjV

إســرائيل، وليــس مطلوبًا منهــا أن تقاتل معنا إذا تعرضنــا لهجوم، إن المعركة الوحيــدة التــي يُنتظر من حماس أن تخوضها هي الحرب مع إســرائيل لتحرير الأراضي الفلسطينية المحتلة"[1].

حماس: ظروف النشأة وبناء العلاقات

تعــرِّف حركة حماس نفســها فــي الباب الأول من ميثاقهــا[2] بأنها حركة فلسطينية متميزة، منهجها الإسلام، وإليه تحتكم في كل تصرفاتها، وبأنها جناح من أجنحة الإخوان المســلمين في فلســطين، وتعمل على رفع راية الله على كل شــبر من فلسطين، كحلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية و"ترتبط بانطلاقة الشــهيد عز الدين القســام وإخوانه المجاهدين من الإخوان المســلمين، عــام 1936، وتمضــي لتتصــل وترتبط بحلقة أخــرى تضم جهاد الفلســطينيين وجهود وجهاد الإخوان المســلمين في حــرب 1948 والعمليات الجهادية للإخوان المسلمين، عام 1968 وما بعده"[3].

تزامن ميلاد حركة حماس مع انطلاق شــراة الانتفاضة الأولى، إثر دعس أربعــة عمال فلســطينيين (8 ديســمبر/ كانون الأول 1987). وقد أحدث ميلاد الحركة تحولاً كبيرًا في جماعة الإخوان المســلمين في فلســطين؛ حيث انتقلت من حركة اجتماعية تربوية إلى قوة سياســية عســكرية تزاحــم القوى العلمانية المنضوية تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية[4].

في 14 ديسمبر/ كانون الأول 1987، اجتمعت قيادة الإخوان في قطاع غزة، برئاســة الشــيخ أحمد ياســين، وقررت تصعيد المواجهات في مختلف مناطق

---

(1) مقابلة للباحثة مع عضو الحرس الثوري والأمين العام لمؤتمر دعم الانتفاضة، مجتبى أبطحي، طهران، 2 أكتوبر/تشرين الأول 2023.

(2) ميثاق حركة حماس، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد الرابع، العدد 13، شتاء 1993، ص 146.

(3) نجــد ذلــك في المــواد (1-7) من مواد ميثاق الحركة، انظر ميثــاق حركة حماس، المرجع السابق.

(4) لنا نعيم راغب دغيش، تطور الخطاب السياسي والإعلامي لحركة حماس تجاه الغرب وموقف الأخير منه (1987-2018)، رسالة ماجستير (جامعة القدس) قدمت في 2018، ص 19.

القطاع. وأصدر المجتمعون بيانًا صحفيًّا دعوا فيه الشعب إلى الوقوف والتظاهر ضد المحتل "الإسرائيلي". واعتبر ذلك البيان الأول لانطلاقة حركة حماس[1].

خلــق الإعلان عن انــطلاق حركة حماس تحديين أساســيين أمام القيادة الفلســطينية: أولهما: شــرعية القيادة أمام حركة تنطلــق داخل الأرض المحتلة مرتكزة على الإرث الإسلامي للشعب الفلسطيني. وثانيهما: رفض هذه الحركة الناشــئة التســوية مع العدو، مع دعوتها إلى الجهاد لتحرير كامل فلسطين. ولم تفلح جهود المنظمة في تحجيم الحركة التي بدأ تأثيرها يتعاظم يومًا بعد يوم[2].

بعد نشــأة حركة المقاومــة الإسلامية حماس، وفــي العامين الأولين من عمرهــا (1988 و1989) لــم تقم الحركة بأي مبادرة لإقامة علاقات مع الخارج لعدة أســباب، أهمها: طبيعة نشــأة الحركة الذي تزامنت مــع الانتفاضة فصار مطلوبًــا مواجهــة التحديات التي فرضها هذا الحدث. كما أن الحركة الناشــئة كان مــن أولوياتهــا أن تثبِّت أقدامها على الأرض داخل الأراضي الفلســطينية، خاصة أن نشــأة حماس جاءت مع تراجع الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية.. وفــي المحصلة لم تكن البيئة ولا الأرضيــة اللازمة لبناء العلاقات مع الخارج مهيأة بعد[3].

كانــت بواكيــر انطلاق علاقات حماس الخارجيــة في 1989، وقد أعلنت الحركة عن ناطق رسمي باسمها قبل ذلك بقليل، وكان وقتها المهندس إبراهيم

---

(1) جاء في البيان: "أنتم اليوم على موعد مع قدر الله سبحانه النافذ في اليهود وأعوانهم، بل أنتم جزء من هذا القدر الذي سيقتلع جذور كيانهم. لقد جاءت انتفاضة شعبنا المرابط في الأرض المحتلة رفضًا لكل الاحتلال وضغوطاته، ولسياســة انتزاع الأراضي، وغرس المســتوطنات، ولسياســة القهــر من الصهاينة. جاءت لتوقــظ ضمائر اللاهثين وراء الــسلام الهزيل، ووراء المؤتمــرات الدوليــة الفارغة، والمصالحات الجانبية الخائنة على طريق كامب ديفيد، وعليهم أن يتيقنوا أن الإسلام هو الحل وهو البديل، وليعلموا أن القتل لا يولد إلا القتل"، انظر نص البيان الأول في الوثيقة رقم واحد في كتاب "وثائق حركة المقاومة الإسلامية"، سلسلة بيانات الحركة، المكتب الإعلامي لحركة حماس، د.م، د.ت، ص 559.

(2) محسن صالح، المرجع السابق.

(3) مقابلة للباحثة مع أسامة حمدان، الدوحة، 2016.

غوشة، وكان أرفع مستوى معلن لحركة حماس في علاقاتها مع الخارج[1].

بـدأت حركة حماس الاتصالات مع البيئة الأقرب جغرافيًّا، والأيسـر من حيث سـهولة التواصل، وجاء ذلك بالتواصل مع البيئة العربية، ولم يكن لديها تحفظات فيما يتعلق بعلاقاتها الخارجية. واعتمدت قيادة الحركة سياسة الانفتاح علـى الجميع، مع ثابت يتعلق بـ"رفض الحوار مع العدو الإسـرائيلي"[2]، ولم يَسْرِ ذلك على الدول الداعمة لإسرائيل فحتى الولايات المتحدة الأميركية التي تدعم إسـرائيل كانت سياسـة الحركة تقوم على "الاستعداد للحوار معها". في ذلـك الوقت كانت البيئة العربية بيئة داعمة، وكان من السـلس أن ينفتح عليها الفلسطينيون، ومنهم حركة حماس.

ويتحدث الدكتور خالد القدومي عما يطلق عليه "النطاقات الإسـتراتيجية" في السياسـات الخارجية ويـرى أن الدول أو الكيانات السياسـية أو اللاعبين غيـر الحكوميين، مثـل حركة حماس لديهـا في علاقاتهـا الخارجية نطاقات إسـتراتيجية، فالهدف الإسـتراتيجي للحركة هو البحث والتنقيب عن كل علاقة من شأنها "المساهمة في تحرير فلسطين، والبحث عن كل ما يخدم إيذاء العدو الصهيوني وما يخدم مسيرة النضال الوطني الفلسطيني من خلال مشروع النضال الكلي"[3]. وبناء على هذه القاعدة، فإن العلاقة مع "أي دولة سواء أكانت (س) أم (ص) تأتي ضمن هذا النطاق الكلي والعام للسياسـة الخارجية الفلسـطينية الذي يحدد أحلافها وعلاقاتها السياسـية"[4]، والموجِّه الدسـتوري في ذلك هو تعاليم الدين الإسلامي والمصلحة الوطنية الفلسطينية. وهذا الموجه هو مقياس للبعد والاقتراب في العلاقات مع هذه الدولة أو تلك[5]. وبقدر ما تكون العلاقة مع دولةٍ ما تخدم المشـروع الوطني الإستراتيجي نكون قريبين منها. بشرط ألا

(1) من مقابلة الباحثة مع أسامة حمدان.

(2) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(3) مقابلة للباحثة مع الدكتور خالد القدومي، ممثل الحركة في طهران، بواسطة سكايب.

(4) من المقابلة مع القدومي.

(5) المصدر السابق.

يكون ذلك مخلاًّ بالمبادئ الأساسية التي انطلقت الحركة على قاعدتها بمكوناتها الثلاثة، وهي أنها: حركة ومقاومة وإسلامية[1].

اهتمت حركة حماس مبكرًا بعلاقاتها وسياستها الخارجية؛ فخطَّت مجموعة من المبادئ والسياسات جعلتها إطارًا ضابطًا لعلاقاتها الخارجية، واستفادت في ذلك من تجربة الفصائل الفلسطينية على وجه الخصوص وقوى التحرر بشكل عام. ويمكن تلخيص هذه المبادئ في النقاط الآتية:

1- العلاقات السياسية للحركة لا تنفصل عن منظومة النضال ضد الاحتلال، بل تتكامل مع فعل المقاومة ومن ذلك المقاومة المسلحة.

2- وجوب استناد علاقات الحركة إلى رؤية إستراتيجية واضحة من حيث الأهداف.

3- ضرورة إدارة علاقات الحركة بصورة مؤسسية لضمان سلامة المسار السياسي واستمرارية وحسن أداء العلاقات السياسية، وهو ما يحصِّن القرار السياسي على صعيد العلاقات الخارجية من التأثير السلبي للتغيرات التي تحدث في البيئة الداخلية للحركة وفي قياداتها.

4- قاعدة المصالح في علاقات الحركة السياسية تستند دائمًا إلى مصالح الشعب الفلسطيني. ولذلك تعاملت الحركة مع تجربة العلاقات السياسية الفلسطينية من منطلق نقدي وطني، بحيث استفادت من حسناتها وحاولت تجنب عثراتها.

5- انتماء الشعب الفلسطيني لأمته العربية والإسلامية، وهي تمثل عمقه الإستراتيجي، دون إغفال البعد الإنساني ودعم أحرار العالم للقضية الفلسطينية.

6- البحث عن المشترك في العلاقات وتعزيز نقاط الالتقاء على ألا يكون تباين الرؤى في القضايا غير القضية الفلسطينية مانعًا لبناء العلاقات.

7- استقلالية القرار، ورفض التبعية للخارج.

8- بقاء قاعدة الأخلاق والضوابط الإسلامية هي الحاكمة في أداء الحركة وعلاقاتها.

---

(1) المصدر السابق.

أما السياسات، فيمكن وضعها في النقاط الآتية:

1- الكيان الصهيوني هو العدو الوحيد للشعب الفلسطيني ومقاومته.
2- اعتماد منهج الانفتاح على قواعد: الحقوق الوطنية الفلسطينية وحق تقرير المصير وقاعدة الحق في إنهاء الاحتلال.
3- بناء العلاقات على المستويين، الشعبي والرسمي، واعتماد الوضوح في العلاقات واتباع سياسة عدم التدخل في الشأن الداخلي للدول.
4- علاقات حماس الدولية ليست موجهة ضد دول أو أطراف أخرى؛ ولذلك فالحركة لا تنخرط في تكتل أو محور ضد آخر.
5- الوضوح في المواقف والرؤى السياسية.
6- عمل الحركة داخل الأراضي المحتلة، وموجه بشكل مباشر ضد الاحتلال الإسرائيلي، وعليه فالحركة لا تمارس عملًا عسكريًّا ضد أي دولة أو على أرض أي دولة.
7- شكل وطبيعة العلاقة يتم بالتوافق مع الجهة التي تُبنَى معها العلاقة[1].

شكَّلت الحركة، في 1989، أول لجنة سياسية متخصصة، ووضعت لها أسسًا وحددت مسؤولياتها، وقدمت اللجنة دراسات واقتراحات وسعت في ترتيب لقاءات سياسية وإرسال وفود إلى بعض الدول[2].

في الفترة ما بين 1990–1992، شهدت المنطقة حدثين تركا تأثيرًا كبيرًا في القضية الفلسطينية وعلاقات حماس السياسية، وهما: احتلال الكويت، ومؤتمر مدريد.

شاركت الحركة في وساطة لإنهاء احتلال الكويت بتسوية عربية، وهو ما أكسبها نقاطًا على صعيد علاقاتها العربية خاصة مع دول الخليج، وزارت وفود من الحركة دولًا عربية وإسلامية؛ ما مهَّد لها نسج شبكة علاقات خارجية.

أما مؤتمر مدريد، فقد رأت فيه الحركة تهديدًا للقضية الفلسطينية، خاصة مع حالة الانقسام العربي التي حدثت بعد "عاصفة الصحراء" التي كان من

(1) محسن صالح، مرجع سابق، الفصل 16، ص 535–536.

(2) محسن صالح، المرجع السابق، ص 537.

نتائجهــا إضعاف الموقف السياســي لمنظمة التحريــر. في أواخر 1991، عيَّنت الحركة إبراهيم غوشــة ناطقًا رســميًّا باسمها[1]، وســعت إلى تأسيس علاقات متعــددة الأطــراف، وتراوحت ردود الفعل بين أطراف تســتطلع أفكار الحركة وتتعرف عليها وأطراف اتخذت مواقف مرحبة وسعت إلى بناء علاقات معها[2].

في أواخر 1992، أبعدت إســرائيل 415 قياديًّا فلســطينيًّا محســوبين على حماس والجهاد الإسلامي، إلى منطقة مرج الزهور في جنوب لبنان، وشــكَّلت فترة الإبعاد فرصًا كثيرة على صعيد العلاقات الخارجية للحركة ووضع اســمها على خارطة الأحداث دوليًّا[3].

فــي 1991، رفضت الحركة عقد مؤتمر أوســلو ورأت فيه تهديدًا للقضية الفلســطينية، لكــن المؤتمر عُقد بإجماع ودعم عربــي ودولي، ونتج عنه اتفاق أوســلو للتســوية، عام 1993. لــم تؤد هذه المواقف إلــى القطيعة بين الحركة والدول العربية، لكن أطرافًا عربية عدة تعاملت معها بتحفظ وبرودة، وعزز من هذه الحالة المشاركة الواسعة في مؤتمر شرم الشيخ، في 1996، الذي استهدف المقاومــة الفلســطينية وفي مقدمتها حركة حمــاس. وبينما كانت هذه هي حال علاقات الحركة مع عدد من الدول العربية كانت علاقاتها تتوسع وتتطور إقليميًّا مع بعض الدول العربية وإيران[4].

ترك الإبعاد إلى مرج الزهور آثاره الإيجابية على علاقات الحركة السياسية، وكان صمود المبعدين سببًا لفتح اتصالات مع العديد من الدول العربية والغربية؛ فقد عقدت الحركة لقاءات مع عدد من الســفارات الغربية في عَمَّان، من بينها السفارة الأميركية، لكن تلك اللقاءات لم تلبث أن توقفت بسبب قرار الخارجية الأميركية، في 1993، حظر الاتصال مع الحركة.

في سبتمبر/ أيلول 1997، فشل الموساد الإسرائيلي في اغتيال القيادي في الحركة، خالد مشــعل، وســط العاصمة الأردنية، عمَّان، وسبَّبت تلك المحاولة

(1) من مقابلة للباحثة مع أسامة حمدان.

(2) محسن صالح، المرجع السابق، 538.

(3) من مقابلة للباحثة مع أسامة حمدان.

(4) محسن صالح، المرجع السابق، ص 539.

الفاشلة أزمة دبلوماسية في العلاقة مع الأردن الذي قدم شروطًا لحلها من بينها الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، الذي وصل إلى المدينة الطبية في عمَّان للعلاج. ونجحت الحركة في استثمار وجود الشيخ خارج فلسطين ورتبت له عددًا من الزيارات شملت السعودية وقطر وإيران والكويت والإمارات وسوريا والسودان ومصر، وأثْرَت الجولة علاقات حماس الخارجية وفتحت آفاقًا جديدة لها.

شهدت هذه المرحلة برودة ملموسة في علاقات الحركة ببعض الأطراف العربية، لكنها في الوقت ذاته نجحت في بناء علاقات جيدة مع أطراف عربية أخرى والبدء في بناء علاقات مع دول إفريقية. وكان من أبرز ملامحها أنها شهدت تطورًا في علاقات الحركة بإيران[1].

أثبتت عملية التسوية فشلها وفشل الرهان على أوسلو في تحقيق حل نهائي للقضية الفلسطينية، وتصاعد العمل المقاوم الذي تجلى في انتفاضة الأقصى؛ وهو ما أسهم في تعزيز العلاقات السياسية للحركة، التي قدمت مبادرات سياسية مثل الهدنة والتهدئة في عامي 2003 و2005، حين أعلنت عن مشاركتها في انتخابات المجلس التشريعي.

نجحت الحركة في تعزيز علاقاتها الإقليمية حتى مع جهات اتسمت العلاقة معها سابقًا بالجمود، كما نجحت في تحقيق نجاحات على الصعيد الدولي ومن ذلك الاتصالات التي جرت مع الاتحاد الأوروبي، وبدء العلاقة مع موسكو في 2006 [2]. في الوقت ذاته، واجهت الحركة ضغوطات كبيرة في علاقاتها الدولية وذلك نتيجة الضغوط الأميركية على دول أوروبية لوضع الحركة على قائمة المنظمات الإرهابية وهو ما حدث بالفعل في 2003.

حماس تُشكِّل الحكومة

كان فوز حماس بأغلب مقاعد المجلس التشريعي في انتخابات 2006 مفاجئًا للجميع، ومخالفًا للتوقعات. وهو ما أقض مضجع أطراف كثيرة في

---

(1) من مقابلة للباحثة مع أسامة حمدان.

(2) محسن صالح، مرجع سابق، ص 541.

مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية التي سعت إلى محاصرة الحركة، وفرض شروط[1] للتعامل مع حكومتها.

شكَّلت حماس الحكومة وعرض إسماعيل هنية البرنامج السياسي لحكومته، أمام المجلس التشريعي، في جلسته التي انعقدت يوم 17 مارس/ آذار 2007، من أجل نيل الثقة من المجلس. وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية جاء في عرضه: ستعمل الحكومة على إقامة علاقات سليمة ومتينة مع مختلف دول العالم ومع المؤسسات الدولية بما فيها الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمات الإقليمية والدولية، وبما يساعد شعبنا على نيل حريته واستقلاله ويسهم في تعزيز السلم والاستقرار العالمي.

ودعت الحكومة الإدارة الأميركية إلى ضرورة إعادة النظر في مواقفها تجاه القضية الفلسطينية وإلى ضرورة احترام خيار الشعب الفلسطيني الذي تجسده حكومة الوحدة الوطنية، والتوقف عن سياسة الكيل بمكيالين، مع تطلع الحكومة إلى علاقات طيبة بين الشعبين، الفلسطيني والأميركي[2].

وجدت الحركة نفسها أمام ضغوط دولية وإقليمية لمنع تشكيل حكومة وحدة وطنية، وواجهت مخططات أمنية كان من أبرزها مشروع دايتون لإسقاط الحكومة التي شكلتها[3]. ولم يصمد اتفاق مكة، في مارس/ آذار 2007، لتشكيل

(1) كان من أبرز هذه الشروط شروط اللجنة الرباعية؛ حيث قال الأمين العام للأمم المتحدة في ذلك الوقت، كوفي عنان: إن مستقبل تقديم الدعم للفلسطينيين مرهون ببعض الشروط بما فيها الاعتراف بوجود إسرائيل والالتزام بنبذ العنف. وذلك في البيان الذي تلاه الأمين العام بالنيابة عن اللجنة الرباعية، التي ترعى السلام في الشرق الأوسط وتضم الاتحاد الروسي والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بالإضافة إلى الأمم المتحدة. انظر: اللجنة الرباعية تشترط تقديم الدعم للحكومة الفلسطينية، الموقع الرسمي للأمم المتحدة، 31 يناير/ كانون الثاني 2006، (تاريخ الدخول: 12 أغسطس/آب 2022)، https://news.un.org/ar/story/2006/01/49352

(2) برنامج حكومة رئيس الوزراء المكلف، إسماعيل هنية، الجزيرة نت، 18 مارس/آذار 2017 (تاريخ الدخول: 27 مارس/آذار 2023)، https://2u.pw/lkiHElg

(3) كيث دايتون: من مواليد عام 1949، وهو ضابط أميركي عمل منسقًا أمنيًّا بين الفلسطينيين

حكومة الوحدة الوطنية وحدثت المواجهة. وترك انهيار اتفاق مكة آثارًا سلبية على علاقات الحركة بالمملكة العربية السعودية.

انتهجت الولايات المتحدة الأميركية سياسة محاصرة غزة لتضييق الخناق على الحركة. وواجهت غزة، في ديسمبر/ كانون الأول 2008، عدوانًا إسرائيليًّا شرسًا، كان يهدف إلى فرض واقع جديد في قطاع غزة بالمواصفات التي تريدها اسرائيل لاستعادة هيبة جيش الاحتلال وما يسمى بقوة الردع عقب تقرير فينوغراد[1] الذي بحث إخفاقات الجيش في حرب يوليو/ تموز 2006 في لبنان.

وراهنت أطراف دولية وإقليمية وكذلك السلطة في رام الله على هذا العدوان ليكون سببًا في انهيار حماس وعودة غزة إلى سلطة رام الله. ولكن إسرائيل عجزت عن اجتياح القطاع، وعزز صمود الحركة من مكانتها الإقليمية والدولية، كما عزز من مكانتها الشعبية لدى كثير من شعوب العالم وانخرط كثيرون في حملات كسر الحصار على غزة. وهي الحملات التي أَثَّرت إيجابيًّا على علاقات الحركة الخارجية، وعملت في الوقت ذاته على تعرية الكيان الصهيوني[2].

حماس والربيع العربي

مع اندلاع الانتفاضات التي أطلق عليها "الربيع العربي" التي انتقلت شرارتها من تونس إلى بلدان عربية أخرى كثيرة، كانت شعارات الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية تتصدر هتافات المحتجين في الميادين. لم تكن فلسطين حاضرة في هذه الشعارات، ولكن في المجمل جرى النظر إلى هذه الحركات الشعبية على أنها ستصب في الأغلب في صالح نضال الشعب الفلسطيني. وكانت هذه هي قراءة حركة حماس في البداية، التي أعلنت تأييدها للشعوب مراهنة

والإسرائيليين، وقد تم تعيينه في هذا المنصب عام 2005 من قبل الإدارة الأميركية.

(1) عرف التقرير بهذا الاسم نسبة إلى القاضي الإسرائيلي، إلياهو فينوغراد، الذي ترأَّس لجنة التحقيق الخاصة التي أوكلت لها مهمة كشف الحقائق وتقييم الحرب التي خاضتها إسرائيل ضد حزب الله ولبنان صيف 2006، ويتكون التقرير من 600 صفحة استنادًا إلى 74 شهادة قدمها مسؤولون سياسيون وعسكريون وخبراء. انظر: تقرير فينوغراد، الجزيرة نت، 31 مارس/ آذار 2011، (تاريخ الدخول: 27 مارس/آذار 2023)، https://bit.ly/3JNAMB1

(2) محسن صالح، المرجع السابق، ص 534.

على أن ذلك سيُسقط أعداء نهجها، خاصة أنها تستند إلى فكر تعد الشعوب العربية والإسلامية حاضنته الأساسية[1]. لكنها أقرت في الوقت ذاته بأن "الربيع العربي" وأحداثه الكبيرة صرفت الأنظار مؤقتًا عن القضية الفلسطينية، ولكنها من وجهة نظر الحركة كانت "خسارة مؤقتة قصيرة الأجل"[2]، وأن من حق الشعوب العربية أن تبحث عن همومها وعن مصالحها، وأن الشعوب حتى وهي "منشغلة بهمومها الداخلية فإن فلسطين حاضرة في ميادينها وفي عقلها وقلبها وفي هتافاتها". وحرب غزة، كانت دليلاً عمليًّا متجددًا على مكانة فلسطين التي لا تتغير عند الأمة حتى وهي منشغلة في أحداثها وتطوراتها الداخلية"[3].

في وثيقة سياسية ناقشت رؤية حماس لأحداث الربيع العربي وانعكاساتها على القضية وعلى دور حماس، والتحديات والفرص الناشئة عن ذلك، ذهب خالد مشعل[4] إلى أن الربيع العربي، فضلاً عن أهميته للأمة في سياق نهضتها التاريخية، فإنه كذلك تطور إستراتيجي كبير ومهم على طريق تحرير فلسطين ومواجهة المشروع الصهيوني؛ لأن معركة فلسطين وتحريرها تحتاج إلى أمة قوية متعافية في جبهتها الداخلية وفي سياستها الخارجية، ومستندة إلى إرادة شعبية وتملك قرارها المستقل[5].

لكن علاقات حماس بسوريا، المعروفة بتميزها وقوتها، تصدعت جرَّاء اشتعال الثورة السورية، وإن بقيت الحركة تؤكد على الدوام أنها حريصة أن تظل "سوريا قوية بأمنها واستقرارها وبسياستها الخارجية". ووصفت وقوفها

(1) وثيقة سياسية بقلم خالد مشعل، الفكر السياسي لحركة حماس في ظل آخر التطورات. تعتمد هذه الوثيقة في الأصل على ورقة عمل قدمها مشعل في مؤتمر "الإسلاميون في العالم العربي والقضية الفلسطينية في ضوء التغيرات والثورات العربية" والذي عقده مركز الزيتونة، في 28 و29 نوفمبر/تشرين الثاني 2012، (تاريخ الدخول: 21 أغسطس/آب 2022)، https://bit.ly/3pyVg6F

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) 352 - المرجع السابق.

(5) المرجع السابق.

مع المقاومة طوال السنوات الماضية بأنه "حقيقة تاريخية"[1]. وقالت إنها كانت تتمنى أن تتبنى الحكومة السورية سياسة داخلية تستجيب للإرادة الشعبية، وإنها قدمت نصائح عديدة بهذا الاتجاه، كي "تظل سوريا قلعة للمقاومة.. مستندة إلى سياسة داخلية ترضي شعبها وتستجيب لمطالبه"[2].

مضــت الأمور في ســوريا نحو مواجهات مأســاوية، قــادت الحركة إلى مراجعــة مواقفهــا، لكنها بقيت حريصة على تأكيد أهمية الشــعوب في معادلة المقاومــة، فالشــعوب كانت دائمًا مع المقاومة، أمــا "الأنظمة فبعضها كان مع المقاومة وبعضها كان سلبيًا وبعضها كان عدوًّا للمقاومة"[3].

إيران وحماس: الفكر السياسي: أوجه التشابه والاختلاف

في دراســتنا لعلاقة إيــران بحماس لا يمكن تجــاوز الحديث عن الفكر السياســي لكليهما؛ إذ تتشــابه المرتكــزات الفكرية في عــدة جوانب، أبرزها النظر إلى الإسلام كأســاس لفلسفتهما السياســية. ومع ذلك، توجد اختلافات جوهرية تميز كلًّا منهما عن الآخر فيما يتعلق بالأهداف والأســاليب والتفاعل مع الســياقات السياسية المحيطة. نُجري هنا تحليلًا مفصلًا لفكرهما السياسي، ونحاول فهم التشــابهات والاختلافات بينهما وتأثيراتهما على مســار العلاقة، دون إغفال الســياق التاريخي والاجتماعي والديني والسياسي الذي تشكلت فيه أسسهما الفكرية والسياسية.

يعرَّف الفكر السياسي بأنه الفكر الذي يهتم بالأفكار والمفاهيم التي تبحث في الظواهر السياســية وتحاول التعرف عليها وصفًا ودراســة وتحليلًا في سبيل تكويــن مفهوم محدد عن ظاهرة ما..[4]، أو هــو مجموعة الأفكار والآراء التي

(1) المرجع السابق.

(2) مشعل، المرجع السابق.

(3) مشعل، المرجع السابق.

(4) علــي أحمــد عبد القادر، مقدمة في النظرية السياســية (القاهرة: مطبعة الكيلاني، 1974)، ص 79.

صاغها العقل البشري لتفسير الظاهرة السياسية، وعلاقتها بالعالم والمجتمع من حيث قوتها ووجودها وعدمها ووظائفها والقائمون بها[1].

ترتكز الأســس التي تقوم عليها العلاقة بين المقاومة الفلسطينية الإسلامية وإيران على عاملين أساسين وفق ما يراه محمود الزهار[2]:

- العامل الأول: أصول عقدية دينية وليســت مذهبية، وهي أن المســلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، وهي قواعد غابت في العالم العربي والإسلامي بسبب سيادة الفكرة العلمانية والمصالح السياسية المتغيرة[3].
- العامل الثاني: هو المصلحة المنظورة وهي استهداف الغرب الصهيوني والصليبي للعالم الإســلامي (سُــنَّة وشــيعة) وحتى العلمانيين، ولعل أوضــح مثــال هو الوجود اليهودي في فلســطين، والنفــوذ الغربي في الخليج والوجود المســلح في الدول الإســلامية الآسيوية كما كان في أفغانستان[4].

ويقدم بحث بعنوان: "وجوه التشابه والاختلاف في الفكر السياسي لحركة حماس مع الفكر السياسي للثورة الإسلامية الإيرانية" مؤشرات عدة للمقارنة[5] نناقشها في الآتي:

(1) جهاد الحســني، الفكر السياســي العربي الإسلامي (بغداد، دار الكتب للطباعة والنشر، 1993) ص 20.

(2) من المقابلة مع الزهار.

(3) من المقابلة مع الزهار.

(4) من المقابلة مع الزهار.

(5) يحيى فوزى وعباس على بخشــى، وجوه اشــتراک و افتراق انديشــه سياسى جنبش حماس با انديشــه سياســى انقلاب اسلامى ايران: "وجوه التشابه والاختلاف في الفكر السياسي لحركة حماس مع الفكر السياســي للثورة الإسلامية الإيرانية"، دورية "انديشــه سياسى در اسلام "، ربيع 1395 شمسي، العدد 7، ص 107- 119.

1- العلاقة بين الدين والسياسة

يؤكد كلاهما، إيران وحماس، في المنشورات المتعلقة بتوجهاتهما الفكرية على ارتباط دائم بين الدين والسياسة، ويعتقدان بعدم الفصل بينهما. تجلى ذلك بصورة واضحة في الأطروحات الفكرية للإمام الخميني التي أعطت الثورة الإسلامية والنظام في إيران اتجاهًا يؤكد على ارتباط الإسلام والسياسة وعلى الخلفية التاريخية لذلك[1].

وبالنسبة لحركة حماس فهي أيضًا تؤكد على هذا التوؤم بين الدين والدولة وتعتقد أنه لا يمكن تفعيل إسلامية القضية الفلسطينية وتغيير مستقبل فلسطين بفصل الدين عن الدولة، وذلك لأن إسلامية فلسطين هي جزء من الدين الإسلامي[2].

ترفض حماس فصل الدين عن الدولة وتعتقد أن العلمانية تتعارض مع الدين الإسلامي، وتنص المادة الأولى من ميثاق الحركة على أن منهجها الإسلام، ومنه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان، وإليه تحتكم في كل تصرفاتها، ومنه تستلهم ترشيد خطاها[3]. يعد الفكر السياسي لحماس السياسة فرعًا من الدين؛ وهذا ناشئ من تجربة العرب الخاصة مع الحكومات العلمانية والليبرالية خلال العقود الأخيرة الماضية. لكنها لا تدعو إلى إقامة دولة دينية "ثيوقراطية"، بل إلى دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية[4].

لكن الحركة كانت تدرك أن الصراع على هوية دولة لم توجد بعد، أمر سيرهق المجتمع الفلسطيني في غير طائل، وأن الأولوية يجب أن تتجه نحو التحرير الذي يتطلب مشاركة الجميع[5].

---

(1) امام خميني، صحيفه امام، ج 17 (تهران،1378)، ص 265.

(2) عبد الله أبو عيد وآخرون، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) (1987-1996)، تحرير جواد الحمد [و] إياد البرغوثي، (عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2010)، ط4، صص 64-67.

(3) ميثاق حركة حماس، مرجع سابق، المادة السادسة.

(4) يوسف رزقه، الرؤية السياسية لحركة حماس، مرجع سابق، ص 66-67

(5) يوسف رزقه، الرؤية السياسية لحركة حماس، فصل في حركة المقاومة الإسلامية حماس:

ترى حماس في الإسلام عاملاً مشتركًا بين أغلب الشعب الفلسطيني وهو أصل ثابت في جميع المساعي ضد العدو استنادًا إلى أسسه العقائدية وهو أصل في جميع الحركات وطروحات الصحوة، وإن هذه الحركات وفية لنمط الحياة والنهــج الإسلامي وجــرى اختيار ذلك لترتفع راية اللــه فوق جميع الأراضي الفلســطينية. وتنص المادة السادســة من ميثاق الحركة على أن: حركة المقاومة الإسلامية حركة فلســطينية متميزة، تعطي ولاءها لله، وتتخذ من الإسلام منهج حياة، وتعمل على رفع راية الله على كل شبر من فلسطين[1].

وتعارض حماس التيار العلماني في فلســطين، وشــكّلت الماهية السياسية لفلسطين في المستقبل نقطة خلاف بين حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية. ففي وقت سعت فيه المنظمة نحو حكومة علمانية، دافعت حماس عن إقامة الحكومة الإسلامية، وترى ضرورة إقامة الدولة الإسلامية والالتزام بالأبعاد الإسلامية في كل جوانب الحياة.

وكان للحركة مواقف مرنة تكشف عما بين النظرية والممارسة من فروق، فقــد أقامت تحالفات مع فصائل علمانية ويســارية لمواجهة الاحتلال واتفاقية أوســلو، وهــو ما دفع باحثين للقول: إن "حماس تجــاوزت عقبة العلمانية في علاقتها مع الآخرين"[2].

وحيــن فازت في الانتخابات، عــام 2006، وحازت الأغلبية في المجلس التشريعي، وكُلفت بتشكيل الحكومة عرضت على الفصائل الفلسطينية الأخرى، علمانية ويسارية وإسلامية، المشاركة في الحكومة. ولم تقف العلمانية عقبة أمام عرضها الذي رفضته الأطراف الأخرى لأسباب سياسية[3].

يشــابه ذلك سلوك الأحزاب الإيرانية، المحسوبة على الإمام الخميني، مع التجمعات والأحزاب العلمانية في الفترة التي ســبقت انتصار الثورة الإسلامية، فقد تركزت الجهود في السعي إلى إسقاط الشاه محمد رضا بهلوي.

دراسات في الفكر والتجربة، مجموعة مؤلفين، تحرير محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، (بيروت: ط 2، 2015)، ص 76.

(1) يوسف رزقه، الرؤية السياسية لحركة حماس، ص 76.

(2) خالد الحروب نقلاً عن رزقه، مصدر سابق، ص 77.

(3) رزقه، مصدر سابق، 78.

2- مكانة الشريعة في الحكم وضرورة تطبيقها

ينص الدســتور الإيراني الذي جاء باســتفتاء شــعبي على ضرورة أن تأتي القوانيــن مطابقة للشــريعة الإسلامية، ويلزم مجلس صيانة الدســتور بضرورة الحيلولة دون مخالفة ما يسن من تشريعات للشريعة[1].

وتشــترك حماس مع إيران في القناعة بأن القوانين المســتمدة من الشريعة ملزمة، من خلال قوانين تحظى بموافقة الشعب[2].

ومع فوزها في الانتخابات التشريعية، عام 2006، أعلنت الحركة أن القوانين مستقبلاً ســتأتي مطابقة للشريعة، لكن الحركة قالت إنها لن تطبق هذه القوانين ما لم تحظ برضى الشعب.

3- الموقف من الديمقراطية

مع انتصار الثورة الإسلامية، وبالرغم من حديث قادة الثورة عن الحكومة الدينية كأمر مطلوب، لكنهم كانوا مصرين على أن يأتي اســتقرار الحكومة بناء على استفتاء شعبي، ولذلك أجريت استفتاءات شعبية على الدستور الجديد الذي برزت فيه نظرية ولاية الفقيه.

ولا تخفي أدبيات حركة حماس إقامة الدولة الإسلامية بوصفه الهدف العام لها، ولكنه هدف مرتبط بهدف "التحرير"، وهناك علاقة عضوية بين إنجاز هدف "التحرير" و"قيام الدولة"، وهو هدف "سابق لأوانه"، وفق تعبير أبو مرزوق؛ لأن حماس "حركة مقاومة وإذا ما أتيح لهذه المقاومة تحرير فلســطين تأتي مرحلة إقامة الدولة بعد ذلك، فإذا كانت حماس هي التي قادت الشــعب الفلســطيني نحو التحرير فمن حقها أن تتبنى نموذج الحكم الذي تؤمن به، وإن كانت أقلية فسوف تحترم رأي الأغلبية"[3].

---

(1) دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، سلسلة الفكر الإيراني المعاصر، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، (بيروت 2010)، المادة 72 المتعلقة بالسلطة التشريعية.

(2) يحيى فوزى وعباس على بخشــى، وجوه اشــتراك و افتراق انديشــه سياسى جنبش حماس با انديشــه سياســى انقلاب اسلامى ايران: "وجوه التشابه والاختلاف في الفكر السياسي لحركة حماس مع الفكر السياســي للثورة الإسلامية الإيرانية"، دورية "انديشــه سياسى در اسلام "، ربيع 1395 شمسي، العدد 7، ص 108.

(3) عبد الله أبو عيد، مرجع سابق، ص 61.

ويبدي خالد مشـــعل حماســـه للديمقراطية تصريحًا؛ إذ يصرح بشـــأن هذه القضية: "حماس تمارس السياسة بكل أساليبها الحديثة، حماس مع الديمقراطية، ومع الاختيار الحر للشـــعوب، حماس مع حقوق الإنســـان والحرية والمساواة والعدل"[1].

لا تقبـــل إيران الديمقراطية بمفهومها الغربـــي، وقدمت بديلاً عنها "حكم الشـــعب الدينـــي"، وهو ما تتبنـــاه أطروحات الإمام الخميني عـــن ولاية الفقيه والحكومـــة الإسلامية، وكذلـــك آية الله منتظري فـــي مؤلفاته الأولى، ويتضح ذلـــك بصورة جلية في الطرح الفكري لآيـــة الله علي خامنئي. ويعتبر الخطاب الأصولي الإيراني حكم الشعب الديني أو "الديمقراطية الدينية" مرادفًا للجمهورية الإسلامية، ويعد الانتخابات والمشـــاركة والمنافســـة، والأحزاب السياسية، من المظاهر المهمة للديمقراطية، ويقول إنه مؤمن بحق الناس في تقرير مصيرهم[2].

وتتحدث الحركات السياســـية الســـنية ذات التوجه الإسلامي عن الشورى عمومًا، لكن الممارســـة السياســـية لحركة حماس جعلتها تتجه إلى الديمقراطية بمفهومها الغربي، وتستخدمها مرادفًا للشورى بمفهومها الإسلامي، وتعاملت مع مفهوم الديمقراطية كمناقض للاســـتبداد وحكم الفرد، وإن بقيت محافظة على مصطلح الشورى في وثائقها المكتوبة[3].

4- موقع المرأة في المجالات الاجتماعية والسياسية

يستطيع الدارس أن يجد مشتركات واضحة بين إيران وحركة حماس فيما يتعلق بالمشاركة السياسية والاجتماعية للمرأة وحضورها في الفضاء العام؛ فكلا الطرفين يشـــجع حضور المرأة في مختلف الجوانب السياســـية والاجتماعية مع ضرورة الالتزام بالضوابط الإسلامية لذلك.

يوضـــح الخميني حدود مشـــاركة المـــرأة بالقول: "إن المـــرأة في النظام الإسلامي تتمتع بالحقوق ذاتها التي يتمتع بها الرجل، بما في ذلك حق التعليم

(1) لقاء مع مدير المكتب السياسي لحركة حماس، خالد مشعل، صحيفة القدس العربي، 1 مارس/آذار 2006، (تاريخ الدخول: 5 نوفمبر/تشرين الثاني 2023)، https://2u.pw/UKYsNMf

(2) فاطمة الصمادي، التيارات السياسية في إيران، مرجع سابق، ص 63.

(3) رزقة، ص 81.

والعمل والتملك والانتخاب والترشح"[1].

وتقــول الماد 17 من ميثاق حماس: "للمرأة المســلمة في معركة التحرير دور لا يقــل عن دور الرجل، فهــي مصنع الرجال، ودورها في توجيه الأجيال وتربيتها دور كبير". وفي عام 2006، أفردت الحركة 20٪ من قوائمها الانتخابية للنساء، وكانت نسبتهن في هذه الانتخابات 13٪ متقدمة على حركة فتح حيث كانت النسبة 12٪.

وبشكل عام، يمكن تلخيص مجموعة من المشتركات فيما يتعلق بحضور المرأة في خطاب الجمهورية الإسلامية وحركة حماس:

- تأطير حضور المرأة ضمن الضوابط والمعايير الإسلامية.
- تأكيد الدور المحوري للمرأة نحو المجتمع والتربية وتنشئة الأجيال.
- النظر إلى دور النساء في عمليات التعبئة باهتمام كبير.
- أهمية حضورها في الانتخابات.
- الإقرار بدورها في ترسيخ الهوية ومقاومة علمنة المجتمع.
- موقف متشدد ضد الأطروحات النسوية.

5- الموقف من قضية فلسطين وإسرائيل

مــن قضايا الالتقاء البارزة بين إيــران وحركة حماس موقفهما من القضية الفلسطينية الذي يؤكد على تحرير كامل فلسطين، والنظر إلى "إسرائيل" ككيان غير مشروع. وتحكم النظرة العقائدية موقفهما من القضية الفلسطينية؛ فقد كانت فلســطين عنوانًــا بارزًا في أحاديث روح الله الخمينــي حتى قبل انتصار الثورة الإسلامية. وكان يدعو الشــعوب الإسلامية والحكام المســلمين إلى النظر إلى القضية الفلسطينية كقضية اعتقادية إسلامية[2]، بينما كانت نظرة حماس إلى أرض فلسطين أنها "وقف إسلامي على أجيال المسلمين لا يصحُّ التفريط بها أو بجزء

---

(1) مــن مقابلــة أجريت معه في 7 ديســمبر/كانون الأول 1978، وتضمنتها صحيفة النور، المجلد الرابع، ص 23.

(2) الإمام الخميني، صحيفة الإمام، 1378، ج 5، ص 242.

منها، أو التنازل عنها أو عن جزء منها"[1]، ورفضت الحركة رفضًا حاسمًا "عملية التسوية" التي انطلقت في مؤتمر مدريد[2]، كما رفضت اتفاقية الحكم الذاتي وما ترتب عليها؛ "لتنكُّرها لحقوق الشعب الفلسطيني وتجاهلها لتطلعاته في إقامة دولته المستقلة على جميع ترابه الوطني وعاصمته القدس"[3].

---

(1) أحمد التلولي، "حماس" ... سياسة تجزئة الهدنة، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية (مسارات)، 5 مارس/آذار 2019، (تاريخ الدخول: 9 يوليو/تموز 2021)، https://bit.ly/2VqPsQZ

(2) بيان رسمي لحركة حماس تعقيبًا على تطورات عملية التسوية مع الاحتلال، موقع حركة حماس، 25 يونيو/حزيران 1994، (تاريخ الدخول: 9 يوليو/تموز 2021)، bit.ly/2Uxjr47

(3) بيان رسمي تأكيدًا لرفض المشاركة في سلطة الحكم الذاتي، موقع حركة حماس، 13 يونيو/حزيران 1994، (تاريخ الدخول: 9 يوليو/تموز 2021)، bit.ly/2RrpJQF

الفصل السادس: نشأة العلاقة وتطورها

يتنــاول الأمين العام لمؤتمــر دعم الانتفاضة، مجتبى أبطحي، مســتدعيًا حوادث كثيرة، الأسباب التي جعلت إيران تقيم علاقة مع حماس. فقال خلال لقائنا به في طهران: لقد كنت أول شــخص عقد جلســات مع حماس، والتقى بهم، وذلك في مرحلة من عمر الحركة لم تكن قد اتخذت اسم حماس بعد[1].

ولم تكن تلك العلاقة الوحيدة التي نسجها أبطحي ممثلاً للحرس الثوري والجمهورية الإسلامية مع المقاومة الفلسطينية، فقد سرد قصة[2] لقائه مع عربي

---

(1) مــن مقابلــة الباحثة مع عضو الحرس الثوري والأمين العــام لمؤتمر دعم الانتفاضة، مجتبى أبطحي.

(2) تعود أحداث القصة كما يرويها أبطحي إلى 1986؛ فقد كان على صلة بجميع الأحزاب العلمانية الفلســطينية وزعمائها (أحمد جبريل وأبو موســى وجورج حبش.. وغيرهم) وكانت العلاقة بصفته مسؤول ملف فلسطين في الجمهورية الإسلامية وكان مقيمًا في لبنان. يواصل أبطحي سرد القصة: كنت أرغب بلقاء السيد عربي عواد وقد أرسلت له مرات عدة أطلب اللقاء، وفي ذلك الوقت كنت شابًا (24 عامًا) وكانت جميع الفصائل الفلسطينية تعرفني، بصفتي عضوًا في الحرس الثوري في المنطقة. وبينما كنت أتحدث مع أحمد جبريل قلت له: يا ســيد جبريل، لقد طلبت مرات عدة مقابلة السيد عربي عواد ولكنه وبذرائع مختلفة يعتذر عن اللقاء، فأمسك أحمد جبريل الهاتف وكان صديقًا لعربي عواد ومكاتبهما في المنطقة نفسها بالعاصمة السورية، دمشق، فقال له: "صحيح أن من يطلب مقابلتكم هو شاب صغير لكنه أبونا جميعًا، وهو أعلى شــخصية إيرانية تقدم الدعم لفلســطين، وهذا شخص لا يطلب بل يقدم المساعدة، فلماذا لا تقابلونه؟".

يقول أبطحي عن لقائه بعربي عواد في مكتبه: "كان من عادة الفلسطينيين أن ينتظروا ضيوفهم في الشــارع، ولقد عهدت هذا اللطف من الفلســطينيين، وفي هذه المرة لم ينتظرني أحد في الشــارع، وجلســت في المكتب ولم يكن الســيد عواد موجودًا، وكانت جو من البرود يحيط باللقاء. حضر السيد عواد إلى اللقاء ومد يده وسلم عليَّ ببرود شديد. وبادرني بالسؤال: شو جــاي تعمــل هون؟ فتعجبت؛ لأن اللقاء الأول يكون ببرتوكول وإجراءات رســمية. قلت له: جئت لأبلغك أن لدينا مجمعًا واســعًا بإمكانيات كبيرة في الجمهورية الإسلامية وله فرع في لبنان وآخر في سوريا، وكل هذه الإمكانيات نضعها تحت تصرفكم لتطوير عمل مجموعتكم. فرد "بغضب": ألا تعرف من أنا؟

عــواد، الأمين العام للحزب الشــيوعي الفلســطيني، ويــرى أنها تصلح مدخلاً للإجابــة عن الســبب الذي جعل إيران تقيم علاقــة مع حماس والغرض الذي تريده من العلاقة، ليخلص إلى القول: إن "أي شــخص بأي عقيدة كانت يقاوم الكيان الصهيوني في فلسطين، شاء أم لم يشأ، هو سببٍ في عزة وقوة الإسلام والمسلمين، وإن الحزب الشيوعي إذ يقاوم إسرائيل يشكل قيمة زائدة للمسلمين ولذلك نحن سنقدم الدعم لهم"[1].

وفقًا لأبطحي، فالعلاقة مع حماس هي جزء من مواجهة الاحتلال الصهيوني لفلسطين. ويؤكد أبطحي أن هذه الرؤية تشكلت مبكرًا على يد الإمام الخميني قبل انتصار الثورة الإسلامية؛ ففي 1967 قابل وفد من حركة فتح الإمام الخميني في النجف[2]، وأصدر الإمام في شهر أكتوبر/ تشرين الأول 1968، فتوى[3] تبيح

أجبت: بالطبع أعرف من أنتم، جنابكم زعيم الحزب الشــيوعي الفلســطيني. فرد بغضب: أنا زعيم الحزب الشــيوعي وزعيم الحزب الشــيوعي في إيران الأســتاذ كيانوري هو أكبر أستاذ للشيوعية في العالم، ولم يأت أحد بعد لينين مثله يعتقله الحرس وهو الآن في سجن إيران، وأنــت تأتــي مرتديًــا لباس الحرس وتلتقي بي بصفتك عضــوًا فيه. لقد كان عصبيًّا جدًّا، وقد أضحكني الموقف. فقلت له: سيد عربي عواد، هل تدري ما الفرق بينك وبين كيانوري؟ فرد: أنا تلميذه. فقلت له: إن كيانوري يريد أن يســيطر على تراب إيران الدولة الإسلامية ليعطيها للسوفيت الشيوعيين، ليتمكنوا من الوصول إلى المياه الدافئة. ولذلك فهو يريد لبلد مسلم أن يتم احتلاله لأجل مصالح هؤلاء، ولكن أنت تسعى إلى تحرير فلسطين المسلمة من الاحتلال الصهيوني. هذا هو الفرق بينكما، وأنا أُقبِّل يدك لأجل ذلك. فسأل: هل أنتم مستعدون لدعمنا؟ فقلت: نعم، وبعدها بدأت صداقتنا.

(1) من المقابلة مع أبطحي.

(2) في مقابلة له مع منظمة فتح، في 1968، ناشد المسلمين الالتحاق بصفوف الفلسطينيين ودعمهم وتقديم المساعدة لهم.

(3) في لقائه مع ممثل حركة فتح الذي سأل الإمام الخميني عن إعطاء الأموال مثل الزكاة والخمس للمجاهدين الذين يقاتلون تحت قيادة حركة فتح، رد بالقول: بسم الله الرحمن الرحيم. ومن المناسب تمامًا بل ومن الواجب أن يتم تخصيص مبلغ كافٍ من الأموال الإسلامية مثل الزكاة وحصة الإمام لهؤلاء المجاهدين في سبيل الله، الذين يقاتلون في ساحة المعركة ويضحون في سبيل القضاء على الصهيونية الكافرة المعادية للإنسان ويسعون لإحياء واستعادة مجد الإسلام وعزته المفقودة ويقاتلون من أجل استعادة تاريخ الإسلام النبيل وكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، يجب أن يسخِّر كل قُوتِه وقُوَّته في هذا الطريق، فيحصِّل احدى الحسنيين الشهادة أو

منح جزء من زكاة الخُمُس لمساعدة المقاتلين الفلسطينيين. وعارض الفتوى كثيرون قالوا للإمام: هؤلاء شيوعيون (علمانيون)، وقد يستخدمون هذه الأموال لشراء الخمور التي يشربونها، لكن في نظر الإمام كان اسم فلسطين كافيًا لإزالة أي موانع. ولم تكن تلك الفتوى لأجل حماس التي لم تكن قد وُلدت بعد، بل كانت لصالح فتح والمجلس الثوري الفلسطيني، و"نحن لأجل فلسطين وهذه الأسس أقمنا العلاقة مع أصدقائنا في حماس"[1].

إيران تبادر والحركة تستجيب

وفقًا لحسين شيخ الإسلام، وهو دبلوماسي إيراني[2]، ومن المؤثرين في بناء العلاقة مع حماس؛ فإن أول تعاون للإيرانيين مع إسلاميي فلسطين، كان مع الشهيد فتحي الشقاقي[3] إثر صدور كتابه: "الخميني.. الحل الإسلامي والبديل"، في 1979.

النصر.. وبعون الله النصر ينتظركم وبشِّر المؤمنين الأحرار بأن الله هو المؤيد لكل إرادة تحمل الرجولة والصلاح. والنصر النهائي بعون الله تعالى لإخواننا، رجال حركة "الفتح" الشجعان ومقاتليها في قوات "العاصفة" وغيرهم من الأحرار المجاهدين في سبيل الله، وهو كذلك. وواجب دعمهم ومساعدتهم بكل قوة. انظر: (صحيفه امام ـ ج 2 ـ ص 199). https://farsi.rouhollah.ir/library/sahifeh-imam-khomeini/vol/2/page/199

(1) من المقابلة مع مجتبى أبطحي.

(2) كان شيخ الإسلام دبلوماسيًّا ونائبًا في مجلس الشورى، وشغل منصب سفير إيران في سوريا. وهو واحد من الطلبة الذين استولوا على مبنى السفارة الأميركية مع انتصار الثورة الإسلامية، وعمل حتى وفاته بمرض كورونا، في مارس/آذار 2020، مستشارًا لوزير الخارجية الإيراني في ذلك الوقت، جواد ظريف.

(3) يتحدث كثير من الأدبيات الإيرانية عن الدور المحوري الذي لعبه الشهيد الشقاقي في "بناء المنظومة الجهادية في فلسطين"، ويذهب أحد القادة التاريخيين للحرس، وهو جواد منصوري (أول قائد للحرس الثوري)، إلى مقارنة تأثيره بتأثير الجنرال سليماني؛ إذ قال في مقابلة معه عقب اندلاع معركة طوفان الأقصى ردًّا على المذيع الذي تحدث عن الدور المحوري للجنرال سليماني في تسليح المقاومة: "هو كما تقول لكن كانت شخصيات أخرى يجب الإقرار بدورها في الثورة الفلسطينية ومنهم الشهيد فتحي الشقاقي الذي كان ممن أسسوا للثورة الفلسطينية". انظر: پایه گذار انقلاب فلسطين كيست؟ (من هو مؤسس الثورة الفلسطينية؟)، ايسنا، 13 آبان 1402 ش (تاريخ الدخول: 5 نوفمبر/تشرين الثاني 2023)، https://2u.pw/IFwNsgR

ثم كان الأمين العام لمؤتمر دعم الانتفاضة، مجتبى أبطحي، أول مسؤول إيراني يجتمع بوفد من الحركة الإسلامية في فلسطين، في 1985، بأحد فنادق المدينة القبرصية، لارنكا، في لقاء حضره تسعة رجال وست نساء، جاؤوا من مناطقٍ مختلفة، بعضهم من أراضي 48، وقد أرسل الشيخ عبد الله نمر درويش ممثلاً عنه، وكذلك فعل الشيخ أسعد بيوض التميمي الذي كان مقيمًا في الأردن. ثم مع بداية الانتفاضة الأولى، 1987، عُقدت لقاءات أخرى بالجزائر وإسطنبول وأنقرة.

يؤكد شيخ الإسلام أن العمل مع حماس كان نتيجة قرار لآية الله خامنئي، استنادًا إلى توصية من وزارة الخارجية واستخبارات الحرس الخارجية؛ إذ لم يكن فيلق القدس آنذاك قد تأسس[1]. بعد أن بحثت وزارة الخارجية الملف أرسلت نتيجة البحث إلى رئيس الجمهورية، السيد خامنئي، وكان كذلك ممثلاً للإمام الخميني فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ولبنان[2].

وحين ظهرت حماس (1987) دارت نقاشات موسعة في دوائر صنع القرار الإيراني حول التعامل مع الحركة وبناء علاقات معها. وقد حُسم الأمر في جلسة برئاسة الجمهورية حضرها ممثلون عن وزارة الخارجية، والحرس الثوري، ومكتب آية الله منتظري، الذي كان يتولى الأنشطة الخارجية. وبناء على توصيات المجتمعين اتخذ آية الله خامنئي[3] قرارًا بالتواصل مع حماس ودعمها[4].

وهكذا بدأت إيران رسميًّا الاتصال بالحركة، لكن مساعيها وُوجهت بالرفض في البداية؛ فقد كان بين قيادات الحركة "من يعارض إقامة علاقات مع إيران"[5]، كما كانت قيادات إيرانية أيضًا تعارض ذلك. ويكشف علي أصغر محمدي[6] ،

---

(1) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(2) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(3) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(4) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(5) من المقابلة مع محمدي.

(6) يشغل محمدي حاليًّا منصب الأمين العام المساعد للاتحاد مجالس الدول الأعضاء في منظمة

وهو من الشخصيات المؤثرة في تاريخ العلاقة والتأسيس لها، وجود وجهات نظر مختلفة في شأن العلاقة مع حماس في ذلك الوقت[1]، فبينما كان البعض يشجع على إقامة علاقة معها، كانت وجهات نظر أخرى تدعو إلى التريث لمعرفة إلى أين يتجه حضور الحركة وتأثيرها. لكن وزارة الخارجية الإيرانية بادرت بإقامة العلاقة مع الحركة وكان وزير الخارجية الأسبق، علي أكبر ولايتي، وشيخ الإسلام من أبرز الشخصيات التي أسهمت في اتخاذ هذا القرار[2].

ويبدو أن سعي إيران إلى إقامة العلاقة قد لاقى في البداية بعض الرفض من الحركة، وعن هذا يقول محمدي: أجرينا اتصالات مع بعض الوكلاء، لكن المحاولات الأولى اصطدمت برفض الحركة، وسمعت منهم أنهم متريثون.. لقد كان في صفوف الحركة من يعارض إقامة علاقات مع إيران[3].

يعزو الزهار حالة الرفض إلى ما سماه "العامل الأساسي" وهو طبيعة الحالة السياسية بين إيران وبعض الدول العربية المناوئة لها خاصة في منطقة الخليج، فضلاً عن بعض الذين يعتمدون على جذور تاريخية تتعلق بـ"الصراع الشيعي-السُّنِّي" وهي مسألة سابقة على الثورة الإسلامية وقبل أن تتعمق درجة العداء بين ايران الثورة والكيان الصهيوني.. وتركيز العديد من رجال الدين على الخلاف بين السنَّة والشيعة[4].

وكان بعض العرب، في ذلك الوقت، يفسر موقف إيران من القضية الفلسطينية ورغبتها في إقامة علاقة مع حماس بحاجتها إلى المشروعية السنِّية في العالم الإسلامي، لكن كمال خرازي ينفي ذلك ويقول: "لسنا بحاجة إلى فلسطين بهذا المعني، بمعنى أننا لا ننظر إلى فلسطين بشكل وظيفي، بل نعدها مدخلاً للدفاع عن مبدأ سام، لا يغادر إطار الدفاع عن المظلومين، والمعارضة لاحتلال أرض المسلمين"[5].

التعاون الإسلامي منذ 2008.

(1) من المقابلة مع محمدي.

(2) من المقابلة مع محمدي.

(3) من المقابلة مع محمدي.

(4) مقابلة للباحثة مع الدكتور محمود الزهار.

(5) من المقابلة مع خرازي.

وقد كان لحركة الجهاد الإسلامي ممثلة بأمينها العام الشهيد فتحي الشقاقي دور في تشجيع الحركة على الانفتاح على إيران[1].

اجتماع الإمارات يضع أسس العلاقة

نجحت إيران بعد محاولات عدة، عبر إحدى القنوات، في الحصول على ردٍّ من حماس بإمكانية الاتصال وترتيب لقاء[2]. وحددت الحركة مكان اللقاء وزمانه وقبلت إيران بذلك، فأرسلت مبعوثين ليجتمعا مع قادة حماس[3]. جاء قرار حماس بعد أخذ وردٍّ بين قياداتها[4]، وحصل اللقاء بين مسؤولين إيرانيين وممثلين عن حركة حماس عام 1990 وعلى أرض عربية[5]. ويصف الدكتور أبو مرزوق ذلك الاجتماع بأنه يمثل "مرحلة التأسيس"[6].

ويفصِّل أبو مرزوق في تفاصيل الاجتماع الأول بالقول: عندما كنت في الولايات المتحدة الأميركية تواصل معي شخص على صلة بوزارة الخارجية الإيرانية، وجرى نقاش طويل مهَّد لأول لقاء مع الجانب الإيراني الذي مثله همايون عليزاده[7] وأصغر محمدي، وشاركت فيه مع خليل القوقا[8] ممثلين

---

(1) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(2) من المقابلة مع أصغر محمدي.

(3) يروي الدكتور محمدي للباحثة كيف أنه في اليوم المتفق عليه كان من الصعب إجراء الاتصال حيث لم تكن هناك هواتف نقالة، وبعد محاولات نجح في الاتصال وجاءه الرد بأنهم ينتظرونهم في فندق في الشارقة (شيراتون الشارقة).

(4) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(5) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(6) مقابلة للباحثة مع د. موسى أبو مرزوق.

(7) توفي همايون عليزاده، في أغسطس/آب 2021، ونعاه وزير الخارجية الإيراني الأسبق، جواد ظريف. عمل عليزاده مديرًا عامًّا لإدارة منطقة الشرق الأوسط العربي وشمال إفريقيا في وزارة الخارجية الإيرانية وكذلك سفيرًا للجمهورية الإسلامية في بيروت. وجاءت وفاته بعد أن أصيب بحادث سير أقعده لسنوات.

(8) - خليل إبراهيم العبد القوقا (أبو إياس): داعية إسلامي، وقيادي في حركة المقاومة الإسلامية

لحماس، وعُقد الاجتماع في أحد فنادق الإمارات العربية المتحدة[1].

خلال الاجتماع، نقل الطرف الإيراني بصورة واضحة الرغبة في بناء علاقة مع الحركة وأكد أن بلاده داعم للقضية الفلسطينية وسرد تاريخ دعمها وموقفها بعد انتصار الثورة. وعبَّر ممثلو إيران عن حرصهم على إقامة علاقات مع القوى الفلسطينية كلها، رغم العلاقة الجيدة مع حركة الجهاد الإسلامي؛ فأبدت حماس استعدادًا لذلك[2].

ركز اللقاء بين الطرفين، على الإطار الإستراتيجي للعلاقة وشرح فيه الوفد الإيراني موقفه من المقاومة والإستراتيجية التي تراها مناسبة لمواجهة إسرائيل. وسأل الإيرانيون وفد حماس عن رؤية الحركة للمواجهة مع إسرائيل، وعن بعض النقاط المبهمة، ومنها ما القصد من مقولة: "إذا حررنا شبرًا واحدًا سنقيم دولة فلسطين عليه"[3]. وكان رد الحركة بأن ذلك لا يعني اعترافًا بإسرائيل. وفي نهاية اللقاء، عرض السيد علي زاده على حماس استعداد إيران لدعمها ماليًّا، وسأل عن طريقة للتواصل المباشر فأمده وفد الحركة برقم هاتف موسى أبو مرزوق في الولايات المتحدة الأميركية[4].

لكن ما وصفه محمدي بأنه "عرض للمساعدة ماليًّا" قوبل بالرفض من قبل ممثلي حماس. كان الإيرانيون، وفقًا لموسى أبو مرزوق، يعتقدون أن "الحركة الوليدة قابلة للتسخير بالمال"[5]، وقدموا أموالاً في تلك الجلسة فرفضناها[6]؛

(حماس)، ويعد الرجل الثاني في الحركة بعد مؤسسها، الشيخ أحمد ياسين، توفي في الإمارات، عام 2005، عن عمر يناهز 57 عامًا، وكان قد لجأ إليها بعد إبعاد قسري من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، عام 1988.

(1) من مقابلة الباحثة مع أبو مرزوق.

(2) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(3) من مقابلة للباحثة مع أصغر محمدي.

(4) يقول الدكتور محمدي: أذكر أنني كنت أتصل بالدكتور أبو مرزوق دون مراعاة لفروق التوقيت فأوقظه في منتصف الليل.

(5) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(6) من المقابلة مع أبو مرزوق.

لأننا حركة تمثل أقدس قضية، وترفض أن تكون حركة ذيلية، وسبق أن حاول أبو عمار الأمر ذاته وأرسل أموالاً وأعدناها[1].

لقد كسبت حماس برفضها المال احترام الإيرانيين، حتى إنهم أثاروا القضية مع الشهيد فتحي الشقاقي، وقارنوا بين موقف الحركة وموقف غيرها من الفصائل الفلسطينية، وشكَّل ذلك الرفض أرضية مختلفة للتعامل مع الحركة، وقدَّر الإيرانيون صدق الحركة في الدفاع عن قضيتها المقدسة[2].

وعند مناقشة موضوع مستقبل العلاقة بين الطرفين؛ أعرب وفد حماس للإيرانيين عن رغبة الحركة في إقامة علاقات مع السعودية والعراق، وبعد ذلك مع إيران. وكانت الحركة تسعى إلى خلق حالة من التوازن في علاقتها بالجمهورية الإسلامية وحتى لا تبدو كأنها تابعة لها[3]. وبالفعل، أوفدت حماس مندوبين إلى العراق والسعودية ثم إيران[4].

مؤتمر دعم الانتفاضة

أسهم مؤتمر مدريد وأحداث أخرى في بناء العلاقة بين حركة المقاومة الإسلامية حماس والجمهورية الإسلامية الإيرانية، فبادرت، في أواخر 1991، إلى دعوة الفصائل الفلسطينية إلى مؤتمر دعم الانتفاضة بطهران. وقد مثَّل ذلك المؤتمر نقلة نوعية في العلاقة بين الحركة وإيران. ضم وفد حماس، الذي ترأسه إبراهيم غوشة، وعماد العلمي[5]، ومحمد صيام

يصف إبراهيم غوشه في كتابه "المئذنة الحمراء" استقبال وفد حماس في طهران بأنه كان "مهمًّا" حيث جرى ترتيب اجتماعات لهم مع مختلف

(1) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(2) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(3) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(4) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(5) تُوفي عماد العلمي في 30 يناير/كانون الثاني 2018، بعد أن أصيب خطأً بعيار ناري وهو ينظف سلاحه الشخصي، في 9 يناير/كانون الثاني 2018.

مؤسســات صنع القرار والقيادات العليا في الدولة وعلى رأســهم آية الله علي خامنئــي[1]. وعُقد على هامش المؤتمر، لقاء مع وزير الخارجية الإيراني حينئذ، علي أكبر ولايتي، الذي عبَّر للوفد عن اســتعداد بلاده تطوير العلاقة مع حركة حماس[2]. أبدى ولايتي، تفاعلاً إيجابيًّا في ذلك اللقاء، ورتَّب لوفد الحركة لقاء مع رئيس مؤسسة الشهيد مهدي كروبي الذي شرح للوفد مهام المؤسسة وعبَّر عن استعداده التعاون ووعد بدعم عوائل الشهداء داخل فلسطين وخارجها[3].

وكان لحماس مطلبان أساســيان: إقامة علاقة رسمية، وفتح مكتب تمثيل، فوافــق الإيرانيون على الفور، وأبلغوا وفد الحركة في ختام زيارته بصدور قرار الموافقة، فعيَّنت حماس عماد العلمي[4] أول ممثل لها في إيران، وفتحت مكتبًا في طهران، في فبراير/ شباط 1992، ونسج المكتب علاقات مع وزارة الخارجية وكل المؤسســات الإيرانية ذات العلاقة المباشرة بالقضية الفلسطينية[5]. وأصدر وزير الخارجية تعليماته بأن يعامل مكتب حركة حماس معاملة باقي الســفارات فــي طهــران، وهو ما تم بالفعل[6]. واقتصرت مســاعدة إيران لحماس في بداية الأمر على الجوانب اللوجستية، ومنح دراسية في الكليات والجامعات العسكرية والعامة.

---

(1) إبراهيم غوشة، المئذنة الحمراء: سيرة ذاتية (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008)، ط1، ص 186.

(2) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(4) مع نهاية 1992، غادر العلمي طهران، لاعتبارات تتعلق بترتيبات حدثت بين الحركة والأردن، أدت إلى تفاهم قاد إلى اســتقرار قادة الحركة في عَمَّان. وفي مطلع عام 1993، تولى أســامة حمدان تمثيل الحركة في طهران حتى العام 1998، ثم خلفه أبو محمد مصطفى، من 1998-2001، ثم د. عبد المعطي زقوت حتى 2010، ليغادر بعدها إلى اليمن، ومن 2010 إلى اليوم، يمثل الحركة في طهران د. خالد القدومي. ومنذ العام 1992 وحتى اليوم لا يزال مكتب الحركة في طهران فاعلاً.

(5) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(6) غوشة، مرجع سابق، ص 186.

ويرى الزهار أن الانتفاضة الفلسـطينية كانت حدثًـا تاريخيًّا انطلقت قواه المادية وتأصلت قواعده الإسلامية في صورة واضحة وكان من بين هذه القواعد الحضـور في المؤتمرات الداعمة للمقاومة والتي كان منها مؤتمر طهران لدعم الانتفاضة[1].

لقد كان المؤتمر منصة جيدة لبناء العلاقات بين القوى والحركات الرافضة للتسوية والمؤيدة للقضية الفلسطينية ولا شك أن ما حدث بين إيران وحماس بعد هذا الحدث خير شـاهد على الأسس التي قامت عليها العلاقة. ووفقًا للدكتور محمدي[2]، فإن حضور حماس في المؤتمر كان قويًّا وعالي المستوى وفي تلك المناسبة جرى بحث إستراتيجية التعاون[3].

كما سألت الحركة عن إمكانيات دعم المقاومة، خاصة في ظل التحديات الداخلية في الساحة الفلسطينية وظهور بوادر تسوية بعد انتهاء عاصفة الصحراء، وتراجع أداء حركة فتح في الانتفاضة. وبدا واضحًا أن الوضع الفلسطيني يتجه بمسـار غير مسار المواجهة مع إسرائيل، وطلبت الحركة بصورة واضحة الدعم الإيراني[4].

وعلـى هامش المؤتمـر عُقِد اجتماع مهـم كان الأول من نوعه للفصائل الفلسـطينية العشـر وضم ممثلين عن حماس والجهاد والقيادة العامة والجبهة الشـعبية والجبهـة الديمقراطيـة وفتح الانتفاضـة والصاعقة وجبهـة التحرير الفلسـطينية وجبهة النضال وغيرهم وكان يوجد ممثل لـ"حزب الله فلسـطين" عارض مشاركته الشهيد فتحي الشقاقي، فتقدم زعيم حزب الله في لبنان، عباس الموسوي، بمقترح أن يشارك هو نيابة عن ممثل حزب الله الفلسطيني وبالفعل

(1) من المقابلة مع الزهار.

(2) بعـد المؤتمـر ترك محمدي العمل فـي وزارة الخارجية وانقطعت علاقته بالملف رسـميًّا، ولكن استمرت العلاقة بصورة شخصية، فتسلم ملفات أخرى تتعلق بالمنطقة العربية، وبعدها بخمس سنوات، بعد انتخاب أحمدي نجاد رئيسًا لإيران، في 2005، كُلِّف بالتواصل مع الحركة مجددًا.

(3) من مقابلة الباحثة مع الدكتور محمدي.

(4) من المقابلة مع أسامة حمدان.

قبلت الفصائل بمشاركة الموسوي. وركز الاجتماع على دعم الانتفاضة والتصدي لمؤتمر مدريد الذي كان يجري التحضير لعقده. وطلب ممثل حماس، إبراهيم غوشة، دعم حزب الله في هذا الخصوص فوعد الموسوي خيرًا، وبالفعل نظَّم حزب الله مظاهرات مناهضة للمؤتمر تصدى لها الأمن اللبناني وأوقع قتلى في صفوف المتظاهرين، كما نفذ حزب الله عمليات عسكرية ضد إسرائيل دعمًا للانتفاضة ونتيجة ذلك استهدفت إسرائيل موكب السيد عباس الموسوي[1] فاغتالته مع أسرته[2]. وقد يكون هذا التعاون هو البذرة الأولى لما تطور بعد عقود وسُمي بـ"وحدة الساحات".

غلب الطابع السياسي على العلاقة بين الطرفين في بداية الأمر، ثم بدأت الحركة تطلب الدعم المادي وتلح في الطلب لكن ظروف الحرب العراقية-الإيرانية حالت دون الاستجابة لطلبها. وكان وزير الخارجية، ومدير دائرة الشرق الأوسط، محمد كاظم خونساري، يعتذران دائمًا[3].

لقد خرجت إيران من حربها الطويلة مع العراق منهكة اقتصاديًّا فجاء رفسنجاني بمشروع إعادة الإعمار وتحرير الاقتصاد وتوجيه الاهتمام إلى الداخل، ورغم أن علاقة الحركة مع رفسنجاني كانت جيدة، لكن وبسبب النتائج التي أفرزتها الحرب لم تكن الخارجية الإيرانية التي كانت تقدم دعمًا سياسيًّا كبيرًا لحركة المقاومة الإسلامية حماس قادرة على تلبية حاجتها إلى المال والسلاح، وكانت المساعدة التي تقدمها محدودة، تقتصر على توفير نفقات المكتب في طهران، ومساعدات مالية محدودة. لكن هذه المعيقات زالت مع انتقال الملف إلى يد الحرس الثوري بصورة تدريجية إلى أن أصبحوا هم المسؤولين عن ملف العلاقة بالكامل في مرحلة لاحقة[4].

---

(1) كان السيد عباس الموسوي هو ثاني أمين عام لحزب الله، وقامت إسرائيل باغتياله، في فبراير/ شباط 1992، ويصفه إبراهيم غوشة بأنه كان "قائدًا وقويًّا وصادقًا وبعيد النظر وحريصًا على دعم الجهاد في فلسطين"، انظر: غوشة، مرجع سابق، ص 188.

(2) غوشة، مرجع سابق، صص 188-187.

(3) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(4) من المقابلة مع أبو مرزوق.

الزيارة الرسمية الأولى لطهران وبناء تفاهم سياسي

في سبتمبر/ أيلول 1992، زار المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) طهران لأول مرة. صحيح أن وفدًا من الحركة برئاسة إبراهيم غوشة قد زار العاصمة الإيرانية، في 1991، للمشاركة في مؤتمر دعم الانتفاضة، لكن زيارة المكتب السياسي برئاسة موسى أبو مرزوق، تعد أول زيارة رسمية.

وقد حظي وفد الحركة باستقبال من أعلى المستويات في إيران، فاستقبله قائد الثورة، ورئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الشورى، ووزير الخارجية، وقائد الحرس الثوري[1].

ووفقًا لحركة حماس، فإن تلك الزيارة أسست لتفاهم سياسي شامل بشأن القضية الفلسطينية؛ فالحركة شرحت موقفها ورؤيتها من عملية التسوية بصورة شاملة، ووجدت دعمًا إيرانيًّا كاملاً وتبنيًا لموقفها، وفتحت الزيارة قنوات أخرى للتعاون في العمل المقاوم بين الحركة وإيران. وإذا كانت زيارة 1991 فتحت باب العلاقة مع إيران، فزيارة المكتب السياسي فتحت الباب لعلاقة متشعبة ووسعت مستوى التعاون بين الحركة وإيران في مختلف المجالات.

شيئًا فشيئًا بدأت العلاقة وتطورت واستُقبلت حماس في طهران، وبدأ تدريب عناصرها. وكان من الطبيعي، وفقًا لشيخ الإسلام، أن تسعى إيران إلى ذلك فقد أصبح تأثير حماس يتزايد داخل الأراضي الفلسطينية[2]. لقد تنوعت أشكال تعاوننا مع حماس، وفعلنا كل ما يمكن فعله على صعيد التنظيم والتدريب. لقد جاؤوا إلينا وذهبنا إليهم؛ ليصبح تعاون إيران مع حماس أكبر من تعاونها مع حركة الجهاد الإسلامي، لأن الإيرانيين أدركوا أن قاعدتها الشعبية وانتشارها أكبر بكثير[3].

(1) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(2) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(3) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

مرج الزهور: فتح الفتوح في العلاقة وبناء الثقة

توهمت إســرائيل وهي بصدد وضع الترتيبات النهائية لاتفاق أوســلو أنها ســتُنهي الانتفاضة وتدق آخر مسمار في نعش القضية الفلسطينية، لهذا لم يكن الاحتلال الصهيوني يريد أن تظهر أية قوة جديدة في الساحة الفلسطينية تحمل مشــعل المقاومة المســلحة الذي تخلت عنه منظمة التحرير الفلسطينية، وتفسد عليه خططه، فشن حملة اعتقالات واسعة النطاق في قطاع غزة والضفة، خلال الانتفاضة، في صفوف الحركة الإسلامية التي بدأ عودها يشتد وزادت عملياتها المســلحة وخاصة اختطاف الجنود، فاعتقل 1500 من حركتي حماس والجهاد الإسلامــي، وأبعد 415 منهــم إلى منطقة مرج الزهور في جنوب لبنان، في 17 ديسمبر/ كانون الأول 1992.

كان من مبعدي "مرج الزهور" نخبة قيادية في حركة حماس، منهم الشهيد عبد العزيز الرنتيســي وعزيز الدويــك وأحمد بحر وعبد الفتاح دخان، وكذلك قيادات وسطى جاءت من الضفة الغربية[1].

اغتنمــت إيران فرصة وجــود ذلك العدد من كــوادر المقاومة الإسلامية فــي مــرج الزهور للتواصل المباشــر معهم ونجحت في كســب ثقة المقاومة الفلســطينية، وكان لحزب الله اللبناني دور مؤثــر في بناء الثقة بين الطرفين[2]. ورغــم أن البعــض حذَّر إيران من حماس منذ بدايــة العلاقة بين الطرفين، في 1991، فإنها لم تلق بالاً لتلك التحذيرات. فمنهم من قال لها: إن حماس حركة متعصبة مذهبيًّا، ولها موقف سلبي من الشيعة، وقد تكون ليبرالية أكثر من كونها إسلامية، وإن شخصيات حماس شخصيات براغماتية، وإن الإيرانيين يرون وجه حماس الخارجي فحسب، ولكنهم لا يعرفون سريرتها. وكان المحذِّرون بعض الشركاء في النضال، وأطراف غير فلسطينية، وأخرى إقليمية وشخصيات اعتبارية في المنطقة، كما كانت قيادات فتح في تلك الفترة تثير شــكوكًا حول مرجعية حماس ونشأتها[3].

---

(1) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(2) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

سعت إيران إلى إقامة علاقة مع المقاومة الإسلامية في فلسطين ومع أطراف أخرى ترفض التسوية السلمية في المنطقة، وذلك في إطار خطتها لإفشال تلك العملية، فبادرت بالتواصل مع المبعدين وعقد ممثلها، الحاج رمضان، لقاء مع قادة من حماس في اليوم الثاني لوصول المبعدين. يقول محمود الزهار الذي حضر اللقاء: قدَّم الحاج رمضان نفسه على أنه مسؤول إيراني ثم قال لنا: "نحن في خدمتكم"[1].

قدَّم الإيرانيون بسرعة دعمًا لوجستيًّا كبيرًا للمبعدين؛ من مستلزمات البقاء الطويل من خيام وأغطية وأدوية.. وجمعوا بعض المبعدين بأهاليهم بسيارات خاصة من الأردن[2].

سمع الإيرانيون من مبعدي مرج الزهور رؤيتهم للقضية الفلسطينية والصراع مع إسرائيل، وكذلك رؤيتهم للعلاقات العربية والإسلامية، وعلى وجه الخصوص العلاقة مع إيران. ووفقًا للقيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي، فإن "مرج الزهور" كان للإيرانيين "فتح الفتوح" في القضية الفلسطينية[3].

وقبل "مرج الزهور"، أبعد الاحتلال الصهيوني الشيخ عبد العزيز عودة وكذلك عماد العلمي إلى منطقة كساره، وقد عقد معهما الإيرانيون جلسات كانت تمتد ساعات طويلة[4].

لقد كانت عمليات الإبعاد، في ذلك الوقت الذي لم تكن وسائل الاتصال الشائعة حاليًّا متوافرة، وكان الاتصال بالداخل الفلسطيني في غاية الصعوبة، فرصة لإيران للتواصل والحصول على أخبار الساحة الفلسطينية[5].

وكان أبطحي قد أسس في لارنكا شركة الغرض منها الحصول على أخبار الساحة الفلسطينية، وقد تولت سيدة فلسطينية تحمل الجنسية القبرصية تأسيس

(1) مقابلة مكتوبة للباحثة مع الدكتور محمود الزهار، نوفمبر/ تشرين الثاني 2022.

(2) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

(3) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

(4) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

(5) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

الشـــركة. ووظفت الشـــركة شـــخصين من الناصرة وأم الفحم ليرسلا مجريات الســـاحة الفلسطينية من خلال الفاكس إلى لارنكا، ومن هناك ترسل إلى دمشق ومنها إلى بيروت. يقول أبطحي: كانت هذه وسيلتنا لنعرف ما يجري في فلسطين من مظاهرات ومســـيرات طلابية. كان الخبر إذا أُرســـل في الصباح من فلسطين لا يصل إلى يد أبطحي في بيروت إلا في الليل، وأحيانًا كان يســـلمه إليه باليد سائق يأتي من دمشق[1].

كان الإيرانيون في تلك الفترة تواقين إلى إقامة علاقات أوســـع مع حركة حمـــاس، ولم تكـــن لقاءات أبطحي في لارنكا والجزائـــر وأنقرة وإيطاليا كافية لتحقيق ذلك. كما أسهم ما كان يشاع عن الإيرانيين وأنهم "مجوس" في خلق حاجـــز دون التواصـــل. لقد كان "مرج الزهور" الفرصـــة التي كان يبحث عنها الإيرانيون، يقول أبطحي الذي يحتفظ بأرشيف صور لتلك المرحلة[2]. لقد تعامل الإيرانيون مع قيادات متعلمة، فقد ضمَّ مخيم مرج الزهور 20 أســـتاذًا جامعيًّا، و25 طبيبًا، وأكثر من 60 مهندسًا، من فئات عمرية مختلفة، ورأوا صراحة وجرأة في التعبير عن مواقفهم حتى تلك المخالفة للرأي الإيراني[3].

تفاجـــأ أبطحـــي، وهو من أول الواصلين إلى "مـــرج الزهور"، لما قال له الشهيد عبد العزيز الرنتيسي، رحمه الله، الذي كان يترأس اللجنة الإعلامية في مخيم المبعدين: ابق مكانك ولا تقترب أكثر. "أذكُرُ تحفظهم، كانوا يعتقدون أننا كفار ومشـــركون ويظنون أننا نعبد الإمام علي، حتى إن بعضهم لم يكن يرغب بمـــد يده للسلام عليَّ.. لكن لاحقًا عقدنـــا رابطة أخوة"[4]. فبعد أن كان اللقاء الأول فاتـــرًا بين أبطحي والمبعدين أصبحوا يتنافســـون فيما بينهم على تضييفه في خيمهم[5].

---

(1) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

(2) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(4) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

(5) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

كان مــن أهم منجزات إيــران في تلك المرحلة، معرفة كل طرف بالآخر، ونقــض الصورة التي صنعها "الإعلام الغربي والصهيوني" عن الإيرانيين وأنهم "فُرْس مجوس". كما نجح الإيرانيون في تجاوز الآثار الســلبية لحرب العراق، وتصويرهــم قتلة للعــرب. وروى الإيرانيون لنزلاء مرج الزهور عن دورهم في حماية الفلســطينيين خلال حرب المخيمات في لبنان التي أصيب فيها أبطحي وما زال يعاني إلى اليوم تبعات الإصابة.[1]

اســتحضر أبطحي قوله تعالى: "وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ" (آل عمران: 54)، ليدلِّل على أن الإبعاد كان ســحرًا انقلب على إســرائيل، وأن خطتهــا "الحمقاء" لحرمان المقاومة مــن قيادتها كان من نتائجها تعزيز العلاقة مع إيران[2].

بعد الحوار بين المقاومة وإيران في مرج الزهور اطمئن الإيرانيون لوجود موقــف موحد منهم داخــل حركة حماس، وأن الموقف الذي تعبِّر عنه الحركة من خلال المكتب السياسي هو موقف يعكس إرادة الصف القيادي كله وكذلك الحركة[3].

لقد كان عام "مرج الزهور" (ديسمبر/ كانون الأول 1992- ديسمبر/ كانون الأول 1993) فرصــة اغتنمتها كذلك حركــة المقاومة الإسلامية (حماس) لرد كل الشــبهات التي كانت تثار حولها، وتقديم صورة للإيرانيين تظهر تماســكها وكفاءتها في التنظيم رغم حداثة عمرها.

لقد كانت مرحلة مرج الزهور شديدة التأثير؛ فالعلاقة -وفقًا للزهار- بدأت بصــورة جديــة في فترة الإبعاد إلى مرج الزهور خلال شــتاء 1992، وكان هو واحدًا من الشهود على مرحلة نشأة العلاقة. وقد كان قبل ذلك لقاءات وزيارات ولكن فترة الإبعاد تميزت بالتواصل اليومي[4].

---

(1) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

(2) من مقابلة للباحثة مع القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي.

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(4) من المقابلة مع الزهار.

وإذا كان الاجتماع مع علي ولايتي، في 1991، قد وضع أسس العلاقة السياسية بشكلها الدبلوماسي، فإن "مرج الزهور" أسس العلاقة من مناحيها كافة.

التدريب والتسليح

في فترة "مرج الزهور" طلبت الحركة من إيران تدريب وتأهيل بعض أعضائها ممن لهم علاقة بالعمل الجهادي فاستجابت وعقدت دورات لعشرات من المبعدين.

وكان الإيرانيون قد عرضوا على حماس قبل "مرج الزهور" تدريب عناصرها، غير أن الحركة كانت متحفظة للغاية وقلقة من أن يكون ذلك مدخلاً للتأثير في عقيدة مقاتليها، لكن ذلك التحفظ زال في مرج الزهور، بعد أن اقتنع المبعدون بأن الإيرانيين ليسوا بصدد تغيير مذهب أو اعتقاد أي شخص، وليس من أهدافهم نشر التشيع في فلسطين، وفقًا لمجتبى أبطحي، الذي كان يعارض إنشاء تيار شيعي في فلسطين[1]، ويؤمن بأن "السعي إلى تغيير عقائد الناس أمر حرام، وهو رأي السيد علي خامنئي كذلك"[2].

وهكذا بدأت المجموعات الفلسطينية تشد الرحال إلى إيران لتلقي التدريب[3]. ويؤكد طارق حمود أن مرحلة "مرج الزهور" قدمت فرصة نوعية للقاء قيادات الداخل مع الحرس الثوري وحزب الله مباشرة[4]، وهو ما أسفر عن مشاريع تدريب وتمويل، كان من ثمارها خبرة صناعة المتفجرات التي ازدهرت في بيئة حماس العسكرية خلال عقد التسعينات[5].

---

(1) إشارة إلى حركة الصابرين.

(2) من المقابلة مع مجتبى أبطحي.

(3) من المقابلة مع أبطحي.

(4) طارق حمود، الخلاف بين إيران وحركة حماس، وآفاق العلاقة المستقبلية 2010 – 2014، مركز الزيتونة، 18 مارس/آذار 2015 (تاريخ الدخول: 7 فبراير/شباط 2024)، https://2u.pw/EwSYjvs

(5) رافييل د. فرانكل Rafael D. Frankel، إبقاء حماس وحزب الله خارج الحرب مع إيران، ترجمة مركز الزيتونة، سلسلة ترجمات الزيتونة (73)، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات،2012)، ص18 و19.

ويلاحظ من خلال تتبع مســـار عمليات حماس العســـكرية تطور مهم في أدائها الميداني خلال سنوات (1994-1996)، خاصة ما يتعلق بتجهيز العبوات وتفخيخ الســـيارات، وصناعة الأحزمة الناســـفة، وذلك بفضل الخبرات الإيرانية التي قُدمت للحركة خلال تلك المرحلة.

فقد نفَّذ جناح حماس العســـكري سلســـلة عمليات نوعية، منها عمليات استشـــهادية خاصـــة خلال المرحلة التي برز فيها اســـم المهندس يحيى عياش (1994- 1995)، واســـتمرت العمليـــات فـــي إطار ما ســـمي بـ"عمليات الثأر المقدس" التي قادها حســـن سلامة إثر اغتيال عياش في مطلع 1996 [1].وكان سلامة قد عاد إلى فلسطين في منتصف 1995 بعد إبعاده منها في 1992 .[2]وكان ذلك التطور النوعي في العمليات مؤشـــرًا على الخبرات العسكرية التي اكتسبها سلامة في الخارج، والدور الإيراني في ذلك.

كان تدريـــب عناصر حماس يجري في لبنان وإيران؛ لأن ذلك كان يحتاج إلـــى أرض مفتوحة، وأخذ التدريب مدى أوســـع بعد إزالة الشـــكوك المتعلقة بالجانب الاعتقادي[3].

لم يقتصر التدريب على الجانب العسكري، بل تنوع ليشمل الجانب الإداري وكيفيـــة الحكـــم، وكل ما تحتاجه الحركة من مهـــارات في الإدارة المحلية من دورات إطفاء النيران والإسعاف وحتى جمع القمامة، وكذلك الشؤون الصحية ومياه الشرب وغيرها[4].

كانـــت فلســـفة التدريب تقوم علـــى أن المقاومة ليســـت سلاحًا ومقاتلين فحسب، وهو ما أدركته حركة حماس التي استفادت من التدريب في إيران في

---

(1) - حســـن عبد الرحمن حســـن سلامة: قائد عسكري فلســـطيني، شارك في الانتفاضة الأولى، وأصبـــح مـــن قادة الجناح العســـكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس). اتهمته إســـرائيل بالمســـؤولية عن عمليات تفجير أوقعت عشـــرات الإسرائيليين بين قتيل وجريح، لُقِّب بـ"بطل عمليات الثأر المقدَّس". حكم عليه بالســـجن المؤبد 48 مرة، ورفض الاحتلال الإفراج عنه ضمن صفقة تبادل الأسرى عام 2011.

(2) - انظر ســـيرة الأســـير حسن سلامة على موقع كتائب القســـام: http://www.alqassam.ps/arabic/#!/الأسرى/249/

(3) من المقابلة مع أبطحي.

(4) من المقابلة مع أبطحي.

مجالات عدة، وكانت تنتقل إلى مرحلة أكثر شمولية وتطورًا من دورة تدريبية إلى أخرى[1]. وقد كان التدريب يتم وفق مقتضيات حاجة المقاومة، ومن ذلك التدريب على صناعة السلاح، أخذًا بعين الاعتبار التحديات التي تفرضها جغرافية غزة، وهو أمر أخذه الخبراء الإيرانيون بعين الاعتبار خلال التدريب[2].

مرج الزهور وحزب الله

كان عام "مرج الزهور" فرصة لإقامة علاقة بحزب الله كذلك، وقد تطورت علاقة الطرفين بشكل أسرع لسببين:

الأول: كونها علاقة بين حركتين أو حزبين، بخلاف العلاقة مع دولة، وكذلك وحدة الهدف: قتال الاحتلال الإسرائيلي، حماس في فلسطين والحزب في شمالها.

الثاني: لم تكن بيئة المقاومة الفلسطينية، غريبة على حزب الله؛ فنخبة أساسية من كوادره في العمل السياسي والجهادي عاشت في بيئة الثورة الفلسطينية وعملت معها وأسهمت فيها. كما كان للغة سهم في تيسير العلاقة بين حماس وحزب الله؛ فرغم أن عددًا من المسؤولين الإيرانيين الذين التقوا المبعدين في مرج الزهور كان يتكلم العربية، أو يفهمها بشكل جيد، فإن جزءًا آخر كان يحتاج إلى الترجمة. بينما كان الحزب والحركة يتحدثان اللغة نفسها "لغة اللسان ولغة السلاح وهو ما سرَّع في العلاقة ونشأت علاقة شخصية قوية بين قيادات في حزب الله وبعض مبعدي مرج الزهور"[3].

بدأ منحى العلاقة بين حماس وإيران بعج "مرج الزهور" يتطور شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى مستوى القيادة، وهكذا التقى شيخ الإسلام بالشيخ أحمد ياسين، في 1998، خلال موسم الحج وعاده في المستشفى، ودعاه لزيارة إيران، فلبَّى الدعوة وألقى خطبة الجمعة في طهران[4].

---

(1) من المقابلة مع أبطحي.

(2) من المقابلة مع أبطحي.

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(4) زار الشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، إيران، عام 1998، والتقى بمرشد الثورة الإسلامية، علي خامنئي، كما أنه زار قم واجتمع مع عدد من المراجع المعروفين هناك.

وفــي الفترة (1996-1998)، عانــت حماس ضغوطًا تمثلت في اعتقالات واغتيالات لبعض كوادرها العســكرية. ورغم أنها كانت المرحلة الأقســى فإن الحركة بقيت قادرة على تنفيذ عمليات ضد إسرائيل في غزة وفي الضفة، وكان هذا محل تقدير عال من الإيرانيين.

ولذلك نمت العلاقة في الجانب الجهادي، ونما دعم إيران للحركة خاصة الدعم المالي؛ فقد أسهمت قسوة الجرائم الصهيونية، وفقًا لمحمود الزهار، في إقناع إيران بضرورة زيادة حجم وكفاءة السلاح المطلوب للدفاع عن النفس[1]؛ وقد أدى ذلك إلى تطور تسلح الحركة فأصبحت قادرة على "ردع العدو بصورة واضحة"[2].

وتحدثت دراسة إسرائيلية استندت إلى تقرير استخباراتي، في 1994، عن أن إيران كانت تقدم 3 ملايين دولار سنويًّا لكل من حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، وأن ألف عائلة من عائلات الاستشهاديين الفلسطينيين أو المعتقلين من كلتا الحركتين تلقت دفعات شهرية منتظمة من إيران[3]. وأشار تقرير استخباراتي بتاريخ 10 ديسمبر/ كانون الأول 2000، أصدره أمين الهندي، رئيس المخابرات العامة للســلطة الفلســطينية، إلى أن إيران حوَّلت أمــوالاً لحماس وغيرها من حركات المقاومة. وحولت مبلغ 400 ألف دولار إلى كتائب عز الدين القسام، و700 ألف دولار إلى تنظيمات إسلامية أخرى.

وعندما شــكَّلت حماس الحكومة فُرض عليها حصار شــامل في 2007، فكانت إيران تدفع للحكومة 20 مليون دولار شــهريًّا، لكن تلك المســاعدة لم تستمر طويلاً وما لبثت أن تراجعت. وبعد 2014، قدم الإيرانيون للعمل العسكري مليــون دولار. وفي 2019، بلغت المســاعدات 18 مليــون دولار تتصرف فيها الحركة وفق المصلحة والأولويات[4].

---

(1) من المقابلة مع الزهار.

(2) ســمعت الباحثة هذه التأكيدات على لســان عدد من قيادات الحركة في عدد من الجلســات المغلقة.

(3) Gaza/Hamastan, Platform for Iranian Destabilization of the Arab World

(4) من المقابلة مع الشيخ العاروري، في 24 ديسمبر/كانون الأول 2019.

تغير الموقف الأردني والانتقال إلى دمشق

في الفترة 1992–1999، مرَّت العلاقة بين الحركة والأردن بمنعطفات عدة، وشهدت محطات توتر جاء بعضها بسبب عمليات نفذتها الحركة في العمق الإسرائيلي يعتقد أنها سبَّبت ضغطًا إسرائيليًّا ودوليًّا على الأردن خاصة بعد اتفاقية وادي عربة، في أكتوبر/ تشرين الأول 1994 .[1]

فبعد توقيع الاتفاقية، بدأت السلطات الأردنية في التضييق على أنشطة الحركة وقادتها، فقد استدعى محافظ العاصمة إبراهيم غوشة، الناطق باسم حماس، وطلب منه الكف عن إصدار التصريحات الاستفزازية ضد السلطة الفلسطينية[2]. وفي مايو/ أيار 1995، أُبعد رئيس المكتب السياسي، موسى أبو مرزوق، فتوجه إلى الولايات المتحدة حيث كان يملك إقامة دائمة، إلا أنه اعتُقل هناك نحو عامين ثم أُفرج عنه وسُمح له بالعودة إلى الأردن في 1997 [3].

وفي 1997، حاول جهاز الموساد الإسرائيلي اغتيال رئيس المكتب السياسي، خالد مشعل، فوقع عملاء الموساد في قبضة السلطات الأردنية[4]. ووضع الملك الحسين حينها حياة خالد مشعل شرطًا لاستمرار اتفاقية وادي عربة، فرضخ الاحتلال وسلَّم ترياق السم للأردنيين كما اشترط الملك الحسين إطلاق سراح مؤسس حركة حماس، الشيخ أحمد ياسين، وعدد من الأسرى الفلسطينيين والأردنيين مقابل إطلاق سراح عملاء الموساد وفك الطوق الأمني عن سفارة الاحتلال في عَمَّان وهو ما رضي به الاحتلال مرغمًا[5].

---

(1) ما المراحل التي مرت بها العلاقة بين الأردن وحماس؟ إذاعة حسنى، 29 يونيو/حزيران 2021، (تاريخ الدخول: 6 نوفمبر/تشرين الثاني 2021)، https://bit.ly/3o0RRwd

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) حاولت الجهات الرسمية في الأردن تصوير الاغتيال على أنه حادثة عراك، وجاء بيان وزارة الإعلام الأردنية بهذه الصيغة، فيما أصرت صحيفة العرب اليوم على رواية أن ما حدث اغتيال، وكانت الباحثة في ذلك الوقت تعمل صحفية وكانت من ضمن فريق الصحيفة الذي غطى الواقعة، (من يوميات الباحثة، في 25 سبتمبر/أيلول 1997).

(5) إذاعة حسنى، مصدر سابق.

بعــد وفاة الملك الحســين في 1999 وتولي نجلــه عبد الله، أنهى الأردن وجود حماس الرســمي، فأغلق مكاتب الحركة، وأصدر مذكرة اعتقال في حق ســتة من قادتها بتهمة مخالفة الأنظمة والتعليمات، وهم: خالد مشــعل، رئيس المكتب السياسي، وموسى أبو مرزوق، وإبراهيم غوشة، وعزت الرشق، وسامي خاطــر، ومحمــد نزَّال. وقد صدرت المذكرة بينما كان الثلاثة الأوائل في زيارة إلى إيران[1]، فقرروا العودة إلى الأردن لاعتبارات سياسية، فلما عادوا اعتقلتهم الســلطات الأردنية. وإثر وســاطة من أمير قطر آنذاك، الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، وافق الأردن على إبعادهم إلى الدوحة[2]، فنُقلوا إلى طائرة قطرية مكبلين بالأصفاد معصوبي الأعين، فوجدوا على متنها وزير الدولة للشــؤون الخارجية آنذاك، أحمد بن عبد الله آل محمود، فشرح لهم ما حدث[3].

انتهى الأمر بخروج حماس من الأردن، وكان ذلك الخروج فرصة لبعض الدول في المنطقة، لاســتخدام العنوان الإيراني والعلاقة مع إيران بشــكل أكبر، وهو أمر لم تستســلم له الحركة، وكانت ترد بأن علاقتها بإيران ليســت موجهة ضد أحد، وأنها من أجل القضية الفلسطينية ودعم الشعب الفلسطيني والمقاومة، وكانــت الحركة تعلن أنها في حاجة إلى دعم عربي للمقاومة يكون نقطة التقاء عربية-إيرانية[4].

لقد كانت علاقات الحركة جيدة مع أطراف عربية وذلك إلى ما قبل الدعم العربي لمبادرة السلام واتفاق أوسلو، وحتى 1996، لكنها توترت بعد عمليات الرد على اغتيال يحيى عياش، في 1996، وهي العمليات التي كانت قاسية جدًّا على الإسرائيليين وأطاحت بشمعون بيريز، ورأى بعض العرب في ذلك استهدافًا لعملية السلام وكان مؤتمر شــرم الشيخ علامة فارقة في بعض علاقات حماس

(1) إذاعة حسنى، مصدر سابق.

(2) لم يســتقبل الأردن علنًا أي مســؤول من حماس منذ ذلك الوقت إلا لأغراض إنســانية؛ حيث سمح الأردن لخالد مشعل بالقدوم للأردن، عام 2009، لتشييع جثمان والده.

(3) من المقابلة مع حمدان.

(4) من المقابلة مع حمدان.

العربية، لكن ما حدث في 1999 سـهَّل على البعض أن يبلور موقفًا تتخذ فيها العلاقة مع إيران ذريعة[1].

رأت الحركـة أن إدارة الصـراع مع الاحتلال تقتضي أن تبقى القيادة قريبة جغرافيًّا من فلسـطين، فناقشـت الأمر مع أمير قطر الذي تفهم دوافعها وأقرها على رأيها، وانتقل جزء من قيادة الحركة إلى دمشق، وكان ذلك الانتقال خيارًا إستراتيجيًّا[2].

صبَّ قرار الانتقال إلى دمشق في صالح العلاقة بإيران؛ فحتى سنة 2000 كان مكتب الحركة في طهران هو صلة الوصل بينها وبين إيران، فضلًا عن بعض الاتصـالات خلال زيـارات وفود قيادية إلى بيروت ودمشـق. لكن بعد 2000 تكثفت الاتصالات وتوطدت العلاقات بفضل الصلاحيات الواسـعة الممنوحة للمسؤولين الإيرانيين في سوريا، ولكثرة تردد المسؤولين الإيرانيين على دمشق.

الموقف من احتلال العراق

شـكَّل الاحتلال الأميركي للعراق، فـي 2003، موضوع خلاف في علاقة حماس بإيران، لكن الحركة اكتفت بالتلميح دون التصريح؛ لأنها كانت ترى أنه لا مصلحة من الخوض في تفاصيل الخلاف[3].

وقد خفَّف من حدة الأمور بين الطرفين أن حزب الله كان يشاطر حماس رأيها، وكذلك السوريون؛ فقد كان موقفهم حادًّا من الاحتلال الأميركي للعراق[4].

فـضلًا عـن هذا، كانت الانتفاضـة، في 2003، فـي ذروة عنفوانها وكان متقبلًا في كل البيئة الإقليمية العربية والإسلامية، أن يكون لحماس موقف حاد تجاه الغزو الأميركي للعراق؛ لأن هناك انتفاضة تقارع الاحتلال، وضد المحتل الذي يدعم الاحتلال ويستخدم الفيتو ضد الشعب الفلسطيني، وكان هذا موقف

---

(1) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(2) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(3) لا تجد الحركة أن من المناسب الخوض في تفاصيل هذا النقاش، وفق ما أبلغته للباحثة.

(4) من المقابلة مع حمدان.

الجميع في فلسطين، حتى حركة فتح التي دخلت في عملية التسوية، وياسر عرفات الذي كان تحت الحصار بقرار أميركي. فلم يكن أي طرف فلسطيني يقبل أن تحتل الولايات المتحدة الأميركية العراق، ولذلك فحتى البيئة الإقليمية كان لديها تقبل لموقف حماس، على الرغم من أن البيئة العربية في ذلك الوقت كان لديها تحفظات على موقف حماس من المبادرة العربية التي أطلقتها في 2002.

تدافع الحركة عن موقفها بالقول: "كان تصاعد العمل المقاوم في مواجهة الاحتلال في ذلك الوقت عاملاً يؤكد أن موقف حماس من الاحتلال الأميركي للعراق ليس موقفًا مزايدًا، وإنما كان منسجمًا مع مسيرة حماس السياسية والنضالية ومع مبادئ الحركة ومن أهمها أننا حركة تسعى إلى تحرير شعبها وبناء عليه لابد أن تؤمن بحق جميع الشعوب في الحرية"[1].

إيران تعارض مشاركة حماس في الانتخابات

كان قرار حماس المشاركة في انتخابات 25 يناير/كانون الثاني 2006 منعطفًا آخر في تاريخ الحركة، لم تكن إيران سعيدة به[2]. وهو ما دفع الحركة إلى إيفاد عدد من قادتها إلى طهران، لشرح حيثيات قرارها، فكان النقاش بشأنه بين الوفد والإيرانيين طويلاً عريضًا.

كان الإيرانيون يخشون من أن يؤدي الدخول في العملية السياسة إلى تراجع في الفعل المقاوم، أو إلى انخراط في عملية التسوية. وكانت حماس معنية بإدارة نقاش مع حلفائها بشأن قرارها والاستماع إلى آرائهم التي تقدرها، ولكنها في نهاية الأمر تصنع قرارها بنفسها[3]، فهي لم تستأذن أحدًا في المشاركة في الانتخابات، وعن هذا يقول محمود الزهار: "نحن لم نستأذن إيران أو غيرها في دخول الانتخابات. لقد كنت المسؤول الأول عن هذه الانتخابات ولم يسألني أحد ولم يتدخل أحد من إيران أو غيرها في الانتخابات من البداية

(1) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(2) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

حتـى النهاية"[1]. لكن الحركة تؤكـد أن إيران لو تدخلت "لكان الرد وما زال" وفـق الزهار: "نحن نعرف مـا ينفع المقاومة وما يضرها وقرارنا مرتبط بالقدرة على حماية المقاومة"[2].

قررت الحركة المشاركة في الانتخابات بناء على اعتبارات كثيرة، ورأت أن الخوف من أن يجرها ذلك إلى الدخول في عملية تسوية لا مسوغ له، وينبغي أن يثق الحلفاء بعضهم في بعض[3]. بقي موقف الإيرانيين من مشـاركة حماس فـي الانتخابـات على حاله لم يتبدل ولم يتغير، رغـم ما دفع به وفد الحركة، لكنهم أعلنوا عن تقبلهم القرار واحترامه، مع بقاء توجسـهم قائمًا حتى ظهرت نتائج الانتخابات[4].

كان قرار مشاركة حماس في الانتخابات، وفقًا لأصغر محمدي، المسؤول في وزارة الخارجية، واحدًا من التباينات في وجهات النظر. ويبسط الكلام في ذلك بالقول: إن الحركة قررت المشـاركة في الانتخابات، فجاء وفد منها إلى طهران، ضم خمسـة أشـخاص، منهم خالد مشعل وأبو مرزوق، لاطلاع إيران على موقفها، فانعقد اجتماع ترأسه قاسم سليماني[5]، وشارك فيه الحرس الثوري ووزارة الاسـتخبارات ووزارة الخارجية الإيرانية التي مثَّلها محمدي، الذي بدأ الحديـث بنـاء على طلب الحركة[6]. ومما قالـه محمدي: "الإخوة في حماس اتخذوا قرارًا سـيُحدث مشكلة أيًّا كانت نتيجة الانتخابات، فإن خسرت الحركة ستخسر فكرة المقاومة، وسيقال: إن خيار المقاومة لا دعم شعبيًّا له. وإن فازت ستضطر إلى إدارة البلد تحت الاحتلال، وهذا يتعارض مع رسالة الحركة، وهي المقاومة التي ترفع لواءها"[7].

---

(1) من المقابلة مع الزهار.

(2) من المقابلة مع الزهار.

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(4) من المقابلة مع حمدان.

(5) من المقابلة مع محمدي.

(6) من المقابلة مع محمدي.

(7) من المقابلة مع الدكتور محمدي.

سأل وفد حركة حماس الإيرانيين لماذا لا يعارضون مشاركة حزب الله في الانتخابات، فكان ردهم أن حزب الله يشارك ضمن حصة طائفية محدودة[1].

أوضحت الجهات الإيرانية الأخرى المشـــاركة في الاجتماع أبعاد موقفها، لكن الحركة ظلت مصرة على قرارها المشـــاركة في الانتخابات. وظل قاســـم سليماني، قائد فيلق القدس، ودودًا مع وفد الحركة رغم الاختلاف الواضح في وجهات النظر[2]. بعد انتهاء الاجتماع رُفع تقرير إلى القيادة العليا في إيران، وفي ختام الزيارة أُبلغ وفد حماس بقرار رســـمي، جاء فيه: "ليس من عادتنا التدخل في الشأن الداخلي لحلفائنا، ونحترم قرار الحركة، وما نقدمه لحلفائنا مشورة"[3].

وما زال محمدي يعتقد بوجاهة الموقف الإيراني الذي كان يرى أن مشاركة الحركة لن تعود على مسيرة النضال الفلسطيني بفائدة؛ فرغم أن الحركة سعت إلى أن يكون فوزها في الانتخابات معتدلاً، فإن نتيجتها أجبرتها على تشـــكيل الحكومة، وهو أمر ما زالت حماس تتعامل مع تبعاته إلى اليوم[4]. وعلى النقيض مـــن ذلك، ترى الحركة أن نتائج الانتخابات "تركت تأثيرًا بالغًا في الإيرانيين"؛ إذ أظهرت أن تقديرها للوضع الفلسطيني كان دقيقًا، وأن القرار لم يكن مراهقة في عالم السياسة، وأن قرارها تعدى مجرد الرغبة في المشاركة في الانتخابات، وأن تقدير الحركة كان أنها ستشارك وستحقق نتائج جيدة، وسيجعلها ذلك في وضـــع أفضـــل للدفاع عن خيارات المقاومة، ودور المقاومة وأن يكون لها دور في تمثيل الشعب الفلسطيني[5].

وتعتقـــد الحركة أن مشـــاركتها في الانتخابات وفوزها كان مكســـبًا لخيار المقاومة وإيران كذلك التي باتت تتعامل مع قوة انتخبها شعبها وفرضت وجودها

---

(1) من المقابلة مع الدكتور محمدي.

(2) من المقابلة مع الدكتور محمدي.

(3) من المقابلة مع الدكتور محمدي.

(4) من المقابلة مع الدكتور محمدي.

(5) من المقابلة مع حمدان.

بفعل المقاومة المدعومة شعبيًّا. لقد أثبتت نتائج الانتخابات أن "حماس تدرك واقعها بشكل جيد"[(1)].

وبعد فوز الحركة في الانتخابات؛ اســتقبلت طهران إســماعيل هنية بصفته رئيس وزراء فلسطين، كما وصفه الإعلام الإيراني، مع تطبيق كل البروتوكولات الخاصة باستقبال رئيس وزراء، وأكثر من ذلك في بعض الجوانب[(2)].

وعبَّر الإيرانيون لإسماعيل هنية عن استعدادهم لتقديم تجاربهم في مجال الإدارة الحكومية، والعمران والمدن ومجالات أخرى، للحكومة الفلسطينية[(3)].

وعن فوز الحركة، قال آية الله علي خامنئي: إنه "مفاجأة ســعيدة وتحقق للوعد الإلهي.. إننا نشــهد تحقق الوعود الإلهية الواحد تلو الآخر وبعد تحرر غزة فقد فازت حماس في الانتخابات؛ الأمر الذي فاجأ الجميع"[(4)].

وفي فبراير/ شباط 2006، استقبل طلاب جامعة طهران خالد مشعل، رئيس المكتب السياســي لحماس، بالتكبير والهتاف. وقد تحدث مشــعل عن "انتصار حماس الديمقراطي"[(5)]، وقال في محاضرته[(6)]: إن حماس انتصرت عندما ارتبطت بأهلها وتواصلت مع أمتها وضحَّت بكل ما لديها وقدمت شــهداء في مقدمتهم قادتها، منهم الشــيخ أحمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسي. ورغم البطش الصهيوني بقيت حماس على الســاحة. وقال مشــعل بنبرة حماسية: "في العام

---

(1) من المقابلة مع حمدان.

(2) من المقابلة مع حمدان.

(3) المرجع السابق.

(4) ديدار رئيس دفتر سياسي حماس و هيات همراه (لقاء رئيس المكتب السياسي لحماس والوفد المرافق)، الموقع الرسمي للقائد الأعلى للثورة في إيران، 1 اسفند 1384 ش(تاريخ الدخول: 12 ديسمبر/كانون الأول 2021)، https://bit.ly/3rVd0eY

(5) من يوميات دونتها الباحثة بخصوص محاضرة مشــعل في جامعة طهران، في 21 فبراير/شــباط 2006.

(6) جاءت محاضرة خالد مشعل بدعوة من الجمعية الإسلامية لطلبة جامعة طهران والعلوم الطبية ضمن ندوة حملت عنوان "ملحمة حماس، المقاومة والنصر" (من يوميات الباحثة في طهران، فبراير/شباط 2006).

الماضـي قامت حماس مع فصائل فلسـطينية أخـرى بتحرير غزة من الاحتلال الصهيوني، وعندما أقيمت الديمقراطية الفلسطينية انتصرت حماس أيضًا"[1].

وبسـط مشـعل الكلام فيمـا تعرضت له الحركـة نتيجة مشـاركتها في الانتخابـات وفوزهـا الذي قادها إلـى مرحلة جديدة؛ فقـد تعرضت لضغوط وتهديـدات وفُرضت عقوبات على مـن يدعمها وصودرت أمواله، كما هددت دول أوروبية بقطع المسـاعدات وكذلك الولايات المتحدة التي أوفدت وزيرة خارجيتها، كوندوليزا رايس، إلى المنطقة لتحرض على حماس[2].

وقال ردًّا على احتمال اعتراف حماس بإسرائيل إذا انسحبت من الأراضي المحتلـة 1967: إنـه لا خيار أمام إسـرائيل سـوى الانسـحاب من الأراضي الفلسطينية، ولن يتم إضفاء الشرعية على الاحتلال مهما طال الوقت.

وذكر مشعل أن الأمة الإسلامية شريك في هذا النصر الذي أحرزته حماس، وأن قيادة إيران وشعبها شركاء فيه[3].

نقل الملف إلى الحرس: قفزة إستراتيجية في العلاقة

كان ملف العلاقة مع حماس بيد وزارة الخارجية الإيرانية، بينما كان ملف العلاقة مع حركة الجهاد بيد وزارة الاستخبارات، وحدث الانتقال المؤثر للملف إلى مؤسسة الحرس الثوري على مراحل ليصبح ملفًّا بيد الحرس بصورة كاملة عقب فوز حماس في الانتخابات، عام 2006.

وبعـد صراع بين المؤسسـات الثلاث المعنية (الخارجية والاسـتخبارات والحـرس) على إدارة الملف؛ انتقل إلى مؤسسـة الحرس الثوري، وكان ذلك الانتقال واحدًا من أبرز التطورات في مسار العلاقة[4]؛ فقد بدأت مرحلة جديدة من الدعم الإستراتيجي العسكري والمالي.

---

(1) من يوميات الباحثة، طهران، 21 فبراير/شباط 2006.

(2) تزامنت محاضرة مشعل مع تصريحات صدرت عن وزيرة الخارجية الأميركية، كوندوليزا رايس، في زيارتها إلى القاهرة؛ حيث خيَّرت حماس "ما بين العمل السياسي و"الإرهاب"".

(3) من محاضرة خالد مشعل في جامعة طهران، فبراير/شباط 2006.

(4) من المقابلة مع أبو مرزوق.

وحسب أبو مرزوق[1]، فقد كان من أبرز نتائج انتقال الملف إلى الحرس الثوري؛ الاستجابة لمطالب حماس في التدريب والتسليح، التي لم تستطع وزارة الخارجية تلبيتها. لقد كان التسليح عاملاً أساسيًّا في تقوية علاقة حماس بإيران؛ لأنه "لا توجد دولة غير إيران تقدم للحركة سلاحًا وتدريبًا"[2].

وكان من أسباب نقل الملف من الخارجية الإيرانية إلى الحرس الثوري، كما يوضح قيادي في الحرس الثوري، أن في إيران عددًا من المؤسسات التي تعمل في الشأن الفلسطيني منها "مؤسسة الشهيد" والتي بدأت العمل في لبنان أولاً ثم فلسطين، ووزارة الاستخبارات التي كانت تقوم ببعض الأمور، ووزارة الخارجية كذلك، وكان غياب التنسيق بين هذه الجهات سببًا في بعض الإشكالات داخل إيران، فكان لابد من توحيد القرار بشأن فلسطين ليخرج من جهة واحدة، وكان ذلك بتدبير من القائد الأعلى، آية الله علي خامنئي[3].

وقد منح الحرس هذه المسؤولية لأسباب عدة؛ لأنه ليس مؤسسة عسكرية فحسب، بينما وزارة الخارجية هي جهة سياسية ليس لديها مؤسسات تعمل في غير السياسة الخارجية. إن مؤسسة الحرس لديها مظلة واسعة من التخصصات؛ فلديها مثلاً جامعة "بقية الله" للعلوم الطبية، وأكبر مستشفى في طهران، مستشفى "بقية الله"، وتنتشر فروعه في مناطق مختلفة من إيران، ويتولى كذلك صناعة الأدوية، ولديه مجموعة خاتم الأنبياء الاقتصادية الضخمة. فالحرس عبارة عن مجمع من الإمكانات والقوى القادرة على التعامل مع أمور عدة من بينها الزلازل والأزمات، لهذا ارتأت القيادة الإيرانية، أن المصلحة تقتضي نقل الملف إلى الحرس[4].

وما يسري على الخارجية والجيش يسري كذلك على وزارة الاستخبارات التي ليس لها الهياكل الإدارية والمؤسسية التي يملكها الحرس، خاصة أن ملف

(1) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(2) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(3) من المقابلة مع أبطحي.

(4) من المقابلة مع أبطحي.

فلسطين يتجاوز التسليح، لقد كانت المسألة تحتاج إلى قفزة إستراتيجية، وهذا ما حدث عندما أصبحت دفة واحدة هي التي تقرر في هذا الملف[1].

لقد كان الدعم بالسلاح ولا يزال، وفقًا لمحمود الزهار، من أهم العوامل في العلاقة بين حماس وإيران؛ فقد كان من الضروري في مواجهة عدو صهيوني يملـك السلاح النـووي أن يكون الحرس طرفًا أساسـيًّا من أطـراف العلاقة وأصولها، والكلام للزهار[2].

خلاف على الحسم العسكري في غزة

وجدت حماس نفسـها، بعد أشهر قليلة من تشكيل الحكومة، في مواجهة مسـلحة مع أنصـار فتح في قطاع غزة، وانهار الاتفـاق الذي أبرمته مع حركة فتح، في مارس/ آذار 2007، لتشكيل حكومة وحدة وطنية. وفي يونيو/ حزيران من العام نفسـه، احتدم الصدام مع عناصر فتح، فلجأت الحركة إلى الحسـم العسكري وبسطت سيطرتها على قطاع غزة، فهرع الاحتلال إلى تشديد الحصار على القطاع، وسارعت مصر إلى إغلاق معبر رفح، وأقال رئيس السلطة، محمود عباس، رئيس الوزراء، إسماعيل هنية، وحكومته وفرض حالة الطوارئ[3]. وكلف عباس سلام فياض بتشكيل حكومة في الضفة الغربية، فاستأنف الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأميركية دعمهما المالي للسلطة الفلسطينية.

كان الإيرانيون قلقين في بداية الأمر من أن خسارة الضفة الغربية ربما تؤدي إلى خسـارة في غزة، وأن تكون حماس قد اسـتعجلت قرار الحسم العسكري في غزة، فربما لاحت فرص الحسم في الضفة لو تريثت الحركة، لكن ذلك لم يؤثر في الدعم الإيراني لحماس.

---

(1) من المقابلة مع أبطحي.

(2) من مقابلة الباحثة مع الدكتور الزهار.

(3) عباس يعلن إقالة هنية وحكومته وفرض حالة الطوارئ، الجزيرة نت، 14 يونيو/حزيران 2007، (تاريخ الدخول: 13 نوفمبر/تشرين الثاني 2021)، https://bit.ly/30swPPt

إيران تضاعف الدعم بعد "معركة الفرقان"

في نوفمبر/ تشـرين الثاني 2008، توغلت إسـرائيل في قطاع غزة وردت حماس بإطلاق الصواريخ، وحمي الوطيس يوم 27 من ديسـمبر/ كانون الأول 2008، لما بدأ الاحتلال الإسـرائيلي عدوانه العسـكري على قطاع غزة بعملية سـماها "الرصاص المصبوب"، وأسمتها المقاومة الفلسطينية "معركة الفرقان"، واستمرت نحو 23 يومًا. لقد أدى ثبات المقاومة في مواجهة جيش الاحتلال إلى تغير في تقييم إيران لوزنها وتأثيرها ونتيجة لذلك تطور الدعم الإيراني للحكومة في غزة.

كان الدعم السياسـي والإعلامي لغزة في إيران خلال هذه الحرب كبيرًا، ومن مظاهر ذلك الدعم اعتصام طلاب في مطار مهر آباد وسط طهران مطالبين بأن "يؤذن لهم بالجهاد"[1]. وفي اليوم الأول للاعتصام أرسـل الطلبة الغاضبون رسالة إلى رئيس الجمهورية، أحمدي نجاد، طالبوه بإجراءات وقرارات، أهمها:

-المتابعـة مع وزارة الخارجية للتحضيـر لإغلاق مكتب حماية المصالح المصرية في طهران وإقالة رئيسـه وإغلاق السفارة الأردنية، وطرد سفيرها لدى إيران.

- التحضيـر لملاحقـة قادة النظام الصهيوني قانونيًّـا على جرائمهم بحق الشعب الفلسطيني وملاحقة "الخائن حسني مبارك وقادة عرب آخرين".

- الاحتجاج بشدة لدى جميع الدول العربية المطبِّعة التي حضرت مؤتمر الأديـان مع النظـام الصهيوني الغاشـم، ومهدت الطريق للعـدوان على غزة، واستدعاء سفراء إيران لديها[2].

---

(1) اعتصم العشـرات من الشـباب الإيرانيين لأيام مقابل صالة المسافرين رقم (1) في مطار مهر آباد، وأصدروا بيانات تدعو إلى نصرة أهل غزة، وشارك طلاب من جامعات طهران وأصفهان وشـيراز ومشـهد وسيستان وبلوشستان ومدن إيرانية أخرى.. من يوميات سجلتها الباحثة في طهران، 31 ديسمبر/ كانون الأول 2008.

(2) من ملاحظات سجلتها الباحثة خلال متابعتها للاعتصام، طهران 30-31 ديسمبر/كانون الأول 2008.

وسط موجة التأييد العارمة رسميًّا وشعبيًّا شذَّ بيان صادر عن اتحاد طلابي باسم "مكتب تحكيم الوحدة" نشرته صحيفة "كارگزاران/ الكوادر" المقربة من حزب "كارگزاران سازندكی/ كوادر البناء" عن الإجماع، واتهم حماس بأنها تتخذ الأطفال دروعًا بشرية، وأنها "حركة إرهابية"[1].

وتساءل البيان، الذي أثار غضبًا ودفع وزارة الإعلام إلى إغلاق الصحيفة: "هل يمكن أن يؤدي تأجيج نيران الصراع عبر جيوب دول مثل إيران وخلط المعادلات على حساب الاستقرار والسلام في فلسطين المنكوبة إلى أي شيء آخر غير مأساة غزة؟"[2].

وجاء تعزيز الدعم الإيراني لحماس بعد أن تعززت مكانة الحركة في الواقع الفلسطيني سياسيًّا؛ نتيجة فوزها في الانتخابات، 2006، وعسكريًّا، بعد أدائها القوي في "معركة الفرقان"، وثباتها في وجه جيش الاحتلال.

وتتضارب المعلومات بشأن استمرار الدعم التسليحي بعد هذا التاريخ؛ ففي حين يفيد قادة في الحركة، وأبرزهم الشيخ العاروري[3]، بأن الدعم استمر وشمل أسلحة إستراتيجية، يقول أبو مرزوق: إنه بعد تلك الدفعة الكبيرة من السلاح لم يصل شيء[4]، أما بخصوص الدعم المالي فالكل يُجمع على أنه لم ينقطع وبلغ أحيانًا مئة وخمسين مليون دولار سنويًّا.

لقد أظهرت "معركة الفرقان" وأداء المقاومة فيها أثر الدعم الإيراني في تطوير القدرات الفنية والقتالية لكتائب عز الدين القسام، خاصة في مجال التسليح. وهو ما دفع الإيرانيين إلى زيادة دعمهم بعد أن رأوا ثمار ما يقدمونه من دعم. فالمقاومة أصبحت قوة قادرة على التعامل مع الاحتلال الإسرائيلي

(1) "موضع دفتر تحكيم (علامه) در قبال حوادث غزه"(موقف مكتب تحكيم الوحدة من حوادث غزة". روزنامه كارگزاران. 10 دی 1387.

(2) بيان صادر عن دفتر تحكيم الوحدة (طيف علامة)، حول أحداث غزة، 10 دي 1387 ش، الموافق 30 ديسمبر/كانون الأول 2008.

(3) من المقابلة مع الشيخ العاروري، الدوحة، 2019.

(4) يقول الدكتور موسى أبو مرزوق: كانوا يقولون: إن أي سفينة تتم مصادرتها كانت ذاهبة لحماس وهذا غير صحيح، من مقابلة للباحثة مع الدكتور أبو مرزوق، الدوحة 2020.

باحتــراف وذكاء مــع قدر كبيــر من التضحية. وبالرغم من البون الشاســع بين إمكانيات جيش الاحتلال والمقاومة الفلسطينية فإنها استطاعت أن تتصدى للعدو على مدى 23 يومًا، في سابقة لم تحدث في التاريخ الفلسطيني؛ ففي 1958 أخذ احتلال غزة ثماني ســاعات فقط، وفي 1967 ست ساعات، ولذلك فإن صمود غزة وتضحيتها[1] كان حدثًا غير مسبوق في التاريخ الفلسطيني.

لقد تعاونت إيران مع حماس بشكل كبير، أكبر من تعاونها مع حركة الجهاد الإسلامي، لأن الإيرانيين أدركوا أن قاعدتها الشعبية وانتشارها أكبر بكثير داخل فلسطين[2].

ويشــرح كمال خرازي تركيز الجمهورية الإسلامية على العلاقة مع حركة حماس بالقول: "بالتأكيد، لعب موقع حماس في الساحة الفلسطينية دورًا كبيرًا فــي قــرار الجمهورية الإسلامية إقامة العلاقــة وتقويتها مع الحركة، وقد أثبتت حمــاس أنها حركة مقاومة عميقة الوجود في الداخل الفلســطيني وقادرة على مواجهــة الاحــتلال الصهيوني؛ ففي حرب الفرقــان، أظهرت قدرة على هزيمة الصهاينة، ولو كانت جميع الفصائل الفلســطينية قادرة على القيام بالدور الذي تضطلع به حماس لكنا نقدم لها الدعم ذاته"[3].

ما شروط الدعم الإيراني لحماس؟

ســؤال أثــار لغطًا ومــا زال، وقد كانت حماس منذ بدايــة علاقتها بإيران واضحــة فــي موضوع الدعم، وكذلك كان الإيرانيــون. فالدعم مرتبط بالقضية الفلســطينية وبخيــار المقاومة، وهــو دعم غير مشــروط[4]، "والحركة لم تكن مستعدة لقبول دعم مشروط، وهناك دول اقترحت دعمًا مشروطًا ورفضناه"[5].

(1) أسفرت الحرب عن نحو 1500 شهيد ودمار هائل في البنية التحتية بغزة.

(2) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(3) مقابلة للباحثة مع الدكتور كمال خرازي، الدوحة، فبراير/شباط 2019.

(4) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(5) من المقابلة مع أسامة حمدان.

وردًّا على مزاعم البعض بأن الدعم مدخل لنشر التشيع، يقول خليل الحية: إن الطرفيــن اتفقــا على أن "لا يتم التطرق إلى الموضوع الفكري والطائفي في معســكرات التدريب"[1]. وعندما ســألناهم: هل تريدون تشييع فلسطين؟ قالوا: لا، فقلنــا لهــم: وهذا ما نقوله نحن أيضًا، دعوا فلســطين موحدة على مذهب واحد، لتكون قادرة على مقاومة الاحتلال، ولن يفيد فلســطين أن يصبح لديها مئة شيعي[2].

ويرى خرازي أن دعم إيران لحماس وســائر الفصائل الجهادية الفلسطينية المتعددة "خير دليل على أن الجمهورية الإسلامية لا تسعى وراء تشييع فلسطين، فهي ليســت شــيعية بل سُــنِّية، ودعمنا للمجاهدين فيها يأتي لكونهم مسلمين يرفعون راية الجهاد ضد الاحتلال"[3].

وقد لعب التيار السلفي دورًا كبيرًا في التأليب على الحركة بسبب علاقتها مــع إيــران، كما أن بعض أجهزة المخابرات في المنطقة كان يشــكِّك دومًا في نيَّات إيران ودعمها للحركة.

يؤكد مجتبى أبطحي ما قالته حماس بشــأن الدعم؛ فإيران لا تشــترط أي شــروط لخدمة المجاهدين في فلســطين ولا تطلب منهم شيئًا، سوى أن تبقى قضية فلسطين هي القضية الأولى[4]. وحتى عندما اتخذ الإخوة في حماس موقفًا مما حدث في سوريا، والمقصود: السيد خالد مشعل وموسى أبو مرزوق، قلنا لهما: إن علاقتنا معكم من أجل فلســطين، وإن لم تقفوا معنا في هذه المرحلة فيما يتعلق بسوريا فلن نقطع العلاقة معكم، وقد بقي مكتب حماس في طهران.

وفــي نظر محمود الزهــار، فإن أهم عامل حكم علاقة الحركة بإيران هو: "درجة الصدقية التي حققتها حماس، باعتبارها حركة مناهضة للصهيونية وحركة

(1) من مقابلة للباحثة مع الدكتور خليل الحية، الدوحة، 7 فبراير/شباط 2024، وقد سمعت الباحثة التأكيد ذاته من الشهيد الشيخ صالح العاروري.

(2) من مقابلة للباحثة مع خليل الحية، الدوحة، 7 فبراير/شباط 2024.

(3) من المقابلة مع خرازي.

(4) من مقابلة الباحثة مع عضو الحرس، والأمين العام لمؤتمر دعم الانتفاضة، مجتبى أبطحي.

تحرر وطني من الاحتلال الإسرائيلي وكذلك درجة الثبات في الموقف الإيراني الداعم للقضية الفلسطينية، فضلاً عن صدق قيادة حماس في مواقفها وعلاقاتها الرسمية مع الحلفاء"[1].

ويوجد عامل آخر يسميه الزهار وضوح العدو؛ فلا شك أن وضوح العدو لحماس وإيران وســوريا ولبنان وكل الأمة العربية الرافضة للتدخلات الأجنبية هو الذي ثبَّت علاقتنا بإيران ورسخها[2].

---

(1) من المقابلة مع الزهار.

(2) المرجع السابق.

القسم الثالث

الفصل السابع: أزمات تواجه العلاقة

الأزمة السورية: خلاف وقراءات متباينة

كاد الربيـــع العربـــي أن يكون خريفًا لعلاقة حمـــاس بإيران، وكان الملف السوري المرحلة الأصعب فيها؛ فقد أدخلها في منعطف صعب، وهدد بقاءها، لـــولا قرار إســـتراتيجي من الطرفين بأن تبقى خطـــوط التواصل قائمة رغم كل شـــيء[1]. وقبل "الأزمة الســـورية" لم يكن أحد داخل الحركة يتحفظ بوضوح على العلاقة مع إيران[2] بل شـــهدت "حالة إجماع سياســـية وعســـكرية وأمنية وتخصصية بأن هذه العلاقة علاقة وثيقة وقوية خادمة لمشـــروع المقاومة وهي قائمة على أساس دعم إيراني للقضية الفلسطينية على طريق المقاومة والتحرير دون الخوض في القضايا الفكرية والعقدية"[3]. وحتى بدء موجات الربيع العربي ووصوله إلى سوريا لم يكن في نية الحركة توتير العلاقة مع إيران[4] ولكن النوايا لم تتحقق وفرضت مجريات الســـاحة الســـورية خلافًا أثر على العلاقة دون أن يوصلها إلى القطيعة.

قبل أن تصل رياح الربيع العربي إلى سوريا، كانت الحركة وكذلك الإيرانيون والأطراف التي تدعم المقاومة، يرون أن التغيير الذي يجري في المنطقة سيكون

(1) أكدت شـــخصيات من حركة حماس وكذلك شـــخصيات إيرانية للباحثة أن قائد فيلق القدس الســـابق، قاســـم سليماني، كان يصر رغم الخلاف على إبقاء الخط الساخن فاعلاً بين الحركة في غزة والحرس الثوري في إيران.

(2) مقابلة للباحثة مع خليل الحية، الدوحة، 7 شباط/ فبراير 2024

(3) من مقابلة للباحثة مع خليل الحية، الدوحة، 7 شباط/ فبراير 2024

(4) من مقابلة للباحثة مع خليل الحية، الدوحة، 7 شباط/ فبراير 2024

دعمًـــا نوعيًّا لقوى المقاومة[1] ومن يدعمهـــا؛ لأنه كان من الطبيعي الاعتقاد بأن الثـــورة في تونس ســـتدعم المقاومة وكذلك الثورة فـــي مصر، بغض النظر عن الانتماءات السياسية[2]. **لكن، كانت الحركة ترى أن سوريا لن تكون استثناء من هذا الحراك بينما كان الإيرانيون يعتقدون أن ســـوريا عصية على موجات الربيع العربي بفعل موقفها الداعم لفلسطين. وعندما وصلت الاحتجاجات إلى سوريا كان لإيران رأي فيها يختلف عن رأيها في ما حدث في مصر وتونس.**

يتلخص موقف حماس في الاعتقاد بأن أية قوة تنبع من الشـــعب ســـتكون داعمة لخيار المقاومة في فلســـطين ســـواء أحدث ذلك في سوريا أم في غيرها، ولذلـــك فحتـــى الحراك في اليمن، وإن كان الرئيس اليمني يقدم دعمًا للمقاومة الفلســـطينية وكان موقفه متوازنًا من حماس والسلطة الفلسطينية، إلا أن الحركة كانت على اقتناع بأن التحول سيشـــكل دعمًا لها وأن الشـــعوب ستدعمها أكثر وأن الانتفاضات ستكون لصالح القضية الفلسطينية[3].

عندما بدأ الحراك في ســـوريا ظهرت نقطة التباين الأولى في الموقف منه بين إيران وحماس؛ فكان السؤال: هل يمكن التعامل مع الحراك وتدارك الأمر بإعطاء فرصة للشـــعب الســـوري ليحقق مطالبه الأساســـية في إطار من التفاهم الوطني السوري الداخلي مما يقود إلى تقوية سوريا، أم إنه لابد من حل آخر؟[4]

قدمت حركة حماس رؤيتها التي تلخصت في أن تحقيق مطالب الشـــعب الســـوري لن يُحدث تغييرات في المواقف الأساســـية لسوريا ولن يقف الشعب السوري ليقول إنه ضد دعم المقاومة أو ضد القضية الفلسطينية؛ لأن رغم تغيير الأنظمة في سوريا على مدى 50 عامًا كان الشعب السوري حاضنًا دوما للقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، وفلسطينيي سوريا[5].

---

(1) في خطبة الجمعة في طهران، وصف آية الله خامنئي ما حدث في تونس ومصر بأنه "ألطاف إلهية".

(2) في خطبة الجمعة في طهران، وصف آية الله خامنئي ما حدث في تونس ومصر بأنه "ألطاف إلهية"

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(4) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(5) من المقابلة مع أسامة حمدان.

ورأت حماس أن أي تطور في البيئة الداخلية السورية سيظل دائمًا ليس داعمًا للقضية الفلسطينية فحسب، إنما داعمًا للعلاقة مع إيران والمقاومة. وربما تكون هذه هي النقطة الفارقة في العلاقة[1].

لقد تطورت العلاقة بين حماس وإيران وسوريا بشكل مطرد منذ 2005، وشبَّت عن الطوق واشتد عودها بعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في 2008-2009. ولا شك أن الدعم التي قدمته إيران وسوريا للحركة سواء أكان على الصعيد السياسي أم الصعيد الشعبي أم حتى الصعيد المالي والعسكري كان دعمًا كبيرًا وتعاظم في أعقاب هذه الحرب على وجه التحديد.

ومع بدء الانتفاضات التي شهدتها المنطقة العربية وحالة التغيير التي بدأت في مطلع 2011 كان لدى الحركة تقدير أن هذا التغيير ربما يطرق أبواب عواصم كثيرة في المنطقة، وعندما بدأت الأحداث في سوريا في مارس/ آذار 2011، ومن واقع الحرص على استقرار سوريا ومن واقع الصدق في النصح لحليف، كان للحركة رأي يتلخص في ضرورة التجاوب مع مطالب الشعب السوري، ورأت أن هذا من شأنه أن يعزز قدرة النظام[2].

كانت حماس تتوقع أن يكون لما جرى في عدد من الدول العربية تأثير، ولم تكن سوريا عن ذلك ببعيد. لذلك منذ أن بدأت الأحداث في درعا وقبل أن تتسع رقعتها، بادرت الحركة من باب النصح الصادق لحليف، بنصيحة مفادها التجاوب مع مطالب الشعب السوري وتنفيذ جملة من الإصلاحات التي من شأنها أن تحقق المطالب من جهة، وتزيد من قوة ومن قدرة البلد والنظام من جهة أخرى[3].

وتقديرًا من حركة المقاومة الإسلامية حماس لطبيعة ما يجري فإنها عندما وقعت أحداث درعا قدمت نصيحتها، ثم بذلت جهودًا عدة للوساطة، وكانت تلك الجهود بمعرفة الحلفاء وبالذات الجانب الإيراني[4].

---

(1) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(2) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(3) من المقابلة مع حمدان.

(4) من المقابلة مع أسامة حمدان.

وقبل الأحداث، التقى خالد مشعل الرئيس بشار ونقل له تقدير الحركة للموقف، وأن ما جرى في تونس ومصر سيجري في دول عربية أخرى، وأن الحركة تنصح بأن تتعامل سوريا بنمط مختلف؛ بأن تتجاوب مع مطالب الشعب وتحقق جملة من الإصلاحات الجوهرية. وكان تقدير الحركة أن بشار قادر على اتخاذ مثل هذه الإجراءات[1].

يرى القيادي في حركة حماس، الشهيد الشيخ صالح العاروري، أن الخلاف الذي حدث في 2011 سببه التباين في قراءة كل طرف لطبيعة ما حدث في سوريا[2]. فقد رأت الحركة منذ البداية أن ما حدث "ربيع عربي" وتعبير طبيعي لشعوبنا عن تطلعاتها إلى التحرر، وهذا التشخيص انعكس على علاقتها بالنظام في سوريا، رغم أنه في موقفه من حماس كان متعاونًا. ومن جانبها، كانت حماس حتى ذلك الوقت تسانده في شرعيته السياسية والوطنية، وريادته عربيًّا فيما يتعلق بالموضوع الفلسطيني، وكانت ترى أن وجودها في سوريا رصيد وطني له[3].

وعندما اندلعت الثورة في سوريا عبَّرت حماس عن اقتناعها بأن ما حدث حراك للشعب السوري، وانسجامًا مع رؤيتها بعدم التدخل، سعت في بداية الأمر إلى التدخل إيجابيًّا لإصلاح الوضع، نظرًا لما كان لها من رصيد احترام عند السوريين والنظام على السواء يؤهلها للوساطة، لكن الحركة فوجئت في وقت كانت فرصة إصلاح ذات البين ورأب الصدع ما زالت قائمة باتصال من القصر الرئاسي يطلب منها الكف عن الوساطة التي كانت بموافقة النظام نفسه.[4] ومما تجدر الإشارة إليه أنه كان لحزب الله، في شخص أمينه العام، السيد حسن نصر الله، دور في الوساطة بين النظام والمعارضة.

---

(1) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(2) من مقابلة للباحثة مع الشيخ صالح العاروري، الدوحة 24 ديسمبر/كانون الأول 2019.

(3) من المقابلة مع العاروري.

(4) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

وأنحى الشيخ العاروري باللائمة على النظام السوري: "فليس من ثقافته التفاهم مع المعارضين من خلال الحوار، لذا لم يرد أن يسجل سابقة في تاريخه بأنه رضخ"[1].

ويبسط موسى أبو مرزوق الكلام في وساطة حماس فيقول: إن الحركة كان تشاطر حزب الله رأيه في الأزمة السورية ومفاده أن الحل الأمني مرفوض، وأن على النظام أن يقدم تنازلات لصالح الجمهور الثائر، وأن الحوار هو الأساس لحل الأزمة. لقد اتفقت على هذه الأسس الثلاثة مع الحزب وإيران. واستمر ذلك إلى أن اتخذت الحركة قرار الخروج من سوريا.[2]

وذكر أبو مرزوق أن الرئيس الأسد كان موافقًا على هذا المنهج ولكن القوى الأمنية اختلفت مع الرئيس السوري. لقد كان الأسد يثق في الحركة وكان كذلك الثوار، مما أهل الحركة للقيام بدور سياسي في سوريا.

وقد أقنع حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله، الأسد بأن تتولى حماس الوساطة.

بدأت الخطوات العملية وشكلت الحركة وفدًا لمقابلة ثوار درعا، الذين سبق لهم أن اجتمعوا مع بشار في القصر الجمهوري فقطع لهم وعودًا فأخلف. كان ثوار درعا "يريدون بعض الصدقية"[3]. اتصل علي مملوك، وكان حينها نائب الرئيس السوري للشؤون الأمنية، وطلب التحول إلى ريف دمشق حيث المظاهرات الأعنف، وقبل أن يتحرك وفد الحركة للقاء الثوار تلقى مكالمة هاتفية تطلب التوقف عن تنفيذ خطة الوساطة التي كانت الحركة قد اتفقت مع الحزب عليها[4].

كان الأمن السوري يرفض خيار الحوار واتخذ قرارًا أمنيًّا بفض المظاهرات. واختلف الإيرانيون مع السوريون على استخدام الجيش في فض المظاهرات.

---

(1) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(2) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(3) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(4) من المقابلة مع أبو مرزوق.

وكان الإيرانيون على استعداد لتقديم الخبرات والأساليب الأمنية للتعامل مع المتظاهرين بدل الأسلوب العسكري المباشر[1].

أما الإيرانيون الذين تحمسوا للثورة المصرية فقد رأوا من بداية الحراك في سوريا أنه مؤامرة على محور المقاومة، وما زالوا على ذلك إلى اليوم[2]. ويعتقدون أن الولايات المتحدة الأميركية أرادت تفكيك النظام لضرب محور المقاومة ودعم إسرائيل. بينما يرى مجتبى أبطحي أن التدخل كان ضرورة ولصالح القضية الفلسطينية "وكنا نرى المسلحين يُنقلون بمروحيات إسرائيلية في الجولان، كنا نهدف إلى تفعيل جبهة الجولان المعطلة منذ سنوات، لقد جاء تدخلنا حماية لفلسطين وقضية فلسطين وليس حماية لبشار الأسد. فخلف الشعارات التي كان يرددها "المسلحون الداعشيون" **كان يقف هدف إسقاط المقاومة"**[3].

لقد كان ما حدث في سوريا، في نظر حماس، حراكًا شعبيًّا، لكن جرى تشويهه لاحقًا، وأول من كان له يد في ذلك النظام نفسه الذي أخرج التكفيريين من السجون ومن ثم وجدت الحركة نفسها في نهاية 2011 أمام خيارات صعبة، إما أن تدعم النظام السوري وإن لم تفعل سيعد ذلك إخلالاً بالعلاقة[4].

خروج حماس من سوريا

أصبحت حركة المقاومة الإسلامية في وضع لا تحسد عليه؛ لأن النظام كان يريد إظهارها كأنها في صفه[5]، وطالبها بموقف واضح. لكن قيادة الحركة في دمشق رفضت إعلان موقف مؤيد للنظام. وطُلب منها عقد لقاء مع الرئيس السوري فتهربت منه، كما تهربت من عقد لقاء للفصائل الفلسطينية مع بشار

(1) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(2) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(3) من المقابلة مع مجتبى أبطحي.

(4) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(5) من المقابلة مع أبو مرزوق.

الأسد بحضور حزب الله[1].

كان النظام يصر على أن تعلن الحركة موقفها بشكل واضح وهو ما استدعى خروجها، "ولو لم يطلب منها إعلان موقف واضح داعم للنظام لما خرجت من سـوريا، ولذلك عندما خرجت في البداية لم تخرج بشكل كامل واتخذت قرار الحياد وعدم الإساءة للنظام تقديرًا لما قدم لها من مساعدة[2].

غادر خالد مشعل دمشق بالتفاهم مع النظام السوري وأبلغ السوريين مسبقًا بمغادرتــه، لا أنــه غادر ثم أبلغهم لاحقًا بأنه لن يعود، وإنما أبلغهم أنه في ظل الظرف الراهن الواقع فإنه سـيضطر إلى المغادرة والمكوث خارج سوريا. ولم يكن ذلك قرارًا سهلًا على الحركة.[3]

ذهب مجتبى أبطحي إلى أن الضغوط التي مورست على الحركة أثَّرت في موقفها: "لأن الذين كانوا يقدمون الدعم السياسي والمالي والثقافي لحماس قد اصطفوا جبهة واحدة ضد بشار الأسد، وهذا خلق ضغطًا كبيرًا عليها، فقد قامت قطر بدور ثمين في مسـاعدة المتضررين وجبر الأضرار التي حدثت في حرب الـ33 يومًا، ولكنها حشدت ضد بشار الأسد ودعمت معارضيه. وقد كنت أقول للشـهيد سليماني: إن الضغط الذي تمارسـه الأطراف الواقفة ضد بشار الأسد على حماس هو ضغط شديد جدًّا ولا يمكن تجاهله"[4].

لم تكن حركة المقاومة الإسلامية قبل خروجها من دمشق على خلاف مع إيران. كان الإيرانيون يفضلون الحل السياسي ومعالجة المظاهرات، لكنهم كانوا يميلون إلى الحفاظ على النظام وقدموا مسـاعدات من أجل ذلك. لقد أصبح واضحًا أن النظام وإيران وحزب الله في فسطاط، وتركيا والسعودية والثوار في آخر، بينما اختارت الحركة فسطاط الحياد[5].

---

(1) المصدر السابق.

(2) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(4) من المقابلة مع أبطحي.

(5) من المقابلة مع أبو مرزوق.

رأت إيـران فـي موقف حماس موقف المضطر، وبنـاء على هذه القراءة لم تقطع إيران علاقتها مع الحركة، وفق الشـهادة التي يقدمها أبطحي في هذا الكتـاب، بالقول: "لم نقلص أو نخفض الدعم عن حماس بسـبب موقفها في مخيم اليرموك والمواجهات في سـوريا. كان رأيي أن الإخوة في حماس كانوا تحـت ضغط شـديد جدًّا، فإمـا أن نؤمِّن كافة احتياجاتهـم، وهو أمر لم نكن نسـتطيعه بسـبب العقوبات، أو نترك لهم حرية القرار حتى لا تتعرض القضية الفلسطينية إلى ضربة"[1].

يحاجج أبطحي بأن الموقف الإيراني مما جرى في سـوريا ثبتت صحته: "لقـد أيقنَّا أن الشـعارات التي تطلقها المجموعـات التكفيرية التي تلتزم بإقامة صلاة الجماعة وتطيل اللحى وترتدي اللباس العربي تخرج من حنجرة صهيونية وتوظف في خدمة الأهداف الصهيونية. وذلك لأجل تعطيل تفعيل جبهة الجولان التي طولها 260 كم؛ لأن تفعيلها سيكون مدمرًا لإسرائيل، وقدمنا شهداء لأجل ذلك: أين استشهد ابن الشهيد عماد مغنية؟ في الجولان حيث يعمل حزب الله، وكذلك استشهد خدادي القائد في الحرس الثوري".[2]

لم يكن قرار الخروج من دمشـق قرار خالد مشعل، بل قرار قيادة الحركة في سـوريا؛ لأن قرارات من هذا القبيل ليسـت من شـأن شخص واحد. لقد سـعت حركة حماس إلى أن يكون لها موقف مبدئي واضح، أعلنته في أبريل/ نيسان 2011 وهي في دمشق، أي بعد نحو أسبوعين من بداية الأحداث[3].

وخرجت تسريبات تقول: إن قرار الخروج لم يكن بإجماع الحركة بالكامل. يؤكد رئيس مكتب العلاقات العربية والإسلامية في حركة حماس، خليل الحية، "إن الإخوة الذين كانوا في سوريا هم الذين اتخذوا قرار الخروج بسبب الأزمة والحرج الذي وقعت فيه الحركة؛ لأنها يجب عليها ألا تكون بجانب أي طرف". لم ينعقد إجماع الحركة على قرار الخروج من سوريا؛ فالجهة الأمنية والعسكرية تحفظت عليه. وكان السـؤال: لماذا نخرج إذا كان ليس مطلوبًا منَّا شيء؟ لكن

(1) من المقابلة مع أبطحي.

(2) من المقابلة مع حمدان.

(3) من المقابلات التي أجرتها الباحثة مع حمدان والعاروري والقدومي.

الإخوة أصحاب الحاجة في ســوريا هم الذين أخــذوا قرار الخروج فخرجوا. واســتدرك الحية: "بالطبع الحركة دون شــك عوَّلت على الربيع العربي وظنَّت أنه سيعينها في مشروع التحرير والعودة"[1].

لــم يــؤدِّ ذلك إلى قطيعة مع إيران التي ظلــت على تواصل مع قطاع من الحركة، لكن حدث شــبه قطيعة مع القيادة السياســية. لقد رأى الإيرانيون في خروج الحركة من سوريا خطأ وأن بذهابها إلى مصر وتركيا والخليج قد انتقلت إلى محور آخر واقتربت من المعسكر المعادي للنظام السوري[2].

نتج عن خلاف إيران مع القيادة السياسية ارتياح عربي من موقف الحركة، ومــع ذلــك لم تنقطع الحوارات مع الجانــب الإيراني، ولا الزيارات إلى إيران للمشاركة في فعاليات متنوعة، لكن الحركة كانت ترسل مسؤولين أقل مستوى عما كان في السابق[3].

غضب سوري وإغلاق مكاتب الحركة في دمشق

أغضبت مواقف الحركة النظام السوري، فما كان منه إلا أن أغلق مكاتبها بالشمع الأحمر، مكتب خالد مشعل في حي المزة الغربية، ومكتب نائبه، موسى أبو مرزوق، والقيادي في الحركة، محمد نزال، في حي مشروع دمر، فضلاً عن مكاتب قيادات أخرى في مخيم اليرموك. وأغلقت قوات الأمن السورية مكتب مشعل بعد أن داهمته وصادرت محتوياته، وذلك بعد أشهر من مغادرته العاصمة السورية، دمشق، مع عدد من قادة الحركة.

دعا نائب رئيس المكتب السياســي لحركة حماس، موســى أبو مرزوق،[4] إيران إلى "أن تعيد النظر في دعمها للنظام السوري، إن كانت لا تريد أن تؤلب

(1) - من مقابلة أجرتها الباحثة مع رئيس مكتب العلاقات العربية والإسلامية الدكتور خليل الحية، الدوحة، 7 فبراير/شباط 2024.

(2) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(3) من المقابلة مع أبو مرزوق.

(4) حماس: ايران ستؤلب عليها الرأي العام العربي بسبب دعمها للنظام السوري، صحيفة القدس العربي، 26 نوفمبر/تشرين الثاني 2012 (تاريخ الدخول: 25 أبريل/نيسان 2023)، https://bit.ly/3V2gbhr

الرأي العام العربي عليها". وفي المقابل "طلبت إيران من حماس اتخاذ موقف أقرب إلى سوريا لكنها رفضت، فأثّر ذلك على العلاقة مع إيران"[1].

انزعج الإيرانيون من قرار حماس مغادرة سوريا وقد يكون مرد ذلك إلى أن الحركة لم تشاورهم في الأمر.

في 2012، وقع العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة واستمر ثمانية أيام، عندها سارعت إيران إلى إدانة العدوان وأكدت مواقفها المعروفة من القضية والشعب الفلسطيني.. وكان ذلك "فاتحة لعودة الاتصالات ولتكون أكثر دفئًا بعد ذلك"[2]. لكن العلاقة لم تعد إلى المستوى الذي كانت عليه، وظلت المسألة السورية مؤثرة.

رأت حماس أن ما جرى في سوريا هو مطلب شعبي على الأقل في عامه الأول، وأن المطالب الشعبية جديرة بأن تُحترم وتُلبَّى وأن تِستقبل بطريقة مختلفة. وكان الجانب الإيراني يرى أن ما يجري في سوريا هو استهداف لركيزة محور المقاومة في المنطقة لذا لابد من التعامل مع الأمر على أنه دفاع عن المقاومة[3]. وكانت إيران في نقاشها القضية السورية مع حماس تؤكد أن منطق استهداف سوريا بحكم دعمها للمقاومة هو منطق مقبول؛ فمن يُستهدف بالعدوان يجب أن يكون أكثر حذرًا وأكثر قدرة على نزع ذرائع العدوان. بمعنى إذا كان الأمر استهدافًا لسوريا، فلا بد من تأمين الجبهة الداخلية بدلًا من أن تترك لتشتعل.. ولابد من نزع الذرائع، وتطويق أي بؤر توتر داخلية بحيث تظل سوريا مستقرة ومتماسكة في مواجهة المشروع الإسرائيلي في المنطقة[4].

(1) المصدر السابق.

(2) من المقابلة مع حمدان،

(3) من المقابلة مع حمدان.

(4) من المقابلة مع حمدان.

تدخل حزب الله ونداء الحركة

زاد تدخل حزب الله في سوريا طين أزمة علاقة حماس بإيران بلَّة؛ ففي شهر أبريل/ نيسان 2013، أصدرت الحركة، بعد اجتماع قادتها في القاهرة، بيانًا دعت فيه الحزب إلى سحب قواته من سوريا(1).

جاء البيان بعد الهجوم الذي شنَّه مقاتلو الحزب بمعية الجيش السوري في الرابع من الشهر المذكور لاستعادة بلدة القصير الإستراتيجية من المعارضة السورية المسلحة. وفي مايو/ أيار من نفس العام، تعهد الأمين العام للحزب، حسن نصر الله، بمواصلة القتال إلى جانب القوات النظامية السورية؛ وذلك في كلمة خطاب بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لهزيمة الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، قال فيه: "إذا سقطت سوريا ضاعت فلسطين وضاعت المقاومة في فلسطين وضاعت غزة والضفة الغربية والقدس الشريف. إذا سقطت سوريا بيد أميركا وإسرائيل والتكفيريين فشعوب منطقتنا ودول منطقتنا مقبلة على عصر قاس وسيء ومظلم"(2).

عندما تدخل حزب الله في سوريا (أبريل/ نيسان 2013) وشن مقاتلوه هجومًا بمعية الجيش السوري لاستعادة بلدة القصير الإستراتيجية من المعارضة السورية المسلحة، أصدرت الحركة، بعد اجتماع قادتها في القاهرة، بيانًا دعت فيه الحزب إلى سحب قواته من سوريا(3)، مستندة في ذلك إلى أمرين:

الأول: أن المكانة التي بلغها حزب الله على صعيد لبنان وعلى صعيد الأمة كانت بفضل مقاومته إسرائيل، وأن أي مقاومة تتورط في مشاكل داخلية تفقد كثيرًا من رصيدها ومكانتها، وهذا ما حدث للمقاومة الفلسطينية عندما بدأت

(1) حماس تطالب حزب الله بالانسحاب من سوريا، الجزيرة نت، 17 يونيو/حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 21 أبريل/ نيسان 2024):https://2u.pw/uxR5ffIy

(2) السيد نصرالله: بضياع سوريا تضيع فلسطين والقدس وغزة، قناة العالم، 25 مايو/ أيار 2013 (تاريخ الدخول: 21 أبريل/ نيسان 2024): https://2u.pw/B0yZMa0A

(3) حماس تطالب حزب الله بالانسحاب من سوريا، الجزيرة نت، 17 يونيو/حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 21 أبريل/نيسان 2024)، https://2u.pw/uxR5ffIy

في الأردن، عام 1968، بعد معركة الكرامة، فقد كان الشعب الأردني كله معها، ولكن عندما تورطت في الشــأن الداخلي، وحصل الصدام مع الدولة الأردنية، في ســبتمبر/ أيلول 1970، فقدت المقاومة كثيرًا من الدعم الشـعبي. وفي لبنان حُمِلت على أعناق الناس، في 1969، وكان من شــهدائها أبناء الشعب اللبناني، لكــن لما تورطت في الحرب الأهلية فقدت جزءًا كبيرًا من رصيدها[1]. **لهذا لا تريد حركة حماس أن يحدث ذلك لها ولا لحزب الله**[2].

الثاني: أن حركات التحرر معنية بحرية شعوبها، لذا يجب أن تحترم حرية الشعوب الأخرى، فكيف إذا كانت "هذه الشعوب شعوبًا منتمية إليها"[3] وجزءًا من أمتها.

يــرى بعض الباحثين الإيرانيين في تفســيرهم موقــف حماس من الأزمة الســورية أن حركات التحرر شــأنها شأن كل الظواهر الاجتماعية الأخرى تتغير مواقفهــا مع مرور الزمن وذلك بفعل مؤثــرات وتفاعلات؛ فأحيانًا يكون ذلك بفعــل نتيجة عامل داخلي أو فــي بيئتها الحاضنة، وأحيانًا أخرى خارجي بفعل دعــم البيئة المحيطة أو معاداتها[4]. وموقف حركة حماس من الأزمة الســورية ليس عن ذلك ببعيد. فما الأسباب التي جعلت حركة المقاومة الإسلامية تعارض تدخل حزب الله في سوريا وتبتعد عن إيران ومحور المقاومة؟

تحدثــت تحلــيلات إيرانيــة عن مؤشــرات عدة قالت إنها تكشــف هذه التغيير، وأهمها: حياد الحركة في حالة وقوع حرب بين إيران وإسرائيل، ودعم "المتمردين" في ســوريا، والتقارب مع قطر وتركيا، ومماشــاة حركة الإخوان المسلمين في مصر. وقالت: إن لذلك أسباب أهمها: التغيير في المحيط العربي المعــادي لحركة حماس؛ فبعد ســقوط ابن علي فــي تونس ومبارك في مصر،

---

(1) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(2) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(3) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(4) إبراهيم عباسي و زينب وتبريزي، بررسى روابط ايران و جنبش حماس بعد از بيداري اسلامى (دراســة العلاقــات بين إيران وحركة حماس بعد الصحــوة الإسلامية)، دورية، پژوهش‌هاي سياسى و بين‌المللى سال 6، شماره 24، 1394ش، ص55-57، ص 37.

والاحتجاجات في بلدان عربية عدة، حدث تغيير في الفضاء الســابق المعارض لحركة حماس من طرف الأنظمة العربية. وجاء ذلك بفعل تأثير الفضاء الإقليمي الجديد وخاصة إمساك الإسلاميين بزمام السلطة في مصر وتونس ودور الإخوان المسلمين في الثورة السورية.

رأى حــزب اللــه، خلافًا لموقف حركة المقاومــة الإسلامية حماس، أنها صراع إستراتيجي إقليمي للإطاحة بمحور المقاومة والتمهيد لإسرائيل كي تتسع وتتضخم. وأن تدخله في ســوريا ليس ضد الشــعب السوري وإرادته، إنما ضد الذين تستخدمهم دوائر مختلفة هنا أو هناك في مشروع لصالح الغرب وإن ظهر في لحظة من اللحظات أنه ليس كذلك[1].

أحجم حسين أمير عبد اللهيان، وزير الخارجية الإيراني، عن الخوض في تفاصيل خلاف بلاده مع حركة حماس بشــأن الأزمة الســورية، واكتفى بالقول: نعتقد أن واجب جميع الدول الإسلامية رغم اختلاف مواقفها يكمن في الدفاع عن فلســطين ودعمها. ومن الطبيعي جــدًّا أن توجد في المجتمعات الإسلامية آراء ومواقف متباينة، لكنها ينبغي لها أن تجتمع على خدمة القضية الفلسطينية.

ويجب على التيارات الفلســطينية ألا تتدخل في الشــؤون الداخلية للدول الإسلامية؛ ففلسطين أسمى وأعلى من أن نستهلك اسمها في الخلافات الداخلية لدولنا. ولا يحق لأي دولة أو جهة سياســية أن تســتثمر في القضية الفلسطينية لصالحها، وهذا ما فعلته للأسف بعض التيارات الفلسطينية التي ارتكبت أحيانًا هذا الخطأ الإستراتيجي الذي أضرَّ لا محالة بالقضية الفلسطينية وذلك بمساندة بعض التيارات الفلسطينية العراق خلال حربه مع إيران ودعمه، أو أثناء احتلاله الكويــت. ويعد تدخلها في القضايا الداخليــة لبعض الدول العربية والإسلامية من هذه الأخطاء الاســتراتيجية؛ ولا أرغــب ابدًا أن أخوض في التفاصيل التي أشــرتم إليها في أســئلتكم أو قضايا أخرى، لا أحبذ إثارتها أو التذكير بها، بينما لم تتوان ســوريا عن تقديم كل ما تملك لخدمة القضية الفلســطينية وتحملت كثيرًا في ســبيل ذلك دون أدنى طمع. إن القضية الفلســطينية أكبر من أن تلحق بها هذه الأخطاء الأذى[2].

(1) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(2) من المقابلة مع عبد اللهيان.

إن التفاصيل التي لم يحبذ عبد اللهيان الخوض فيها نجدها في كتابه "صبح شام"، الذي كشف فيه عن جهود يقول: إن الولايات المتحدة وإسرائيل بذلتها للتأثيــر على الوضع في ســوريا والمنطقة، وكيفية التلاعب بعوامل الاســتقرار والتغيير في سوريا وذلك ضمن ما يسميه بـ"الهندسة العكسية" لثورات "الربيع العربــي"، ومــن ذلك محاولات تغيير النظام في ســوريا والتأثير على مجريات الاحتجاجات السورية.

قدرت الولايات المتحدة وإســرائيل، وفقًا لعبد اللهيان، أن إضعاف النظام السوري وإسقاطه سيكون عاملاً أساسيًّا في ضعف الجبهة المقاومة والتحالفات بينها. ومن أجل تحقيق هذه الغاية استخدمت وسائل الإعلام والترويج السياسي. واتهم وزير الخارجية الإيراني قناة الجزيرة ووسائل إعلام أخرى بمحاولة التأثير في الرأي العام، ودعم الثورة في سوريا.

إن قراءة عبد اللهيان للثورة الســورية هي قراءة إيران الرســمية التي ترى، اســتنادًا إلى الخبراء الأمنيين والاســتخباريين، أن الثورة التي تبدأ قرب الحدود (يقصــد مدينة درعا على الحدود الأردنية) ليســت ثورة، بل يجب البحث عن الســبب في الجانب الآخــر من الحدود، من حيث دخلــت عناصر إلى البلاد فخلقت حالة من انعدام الأمن وقتلت الناس، فتصدت القوات الأمنية والعسكرية الســورية على الفور للإرهابيين للســيطرة على مدينة درعا، وأطلقت النار على المهاجمين دفاعًا عن الناس وعن نفسها[1].

ذهب عبد اللهيان إلى أن موقف حماس من الأزمة الســورية يجد تفســيره في أيديولوجية الإخوان المسلمين الذين رفع فرعهم في سوريا السلاح في وجه حافظ الأســد في ثمانينات القرن الماضي لتحقيق أهدافهم، لكن ســرعان ما تم قمعهم[2]. فلما اندلعت الأحداث في ســوريا شــعر بعض الأشخاص من حركة

(1) أمير عبد اللهيان، صبح شام روايتى از بحران سوريه (صبح الشام: رواية حول الأزمة السورية)، تحرير محمد حسن مصحفي، (تهران: انتشارات سوره مهر)، 1399 ش، ص 95-96.

(2) في مطلع الثمانينات من القرن العشــرين، اتجهت "الطليعة المقاتلة"، وهي جماعة مســلحة معارضة لنظام حافظ الأسد، إلى اغتيال مسؤولين في الدولة، وأدى ذلك إلى زيادة الاعتقالات والملاحقات والاغتيالات. في 16 يونيو/حزيران 1979 هاجمت المجموعة مدرســة المدفعية في حلب وقتلت عشــرات من الضباط العلويين، فحمَّلت الدولة جماعة الإخوان المســلمين

"حماس"، الذين تنبع أيديولوجيتهم من أفكار الإخوان المسـلمين، بأن الوضع يسـير نحو التغيير، وأن عليهم اغتنام أفضل فرصة لإتمام العمل غير المكتمل، (يقصد أحداث حماة) حتى يصل الإخوان إلى السلطة.

وعقـد عبد اللهيان خلال الأزمة السـورية لقاءات عدة مع رئيس المكتب السياسي للحركة، خالد مشعل، في مكتبه بالدوحة، ومما قال له: "أنت من قادة المقاومة، وتفهم التطورات الإقليمية والدولية جيدًا، وتعلم أن إسقاط بشار الأسد لن يكون فيه منفعة للمقاومة الفلسطينية أبدًا. إننا نستغرب ونأسف أن قلَّة قليلة من حماس تشك في مستقبل سوريا، وربما تبتعد عن بشار الأسد. أنتم تعرفون تأثير هذا الموقف على مصير فلسطين. إنه خطأ كبير ويُضعِف محور المقاومة، وكأنك تخرق السفينة التي تركبها"[1].

ردَّ خالد مشعل على كلام عبد اللهيان بمدح بشار وشُكر الحكومة السورية على تضييف الجماعات الفلسـطينية بأفضل ما يمكن. لقد كان كلام مشـغل، وفقًا لعبد اللهيان، في جلسة خاصة، وأنه قال ما قال ربما لإقناعه بصفته نائب وزيـر خارجية إيران[2]. **في اليوم التالي، أعدَّ مرافقو عبد** اللهيان، الذين حضروا

المسـؤولية عما حدث. تلت العملية محاولة فاشـلة لاغتيال الرئيس السـوري حينها، حافظ الأسـد، فـي 26 يونيو/حزيـران 1980، فاتهم النظام جماعة الإخوان المسـلمين، ورد عليها بالانتقام من السـجناء في سـجن تدمر، إذ نفذت سـرايا الدفاع مجزرة قتل فيها ما يزيد على ألف سجين معظمهم من الإسلاميين. وفي 7 يوليو/تموز، صدر مرسوم تشريعي رقم 49 لعام 1980 يحظر الانتماء لجماعة الإخوان المسـلمين، ويعاقب بالإعدام من ينتمي إلى الجماعة. وكانت حماة في ذلك الوقت تضم عددًا كبيرًا من المنتسبين إلى جماعة الإخوان المسلمين، وفي منتصف 1981، خططت "الطليعة المقاتلة" وجماعة الإخوان المسـلمين بالتنسـيق مع "الضباط الأحرار" للانقلاب على الحكم، لكن ذلك لم يتم، وبلغ الأمر حافظ الأسـد فقرر فـي اجتمـاع مع قادته اجتياح المدينة. واسـتمر الاجتياح 27 يومًا، نفذته عدة فرق وألوية من الجيش السـوري، وأدى ذلك، وفقًا لمصادر عدة، إلى مقتل نحو 40 ألف شـخص وأكثر من 17 ألف مفقود. انظر: مجزرة حماة 1982.. يوم دمرت قوات الأسـد مدينة بأكملها لمواجهة مجموعة مسـلحة، موسـوعة الجزيرة، 12 فبراير/شـباط 2024، (تاريخ الدخول: 20 مايو/أيار 2024)، https://2u.pw/soUgBb9S

(1) عبد اللهيان، صبح شام، ص 96.

(2) المرجع السابق، ص96.

الاجتماع، خبرًا بنَّاءً على كلام السـيد مشـعل، عنوانه: خالد مشعل شكر بشار الأسد ودعمه لفلسطين[1].

وذكر عبد اللهيان في كتابه أن إسـماعيل هنية كانت له رؤية إسـتراتيجية لسـوريا وقيادتها، وعبَّر عن مواقفه بدقة ووضوح شـديدين وكانت مباحثاته في تلك الأثناء مع المسؤولين في طهران مثمرة وإيجابية[2].

اسـتمر موقف مشعل من الأزمة السورية مدة قصيرة، بعدها "عادت آراؤه إلـى الطريق الصحيح والمسـار الدقيق"، والكلام لعبـد اللهيان، الذي يرى أن ذلك الاختلاف في الرأي وعدم الفهم الصحيح للقضايا السياسية أثَّر كذلك على الفلسطينيين الذين يعيشون بلا أمل في مخيمات اللاجئين.

يرى عبد اللهيان أن التطورات الميدانية في سوريا كان لها تأثير رئيس على تغير مواقف حركة حماس من الأزمة السورية بعد أن كان البعض يعتقد أن إزاحة بشـار الأسـد من السلطة ممكنة، لكن بعد فترة تبين لهم أنه لن يسقط، وأدركوا أنهم تسرعوا في حكمهم. وحتى لو سقط بشار فلن يُسمح للإخوان المسلمين بالوصول إلى السلطة في سوريا، كما لم يُسمح لهم بالبقاء فيها في مصر[3].

يوضـح أحد المسـؤولين الإيرانيين أبعادًا أخرى مـن الأزمة في علاقتهم بحماس؛ فيقول حسـين شـيخ الإسلام: إن الحركة اتخذت قرارًا احترمناه؛ لأن الإيرانييـن لا يتدخلـون في قراراتها، ولها الحرية في ذلك. ولما كان الإيرانيون مقتنعين منذ البداية بأن حماس أخطأت قالوا لهم ذلك، وقدموا لهم مشورة في هذا الباب[4].

يرى شـيخ الإسلام، في تأكيد لموقف بلاده، أن ما حدث في سـوريا لم يكن ثورة وفي الوقت نفسـه ينحو باللائمة على الحكومة السورية التي أخفقت من البداية في إدارة الأزمة بالشكل الصحيح، واتخذ حزب البعث مسارًا متشددًا وأخطأ لما عامل شيوخ درعا بشدة، بينما كان حل المسألة ممكنًا. وأن ما حدث

---

(1) كان عبد اللهيان وقتها مساعدًا لوزير الخارجية، جواد ظريف، المرجع السابق، ص 97.

(2) المرجع السابق، ص 97.

(3) المرجع السابق، ص 97.

(4) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

في سوريا كان مواجهة بين الإيرانيين والأميركيين وبين الإيرانيين والإسرائيليين، وأن سقوط حكومة سوريا يعني بقاء إسرائيل، وبقاؤها يعني سقوط إسرائيل[1].

طريــق الإيرانييــن الوحيــدة إلى حزب اللــه والمقاومة، وأنهــم مقتنعون بــأن الضغط على إســرائيل هو في حقيقة أمره ضغط علــى الولايات المتحدة الأميركية التي لم نكن لنسمح لها بإسقاط النظام في سوريا[2]. وقد قررت ذلك مع حكومات أخرى مثل بريطانيا وإســرائيل وكذلك المملكة العربية الســعودية وأنظمة خليجية، وقدموا الأســلحة وســمحوا بدخــول الإرهابيين من الخارج، وكل الأسلحة التي دخلت إلى سوريا جاءت من خلال حدود الناتو، وكثير من المسلحين دخلوا سوريا عبر الحدود التركية[3].

وأيًّا يكن أمر قراءتهم لما حدث في سوريا، سياسي أم عقائدي، فهم اتخذوا قرارهم بالخروج من سوريا، وأن "لا يدافعوا عنها، أو على الأقل أن لا يدافعوا عن بشار الأسد"[4]، "وهذا نوع من نكران المعروف؛ لأن لأحد يمكنه أن ينكر ما قدمته لهم سوريا[5].

لــم يختلف تقييــم كمال خرازي عن تقييم عبد اللهيان وشــيخ الإسلام لموقف حركة المقاومة الإسلامية حماس، ورأى أن ما حدث في ســوريا "فخ وقعــت فيه حماس"[6]، وأن إيران لــم تكن تتوقع أن يتورط أعضاء الحركة في تلك القضية، واستغربت أن يصدر منهم ذلك وهم أعضاء في جبهة المقاومة.

"ورغــم ما صــدر من حماس لم تزوِ عنها إيران المســاعدة وإن نقصت؛ لأنها لم تكن راضية عن مواقفها[7]، ولم يسرها قرار حماس بالخروج من سوريا،

---

(1) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(2) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(3) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(4) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(5) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(6) من المقابلة مع خرازي.

(7) من المقابلة مع خرازي.

ووقوفها موقفًا معارضًا، وقد أدركوا لاحقًا أن قرارهم بالخروج من سوريا كان خطأ"[1].

هل قاتلت حماس إيران في سوريا؟

يقــول الإيرانيون: إن موقــف حركة المقاومة الإسلامية حماس من الأزمة السورية لم يكن سببًا جوهريًّا في الخلاف معها؛ إنما كانت معركة القصير هي القشــة التي قصمــت ظهر البعير، المعركة المهمة جــدًّا للإيرانيين لقطع طريق الأســلحة عمن تسميهم "إرهابيين"، ويسميهم الآخرون "مقاومة مسلحة"[2]. **في تلك المعركة بدأت المشــكلة بين حماس والإيرانيين؛ لأن الحركة قاتلتهم فيها بأســلحتهم وبالأساليب التي دربوا عليها مقاتلي الحركة، كما قاتلت حزب الله كذلك، وهذا ما اعترض عليه الإيرانيون وأفسد علاقتهم مع حماس إلى حد كبير؛ لأن الطرفين تشارطا على أن تستخدم حماس ما تقدمه لها إيران من سلاح ضد إسرائيل فقط. ووفقًا لشيخ الإسلام، فإن أعضاء حماس ربما لم يكونوا يعرفون أن إيران ستدخل في المعركة**[3].

تقر حركة المقاومة الإسلامية بأن بعض عناصرها شــكلوا مجموعة رفعت السلاح في وجه النظام السوري، لكن ذلك لم يكن قرارًا من الحركة أو بأمر منها ولا يمثل موقفها. وتعزو حماس ذلك إلى مزاج عام داخلها كان ضد ما حدث في ســوريا، وضد ممارسات النظام الســوري[4]، مما جعل أفرادًا منها يندفعون لقتالــه، لكــن ذلك لم يكن بقرار مؤسســي، ولا توجد أي أدلة على مشــاركة الحركة في القتال. فالحركة ليس من سياساتها بناء ميليشيا أو قوة مقاتلة خارج فلســطين[5]. **وقد كان قرار خروج الحركة من سوريا حتى لا تصطف في حرب**

---

(1) من المقابلة مع خرازي.

(2) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(3) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(4) من المقابلة مع الشيخ أبو مسامح.

(5) من المقابلة مع الشيخ أبو مسامح.

ضـــد قناعاتها[1]، "لقد غادرنا ضمن ترتيبات مع بقاء مجموعة لحماية المقرات، فتطور الأمر في بعض الأحيان وحدثت مواجهات"[2].

حدثت اشـــتباكات في اليرموك ومن الوارد أن أعضاء من حماس شـــاركوا فيهـــا، لكن هذا "إن حدث لم يكن بـــإذن من الحركة أو برضاها"[3]. **"لم يكن من سياســـة الحركة الانخراط بأي شـــكل من الأشكال في الثورة السورية، وإذا حـــدث أن أفـــرادًا صاروا جزءًا من هذا الواقع، فهو أمر لا يســـوِّغ اتهام الحركة بأنها وجهت التسليح والتدريب المقدم من إيران لغير العدو الصهيوني"**[4]. ولا يوجد في أدبيات الحركة أو ســـلوكها السياســـي المؤسسي ما يشير إلى دور لها على هذا الصعيد.

وفقًا لحماس، فإن النظام السوري جعلها جزءًا من الثورة، وتبنى الإيرانيون روايته وتؤكد الحركة في سوريا أنها لم تكوِّن تشكيلاً يقاتل النظام والإيرانيين[5].

ومـــا كان مـــن أمر "أكناف بيت المقدس"؛ فللأمانة، يقول خليل الحية: إن بعض شـــباب الحركة في ســـوريا اجتهد وأنشؤوا تلك المجموعة التي واجهت النظـــام دون أن تكـــون قيادة الحركة على علم بذلك. وقد جرى نقاش ذلك في اجتماع القاهرة الذي صدر عنه "بيان القصير"، وكان السؤال: هل يوجد للحركة مجموعات تقاتل النظام السوري؟ لقد وقفنا بكل قوة ضد ذلك، وقلنا: إن هذا يضرنا ولا يفيدنا ويجب أن يتوقف، وشُكلت لجنة وجرى الاتصال بكل الأطراف ذات الصلة وأوقفنا ذلك الأمر. وتم تشكيل لجنة تحقيق في الموضوع[6].

بعـــد دخول حزب الله إلى القصير وظهور دور إيران في الأزمة الســـورية تضاعـــف الضغط على حركة المقاومة الإسلامية حمـــاس التي أصبحت، وفقًا

---

(1) من المقابلة مع الشيخ أبو مسامح.

(2) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(3) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(4) من المقابلة مع العاروري.

(5) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(6) من المقابلة مع د. خليل الحية.

لخليل الحية، تواجه جوًّا عامًّا في الأمة تقوده المجموعات السلفية، وتأثر به أعضاء الحركة وقيادتها، والحركة جزء من هذه الأمة. وتعاظم الضغط الشعبي على الحركة، ضغط شعبي وضغط النخبة بشأن دور إيران وعلاقة الحركة بها[1].

رغم الضغوط تجنبت الحركة اتخاذ قرار القطيعة مع إيران، لكن مع تصاعد وتيرة القتل والدماء في سوريا رجعت الحركة في علاقتها بإيران خطوة إلى الوراء مع قرار الإبقاء على الخط الأمني والعسكري فعالاً وفي كامل عمله[2].

لقد تضررت العلاقة السياسية بسبب التصريحات التي صدرت من الطرفين، فتجمدت العلاقة السياسية دون قرار بذلك، وبقي الجمود حاكمًا للعلاقة السياسية طوال الفترة من 2013 إلى 2016، وهي الفترة التي شهدت العدوان على في غزة في 2014 [3]. **وقد كانت حالة الجمود تلك بسبب دور إيران في سوريا، وقررت الحركة خلالها تجنب التراشق الإعلامي والإساءة لسوريا أو إيران، "لقد قلنا: الدم السوري يعنينا مثل الدم الفلسطيني وتوقفنا عند ذلك"**[4].

لم تأخذ الحركة قرارًا بالقطيعة إطلاقًا، لكن استمر النقاش داخل صفوفها وبقي الراجح، رغم ميل البعض إلى القطيعة، أن العلاقة مع إيران ضرورة للحركة يجب ألا تقطع بأي شكل حتى السياسية منها[5].

بعد فترة الجمود المومأ إليها، أكدت حركة المقاومة الإسلامية حماس للإيرانيين أن تورط بعض عناصرها في الأزمة السورية كان تصرفًا فرديًّا، ولم يكن بقرار مؤسسي منها، لكن إيران لم تقبل ما دفعت به الحركة؛ لأن الأسلحة والتنظيم العسكري، وفقًا لشيخ الإسلام، ليس لعبة أطفال حتى يكون الأمر بصورة فردية. لم يرفض الإيرانيون مقالة حماس ولم يقبلوها "لكننا لانخدع أنفسنا، لقد رأينا بأنفسنا كيف تقاتل الفلسطينيون فيما بينهم في لبنان وكذلك

---

(1) من المقابلة مع د. خليل الحية.

(2) من المقابلة مع د. خليل الحية.

(3) من المقابلة مع د. خليل الحية.

(4) من المقابلة مع د. خليل الحية.

(5) من المقابلة مع د. خليل الحية.

فعل اللبنانيون، ولذلك كانت إستراتيجيتنا أن يُستخدم السلاح والتدريب الذي نقدمه ضد إسرائيل فقط، منعًا للفوضى والاقتتال الداخلي. وقد لحق بالمقاومة ضربات كثر نتيجة الاقتتال بين الفلسطينيين المؤيدين لسوريا وجماعة أبو عمار، وقد توسطت بينهم، وكذلك بين حزب الله وتنظيمات لبنانية أخرى. نحن غير مستعدين لنسهم في الاقتتال الداخلي الفلسطيني، فهذا خط أحمر عند إيران"[1].

لم تقنع حجة حماس إيران، ولكن جرى تجاوز ذلك، وبُنيت العلاقات من جديد وبشكل جيد من أجل "القضية الكبرى، وهي فلسطين"[2].

يحتج المعارضون في إيران لدعم حماس بحجج شتى، منها أنها خلال الأزمة السورية تحالفت مع داعش، وهذا ما يرده معصومي زارع؛ فعندما دخلت "داعش" إلى سوريا، كانت حماس قد غادرت دمشق بعد أن أعلنت ذلك رسميًّا. ولم يلتحق من جناح حماس العسكري ببعض جماعات المعارضة السوري، غير "جبهة النصرة" و"داعش" سوى جزء من الرتب الدنيا وهذا أمر طبيعي، بسبب التجانس الفكري وطبيعة نظام بشار الأسد، وما كان يجري في سوريا[3].

ويرى زارع أنه من الخطأ النظر إلى حماس أنها كتلة واحدة؛ فهي شأنها شأن كل الحركات الاجتماعية دون استثناء، وهذا يسري على حزب الله كذلك الذي يتكون من ثلاثة تيارات داخلية هي التي خلقته وما زالت موجودة إلى اليوم، فهو ليس كلًّا موحدًا، كأنه حديد مصهور صب في قالب، بل هو مثل كرة القدم التي تخاط طبقاتها معًا. وهذا حال كل الحركات الاجتماعية. لذا فمن يقول: إن "حماس" كتلة واحدة فهو إما جاهل، أو لا دراية له بهذه القضية[4].

تتكون حركة حماس منذ نشأتها من الجناح العسكري والمكتب السياسي، وكل واحد له قوته؛ أحدهما له قوة على الأرض والآخر له قوة في المعادلات السياسية والمالية[5]. **وفي الأزمة السورية، نواجه ثلاث حركات في حركة واحدة:**

---

(1) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(2) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(3) من مقابلة للباحثة مع معصومي زارع بواسطة الإنترنت، 24 أكتوبر/تشرين الأول 2023.

(4) من المقابلة مع زارع.

(5) من المقابلة مع معصومي زارع.

الفرع السياســي، والفرع العسكري الخارجي، والفرع العسكري الداخلي. وحتى الجناح السياسي لا يمكن النظر إليه على أنه كتلة واحدة. لم يكن الفرع السياسي لحركة حماس موحدًا خلال الأزمة الســورية، فقد كان يتكون من ثلاثة أطياف على الأقل: طيف خالد مشــعل وموســى أبو مرزوق، الذي يميل نحو المحور القطري-التركــي. وكان أبــرز مظهر لهذا الميل التقاط الصور مع علم "الجيش الحــر"[1]. وتعزو بعض القراءات الإيرانية هذا الميل إلى الأوضاع التي نشــأت والضغوط التي مارستها قطر والمقترحات التي قدمتها بشأن إعادة إعمار غزة[2].

لقد كان تقدير هذا الطيف يقوم من ناحية، على أن "الأسد سيرحل بالتأكيد، ولا ينبغي لنا أن نراهن على حصان خاسر"[3]. ومن ناحية أخرى، رأى أن الأسد يرتكب جرائم ضد شعبه القريب مذهبيًّا مع حماس، على عكس الأسد ونظامه العلوي، لذلك وجدوا أن عليهم أن يتخذوا موقفًا أخلاقيًّا وسياسيًّا وإستراتيجيًّا؛ فقالوا للإيرانيين: إننا ســننزل عن حصان بشــار الأسد والنظام السوري ونركب حصان قطر وتركيا، وسنحصل في المقابل على إعادة إعمار غزة[4].

وفي الوقت نفسه الذي كان فيه خالد مشعل وموسى أبو مرزوق في الدوحة بقطر، يتابعان هذه القضية مع الشــيخ القرضاوي وعقدا لقاء مع أمير قطر، كان محمود الزهار ويحيى السنوار يتحركان في اتجاه معاكس تمامًا؛ فاعترضا داخل المكتب السياسي على الانسحاب من دمشق، وقالا إنهما مع التحالف مع إيران ولن يتهاونا في ذلك.

أما الطيف الثالث فيمثله إسماعيل هنية الذي، وإن كان قد مال ميلًا قليلًا نحــو طيف خالد مشــعل، إلا أنه كان يقف في منزلــة بين الطيفين؛ يتردد على إيــران ويحافــظ على علاقاته بها، والتقط أيضًا الصور مع علم "الجيش الحر"، وليس "داعش والنصرة". وهذا يبين أن الجناح السياسي لم يكن على رأي واحد طوال الأزمة السورية[5].

---

(1) من المقابلة مع معصومي زارع.

(2) من المقابلة مع معصومي زارع.

(3) من المقابلة مع معصومي زارع.

(4) المصدر السابق.

(5) معصومي زارع، المصدر السابق.

يتمتع الجناح العسكري "كتائب القسام" باستقلالية وله وزن أكبر في المعادلات على الأرض وإن كان يتلقى الدعم المالي من المكتب السياسي الذي يحدد عددًا من اتصالاته الخارجية. وعلى أي حال، فالجناح العسكري هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة على الأرض. لقد دافع قادة هذا الجناح الرئيسيون، مروان عيسى ومحمد الضيف والشهيد أحمد الجعبري، عن خيار العلاقة مع إيران وبشار الأسد.

وفقًا لمصدر إيراني، فقد أرسل الجناح العسكري رسالة إلى المكتب السياسي للحركة جاء فيها أن : "تحرير فلسطين يأتي بالسلاح وليس بالمال" بعدما ذهب مشعل وفريقه إلى الدوحة وحصلوا على وعد بإعادة الإعمار مكافأة لهم على مغادرة دمشق[1]، واصطفوا خلف الشيخ القرضاوي في صلاة الجمعة والمهرجان الذي تحدث فيه ضد حزب الله[2]. **جاءت الرسالة، وفق الرواية الإيرانية، بصورة رسمية من الجناح العسكري مبينة موقفه من حزب الله وإيران؛ قال** فيها: "فلسطين لن تتحرر بالمال بل بالسلاح والسلاح تقدمه لنا إيران وحزب الله وبشار الأسد". كما أرسل الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس رسالة إلى "الحاج قاسم" أكد فيه موقفه الداعم للمقاومة وإيران"[3].

وتحدثت مصادر وصفتها صحيفة القدس العربي بـ"المطلعة جدًّا" عن أن رسالة كتائب القسام التي أبرقت بها لمشعل وباقي أعضاء المكتب السياسي للحركة طالبت ب"تجنيب الحركة الوصول لمرحلة الاختيار ما بين قطر وايران؛

(1) المصدر السابق.

(2) هاجم الشيخ يوسف القرضاوي، وكان وقتها رئيسًا للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الأمين العام لحزب الله اللبناني، حسن نصر الله، ووصفه بأنه رئيس "حزب الشيطان ونصرٌ للطاغوت". وقال في كلمة بمهرجان في قطر لنصرة الثورة السورية إنه ناصر حزب الله اللبناني وخاصم من أجله علماء السعودية، لكن "تبين أن الشيعة خدعوني، وأني كنت أقل نضجًا من علماء السنَّة الذين كانوا يدركون حقيقة هذا الحزب". انظر: القرضاوي يهاجم نصر الله، الجزيرة نت، 1 يونيو/حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 25 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://2u.pw/nyo7O5K

(3) – معصومي زارع، المصدر السابق.

لأن الاختيار سيكون لصالح المقاومة في أي مكان كانت، وذلك في إشارة إلى أنه سيتم اختيار إيران في نهاية الأمر داعمًا للمقاومة"[1]. **لكن "كتائب القسام" نفت ما ورد في تقرير القدس العربي، وقال أبو عبيدة، المتحدث باسمها، عبر موقع القسام الإلكتروني: إن الموقف السياسي تعبر عنه القيادة السياسية للحركة، وإن المنشور لا أساس له من الصحة**[2].

كان معظم جناح حماس العسكري في الخارج يتمركز في سوريا، وأصبح جزءًا من معادلة الصراع السورية، وفقًا لمعصومي زارع، لكن عناصره لم تكن من ذوي الرتب العالية، وأعلاهم رتبة صهر خالد مشعل الذي كان حارسه الشخصي، والحارس الشخصي لموسى أبو مرزوق. وقد اتهمت الحكومة السورية صهر مشعل بتسليم أسلحة خفيفة لجماعة الإخوان، وكان للحارسين دور في تأسيس جماعة "أكناف بيت المقدس"[3].

رد المكتب السياسي لحركة حماس على هذه الاتهامات ببيان يقول فيه: إن الحارسين الشخصيين فصلا من الحركة منذ فترة طويلة ولم يعودا جزءًا من الحركة وليسا حارسين شخصيين لقادتها[4].

ما فتئ الفريق الإيراني المدافع عن العلاقة مع الحركة يدعو إلى ضرورة النظر إلى القضية من موقع حماس، مع تأكيد التقييم الإيراني أن سياسة الحركة كانت "غير ناضجة". ويرى أصحاب هذا الرأي أن حماس لم تعلن الحرب

---

(1) وليد عوض، "كتائب القسام" تنحاز لاستمرار التحالف مع حزب الله وإيران وتبرق لمشعل: تحرير فلسطين يأتي بحمل السلاح وليس بالمال، القدس العربي، 4 يونيو/حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 25 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://2u.pw/T3lLTqf

(2) القسام ينفي ادعاءات القدس العربي حول موقفه من سوريا، المركز الفلسطيني للإعلام، 5 يونيو/حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 25 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://palinfo.com/?p=37790

(3) من المقابلة مع معصومي زارع.

(4) "حماس" تنفي طلب تدخل مشعل لإنقاذ "بيت المقدس" بـ اليرموك، صحيفة العربي الجديد، 13 أبريل/نيسان 2015، (تاريخ الدخول: 25 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://2u.pw/Pr3YHEj

على إيران، ولم تعلن الحرب على المقاومة[1]. **فقد قالت الحركة عن خروجها من سوريا: "نحن في وضع أخلاقي لا نستطيع فيه خوض حرب ضد الحكومة السـورية أو ضد المعارضة، والشـيء الوحيد الذي يمكننا فعله هو الخروج من دمشق"**[2]. "لقد حافظت قيادات الحركة على قدر من الأدب بشكل عام، حتى لو نظرنا إلى سلوكهم على أنه غير ناضج وفاشل"[3].

يعترض حسـين شـيخ الإسلام على تقسيم حماس في موقفها من العلاقة بإيران إلى جناح سياسـي وآخر عسـكري، ويرى أن أولويات حماس الداخل تختلـف عن أولويات حماس الخـارج[4]، وهي من ارتكب الخطأ الذي حدث في القصير، في حين أن حماس الداخل تواجه إسـرائيل، وفريق الخارج موزع على لبنان وسـوريا وقطر وتركيا، ولا يعيش تحت الضغط الإسـرائيلي، ويفكر بشكل دولي ويريد الحصول على الدعم من الأمم المتحدة، وأن يُرضي زعماء الدول ليحصل على الدعم في حين ينصرف اهتمام فريق الداخل إلى مشكلات الداخل والمواجهة مع الاحتلال، ويعرف بدقة أن لا أحد غير إيران سـيقدم له سلاحًا، وتدريبًا[5].

ولذلـك تتحدث الدوائر السياسـية الإيرانية عن توجهيـن داخل الحركة: "أحدهما يرضيه أن يحصل على الدعم من الرئيس التركي ويعتقد أنه مسألة مهمة جدًّا، في حين يرى الآخر أن الأهم هو القدرة على صد العدوان الإسرائيلي"[6].

وفي الإشـارة إلى هذه الثنائية، يقول مجتبى أبطحي: ليس من باب تسـفيه فريـق الخـارج وتنزيه فريـق الداخل، فهي ثنائية موجودة فـي كل مكان؛ ففي إيـران يوجـد فريقان: فريق يؤمن بالعمل مـن خلال الأمم المتحدة والعلاقات

---

(1) المصدر السابق، من المقابلة مع معصومي زارع.

(2) من المقابلة مع معصومي زارع.

(3) من المقابلة مع معصومي زارع.

(4) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(5) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(6) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

الدبلوماسية، وفريق يرى الأمور بشكل مختلف ويعمل مع حزب الله لبنان وحماس، وهذا ما يخلق اتجاهين في التفكير، تختلف أولويات بعضهما بعضًا. فحماس الداخل تدرك أن لا داعم حقيقيًّا لها يمكِّنها من تعزيز قوتها إلا إيران؛ فيما يعتقد فريق الخارج أن الحصول على بيان تأييد من جهة ما هو المهم. فالأول يرتبط بإيران والثاني يسعى إلى علاقة مع دولة أخرى مثل تركيا. وهذه ماهية المسألة وجوهرها دون إصدار حكم على أي منها[1].

رغم حذر خالد مشعل في تصريحاته عن العلاقة بإيران إلا أن الرئيس السابق للمكتب السياسي للحركة، يُصوَّر على أنه "يقود سياسة الانفصال عن النفوذ الإيراني. وبحسب مصادر استخباراتية غربية، يحاول بدلاً عن ذلك إعادة بناء علاقات حماس مع الأنظمة العربية السنية[2]؛ وذلك من خلال محاولاته لبناء صورة مفادها أن "حماس ليست جزءًا من المحور الإقليمي الموالي لإيران الذي يضم حزب الله في لبنان، ونظام الأسد في سوريا، وبعض الميليشيات الشيعية في العراق، والحوثيين في اليمن"[3]. **وتضع هذه التحليلات إسماعيل هنية في مقابل مشعل، وتقدمه منافسًا له، ينتهج سياسة التقارب مع الإيرانيين، الذين لديهم تحفظات كبيرة على مشعل بشكل واضح**[4].

هاجمت مواقع إخبارية إيرانية مرات عدة خالد مشعل، وكان أشده ما ورد في موقع "تابناك" **التي وصفه بـ**"الخائن"[5]، وقال الموقع المحسوب على

---

(1) من المقابلة مع شيخ الإسلام.

(2) برز هذا في مقال نشرته صحيفة التايمز بعنوان "الخلاف بين قادة حماس قد يشعل فتيل العنف في الشرق الأوسط" تحدث عن هذه الثنائية بشكل واضح، انظر:

Anshel Pfeffer, Rift between Hamas leaders ‘could spark violence across Middle East, The Times, December 20, 2021:

https://www.thetimes.co.uk/article/rift-between-hamas-leaders-could-spark-violence-across-middle-east-xftrxjmtn’

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

(5) با توجه به ضربه‌هایی که به محور مقاومت وارد کرده است: لطفًا خالد مشعل را به "ایران" راه ندهید /"نظرًا للضربات التي ألحقها بمحور المقاومة: رجاء لا تفتحوا الطريق إلى إيران

محســن رضائي، القائد الســابق للحرس الثوري: مضى عامان على آخر زيارة لمشعل إلى طهران، وكالعادة، لقي ترحيبًا حارًّا من السلطات الإيرانية، لكن ما فعله وما قاله في هذين العامين كان مثالاً واضحًا على من "أكل الملح وكسـر المملحة"[1]. **ووصف الموقع مواقف مشعل بأنها "مستهجنة ومثيرة للاشمئزاز". وتحدث الموقع عن آلاف من الوثائق تكشف أن عناصر حماس ذهبوا إلى سوريا بطريقــة منظمة و"قاتلوا ضد من دربهم على معارك اســتمرت 22 يومًا وثمانية أيام ضد الكيان الصهيوني وقدم لهم الصواريخ والأسلحة"**[2]**. وقال الموقع: إن الجيش السوري قتل أكثر من 1200 من أعضاء حماس الفلسطينيين، بعضهم من قادة كتائب القســام. "كل شيء يمكن نســيانه، لكن فخر مشعل وقادة حماس الآخرين بعَلَم الإرهابيين السوريين في غزة**[3] لا يمكن نسيانه"[4].

ورأي الإيرانيــون في زيارة مشــعل إلى الرياض، فــي يوليو/ تموز 2015، ولقائه العاهل الســعودي، الملك سلمان، وولي عهده السابق، محمد بن نايف، وولي العهد الحالي، محمد بن ســلمان، أنها مصداق لســعيه إلى أخذ الحركة بعيدًا عن إيران.

ورغم الأزمة بين الطرفين "لم يصدر عن الحاج قاســم (ســليماني)، الذي كان قنــاة الاتصال مع حماس، ولا مؤسســة الحرس الثوري مواقف غير لائقة بحــق قيــادة الحركة، ومن ضمنها الأخ أبو الوليد، لقد كان الحاج قاســم عاتبًا على قيادة الحركة وعلى بعض مواقف مشعل الشخصية، بناء على ما كان بينهما، وما بينهما كان كبيرًا"[5].

أمام خالد مشــعل"، 14 أكتوبر/تشــرين الأول 2013، (تاريخ الدخول: 12 مارس/آذار 2022)، https://2u.pw/OHFn7h9

(1) "نمک خوردن و نمکدان شکستن" (أكل الملح وكسر المملحة") مثل فارسي كناية عن نكران المعروف. ويعادله في العربية "شرب من البئر ورمى به حجرًا".

(2) تابناك، المصدر السابق.

(3) راجع المشهد رقم 5 في مقدمة الكتاب.

(4) المصدر السابق.

(5) من المقابلة مع خالد القدومي.

يؤكـد القائد فـي الحرس الثوري، مجتبى أبطحـي، أن إيران خبرت هذا الاختلاف داخل صفوف الحركة في مناسبات عدة. ويرى أن "الأشخاص الذين يديـرون العلاقات الخارجية ولديهم علاقـات دولية لا يتخذون مواقف مماثلة لتلك التي يتخذها أعضاء حماس الموجودون بأسلحتهم داخل غزة إلى جانب الشـهداء وقدموا شـهداء وخاضوا مواجهات مع العدو والذين كانت مواقفهم أكثـر ثباتًـا، بينما أولئك الذين يتنقلون من مطار إلـى آخر ويحلون ضيوفًا هنا وهناك يتخذون مواقف سياسـية يسـتفيد منها الأعداء". لقد أرادت إيران أن "يكـون الجناح المعتقد بـ(من البحـر إلى النهر) هو الأقوى[1]، وهذا ما حدث فـي انتخابـات حماس التي جاءت بقيادة مختلفة؛ فالقادة العسـكريون وأهالي الشـهداء حصلوا على أصوات أعلى"[2]. **ومع ذلك، يضيف أبطحي: "نحن لا نسـعى إلى إخراج أي فلسـطيني من دائرة المقاومة، وندرك أن كل شـخص له مستوى من القدرة، وهذا ما يسري مثلًا على خالد مشعل وإسماعيل هنية. ونحن نريـد جميع هذه القدرات، ولا نقصي أيًّا منها. بعض المواقف يمكن تجاوزها، لكن بعضها لا. وأتذكر أنه يوم جرت محاولة اغتيال** خالد مشعل في الأردن على يد الموساد أقمنا صلاة الحاجة[3] وقرأنا "دعاء أمن يجيب المضطر إذا دعاه" في طهران. واليوم نحن نرحب بأي حركة يخطوها مشعل لصالح المقاومة والتاريخ سـيثبت صدق العمل. في الماضي لم يكن اسم صالح العاروري معروفًا، لكن اليوم إذا أراد الاحتلال المسـاس به فجميع الإيرانيين سـيدعون له؛ لأنه أصبح رمزا للمقاومة"[4].

يسـمي البعض في إيران تلك المرحلة، مرحلة "سـوء تقدير من المكتب السياسي"، ويقدرون أن حركة حماس على عكس «فتح» في لبنان، وفي الأردن، ثم في العراق، لم تدخل في صراعات داخلية في الدول المضيفة. وحماس لم

---

(1) من المقابلة مع أبطحي.

(2) من المقابلة مع أبطحي.

(3) "صلاة الحاجـة" هـي الـصلاة التي تُصلى لقضاء الحوائج، و قـد رُويت صلوات كثيرة لهذا الغرض، لكن أشهرها المنسوبة إلى الإمام جعفر الصادق.

(4) مـن المقابلـة مع مجتبـى أبطحي، وقد جرت هذه المقابلة قبل أشـهر قليلة على استشـهاد العاروري.

تدخل الصراع السوري كلًّا موحدًا. حتى وإن انخرط بعض المقربين من قيادات الحركة في فعاليات مسلحة فلا يمكن أن تلقى مسؤولية ذلك على عاتق السيد خالد مشعل والسيد موسى أبو مرزوق[1]. **لقد قرأت أطراف في إيران "استقالة خالد مشعل إقرارًا من قبله بهذا الخطأ الإستراتيجي"**[2].

أكد الشيخ الشهيد صالح العاروري أن ساحة عمل حركة المقاومة الإسلامية حماس هي فلسطين لا أي ساحة أخرى، وكان ذلك التأكيد في مقابلة مع صحيفة "شرق" الإيرانية الإصلاحية في 2017 لما سئل: "عندما دخلت المنطقة في أزمة، لم تكن حماس، التي تستفيد باستمرار من الدعم الإيراني، شريكًا جيدًا وتركت إيران وحدها، كيف يمكن لطهران أن تثق بكم مرة أخرى؟". وأوضح العاروري أن لا أحد طلب من الحركة، من أجل التعاون، أن تكون إلى جانب شخص ما أو مجموعة أو حكومة في الصراعات الإقليمية. لم تكن هذه المسألة في الماضي، ولا اليوم، ولن تكون في المستقبل، ولن تكون أبدًا. ولم يطلب منَّا الإخوة الإيرانيون المشاركة في الحرب لمصلحتهم أو مواقفهم في المنطقة. ولن نكون جزءًا من محاور الصراع الإقليمي، بحيث نعاضد اليوم هذا المحور وذاك المحور في يوم آخر. لقد اختبرت الفصائل الفلسطينية المشاركة في الصراعات من قبل، وكانت النتيجة على حساب القضية الفلسطينية، ولن نكرر هذه التجارب المريرة مرة أخرى[3].

الأجواء المشحونة في طهران والإقرار بالأزمة

"جئت إلى هذه المسؤولية في فترة قحط في العلاقة، وكان الوضع صعب جدًّا"[4]. بهذه العبارة يصف خالد القدومي مآل الأزمة بين الطرفين، وهو

---

(1) من المقابلة مع معصومي زارع.

(2) من المقابلة مع معصومي زارع.

(3) صلاح العاروری، معاون رئیس دفتر سیاسی حماس، در گفت و گو با "شرق": علیه ایران هرگز کاری نمی کنیم(صلاح العاروري نائب رئيس المكتب السياسي لحماس في حديث لـ"الشرق": لن نقوم بأي عمل أبدًا ضد إيران)، صحيفة شرق، السنة 15، العدد 2994، 2 آبان 1396 ش، ص 19.

(4) يصف القدومي هذه الصعوبات بأنها كانت أحيانًا تصل إلى التهديد الجسدي في بعض اللقاءات

الذي حل بطهران في ذروتها ممثلاً لحركة حماس، فكان شــاهدًا عليها وعايش تفاصيلها.

وباعتبــاره ممــثلاً للحركة فإن وظيفته تقتضي البناء فــي العلاقات الثنائية والحديث عن فلســطين، وتغليب المشــترك، ومواجهة العدو الصهيوني، لكنه وجد نفسه يحاول رأب الصدع والحديث عن وحدة الأمة والدفاع عن مواقف الحركة والرد على الاتهامات[1].

يعزو القدومي الخلاف إلى ما ســماه "الإحســاس بالنشــوة" الذي ســاد المنطقة خلال الربيع العربي، ولم تكن الحركة اســتثناء في ذلك؛ فقد وصلت الأمة إلى مرحلة كســر الخوف من الديكتاتوريات والســعي إلى الإمساك بزمام المبادرة والتخلص ممن ورثوا الحكم عن الاســتعمار. لكن تلك "النشــوة" ما لبث أن أصبحت مدخلاً لخلاف أصحاب الفكر الواحد في سوريا[2].

"فرح كثير من أبناء النظام الســوري بالتغيير الذي حدث في مصر، ولما كنا نقول لهم إن عليهم أن يفكروا في أمرهم كان جوابهم: لا، نحن مختلفون. لقد كانوا واثقين من أنهم مختلفون، بســبب موقفهم من فلسطين؛ لأن لها وزنًا كبيرًا ولم يكن في الحسبان أن الشارع العربي أصبح لديه من الهموم ما يجعله يميز تفاصيل التفاصيل. فرغم أولوية فلسطين عند الشعوب إلا أن معادلة خطرة ظهرت في تلك الفترة، مفادها: "فلسطين على رأسنا، لكن كفى" [3].

ولما حدث ما حدث في سوريا كان الخطاب الإيراني الذي سمعته حماس: نحن إخوتكم وقد وقفنا إلى جانبكم في المقاومة واحتضنَّاكم وأفسدنا كثيرًا من علاقاتنا الدولية بســبب دعمكم، والناس تحتــج عندنا وتقول: إن فقراءنا أحق بالدعم، والمســؤول الذي يقول: "لا غزة ولا لبنان" ينتهي مســتقبله السياسي،

وفي بعض الأماكن، كان النقاش من الحدة بحيث كان من الممكن أن يتطور نحو شــيء من هــذا القبيــل لولا رحمة الله ووجود أنــاس عقلاء من الجانبين يضعون الأمور ضمن نصابها، وقلوبهم منفتحة على الجميع. من مقابلة للباحثة مع د. خالد القدومي.

(1) من مقابلة للباحثة مع د. خالد القدومي.

(2) من المقابلة مع القدومي.

(3) من المقابلة مع القدومي.

ورغم كل ذلك قلتم بجرة قلم: لا لسوريا، ولا للنظام السوري"[1].

لقــد كانت مرحلة صعبة جدًّا على حركة حماس[2] أصبح خلالها الإعلام الإيراني يدًا واحدة مع الســلطات الرســمية على المقاومة الفلسطينية؛ فهاجمها وكال تهمًــا لشــخصيات فيها وأنها "أصبحت فــي جيب قطر، وفي جيب تركيا الإخوانيــة، وأنها باتت تجلس بجانب القواعد الأميركية"[3]، وأن خالد مشــعل سرق 10 آلاف دولار من أموال التبرعات[4].

ودعا القدومي في دفاعه عن العلاقة بين الطرفين إلى استحضار ما كان بين قاســم ســليماني وخالد مشعل وقيادات أخرى من الحركة من علاقة متينة؛ فقد

---

(1) من المقابلة مع القدومي.

(2) يسوق القدومي حكاية للدلالة على صعوبة المرحلة في بداية الأزمة فيقول: في 2011، كنت مدعوًّا لحفل اســتقبال في الســفارة الكويتية في طهران، وكان من ضمن المدعوين الســفير السوري في ذلك الوقت، الأستاذ الدكتور عدنان حسين، وكان يقف إلى جانب السفير الكويتي، أحمد الظفيري، وآنذاك كانت بعض قيادات حماس ما زالت في سوريا وشخصيًّا كنت أزور ســوريا، وعندما عرَّفني الســفير الكويتي على السفير الســوري رحبت به وقلت إنني سمعت عنه كلامًا طيبًا، فواجهني بكلام غير دبلوماســي. وقال: أنتم تظنون أن ســوريا فندق، تقيمون فيه وتغادروه وقتما تشاءون. فتحاملت على نفسي وقلت له: لا، سوريا ليست فندقًا، بل هي بلد الأحرار، وبلد المقاومين ولا نفرِّق بين سوري وسوري (ابن النظام وابن الشارع)، ونرى أنكم جميعًا مع فلســطين ولكن عندما تصبح الأمور ضبابية تحدث الفتنة. وأنا وأنت متفقان على أن العدو هو الكيان الصهيوني لكن أنا وأنت وأبناء المنطقة لسنا متفقين على النظام في سوريا أو مصر أو السعودية وحتى إيران. وكان الأفضل أن نتحدث بلغة جامعة، وبالطبع حاول السفير الكويتي التحدث بلغة جامعة وأن الأمة يجب أن تكون مع بعضها، ولكنني استنتجت من كلام السفير الكويتي ما مفاده: أنكم في حماس كان يجب أن يكون أداؤكم أفضل. رغم أن موقف دولته كان مختلفًا فيما يتعلق بالأزمة الســورية. وانســحب الســفير السوري ليشرب الشاي مع سفير آخر.

(3) من المقابلة مع القدومي.

(4) تعمد القدومي أن يرد على هذه الاتهامات في أحد اللقاءات بنبرة ساخرة، بأن "من كذب هذه الكذبــة كان يجب أن يُحســن الكذب، فمثلاً لــو أنه قال: 100 ألف دولار أو مليون.. لكانت الكذبة محبوكة أكثر، ولكن هذا الرد الساخر لم يعجب الموجودين فقد كان الجو متشنجًا". من المقابلة مع القدومي.

حدث أن كانا في سيارة واحدة في منطقة من المحتمل أن يقصفهما الطيران الإسرائيلي. وقد حدث غير مرة أن يكون س من قيادات الحركة مع قاسم سليماني في سيارة واحدة متجهة إلى المطار ليركبا الطائرة من مطار دمشق لزيارة البلد س أو ص، لكن كل هذه الاعتبارات وغيرها لم تُستحضر في فترة التشنج والغضب.(1)

انبرى القدومي ليفند إشاعة راجت آنذاك، رددها كذلك وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، تقول: إن مجموعة من قوات القسام شاركت في تدريب مجموعة من حزب الإصلاح اليمني لتقاتل الحوثيين. ورد القدومي على وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، لما ردد الإشاعة خلال لقاء به: بأن ذلك لا يعدو أن يكون "قصة رديئة لا أساس لها" مؤكدًا له أن "كتف مقاتل حماس لا يحمل سلاحًا ضد مسلم، ولا يحمل بندقية، أو "آر بي جي" إلا ضد الدبابة الصهيونية"(2).

وكانت الحركة قد أصدرت آنذاك بيانًا(3) عن الأزمة في اليمن فهم منه أنها تقف ضد التدخل الإيراني(4). **وفي ذلك اللقاء، لام ظريف حركة حماس على**

---

(1) من المقابلة مع القدومي.

(2) من المقابلة مع القدومي.

(3) أكد بيان الحركة مسألتين:

أولًا: وقوف الحركة مع الشرعية السياسية في اليمن وخيار الشعب اليمني الذي اختاره وتوافق عليه ديمقراطيًّا، وأنها تقف مع وحدة اليمن وأمنه واستقراره، والحوار والتوافق الوطني بين أبنائه.

ثانيًا: تؤكد الحركة أنها مع أمن واستقرار المنطقة العربية دولًا وشعوبًا، وترفض كل ما يمس أمنها واستقرارها.

انظر: بيان صحفي تعقيبًا على التطورات الأخيرة في اليمن، الموقع الرسمي لحركة حماس، 28 مارس/آذار 2015، (تاريخ الدخول: 11 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://2u.pw/asCcbvx

(4) من المقابلة مع القدومي.

موقفها من السعودية وتساءل: "لماذا تهادنون السعودية؟"[1]، وكان رد القدومي بأن حركة حماس تقيم علاقاتها مع جميع الدول على قاعدة حشد الدعم للقضية الفلسطينية، دون أن يعني ذلك توظيف العلاقة مع دولة ما ضد دولة أخرى.

الإقرار بالأزمة والسعي في حلها

لا يجــادل من قابلتهم الباحثة من كلا الجانبين في التأثير الســلبي للثورة الســورية على علاقتهما. رأى الإيرانيون أن حماس شاركت في الثورة السورية وأنها انحازت إلى محور آخر بعد خروجها من دمشــق، وهذا ما أدى إلى فتور في العلاقات بين الطرفين إلى حد انقطاع السياسية منها. لكن العلاقة العسكرية بين كتائب القسام والحرس الثوري لم تنقطع، واستمر الحرس في تقديم خبراته لمقاتلي حماس[2]. **وينفي خرازي أن يكون الدعم الإيراني** لـ"كتائب القسام" قد قُطع بالكامل: "دعمنا لحماس لم ينقطع، صحيح أنه قلَّ؛ لأننا لم نكن راضين عن مواقفهم، لكن لم ينقطع"[3].

ظلت الاتصالات بين الطرفين قائمة مع ما شــابها من مشــاكل وتباين في وجهات النظر. لقد اضطرت الحركة إلى الخروج من ســوريا حتى لا تبدو أنها

---

(1) يــروي القدومــي بعــض تفاصيل اللقاء مع ظريــف: تحدث معي عن موقفنا من الســعودية فاســتغربت اســتغراباً كبيرًا، كان يلومنا متسائلاً: كيف تهادنون السعودية؟ في إشارة إلى البيان الذي أصدرته الحركة بشأن الأزمة في اليمن، ثم قال: يا أخي، نحن دول وغدًا نعيد السفراء، وكان السفير السعودي قد غادر طهران في الأزمة التي غادر فيها السفراء، السعودي والإماراتي والبحريني والسوداني. فسألته: يا دكتور ظريف، ما المطلوب بالضبط؟

قال: يا أخي، نحن دول وغدًا ســيعود الســفير الســعودي إلى طهران، فماذا ســتفعلون إن كنتم قد وقفتم إلى جانب الســعودية ضد إيران؟ فقلت له: نحن لم نقف إلى جانب أحد، نحن وقفنا إلــى جانب أمتنا، وعندنا إيران والســعودية وتركيــا وقطر كلها دول عربية واسلامية نعتز بأنها حاضنة لنا، ثق تماما يا سعادة الوزير أن علاقتنا مع السعودية هي لنفعكم وفائدتكم وعلاقتكم كذلك مع الســعودية هي لفائدتنا وفائدة الأمة، والعلاقة بين أي طرفين في الأمة لا ينبغي أن يثير حساسية أحد.

(2) تأكيدات قُدمت للباحثة من مصادر من حماس وكذلك من إيران طلبت عدم ذكر اسمها.

(3) من المقابلة مع خرازي.

تقــف في صف النظام الذي بدأ يدعو الفصائل الفلسـطينية لاجتماعات، وكان البقاء يعني أن تصبح الحركة جزءًا من الحالة[1]. **كانت علاقة الحركة بالشـعب السـوري وطيدة، ومع الذيـن انخرطوا في الثورة، وهي علاقـة لم يكن النظام حساسًـا تجاهها، لكن كان سـينظر إلى الحركة لو بقيت في سـوريا أنها تقف إلى جانب النظام.**[2]

لقــد أثَّر ما حدث في سـوريا على العلاقــة فأصابها الفتور إلى حد بعيد، وتوقفت الزيارات على مستوى القيادة، بينما لم تنقطع اللقاءات السرية بين إيران وحماس، لكن دعم إيران لـ"كتائب القسام" نقص ابتداء من **2012** إلى **2014**[3]، وهي السنة التي حدث فيها العدوان الإسرائيلي على غزة. ويؤكد الحرس الثوري أنه في أوج الأزمة بعد المواقف التي اتخذها مشعل وأبو مرزوق والتشكيك في مواقف الجمهورية الإسلامية فإن طهران واصلت تقديم الدعم[4].

لقد أنتج هذا العدوان مشـهدًا إقليميًّا مختلفًا، ففي عدوان 2008-2009، وقف إلى جانب حركة حماس وبقوة كل من إيران وسوريا ووقفت قطر كذلك، والكل يتذكر القمة العربية التي دعا إليها الشـيخ حمد بن خليفة آل ثاني، أمير قطر آنذاك، وما بذله من جهد من أجل أن تلتئم، ومع الأسـف لم تلتئم ولكنه أصـرَّ على أن يفتح النقاش بشـأن ذلك واضعًا غـزة في بؤرة الاهتمام[5]. وفي 2012، بعد اختلال علاقة الحركة بإيران وقفت قطر إلى جانب الحركة وكذلك

---

(1) من المقابلة مع العاروري.

(2) من المقابلة مع العاروري.

(3) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(4) من المقابلة مع مجتبى أبطحي.

(5) صرح الشيخ حمد بن خليفة في ذلك الوقت بأن دعوته للقمة العربية الطارئة قائمة ومستمرة وأن من المعيب تهميش العدوان على غزة ليناقش في قمة تشـاورية فقط. وقال: "إنه ما إن يكتمل النصاب لعقد هذه القمة حتى ينقص "وحسـبنا الله ونعم الوكيل""، انظر: كلمة سـمو الأمير حول طلب قطر عقد قمة عربية طارئة لمناقشة العدوان الإسرائيلي على غزة، يوتيوب، 15 يناير/كانون الثاني 2009، (تاريخ الدخول: 1 أبريل/نيسان 2024)، https://www.youtube.com/watch?v=ihvj?tAE6Ww

مصر في ظل التحولات التي حدثت أثناء حكم الرئيس محمد مرسـي[1] حين نـدد بالغارات الجوية الإسـرائيلية على قطاع غزة ووصفهـا بأنها "عدوان غير مقبول"، وأمر رئيس الوزراء، هشـام قنديل، بزيارة القطاع المحاصر تعبيرًا عن الدعم للفلسطينيين[2].

لقاءات غير معلنة وقرار بعودة العلاقات

بـدأت تتواتر التصريحات من الطرفين (إيران وحماس) عن ضرورة إعادة مياه العلاقة إلى مجاريها، وكان من أهم التصريحات ما صدر عن رئيس مجلس الشـورى الإسلامي، علي لاريجاني، الذي قـال: إن العلاقة مع حماس عادت إلى سابق عهدها، ثم تصريح عضو المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حمـاس)، محمـود الزهار: "حركة حماس أخذت خطوات، وإيران من جانبها أخذت خطوات"[3].

لم يكن وصل ما انقطع بين حماس وإيران في 2016 وعودة العلاقة وثيقة كمـا كانـت من قبل دون التأثير الذي أحدثـه أداء الحركة في مواجهة العدوان الإسرائيلي على غزة، في 2014، في مواقف إيران التي كانت بعض الآراء فيها ترى إمكانية إيجاد بديل عن حماس في السـاحة الفلسـطينية، لكن ثبات حركة المقاومة الإسلامية حماس في المعركة أكثر من 50 يومًا جعل إيران تصل إلى نتيجة مفادها أنه لا بديل عن حماس. وأبلغت أطراف إيرانية حركة حماس أن قاسـم سـليماني كان وهو يدافع عن العلاقة مع الحركة يؤكد أن "دعم حماس يصب في دعم أمن إيران القومي"[4].

---

(1) من المقابلة مع حمدان.

(2) الرئيـس المصـري يندد بالهجمات الإسـرائيلية على غزة، رويترز، 16 نوفمبر/تشـرين الثاني 2012، (تاريـخ الدخـول: 1 أبريل/نيسـان 2024)، https://www.reuters.com/article/idUSCAE8AE0J1/

(3) حماس تتخذ خطوات لتطوير علاقاتها مع إيران، الجزيرة نت، 10 مارس/ آذار 2013 (تاريخ المراجعة: 28 ديسمبر/ كانون الأول 2021): https://bit.ly/3zcZ6Xi

(4) معلومات أدلى بها للباحثة قائد في الحركة طلب ألا تنسب إليه.

أســـهم صمود الحركة أمام إســـرائيل في ترجيح كفة المدافعين عن العلاقة معها في طهران وعلى رأســـهم ســـليماني، كما أنه أسهم في ضمان بقاء الخط الساخن واستمرار المساعدات لجناحها العسكري في غزة.[1]

بعد هذا العدوان أعادت الجمهورية الإسلامية الإيرانية تقييم أداء المقاومة، فأدركت أن خيارات حماس بشـــأن الأزمة السورية لم تكن انقلابًا على مشروع المقاومـــة ولا على محـــور المقاومة بقدر ما كانت قناعـــات محددة وواضحة وصادقـــة، وأن خيارات حماس في المقاومة هي خيارات إســـتراتيجية لا تتغير بتغير الظروف والبيئة الإقليمية. وبناء عليه عادت العلاقة إلى مســـارها الطبيعي إلـــى حد ما، وبدأت بعد الحـــرب خطوات جادة لحل ما تعقَّد في ملف علاقة إيران وحماس.

لقد أثبتت الحركة أنها قادرة على مواجهة إسرائيل، ووفقًا لـ "خدمة أبحاث الكونغـــرس" **الأميركي، فإن ذلك دفع إيران إلى إعادة بناء العلاقة ومد حركات حماس بتكنولوجيا الصواريخ لتتمكن من التصنيع الذاتي، كما ساعدت في إعادة بناء الأنفاق التي دُمِّرت في تلك المواجهة**[2].

بعـــد العدوان الإســـرائيلي علـــى غزة، في 2014 [3]، ومـــا أظهرته "كتائب القسام" من ثبات في وجهه مدة خمسين يومًا تم تفعيل الخط الفني بين الكتائب والحـــرس الثوري[4]، والاتفاق على زيادة الدعم وإعادة بناء ما دمرته إســـرائيل وتعزيز التسليح[5]. **ويؤكد العاروري أن تطور العلاقة عسكريًّا تم بمعرفة القيادة**

---

(1) من مقابلة للباحثة مع خليل الحية.

(2) Iran’s Foreign and Defense Policies, Congressional research service , Updated January 11, 2021(accessed; March 18, 2024): https://sgp.fas.org/crs/mideast/R44017.pdf

(3) جاء العدوان الإســـرائيلي في يوليو/تموز/ 2014 بحملة عســـكرية أطلق عليها الاحتلال اســـم "الجرف الصامد". وردت كتائب القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) بإطلاقها اســـم "العصف المأكول" على تصديها للهجوم، وســـرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي "البنيان المرصوص".

(4) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(5) المصدر السابق.

السياســية للحركة وإذن منها، فـ"الإخوة في الجناح العســكري لا يتدخلون في الجوانب السياسية"[1].

وكمــا أن صمــود الحركة جعل النقاش في إيــران يأخذ منحى آخر صبَّ فــي صالح العلاقة معها، فقد أدركت حمــاس بدورها أنها "بحاجة إلى الدعم الإيراني أكثر فأكثر حتى ترمم ما دمره الاحتلال، واستشرافًا منها للمستقبل. لقد رتَّب ثبات حماس في عدوان 2014 استحقاقًا جديدًا عليها؛ فمشروع المقاومة أصبحت فرصته كبيرة وإمكانياته كذلك لهزيمة المحتل وهو ما يقتضي الحفاظ على العلاقة التي تدعم الحركة بجدية[2].

بعــد الحرب عُقدت لقاءات غير معلنة بين الحركة وإيران ســاعدت على تقليــل الخلافات وتحجيمها، وتعزيز مســاحات الاتفــاق والبناء عليها. مهدت اللقاءات بين الطرفين في إسطنبول وطهران إلى طي ملف الخلاف شيئًا فشيئًا، وشــارك فــي تلك اللقاءات والاجتماعات قيادات مــن الصف الأول، وأعضاء في المكتب السياســي لحركة حمــاس، وكان الجانب الإيراني إيجابيًّا في تلك اللقاءات، ومنها لقاء أمير عبد اللهيان بخالد مشــعل في الدوحة، في مايو/أيار 2014، وبعده زيارة وفد من الحركة إلى طهران، في 2016، ولم تكن هذه أولى الزيارات، ولكنها الزيارة التي أعلن عنها[3].

كشــف ما نشــرته المواقع الإخبارية الإيرانية عن اجتمــاع (عبد اللهيان مشعل) وما نسبته لمشعل وأعقبه بيان لحركة حماس عن جوانب خلاف كانت قائمة حتى ذلك التاريخ بشأن عدد من القضايا. ونقلت وكالة أنباء الطلبة الإيرانية "إيســنا"، تصريحات لمســاعد وزير الخارجية الإيراني آنذاك، حسين أمير عبد اللهيان، على هامش اجتماع "إيران وإدارة أزمات الشــرق الأوسط"، في مايو/أيار 2014، تعليقًا على الاجتماع المذكور جاء فيه: "ســمعنا كلمات من الســيد مشــعل أوضحت بعض الالتباســات في الخلافات بشأن سوريا، وشكره جهود

---

(1) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(2) من المقابلة مع الحية.

(3) من المقابلة مع حمدان.

سوريا وبشار الأسد[...] أعتقد أننا سنرى في الأيام المقبلة موقف السيد مشعل من التطورات في سوريا"[1].

ونسبت وسائل إعلام إيرانية، منها وكالة مهر ووكالة فارس المقربة من الحرس الثوري، إلى مشعل قوله: إن "قدرات حزب الله والفصائل الفلسطينية في ميدان المقاومة مصدر فخر جاءت بدعم إيران"، وإن الفلسطينيين "لن ينسوا أبدًا دعم بشار الأسد والشعب السوري لفلسطين". لكن رد فعل الحركة كشف عن اختلاف في الرؤية لم يفلح الاجتماع في إنهائه، فقد نفت حركة حماس في بيان لها صحة ما تناقلته وسائل إعلام عن اللقاء الذي جمع خالد مشعل وأمير عبد اللهيان وأن ما نُشر عن بعض ما جرى في اللقاء مجرد "فبركة عبارات على لسانه لم ترد في اللقاء"[2].

وقالت الحركة: إن مشعل تحدث عن رؤية الحركة للأوضاع بالمنطقة، وإنها تنأى بنفسها عن "لعبة المحاور"، وإنها حريصة على وحدة الأمة وتكاملها، وتعمل على تجنب "الاستقطابات العرقية والطائفية والمذهبية". ودعا البيان إلى ضرورة معالجة المشاكل التي تعيشها بعض الدول العربية عبر إيجاد حلول سياسية "ترضاها الشعوب وتحقق تطلعاتها في الحرية والعدالة والديمقراطية والحياة الكريمة". وأكد البيان حرص حماس على احترام خصوصيات الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية[3].

يقول عبد اللهيان في تعليقه على لقائه بخالد مشعل: "أرجوكم لا تظلوا كثيرًا في التاريخ، فنحن نحترم حركة حماس وشخصياتها البارزة وخط المقاومة، كما أننا لا نتدخل في الشؤون الداخلية لهذه التنظيمات. لقد تعلمنا في وزارة الخارجية أن تكون لقاءاتنا بحضور أحد الزملاء في الحد الأدنى، وأن يعد التقرير أحد زملائي ونراجعه فيما بعد".

---

(1) توضيحات معاون وزير خارجه درباره ديدارش با خالد مشعل (توضيحات مساعد وزير الخارجية حول لقائه مشعل)، وكالة إيسنا، 4 خرداد 1393 ش (تاريخ الدخول: 28 ديسمبر/كانون الأول 2021)، https://bit.ly/3HiAPSg

(2) حماس توضح ما جرى بلقاء مشعل وعبد اللهيان، الجزيرة نت، 26 مايو/أيار 2014، (تاريخ الدخول: 28 ديسمبر/كانون الأول 2021)، https://bit.ly/3zimuml

(3) المصدر السابق.

ورأى عبد اللهيان فيما كان بين حماس وإيران سـحابة صيف. وأن حركة حماس ملتزمة بميثاقها الوطني ولا يمكن لأي شخص أن يخالفه وهو يتمحور تنظيميًّا حول تراث المرحوم الشـهيد أحمد ياسـين وباقي مؤسسي حماس مثل الشهيد الرنتيسي ومئات الشهداء المقاومين[1].

طهران ترفض استقبال مشعل

في 2016، طلبت حركة المقاومة الإسلامية حماس زيارة إيران بوفد يرأسه خالد مشغل، لكن خلافًا بشأن برنامج الزيارة حال دون ذلك؛ فقد طلبت حماس إدراج لقـاء مع القائد الأعلى، علي خامنئـي، في برنامج الزيارة، لكن الجانب الإيرانـي رأى أن المضيـف هو من يحدد البرنامـج. ويبدو أن ذلك كان بفعل مواقف إيرانية معارضة لاسـتقبال مشـعل في طهران[2]. **وهكذا عدل مشعل عن الذهـاب إلـى طهران ما دام لن يقابل خامنئي، لكن وفدًا من الحركة زار طهران سـرًّا بغية تخفيف حدة الخلافات وتذليل العقبات والعودة بالعلاقة إلى سـابق عهدها.**

تضارب رأيان داخل الحركة بشـأن تأجيل زيارة خالد مشـعل إلى طهران؛ فبينما عزا المستشـار السياسي السابق لحكومة حماس، أحمد يوسف، التأجيل إلى "انشـغال إيران بالملفات الداخليـة ومحادثاتها مع المجتمع الدولي"، قال عضو المكتب السياسـي ومسـؤول الإعلام في الحركة، عزت الرشق: إنه "لم تحصل أي ترتيبات في الأسـاس لزيارة مشـعل إلى طهران، وإن كل ما يُقال مجرد تكهنات غير دقيقة والغرض منها الاصطياد في الماء العكر ومحاولة تشويه مواقف الحركة"[3].

انتهـت حركة حمـاس بعد مآلات "الربيع العربي" إلى ضرورة اسـتئناف العلاقة السياسية مع إيران، علمًا بأن العلاقة العسكرية والأمنية ظلت قائمة[4].

---

(1) من المقابلة مع عبد اللهيان.

(2) معلومات وصلت للباحثة بأن وضع شرط مقابلة مشعل للقائد الأعلى في إيران كان مقصودًا منه منع الزيارة حيث كانت شخصيات في قيادة الحركة ترى عدم استعادة العلاقة مع إيران.

(3) المصدر السابق.

(4) من مقابلة للباحثة مع د. خليل الحية.

وأثارت الحركة في غزة الموضوع مع قياداتها في الخارج وأجرت نقاشًا مستفيضًا يلخص فحواه خليل الحية: "كنا بمواجهة مزاج عند الإخوة، خاصة في الخارج، القيادات والكوادر، يقول: إنه ما دامت إيران قاتلت في سوريا فنحن لا نريدها. لكن قراءتنا مبكرًا، وهي قراءة مجموعة مهمة من القيادة وخاصة داخل فلسطين، أن العلاقة مع إيران مهمة لحماس وأن العلاقة مع محور المقاومة ضرورة لها".[1]

وفقًا للشيخ سيد أبو مسامح، كانت وجهات النظر في تلك الفترة داخل حماس في شأن العلاقة بإيران ثلاثًا[2]: **مؤيدة ومعارضة ومتحفظة. يدفع المعارضون للعلاقة والمتحفظون عليها بالحجة العقدية؛ أي ثنائية سنة/ شيعة، وبالسلوك والفعل السياسي الإيراني في المنطقة. وهؤلاء مجرد أفراد لا يسهمون في تشكيل التوجه العام للحركة، ويمكن القول: إنه لا يوجد منهم من يعارض العلاقة من حيث المبدأ، أما من يرسم الاتجاه الآن ويضع أسس العلاقة فهم المؤيدون للعلاقة مع إيران والقائلون بأهميتها.**

إن فهم هذه المسألة، وفقًا لأحد قيادات حماس يكون بـ"معرفة طبيعة البنية المؤسسية لحماس وأن هذا الهيكل المؤسسي هو الذي يُنضج التوجهات، ولا يرتبط ذلك بالأفراد والشخصيات المؤثرة التي قد تكون لها توجهاتها الخاصة، ولكن يكون نتيجة قراءة جماعية ذات صبغة مؤسسية"[3].

يؤكد أبو مسامح مقولة الاضطرار في علاقة حماس بإيران، لكن ذلك لا يلغي وجود توجه عام داخل الحركة يرى ضرورة العلاقة بإيران وأهميتها،

---

(1) المصدر السابق.

(2) الشيخ سيد ابو مسامح: فلسطيني مواليد فلسطين- 1947، خريج الجامعة الإسلامية المدينة المنورة - كلية الدعوة وأصول الدين، من قيادات حركة المقاومة الإسلامية حماس الأوائل. رئيس تحرير جريدة الوطن وهي أول جريدة للحركة الإسلامية في عهد السلطة الوطنية الفلسطينية. رئيس مكتب الشيخ أحمد ياسين بعد تحرره. عضو المجلس التشريعي الفلسطيني - كتلة الإصلاح والتغيير. عضو المنتدى العالمي للبرلمانيين الإسلاميين وعضو اللجنة التنفيذية لرابطة برلمانيون من اجل القدس.

(3) من مقابلة للباحثة مع الشيخ أبو مسامح.

وهي علاقة لا تقوم على التبعية، وعندما استؤنفت كان ذلك بقرار مؤسسي من حماس، وليس إملاء من الجناح العسكري"[1].

وفــي مارس/ آذار 2016، عقد قــادة الحركة اجتماعًا حضره عماد العلمي والشيخ الشهيد صالح العاروري رحمه الله، وبعد نقاش مستفيض وتقليب الأمر على وجوهه كان القرار بضرورة استئناف العلاقات السياسية مع إيران، وأنه لا مانع من زيارتها لمعرفة رأيها[2].

لقــد كانت "مرحلــة ضغط هائل وكان جزء من القيادة لا يريد العلاقة مع إيــران، وجرت لقاءات مع الإعلام لم تخدم العلاقة، وهذه المرحلة بلا شــك أساءت إلى العلاقة. ورغم الصعوبات نجحت الكتلة المؤيدة للعلاقة في حسم الجدل وشكلت وفدًا زار إيران ولبنان سرًّا في نهاية 2016 [3]. في تلك الزيارة اتفق الطرفان على استئناف العلاقة السياسية ونسيان الماضي والبحث في أمور المســتقبل. ويمكن القول: إن العام 2016 هو العام الذي حُســمت فيه بصورة جلية قرارات الحركة فيما يتعلق بالعلاقة مع إيران وضرورة تعزيزها.

وفي ســبتمبر/ أيلول 2016، غادر إســماعيل هنية، وكان آنذاك نائبًا لرئيس المكتب السياسي، غزة وبقي ستة أشهر في الخارج، وكان ذلك فرصة للاستفاضة في مناقشة موضوع العلاقة بإيران.

ورغم السعي المشترك لرأب الصدع في العلاقة، كانت بعض التصريحات تخلط الأوراق، وتؤشــر على تغير موقف بعــض القيادات الإيرانية من العلاقة بحمــاس التي اتهمت بأنهــا انقلبت على مبادئها ومن أبرز تلك التصريحات ما جاء على لســان خسرو عروج، مستشــار القائد الأعلى للحرس الثوري، الذي اتهم الحركة بالســعي إلى التفاوض مع إسرائيل من خلال تركيا: "كنا نعتقد أن

(1) من المقابلة مع الشيخ أبو مسامح.

(2) من المقابلة مع د. خليل الحية.

(3) فــي تلــك الزيارة طلبت الحركــة 50 مليون دولار من إيران، فوافقت فورًا على الطلب. يقول الحية: "قالوا لنا: إن كان معكم من يســتطيع حمل المبلغ يمكن أن تأخذوه اليوم..، وبالفعل وصل المبلغ إلى غزة في غضون أشهر قليلة". من المقابلة مع الدكتور خليل الحية.

حركة حماس رفعت راية النضال والقتال لتدمير إسرائيل لكننا اليوم نرى كلامًا آخر وتفكيرًا مغايرًا لنهج الإمام الخميني الذي يرفض الجلوس مع الظالم حول طاولة واحدة"[1]. استدعت تصريحات عروج الذي اتهم حماس بتجاوز الخطوط الحمراء الإيرانية بيانًا رسميًّا من الحركة ومن الحرس الثوري كذلك.

استنكرت الحركة اتهامات عروج وقالت: إنها "افتراءات باطلة ولا أساس لها من الصحة". وذكَّرت "القاصي والداني ومنهم الحرس الثوري الإيراني بأن سياسة حماس الرسمية والفعلية هي عدم التفاوض مع العدو (إسرائيل)"[2].

أما بيان الحرس الثوري فقد أثنى على حماس ودورها وقال: "لا شك أن حركة المقاومة الإسلامية حماس، التي تلقى منها الكيان الصهيوني ضربة قاتلة وهزيمة مذلة في حروب تراوحت مدتها بين 22 يومًا و51 يومًا و8 أيام، تقف في طليعة مقاومة الشـعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني". وشدَّد البيان على أن الحرس الثوري يعلن مواقفه وآراءه في بيانات رسمية أو بواسطة قيادته العليا ومن خلال العلاقات العامة للمؤسسة، وما عدا ذلك من التعليقات الأخرى في مختلف القضايا، آراء شخصية"[3].

---

(1) فكـر مى‌كرديـم حمـاس پرچم مبارزه را بلنـد كرده‌اند اما حالا حرف‌هـاى ديگرى مى‌زنند "حماس" از خط قرمزهاى ايران عبور كرده است؟/انتقاد مشاور عالى فرمانده سپاه+توضيح روابط عمومى سـپاه (حماس" از خط قرمزهاى ايران عبور كرده اسـت؟/انتقاد مشاور عالى فرمانده سـپاه+ توضيح روابط عمومى سـپاه (كنا نظن أن حماس رفعت راية النضال، لكنهم الآن يقولون أشـياء مختلفة، هل تجاوزت "حماس" الخط الأحمر الإيراني؟/انتقادات لكبير مستشاري قائد الحرس الثوري + توضيح العلاقات العامة للحرس الثوري)، آفتاب نيوز، 21 تير 1395، (تاريخ الدخول: 23 أغسطس/آب 2023)، https://2u.pw/SgqgZta

(2) حماس تسـتنكر تصريحات لمستشـار الحرس الثوري الإيراني، الجزيرة نت، 10 يوليو/تموز 2016، (تاريخ الدخول: 23 أغسطس/آب 2023)، https://2u.pw/Luy3iT1

(3) فكـر مى‌كرديـم حمـاس پرچم مبارزه را بلنـد كرده‌اند اما حالا حرف‌هـاى ديگرى مى‌زنند "حماس" از خط قرمزهاى ايران عبور كرده است؟/انتقاد مشاور عالى فرمانده سپاه+توضيح روابط عمومى سـپاه (حماس" از خط قرمزهاى ايران عبور كرده اسـت؟/انتقاد مشاور عالى فرمانده سـپاه+ توضيح روابط عمومى سـپاه (كنا نظن أن حماس رفعت راية النضال، لكنهم الآن يقولون أشـياء مختلفة، هل تجاوزت "حماس" الخط الأحمر الإيراني؟/انتقادات لكبير مستشاري قائد الحرس الثوري + توضيح العلاقات العامة للحرس الثوري)، آفتاب نيوز، 21 تير 1395، (تاريخ الدخول: 23 أغسطس/آب 2023)، https://2u.pw/SgqgZta

أناخت تصريحات موسى أبو مرزوق المسربة عن إيران[1] بكلكلها على اجتماعات الحركة مع المسؤولين الإيرانيين وفق ما يكشف تقرير عن الزيارة التي جرت في فبراير/ شباط 2016[2].

كان برنامج زيارة الحركة إلى إيران من شقين: الأول مع وفد الفصائل الفلسطينية[3]، وتضمن البرنامج المشاركة في احتفال انتصار الثورة واجتماع الوفد مع اللواء قاسم سليماني ورئيس مجلس الشورى، علي لاريجاني، والأمين العام لمجلس الأمن القومي، علي شمخاني. أما الشق الثاني فتضمن لقاء خاصًّا للحركة مع اللواء قاسم سليماني ولقاءات عدة أهمها مع محمد سعيد يزدي الملقب بـ"الحاج رمضان"، ولقاء مع جمعية الدفاع عن الشعب الفلسطيني، فضلاً عن لقاءات إعلامية.

وفي لقاء الفصائل مع اللواء سليماني، أكد المتحدثون من الجانب الفلسطيني أهمية دور الجمهورية الإسلامية في دعم المقاومة في فلسطين ولبنان، ودعم الشعب الفلسطيني، حتى تحرير أرضه ووطنه. كما أكدوا أهمية تطوير وتحسين العلاقة مع حماس، ودعوا إيران إلى الاستمرار في دعم القضية الفلسطينية[4].

وقال سليماني: إن "ما يجمع إيران بالمقاومة في فلسطين هو المحبة والمشروع الإستراتيجي... وإن المقاومة في فلسطين هي أطهر مقاومة وأشرفها وأنبلها ولا تشوبها شائبة".

---

(1) في 2016، سُرِّبت مكالمة هاتفية لموسى أبو مرزوق، يهاجم فيها إيران ويتهمها بـ"الكذب"؛ إذ قال: "هؤلاء من أكثر الناس باطنية، وتلاعبًا بالأوصاف وحذرًا في السياسة"، "من العام 2009 ما وصل منهم أي شيء... كلامهم كذب وهراء".

(2) تقرير حول المشاركة في ذكرى انتصار الثورة، طهران (16-11 فبراير/شباط 2016)، محضر لاجتماعات حركة حماس مع المسؤولين الإيرانيين حصلت الباحثة على نسخة منه.

(3) تشكل وفد الفصائل الفلسطينية من: الجبهة الشعبية (القيادة العامة) ومثَّلها طلال ناجي، وحماس ومثلها أبو عمر محمد نصر وأسامة أبو حمدان وخالد القدومي، والجهاد الإسلامي ومثلها أبو طارق زياد نخالة وأبو محمد العجوري وناصر أبو شريف، وحركة فتح ومثلها عباس زكي، والجبهة الشعبية ومثلها أبو أحمد فؤاد، والجبهة الديمقراطية ومثلها فهد سليمان، وفتح الانتفاضة ومثلها أبو حازم، وجبهة النضال الشعبي ومثلها خالد عبد المجيد، والصاعقة ومثلها فرحان أبو الهيجاء.

(4) من محضر الاجتماع.

قسَّم قاسم سليماني حديثه على أربعة محاور قال: إنها تعبِّر عن موقف قائد الجمهورية الإسلامية والدولة والحكومة ومجلس الأمن القومي، وهي:

1-الموقف من القضية الفلسطينية بعد الاتفاق النووي:

موقف الجمهورية الإسلامية من فلسطين ثابت وراسخ قبل الاتفاق النووي وهو ذاته بعد الاتفاق النووي لا تغيير فيه وإن إيران ماضية في دعمها لفلسطين. وأكد أن المفاوضات مع الغرب كانت حول الاتفاق النووي فحسب، ولم تبرم أي صفقات أخرى، وأن وزير الخارجية، ظريف، "كانت له مهمة محددة وواضحة وهي الاتفاق النووي ولم يفوض لبحث أي موضوع آخر، رغم كل المحاولات الأميركية.. حتى العلاقات الثنائية رفضنا نقاشها مع الأميركيين. فرغم احتياجاتنا وضروراتنا لم نفتح معهم أي موضوع"[1].

وجدَّد سليماني التزام بلاده بدعم القضية الفلسطينية: "حتى لو ضاعفوا الضغوط والحصار علينا عشرات الأضعاف، فإننا لن نقدم أي تنازل في قضية فلسطين، لهذا ترون الكونغرس مصرًّا على موقفه ضد إيران باعتبارها داعمة للإرهاب وفلسطين". وزاد سليماني: البعض كما تعلمون يقول إننا ندعم فلسطين بسبب مصالحنا. هذا لم يكن صحيحًا منذ بداية الثورة، وليس صحيحًا الآن، فنحن غير مستعدين للتفاوض أو التفاهم مع أميركا أو غيرها على المسألة الفلسطينية. وأود أن تبلغوا إخوانكم، أن دعمنا لفلسطين سيستمر؛ لأن هذا موقف مبدئي أصولي عقائدي عندنا، هذا الموقف هو علاقة بيننا وبين الله.

وأوضح سليماني أن الدعم قد يتراجع في بعض الأوقات بسبب الظروف التي تمر بها إيران، والأوضاع الاقتصادية، وليس بسبب تغير في الموقف السياسي تجاه فلسطين فـ"لا تغير في الأصول وستظل فلسطين عند إيران عقيدة".

2- الفتنة في المنطقة:

وأكد سليماني أن المنطقة تشهد فتنة، والبعض حاول أن يجعلها فتنة بين السنة والشيعة، وأن أعداء الأمة يريدون أن يستغلوا هذا الحال لحرف البوصلة عن المواجهة مع العدو الصهيوني في فلسطين إلى الفتنة داخل الأمة.

3- دول المنطقة والتطبيع مع إسرائيل:

تتلخص رؤية إيران لهذه القضية في أن هناك سباقًا في المنطقة لتطبيع العلاقة مع الكيان الصهيوني، وهذا الأمر يراد منه التأثير على المقاومة الفلسطينية

---

(1) من محضر الاجتماع.

وأن تصبح متجاوزة. وما يخشاه العدو هو ترسيخ القناعة لدى الشعوب بأنه لا يمكن التوصل إلى أي إنجاز إلا عبر المقاومة.

وهنـا يأتـي دور حركات المقاومة الفلسـطينية بأن تنقـل هذه الروح إلى الشـعوب والحكومـات لحفظ البوصلة وإبقاء الأمة فـي مربع المقاومة، ومنع المتسابقين من التآمر على المقاومة.

4- ضرورة أن تكون علاقات الفصائل مع العالم الإسلامي والعربي جيدة مع الجميع:

حذَّر سليماني الفصائل الفلسطينية من التورط مع طرف ضد آخر في الخلافات التي تشهدها المنطقة، وأن تقف مع مكون وتفقد مكونًا آخر في العالم الإسلامي. وأكد أنه على مدى 37 سنة من عمر الثورة "لم تطلب إيران منكم أبدًا أن تكونوا مع أحد ضد أحد.. قد يكون لدينا أحيانًا رأي أو معلومات أو تحليل نساعدكم به، إلا أننا لم نشترط عليكم أبدًا، وهذا الأمر مهم جدًّا لفلسطين، وغير هذا يخالف إستراتيجيتنا تجاه فلسطين"، وتساءل قاسم سليماني: "هل بدا منَّا خطأ أو كذب أو رياء أو طلبنا منكم أو اشترطنا عليكم شيئًا خلاف ما نعلن من مواقف"[1].

وتعليقًا على ما صدر من موسى أبو مرزوق، قال سليماني: إيران لم تكذب ولن تكذب؛ أرسـلنا عددًا كبيرًا من السـفن المحملة بالسلاح للمقاومة صودر بعضها، ولم ولن نترككم، كلما وصلنا إلى تقنية أو إمكانيات سننقلها لكم، لم نبخل عليكم بشـيء، ولن نبخل بشـيء، ولم نمن بأن هذا فضل منَّا، الشـعب الفلسطيني شعب مسلم مستضعف يستحق الدعم، وما نقوم به واجبنا، ومن لم يدعم هذا الشـعب يسـتحق عذاب الله في النار. وذمُّنا لن يؤثر في موقفنا هذا، الله شاهد وهو يحكم، ومن يقول غير ذلك ويشكك فينا عليه أن يتذكر أن الله يرى "ألم يعلم بأن الله يرى"[2].

وأكد سليماني أن بلاده ليست ضد أن تدعم الدول الإسلامية المقاومة، فهي تُقبِّل يد كل من يقف مع فلسـطين من الدول الإسلامية، وتمنَّى على الفصائل

(1) من محضر اجتماع الفصائل الفلسطينية مع اللواء سليماني.

(2) المرجع السابق.

الفلسطينية أن لا تتدخل في الخلافات العابرة في المنطقة موضحًا: مشاكلنا مع السعودية ستنتهي، وسيخسر من يصطف هنا أو هناك[1].

أما علي لاريجاني، رئيس مجلس الشورى الإيراني، الذي عبَّر عن سعادته بوجود حماس في طهران، فتحدث عن مكانة القضية الفلسطينية لدى إيران وقال إنها محورية والدفاع عنها وعن الشعب الفلسطيني مسألة مبدئية. وأوضح أنه على الرغم من التنوع في التيارات، ولكن لا خلاف على فلسطين خاصة في مؤسسة القائد الأعلى؛ فرأيه راسخ وواضح من قضية فلسطين إذ يرى أنها قضية عقائدية.

وعرَّج لاريجاني في كلمته على الأوضاع الإقليمية وقال: يجب أن نعترف أن ظروف المنطقة صعبة، وكل المؤامرات في المنطقة هدفها صرف الأنظار عن قضية فلسطين، وأن البعض انتهى خطأ في تحليله لأوضاع المنطقة إلى أن هذه معركة سنية-شيعية، وتمترس خلف الخلاف السني-الشيعي، وهذه كذبة استعمارية للتفريق بين الأمة الإسلامية. فمشكلتنا ليست سنة وشيعة؛ فالشعب الفلسطيني سني ونحن ندعمه منذ سبع وثلاثين سنة، لكن المغرضين يسعون إلى صناعة الأزمة والتمترس خلفها.

وأكد دعم بلاده الفصائل الفلسطينية وقال: أوصينا في مجلس الشورى بتقديم الدعم لأسر شهداء الانتفاضة وإعادة إعمار البيوت المهدمة في فلسطين.

وركز شمخاني في لقائه مع الفصائل على أن موقف إيران ليس موقفًا مصلحيًّا تجاه فلسطين، بل هو عقيدة ونصرة للمستضعفين، وقال: إن هذا الموقف منذ عقود وسيستمر اليوم وغدًا، ولا يمكن أن تتنازل الجمهورية الإسلامية عن فلسطين، وقد دفعت أثمانًا من أجل هذه القضية.

وردًّا على القائلين: إن الاتفاق النووي سيبعد إيران عن فلسطين، قال شمخاني: "هذا غير صحيح؛ الاتفاق النووي لا علاقة له بفلسطين فهو اتفاق فني، وأما الموقف من فلسطين فهو إستراتيجي"[2].

---

(1) المرجع السابق.

(2) من محضر الاجتماع.

اللقاء الخاص بين حماس وفيلق القدس

وفي اللقاء الخاص بين اللواء سـليماني ووفد حماس كان ما تسـرب من مكالمة موسى أبو مرزوق، عنوانًا أساسيًّا للاجتماع.

بادر سـليماني الوفد بالقول: ما الذي يجري يا إخوة؟ أنا متعجب من د. موسى؛ فموقفه متطرف جدًّا ولا نعرف لماذا فعل ما فعل! نحن لم نقصر معكم. سـمعتم كلامي في اللقاء مع الفصائل، وكنت أقصد ما قلت، كيف يقول هذا الكلام؟ "ألم يعلم بأن الله يرى"[1].

كان من الواضح في لهجة سليماني أن حديث أبو مرزوق المشكك بصدق الإيرانيين قد أحدث تأثيرات سلبية داخل إيران، وبدا الرجل حازمًا في حديثه: يجب أن تعرف القيادات ما تقوله وما تأثيراته وتداعياته.

كل مرة نقابلكم وتتحدثون عن أفكار ومبادرات، ونحن نرحب ونوافق ثم ما هي النتيجة؟ الأمور تزداد سوءًا.

ويكشـف محضر الاجتماع عن لقاء جرى بين سـليماني وخالد مشـعل؛ إذ قـال سـليماني مخاطبًا محمـد نصر: التقيت أبو الوليد فـي تركيا بناءً على طلبك وإلحاحك، وقمتم بزيارتنا مرات عدة، وكل مرة تخرج تصريحات.. هذا الموقف غير مقبول، وهو شأنكم، لابد من ضبط هذه المسألة من طرفكم، هذه مسؤوليتكم.

وتحدث سـليماني عن الآثار السـلبية للتصريحات: الكلام الذي قاله د. موسـى تابعه الملايين على الإنترنت وفـي كل أنحاء العالم الإسلامي وداخل إيـران تابعتـه كل القيـادات، وهذا يؤثر، يؤثر عندنا وعند الشـعب، وليس في مصلحتكم ويفرح إسرائيل[2].

من جانبه، تحدث محمد نصر عن موقف الحركة بالقول: كنا نرغب أن نبدأ الاجتماع بالموضوع السياسـي، فهذه المرحلة التي تعيشها المنطقة لها طبيعتها وظروفها ولها إفرازاتها، وعلينا أن نعبرها بأي شكل.

---

(1) من محضر الاجتماع.

(2) من محضر الاجتماع.

وأكد موقف الحركة بالقول: نحن ما زلنا على موقفنا وحرصنا على علاقة قوية مع الجمهورية الإسلامية، ولا ننسى فضلكم ودعمكم.

وقال: إن التسجيل جزء مقتطع من مكالمة مسربة وليس تصريحًا صحفيًّا، وسرَّبته أجهزة أمنية بهدف ضرب العلاقة بين الحركة وإيران، ويجب ألا نسمح لهم بتحقيق أهدافهم وتعطيل العلاقة أو إرباكها.

وشـــدَّد نصر على ألا أحد ينكر ما قدمته إيران للمقاومة ولحماس بشـــكل خاص، وأن الحركة ســـتعالج الأمر من طرفها وأن وجودها في طهران هو في الأساس لهذه الغاية، ولكن مطلوب من إيران كذلك أن تعالج الأمر من جانبها.

فبادره سليماني بالقول: قُلْ لي كيف؟

رأى نصر أن حماس وإيران يجب أن تعملا سويًّا لمعالجة هذا الأمر، ومنع أي تأثيرات سلبية له على العلاقة، وعلى دور إيران في دعم المقاومة، وسنتابع ذلك مع الحاج رمضان.

وفصَّل نصر في الموضوع السياسي، وجعل مداخلته في نقاط أهمها[1]:

- المنطقة تمر بظروف صعبة وقاسية.
- ذروة الأزمة في المنطقة لم تحصل بعد، وعلينا جميعًا أن ننتظر الأسوأ.
- ستكون التقلبات الإقليمية المقبلة صعبة على الجميع.
- إسرائيل تظن أنها تستطيع أن تحقق كل أهدافها في فلسطين وفي المنطقة في ظل اســـتنزاف الأمة؛ من اســـتيلاء على القدس وتوسيع للاستيطان، وإسقاط حق اللاجئين.
- الأميركيون يعتقدون أنهم يستطيعون إعادة رسم خارطة المنطقة ويسعون إلى المعركة ضد المقاومة والإســـلام السياســـي ليس في العالم العربي فحسب، إنما في المنطقة كلها ونحن وأنتم مستهدفون.
- نحن محتاجون في ظل ما يجري لبعضنا البعض بشكل أكبر في الأيام والمرحلة المقبلة وأكثر من أي وقت مضى.
- الأمر يحتاج إلى حديث موسع ومفصل لبناء رؤية مشتركة.

أظهر سليماني موافقته على القراءة التي قدمها نصر، وختم اللقاء مع الحركة

---

(1) من محضر الاجتماع.

بالقول: نحن جاهزون عندما تكونون جاهزين.. عليكم مسـؤولية، ولكم احترام فلا تضيعوه بمواقف مثل الذي حدث.

وعلى غرار اللقاء مع سليماني، كان ما صدر من موسى أبو مرزوق محور اللقاء مع "الحاج رمضان"، فضلاً عن التطورات السياسـية في المنطقة وتأثيرها على القضية الفلسـطينية والمقاومة. وخلال اللقاء قدمت حركة حماس خلاصة موقفها من مكالمة أبو مرزوق المسربة على النحو الآتي:

- هذه ليست تصريحات وإنما مكالمة مسربة، وهناك فرق بين التصريحات والتسريبات، ويقف وراء تسريبها أجهزة أمنية تسعى إلى تحقيق هدفين، هما: محاولة إظهار أن ما ورد في المكالمة هو موقف حماس من إيران، وهي الحركة العليمة بإيران، ولضرب العلاقة بينهما.
- يجـب ألا نتصـرف برد فعل يحقق أهدافهم، بل علينا أن نفشـل هذه الأهداف.
- إن وجود الحركة في طهران وعقد عدد كبير من المقابلات والفعاليات الإعلامية هو بهدف إرسال رسالة بأن ما ورد في التسريب لا يعبِّر عن موقف الحركة من إيران، وأن موقفها على عكس ذلك تمامًا[1].
- ما بيننا في ميدان المقاومة هو أكبر من أي حادث، ونحن نعلم موقفكم مـن المقاومة ودعمها، فهو موقف مبني على أسـس وقناعات معروفة لدينـا. بإمكاننا معًا أن نتجاوز ما حدث، ونحن جاهزون لمعالجة ذلك وآثاره.
- وكـرر الحاج رمضـان طوال أيام الزيارة ما قال إنه يمثل موقف القيادة الإيرانية:
- هذه المكالمة ليست تصريحًا، وهنا الخطورة، فالأخ يتكلم بكل أريحية، ويعبِّر عن موقفه الحقيقي، فهل فعلاً إيران كما وصفها د. موسى؟
- ما قام به د. موسـى ليس خطأ يمكن الاعتذار عنه أو سـقطة لسـان، وليسـت مسـألة لها علاقة بإيران أو بالحرس، بل ما قام به هو تجاوز لكل الخطوط الحمراء؛ لأنه تحدث ضد كل الشيعة، ودخل في قضايا شرعية، يتهمنا بأننا باطنيون، يتهمنا في ديننا وعقيدتنا.

---

(1) من محضر الاجتماع.

- مشوارنا طويل، ولا يمكن أن تستمر علاقاتنا بهذه الطريقة.
- يبدو أننا أخطأنا في طريقة التعامل مع د. موسى ولكننا قبلنا وساطتكم.
- – فيما يتعلق بالمقاومة سيستمر دعمنا للقسام دون أن نتأثر بما حدث، وهو ينسجم مع قولكم بعدم السماح للمكالمة بتحقيق أهداف من سرَّبها.

لم تشترط الحركة في الخارج شيئًا، ولكن قالت إنه لابد من معالجة ما حدث بطريقة أو بأخرى[1].

وبعد سلسلة من اللقاءات والاجتماعات بدأت العلاقة تعود إلى مسارها الطبيعي، ولم يعد الموضوع السوري موضوعًا ضاغطًا أو أساسيًّا في العلاقة بين إيران وحماس، وإن كان الجانب الإيراني أبدى رغبة في أن تتحسن علاقة الحركة بسوريا[2].

ورغم السعي المشترك لرأب الصدع، فقد صدرت تصريحات إيرانية تتهم الحركة بأنها انقلبت على مبادئها. ومن أبرز تلك التصريحات ما جاء على لسان خسرو عروج، مستشار القائد الأعلى للحرس الثوري، الذي اتهم الحركة بالسعي إلى التفاوض مع إسرائيل من خلال تركيا: "كنا نعتقد أن حركة حماس رفعت راية النضال والقتال لتدمير إسرائيل لكننا اليوم نرى كلامًا آخر وتفكيرًا مغايرًا لنهج الإمام الخميني الذي يرفض الجلوس مع الظالم حول طاولة واحدة"[3].

استدعت تصريحات عروج بيانًا رسميًّا من الحركة ومن الحرس الثوري كذلك؛ فقد استنكرت الحركة اتهامات عروج وقالت: إنها "افتراءات باطلة

---

(1) من محضر الاجتماع.

(2) من المقابلة مع حمدان.

(3) فكر مى‌كرديم حماس پرچم مبارزه را بلند كرده‌اند اما حالا حرف‌هاى ديگرى مى‌زنند "حماس" از خط قرمزهاى ايران عبور كرده است؟/انتقاد مشاور عالى فرمانده سپاه+توضيح روابط عمومى سپاه (حماس" از خط قرمزهاى ايران عبور كرده است؟/انتقاد مشاور عالى فرمانده سپاه+ توضيح روابط عمومى سپاه (كنا نظن أن حماس رفعت راية النضال، لكنهم الآن يقولون أشياء مختلفة، هل تجاوزت "حماس" الخط الأحمر الإيراني؟/انتقادات لكبير مستشاري قائد الحرس الثوري + توضيح العلاقات العامة للحرس الثوري)، آفتاب نيوز، 21 تير 1395، (تاريخ الدخول: 23 أغسطس/آب 2023)، https://2u.pw/SgqgZta

ولا أساس لها من الصحة"، وذكَّرت "القاصي والداني، ومنهم الحرس الثوري الإيراني، أن سياسة حماس الرسمية والفعلية هي عدم التفاوض مع العدو (إسرائيل)"[(1)].

أما بيان الحرس الثوري فقد أثنى على حماس ودورها، وقال: "لا شك أن حركة المقاومة الإسلامية حماس، التي تلقى منها الكيان الصهيوني ضربة قاتلة وهزيمة مذلة في حروب تراوحت مدتها بين 22 يومًا و51 يومًا و8 أيام، تقف في طليعة مقاومة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني". وشدَّد البيان على أن الحرس الثوري يعلن مواقفه وآراءه في بيانات رسمية أو بواسطة قيادته العليا ومن خلال العلاقات العامة للمؤسسة، وما عدا ذلك من التعليقات الأخرى في مختلف القضايا، آراء شخصية"[(2)].

بدأت العلاقة تستعيد عافيتها فعليًّا مع مطلع 2017، لكن واجهتها إشكالات؛ منها موضوع ضابط الاتصال؛ فقد تحفظ الإيرانيون على عزت الرشق الذي خلف موسى أبو مرزوق في إدارة مكتب العلاقات العربية والإسلامية في السنة المذكورة؛ لأنهم حسبوه على إقليم الخارج[(3)].

في 2017، أشرف الربيع العربي على نهايته، وظهرت آثار الأزمة السورية بوضوح، نضج توجه عند قيادة حماس في الداخل والضفة الغربية، مفاده السير في مسارات واضحة لتوثيق العلاقة مع إيران وحزب الله ووضع موضوع سوريا على طاولة البحث، ومناقشة كيف يمكن إعادة العلاقة معها. لم تكن

---

(1) حماس تستنكر تصريحات لمستشار الحرس الثوري الإيراني، الجزيرة نت، 10 يوليو/تموز 2016، (تاريخ الدخول: 23 أغسطس/آب 2023)، https://2u.pw/Luy3iT1

(2) فكر می‌کردیم حماس پرچم مبارزه را بلند کرده‌اند اما حالا حرف‌های دیگری می‌زنند "حماس" از خط قرمزهای ایران عبور کرده است؟/انتقاد مشاور عالی فرمانده سپاه+توضیح روابط عمومی سپاه (حماس" از خط قرمزهای ایران عبور کرده است؟/انتقاد مشاور عالی فرمانده سپاه+ توضیح روابط عمومی سپاه (كنا نظن أن حماس رفعت راية النضال، لكنهم الآن يقولون أشياء مختلفة، هل تجاوزت "حماس" الخط الأحمر الإيراني؟/انتقادات لكبير مستشاري قائد الحرس الثوري + توضيح العلاقات العامة للحرس الثوري)، آفتاب نيوز، 21 تير 1395، (تاريخ الدخول: 23 أغسطس/آب 2023)، https://2u.pw/SgqgZta

(3) من المقابلة مع خليل الحية.

حمـــاس الداخل راضية منذ البداية عن قرار الخروج من ســوريا، ومع ما آلت إليه الأوضاع في ســوريا والمنطقة أصبــح موضوعا العلاقة بإيران والعودة إلى سوريا في مقدمة اهتمامات حماس الداخل والضفة الغربية، وكان النقاش يوصي بضرورة وضعهما على الطاولة واختيار الطرق المناســبة لإجراء حوارات هادئة بشأنهما داخل صفوف الحركة[1].

تطورت العلاقة مع إيران بوتيرة جيدة، بفضل الجهد الكبير للشــيخ صالح العــاروري، الــذي كان من المتحفظيــن على العلاقة بإيران فأصبح من أشــد المتحمســين لها والمدافعين عنها. وقد ناب العاروري عن إســماعيل هنية مدة سنتين في لقاءات واجتماعات عُقدت مع حزب الله وإيران، وقابل القائد الأعلى في إيران، والأمين العام لحزب الله فضلاً عن قيادات من مستويات عليا.

وثيقة المبادئ ومهاجمة مشعل

رغــم بدء تحســن علاقات إيران وحماس، هاجمــت صحيفة "جمهوري إسلامي" خالد مشــعل، فــي 2017، بعد أن أصدرت الحركــة "وثيقة المبادئ والسياســات العامة للحركة"، ورأت الصحيفة في الوثيقة تعبيرًا عن أفكار خالد مشــعل وتوجهاته، وأنها شــكَّلت أساس وثيقة حماس. ومما قالته الصحيفة في افتتاحيتهــا: "إن إزالة الدعوة الصريحــة إلى تدمير الكيان الصهيوني هي علامة على تراجع حماس عن المواقف السابقة؛ الأمر الذي ينبئ بالتأثير المباشر وغير المباشر لإملاءات الوسطاء والدور الحاسم لأنظمة النفط العربية"[2]؛ وذلك في إشــارة إلى ما تضمنته الوثيقة من أن إقامة دولة فلســطينية مســتقلة وعاصمتها القدس، على خطوط الرابع من يونيو/ حزيران 1967، هي "صيغة توافقية وطنية مشتركة"[3].

---

(1) من المقابلة مع خليل الحية.

(2) با به رســميت شــناختن مرزهاى جعلي إســرائيل، حماس از ارمان فلســطين فاصله گرفت (باعترافهــا بالحــدود المزورة لإســرائيل حماس تبتعد عــن القضية الفلســطينية)، صحيفة "جمهوري إسلامي)، 14 ارديبهشت 1396، العدد 10861، ص 1.

(3) الجزيرة نت، مصدر سابق.

انزعجت إيران من الوثيقة السياسية لحركة حماس، وهذا ما عبَّر عنه القيادي في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي: "نحن حساسون من أي شي تفوح منه رائحة أوسلو ورائحة الدولتين ورائحة التنازل عن شبر واحد من فلسطين... وتضع الإخوة في المقاومة بجانب السلطة، والسلطة هي نتيجة مقترح الدولتين ونحن لن نقبل بالتخلي عن سنتيمتر واحد من أرض فلسطين. وسياستنا هذه تسري على كافة الفصائل الفلسطينية. ومن هنا جاء موقفنا من الوثيقة السياسية، والإخوة في المقاومة الفلسطينية يعرفون أن شروطنا للعلاقة عدم التخلي عن شبر واحد من فلسطين"[1].

يرى خليل الحية في كلام أبطحي تقديرًا غير صحيح؛ فالوثيقة هي وثيقة الحركة كُتبت بمشاركة جميع فروعها، وكتبت أحرفها الأولى في غزة، في 2013، وأقرها مجلس شورى الحركة العام، الذي يشمل الجميع بما في ذلك غزة، في 2017، بعد خمس سنوات من النقاشات والحوارات والكل، في الداخل والخارج، راض عما جاء فيها .[2]وما يؤكد أن الوثيقة، وثيقة الحركة وليست وثيقة شخص بعينه هو أن الحركة ما زالت تتبناها رغم تغيير القيادة.

ويستدرك الحية: "صحيح أن بعض القيادات تتحفظ على البند المتعلق بالدولة الفلسطينية على حدود 67، لكن الوثيقة تتحدث عن ذلك في إطار اتفاق وطني ولولا ذلك ما جلسنا معًا في جلسة واحدة في الداخل والخارج وأعلنَّا تبنيها. ونحن في حركة لا يصبح لقراراتها وزن إن لم تحظ بموافقة الداخل صاحب الثقل الأكبر"[3].

ويستطرد الحية: لا يستطيع أحد أن يأخذ الحركة بعيدًا عن مبادئها، صحيح أنه في مرحلة من المراحل حدثت لقاءات مع توني بلير وغيره، لكن أوقفنا ذلك، لقد كانت لديهم آمال لم تلق منَّا استجابة[4].

---

(1) من المقابلة مع أبطحي.

(2) من المقابلة مع الدكتور خليل الحية.

(3) من المقابلة مع الحية.

(4) من المقابلة مع الحية.

يشـــرح عبد اللهيان موقف إيران من وثيقة حماس السياســـية بالقول: منذ بـــدء الأزمـــة الفلســـطينية وحتى الآن قُدِّم أكثر من مئة مشـــروع ونيف بين كبير وصغير لحل هذه القضية وكلها آلت إلى الفشل؛ لأن الماهية الصهيونية الطاغية والتوســـعية تتناقض مع أي حل لهذه القضية، كما أن الخصائص التي تتميز بها أي حركة مقاومة مثل حماس وباقي الحركات المقاومة يجعلها ترفض أي تنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني المستحقة[1].

ويعتقد عبد اللهيان أن المحتل لأرض فلسطين، الكيان الصهيوني اللقيط، لا يفهم ســـوى لغة القوة والمقاومة، ورغم كل ذلك فإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية قدمت للأمم المتحدة مشروعًا سياسيًّا ديمقراطيًّا لحل هذه المشكلة[2]، وتم تســـجيله رســـميًّا، في الأول من نوفمبر/ تشـــرين الثاني 2019، تحت الرقم (112284)[3]، يتضمـــن إجراء اســـتفتاء لجميع ســـكان فلســـطين الأصليين من مســـيحيين ومســـلمين ويهود والالتزام بنتيجة الاستفتاء. فموقفنا يتضمن تأسيس دولة فلســـطينية موحدة في كل أرض فلســـطين التاريخية والأصلية وعاصمتها القدس الشريف[4].

ويوضـــح كتاب "فلســـطين في مواقف آية الله العظمـــى الإمام الخامنئي" الصـــادر بلغـــات عدة منها العربية، هـــذا المقترح بالقول: يتعين على الشـــعب الفلســـطيني؛ على كل من تعد فلســـطين مِلْكًا له وبلاده التاريخية مما يشـــهد به التاريخ والجغرافيا، من مســـلمين ومســـيحيين ويهود، يتعين عليهم أن يدلوا بأصواتهم لتعيين حكومتهم من خلال اســـتفتاء شـــعبي عـــام يجري أمام أنظار العالم بأســـره، وســـتتمتع هذه الحكومة بحق محاكمة المجرمين الذين ارتكبوا جرائم بحق الشـــعب الفلسطيني، وسيكون لهذه الحكومة الحق في تقرير مصير من جاؤوا إلى فلســـطين من بلدان شـــتى مع الاحتلال... ويتضمن المقترح حق

(1) من المقابلة مع عبد اللهيان.

(2) من المقابلة مع عبد اللهيان.

(3) - النص الكامل لـ"خطة إجراء استفتاء شعبي في الأراضي الفلسطينية"، فارس نيوز، 7 مايو/ أيار 2021، (تاريخ الدخول: 7 نوفمبر/تشرين الثاني 2023)، https://2u.pw/nhFjbsC

(4) من المقابلة مع عبد اللهيان.

اللاجئين الفلسطينيين في الخارج في المشاركة في الاستفتاء وما يضمن حق عودتهم[1].

مجلس شورى جديد والفريق المدافع عن العلاقة مع إيران يتقدم

في مايو/ أيار 2017، انتخب مجلس الشورى العام الجديد لحركة حماس إسماعيل هنية رئيسًا للمكتب السياسي، والشيخ صالح العاروري نائبًا لرئيس الحركة. وربطت تحليلات انتخاب رئيس المكتب السياسي من غزة بقرار تعزيز العلاقة مع طهران، وزعم البعض أن ذلك كان شرطًا إيرانيًّا للعودة بالعلاقات إلى سابق عهدها، وهو ما نفاه الجانب الإيراني الذي قال إنها انتخابات داخلية لا علاقة له بها، وإن إيران تحترم أي قرار لحماس، حتى قرار خروجها من سوريا.

لقد اتخذت حركة المقاومة الإسلامية قرارها الإستراتيجي بوصل ما انقطع بينها وبين الجمهورية الإسلامية بناء على عوامل عدة، منها نتيجة انتخابات هيئات حماس القيادية التي أسفرت عن سيطرة ممثلي الجناح العسكري "كتائب عز الدين القسام" على مؤسسات الحركة في قطاع غزة؛ فالعلاقة مع إيران عند هؤلاء، وعلى رأسهم قائد حماس في غزة، يحيى السنوار، مطلب إستراتيجي لتطوير بنية الحركة العسكرية وتدريب عناصرها؛ وهذا ما يجعلهم أقل تأثرًا بـ"تعاظم مظاهر الاصطفاف المذهبي والصدع السني الشيعي"[2].

لقد أدركت حماس أنها ملزمة باستئناف العلاقة مع إيران لتحسين مكانتها الإقليمية التي تراجعت بشكل كبير في أعقاب انقلاب عبد الفتاح السيسي على الرئيس المصري المنتخب، محمد مرسي، والمأزق الذي وقعت فيه حركة الإخوان المسلمين في مصر والمنطقة عمومًا. فلم تواجه حماس بعد انقلاب السيسي العزلة والحصار فحسب، بل تضررت كثيرًا من الشراكة بين النظام الجديد في القاهرة وإسرائيل، التي تجلَّت بشكل واضح خلال حرب

---

(1) – فلسطين في مواقف آية الله العظمى الإمام الخامنئي (مدَّ ظلَّه)، منشورات الثورة الإسلامية (طهران، 2017)، ط 1، ص 450–443.

(2) صالح النعامي، العلاقة مع إيران من منظور حركة حماس، مركز الجزيرة للدراسات، 20 نوفمبر/تشرين الثاني 2017، (تاريخ الدخول: 3 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://studies.aljazeera.net/en/node/4233#a14

صيف 2014 [1]. فضلاً عن متانة العلاقة وعرى الشــراكة بين مصر وإســرائيل فــي الحرب على حماس، التي تقوم على التنســيق الأمني والسياســي وتبادل المعلومات الاستخبارية[2].

لم يفلح التقارب الكبير بين حماس وكل من قطر وتركيا في ســد الفراغ الذي أحدثه توتر علاقة حماس بإيران؛ فالمساعدات الضخمة التي قدمتها قطر وتركيا استهدفت بشكل أساس القطاعات المدنية في قطاع غزة، في حين ظلت الحركــة فــي حاجة إلى الدعم المادي اللازم لضمان تعاظم قوتها العســكرية؛ لاسيما في ظل إدراك حماس أن المواجهة العسكرية مع الاحتلال ستتواصل.

التزمت تركيا، من بين ما التزمت به في صفقة المصالحة مع إسرائيل، بطرد بعــض قيــادات حماس، فلم يجد من أخرجتهم تركيا إلا الملاذ الذي وفره لهم حــزب الله فــي لبنان، وهكذا تغيرت مواقف من كانوا داخل حماس يتحفظون على استئناف العلاقة مع إيران وحزب الله.[3]

كان للأزمــة الخليجيــة دور مركزي في دفع حماس إلى إحياء علاقتها مع إيران بعد أن تبيَّن للحركة أن أحد أهم أســباب تلك الأزمة ســعي الدول التي فرضت الحصار على قطر، إلى دفع الدوحة لقطع علاقتها مع حركة حماس[4]، وضغطوا على قطر لتحقيق ذلك .[5]فكان على الحركة أن تتحسب من أن يتأثر الموقف القطري بالأزمة الخليجية[6].

---

(1) النعامي، المرجع السابق.

(2) يؤكد صالح النعامي أن تقديرات "مركز أبحاث الأمن القومي" الإســرائيلي على أن الشــراكة الإسرائيلية-المصرية في الحرب على حماس تتواصل وتعد أهم ركائز العلاقة بين الجانبين. انظر: شفايتســر، يورام، فنتور، عوفر، "مواجهة مصر للإرهاب في ســيناء: حلف مع القبائل وشراكة مع إسرائيل"، مباط عال، (عدد 937، يونيو/حزيران 2017)، ص 12-15.

(3) النعامي: المرجع السابق.

(4) الجبيــر: على قطــر التوقف عن دعم حماس والإخوان، الجزيرة نت، 6 يونيو/حزيران 2017، (تاريخ الدخول: 3 ديسمبر/كانون الأول 2017)، https://bit.ly/3VrETHB

(5) أكدت قيادات في الحركة خلال جلسة مغلقة، عُقدت في مركز الجزيرة للدراسات، في ديسمبر/ كانون الأول 2019، أن قيادات قطرية أبلغتها بوجود هذه الضغوط.

(6) النعامي، مرجع سابق.

لقد أسـهم في عودة الميـاه إلى مجاريها إدراك إيـران أهمية العلاقة مع الحركة وحرصها على اسـتمرارها؛ فإيران في حالة مواجهة مع إسرائيل ومعنية بدعم وإسناد أي حركة تتولى إشغال تل أبيب[1].

وخلاصـة الأمـر أن الأزمة بين حماس وإيران اسـتمرت عقدًا من الزمان ومرَّت بأربع مراحل:

المرحلة الأولى اسـتمرت سـنة واحدة من 2011 إلـى 2012 ويمكن أن نسميها "إنكار الأزمة" أو "تجاهل الأزمة"؛ إذ كانت التصريحات التي تُنشر في وسائل الإعلام مختلفة عما يجري على أرض الواقع. يقول خالد القدومي، ممثل حمـاس في طهران، عن هـذه المرحلة: إن المقاومة خاضت، في 2012، حربًا كان الأداء الإيراني فيها خجولاً، لكن تلك المواجهة أشـعرت الإيرانيين بجدية حمـاس في مواجهة العـدو الصهيوني؛ فقد كان الأداء المقاوم في غزة بطوليًّا. لكن الإيرانيين لم يتخلفوا عن دعم المقاومة يومًا واحدًا، يستدرك القدومي، وإن كانوا عبَّروا عن غضبهم بشكل مؤدب، بأن يؤجلوا المساعدات[2].

أمـا المرحلة الثانيـة فامتدت من 2012 إلـى 2014، وهي مرحلة الإقرار بوجـود أزمة فـي العلاقة وتفهمت أطراف العلاقـة المنطلقات التي قادت إلى القرارات السياسية التي اتُّخذت؛ وقد شكَّل ذلك منطلقًا قاد إلى المرحلة الثالثة في العلاقة[3]؛ وذلك بعد أن أبلت المقاومة، في 2014، بلاء حسنًا في مواجهة[4] الكيان الصهيوني، فكانت بداية عودة العلاقة إلى سابق عهدها.

شـهدت المرحلة الثالثة، مـن 2015 إلى 2021، وهي مرحلة حل الأزمة، نقاشات ووساطات[5] وصدرت قرارات وكانت زيارات، وتُوِّجت بمعركة "سيف القدس"، في 2021، التي "أنهت كل خلاف وغسـلت كل شـيء"، وفق مجتبى

(1) النعامي، مرجع سابق.

(2) من المقابلة مع القدومي.

(3) من المقابلة مع القدومي.

(4) في السابع من يوليو/تموز 2014، شنَّت إسرائيل حربها الثالثة على قطاع غزة، أسمتها "الجرف الصامد"، فيما أطلقت عليها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) اسـم "العصف المأكول"، واستمرت "51" يومًا، وتوقفت في 26 أغسطس/آب 2014.

(5) توسـط الأمين العام السـابق لحركة الجهاد الإسلامي، رمضان عبد الله شـلح، رحمه الله،

أبطحي، القائد في الحرس الثوري[1]. لقد أدرك الجانبان ما خسراه نتيجة الأزمة التي صبَّت في صالح الكيان الصهيوني الذي أمعن في حربه على الفلسطينيين[2].

ووفق الرواية الإيرانية، كانت معركة "سيف القدس" فرصة، سبقتها مراجعات داخل حماس، جعلتهم "يقتنعون من خلال شواهد وتطورات في المنطقة أن ما حدث كان خطأ، ومن كان يتولى القيادة في حماس قرأ تلك التطورات، ثم عندما وقعت الحرب ووجدوا دعمًا من إيران انتهوا إلى أن حسابات المقاومة أهم من حسابات السياسة، وإذا ما وقع خلاف بينهما، تكون الغلبة للأولى"[3]. لقد "كانت العقبة الأساس أمام حماس هي تحقيق التقدم في المجال العسكري، وعندما تبينوا دور الصواريخ ودور التقدم العسكري ودور التعاون مع حركة الجهاد الإسلامي، ودور الدعم الذي تقدمه الجمهورية الإسلامية، أعلنوا عن مواقفهم بشكل واضح"[4].

تولى حل الخلاف من الجانب الإيراني الحاج قاسم سليماني، وتحرك المكتب السياسي لحماس برمته في هذا الاتجاه وكان ذلك في أواخر فترة رئاسة خالد مشعل للمكتب السياسي ومجيء إسماعيل هنية.

اغتيال سليماني وموقف الحركة

تلقت إيران، في يناير/كانون الثاني 2020، ضربة موجعة باغتيال مهندس نفوذها الخارجي، قائد فيلق القدس، الجنرال قاسم سليماني، بأمر مباشر من

لإصلاح ذات البين بين حماس وإيران، وأثار الموضوع مع آية الله علي خامنئي في أحد اللقاءات، وقال: يا سيد، هذه سحابة صيف، فرد خامنئي، ولكنها سحابة صيف طالت، واستشهد ببيت شعر للمتنبي:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا.. مَن كان يألفهم في المنزل الخشن

هذه المعلومات رواها للباحثة شخص حضر الاجتماع.

(1) من المقابلة مع مجتبى أبطحي.

(2) من المقابلة مع القدومي.

(3) من المقابلة مع أبطحي.

(4) من المقابلة مع أبطحي.

الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في غارة جوية على مطار بغداد[1] شاركت فيها مسيرات انطلقت من قواعد عسكرية أميركية في المنطقة.

وقد سارعت حركة حماس بعد ساعات قليلة على الاغتيال إلى إصدار بيان رسمي تعزي فيه "باستشهاد اللواء قاسم سليماني، رحمه الله، الذي كان له دور بارز في دعم المقاومة الفلسطينية في مختلف المجالات"[2]. وأدان بيان الحركة "هذه العربدة والجرائم الأميركية المستمرة في زرع وبث التوتر في المنطقة خدمة للعدو الصهيوني المجرم". وتحدث عدد من قادة الحركة عن استنكارهم للاغتيال وحزنهم العميق لفقدان داعم فلسطين. وأتبعت كتائب الشهيد عز الدين القسام، بيان الحركة ببيان آخر، نعت فيه "القائد المجاهد الحاج قاسم سليماني" وقدمت تعازيها لـ"الإخوة في الجمهورية الإسلامية في إيران". وقال بيان الكتائب: إن "الحاج قاسم عمل على تقديم كافة أشكال الدعم للمقاومة، لمجابهة العدو الصهيوني، وإن دوره الكبير في هذا المسار جعله هدفًا كبيرًا لأميركا والعدو الصهيوني"[3].

وصل رئيس المكتب السياسي لحماس، إسماعيل هنية، إلى طهران مع وفد من قادة الحركة، ليشارك في جنازة سليماني في حدث لم تشهد له إيران مثيلًا؛ إذ قدرت وسائل إعلام إيرانية عدد المشيعين بخمسة ملايين.

يومها اعتلى رئيس المكتب السياسي لحماس، إسماعيل هنية، المنبر، وفي أجواء مشحونة بالهتافات والدموع، تحدث معزيًا في "شهيد القدس": "أتينا من فلسطين؛ لنقدم التعازي إلى سماحة القائد السيد علي خامنئي، والجمهورية الإسلامية، في استشهاد الفريق سليماني". في ذلك اليوم بدا أن المصاب ليس مصاب طهران وحدها وقد حسمت الحركة موقفها: فـ"الشهيد القائد سليماني، الذي ضحَّى من أجل فلسطين وشعبها، هو شهيد القدس"[4].

---

(1) قُتل في هذه الغارة كذلك نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي العراقي، أبو مهدي المهندس، وشخصيات أخرى عراقية وإيرانية.

(2) بيان صادر عن حركة حماس، 3 يناير/كانون الثاني 2020.

(3) بيان صادر عن كتائب الشهيد عز الدين القسام، 3 يناير/كانون الثاني 2020.

(4) من تأبين إسماعيل هنية لقاسم سليماني وقد شارك في الجنازة وفد رسمي من الحركة ضم

كان لقاســم ســليماني، شــبكة علاقات قوية مع شــخصيات وزعماء في المنطقــة، يقــول قادة حماس إنه وظفها لخدمة القضية الفلســطينية. ويصفه أبو مــرزوق بأنــه كان إذا وعد أوفى، ما وعدنا بشــيء إلا نفذه.. كان يقدم كل ما يستطيع من مساعدة[1].

كانت الحركة على وعي بما ســيحدثه موقفهــا داخل البيئة العربية خاصة تلك المؤيدة للثورة الســورية، ولكن كان من الواضح أن مســتوى العلاقة التي جمعت سليماني مع حركة حماس قد وصل إلى حدود لا يمكن للحركة معها أن تستخدم صيغًا حذرة أو متحفظة؛ "الحركة لا تستطيع أن تتنكر لقاسم سليماني وألا تصدر بيانًا أو موقفًا، وفاء له، ومن غير المعقول أن لا يذهب قائد الحركة للمشــاركة في جنازته". عبارات ساقها موسى أبو مرزوق[2]، مضيفًا: لذلك كان قرار المشاركة في الجنازة قرار الحركة، وقوبل من الإيرانيين بكثير من الامتنان، وكان الوحيــد الــذي تكلم فــي الجنازة من غير الإيرانيين هو إســماعيل هنية، وقوبلت كلمته من الحاضنة العربية بكثير من عدم التفهم؛ وهو أمر لا نســتطيع تغييــره فــي يوم وليلة[3]. وهو أمر مرتبط أيضًا كما ترى الحركة بأســئلة متعلقة بالتاريخ والمذهب والتدافع السياســي وصراع المحاور، و"عندما نناقش الناس يقرون بوجاهة الموقف مع ضرورة مراعاة الحاضنة. الســؤال هو كيفية مراعاة الحاضنة العربية، وهو أمر لا غنى للحركة عنه؟!"

زيارة مشعل للبنان

عــادت العلاقات إلــى مجاريها وبدا واضحًــا أن طرفيها قد تجاوزا حدة خلافهمــا، لكن الموقف الإيراني من خالد مشــعل بقي على حاله. وقد تجلى

الشيخ صالح العاروري وآخرين، من ملاحظات سجلتها الباحثة، طهران، 6 يناير/كانون الثاني 2020.

(1) يصف أبو مرزوق ســليماني بقوله: كان ســيد الخداع الإســتراتيجي، هادئًا ومتدينًا وطَموحًا طُموحًا لا ينتهي في التمدد والثورة. يقول: أريد أن أكون شــهيدًا وليس رئيس جمهورية. من مقابلة مع أبو مرزوق.

(2) من مقابلة للباحثة مع أبو مرزوق.

(3) مرجع سابق.

ذلك في زيارة مشعل، الذي يقود الحركة في الخارج، إلى لبنان، في ديسمبر/ كانون الأول 2021.

فوفقًا لمحسن محمد صالح، مدير عام مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، لم يكتف حزب الله والجهات المحسوبة على "محور المقاومة" بالاعتذار عن مقابلة مشعل، بل قامت بمجموعة من الإجراءات لإفشال الزيارة، ابتداء من التعتيم الإعلامي، وقيام عدد من الشخصيات المحسوبة على المحور بهجوم شخصي على مشعل، وليس انتهاء بالضغط على الجهات الرسمية وعدد من الفصائل لعدم اللقاء معه؛ فتعثرت ترتيبات اللقاء برئيس الجمهورية، واعتذر رئيس مجلس النواب عن الاجتماع بعد أن وافق عليه، كما أن رئيس الوزراء اضطر تحت الضغط للاجتماع بمشعل في منزله وليس في السراي الحكومي[1].

ويبدو أن من قام بالهجوم والتضييق يحاول أن يفصل بين موقفه من حماس كحركة، وموقفه من مشعل نفسه، وكأن في حركة حماس قطاعين، أحدهما لديه علاقات جيدة مع إيران والحزب، والآخر "مغضوب عليه" يتزعمه مشعل[2].

يؤكد محسن صالح أن مشعل ليس لديه أي حساسية من العلاقة مع إيران أو حزب الله، وهو ممن يؤكد دور إيران المهم في دعم المقاومة ماليًّا وعسكريًّا، وممن دافع بقوة طوال فترة قيادته، ولا يزال، عن استمرار العلاقة بإيران، على قاعدة دعم المقاومة ومواجهة العدو الصهيوني. كما يقدِّر مشعل ورفاقه أهمية العلاقة مع الحزب في لبنان، ومستوى العلاقة والتنسيق الجيد بين الطرفين. وكان مشعل مستعدًّا للقاء قيادة الحزب في لبنان.

ويرى محسن صالح أن خروج حماس من سوريا أثناء قيادة مشعل للحركة، كان سببًا رئيسيًّا للهجوم عليه.[3]

---

(1) محسن صالح، مرجع سابق.

(2) محسن محمد صالح، زيارة خالد مشعل للبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 27 ديسمبر/كانون الأول 2021، (تاريخ الدخول: 16 مارس/آذار 2022)، https://bit.ly/3tWPAFo

(3) محسن صالح، المرجع السابق.

وعن ملابسات الزيارة يوضح خليل الحية أن الحركة كانت تعرف أن الحزب لن يستقبل مشعل في بيروت، يقول الحية: نعم كنَّا نعرف ذلك، أنا ذهبت قبل الزيارة بأسبوع وقد جلست مع الإخوة هناك فقالوا: أهلاً وسهلاً، لكن نحن لن نستقبل الأخ أبو الوليد. كما أن السيد حسن نصر الله بعث رسالة بينما كان الأخ أبو الوليد في طريقه إلى المطار نصها: أنا أنصح ألا تتم الزيارة. ولذلك فقد تفاجؤوا بوجود الأخ مشعل في مطار بيروت وقرؤوا ذلك أنه نوع من ممارسة الضغط عليهم في بلدهم[1].

يستدرك الحية موضحًا موقف الحركة، "إن ما جعل الأخ أبو الوليد يصر على الزيارة هو الشهداء الذين سقطوا لنا ولولا حادثة الشهداء[2] لأُجِّلت الزيارة التي كانت من باب الاضطرار. لقد كان موقفنا في الحركة ألا يذهب، لكن الأخ مشعل رجَّح أن يمضي في الزيارة"[3].

تجاهل حزب الله طلب حماس رسميًّا أن يستقبل نصر الله خالد مشعل، كما تجاهلت وسائل إعلام الحزب الزيارة، لكن مواقع وحسابات الكترونية محسوبة عليه هاجمت مشعل بشدة. وفي المقابل، هاجمت منصات ومواقع إلكترونية عربية، في مقدمتها موقع "عربي 21"، حزب الله، ورأت أن الحزب، يسعى من خلال عمل منهجي، سياسي وإعلامي وتنظيمي، إلى قطع الطريق على احتمال عودة خالد مشعل إلى رئاسة المكتب السياسي العام.

ونشر الجنرال الإيراني سعيد إيزدي (وهو قيادي في فيلق القدس) تغريدة[4]

---

(1) من مقابلة الباحثة مع الدكتور خليل الحية.

(2) هاجمت قوات الأمن الوطني اللبناني مخيم البرج الشمالي بعد إطلاق النار على جنازة حمزة شاهين، وأدى ذلك إلى مقتل ثلاثة من بين المشيعين، وإلى تعليق حماس مشاركتها في القوة الأمنية المشتركة في المخيمات".

(3) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(4) لدى الأخ نصر الله أسباب جيدة لرفضه مقابلة خالد مشعل واللبيب من الإشارة يفهم"، تغريدة للحساب الرسمي لسعيد إيزدي القيادي في فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، 20 ديسمبر/كانون الأول 2021، (تاريخ الدخول: 22 ديسمبر/كانون الأول 2021)، https://x.com/hajjsaeedizadi/status/1472870566369574913?s=20

على منصة إكس (تويتر سابقًا) يقول فيها: "لدى الأخ نصر الله أسباب جيدة لرفضه مقابلة خالد مشعل، واللبيب من الإشارة يفهم".

وقد استنكر الكاتب الفلسطيني، ماجد عزام، في مقال نشره في موقع "عربي 21"، الذي يديره ياسر الزعاترة، رفض الأمين العام لحزب الله استقبال خالد مشعل، ورأى أن "أخطاء" المقاومة هي التي جرَّأته. ويُفهم من كلامه أن المقاومة الفلسطينية هي الأصل والحزب هو الفرع.

فنصر الله، في نظر عزام، لا يملك مبدئيًّا ومنهجيًّا الحق أو المشروعية للتصرف بهذا الشكل مع أحد مؤسسي حماس ورئيس مكتبها السياسي العام سابقًا، وقائدها في الخارج حاليًّا، وكان ولا يزال أحد رموز الحركة التي تمثل العمود الفقري للمقاومة في فلسطين، حيث ساحة الصراع الأساسية والمركزية في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، التي خاضت أربع حروب ضد الاحتلال خلال عشر سنوات تقريبًا (ثلاث منها تحت قيادة مشعل)، بينما ظلت الجبهة اللبنانية هادئة تمامًا خلال تلك الحروب، وهو ما تتباهى به إسرائيل دائمًا كدليل على نجاح الردع تجاه الحزب المتورط في جبهات وساحات أخرى[1].

ومما قاله عزام في نقده لقيادة حماس: إن قيادة حزب الله ما كانت لتتجرأ على مشعل وزيارته ومواقفه لولا الأخطاء التي ارتكبتها قيادة الحركة خلال السنوات الأربع الماضية"[2]. واتهم الحركة بـ"الهرولة تجاه الحزب دون الالتفات إلى حقيقة أنه بحاجة إليها، ولم تحسن الاستفادة من أوراق قوتها؛ إذ كان بإمكانها الاحتفاظ بالتباينات حتى مع الإجماع أو التوافق على القضية الفلسطينية؛ على افتراض أن الحزب وحلفاءه جديان في معركة الأمة المركزية"[3] .وذهب كاتب المقال إلى حدِّ اتهام قيادة الحركة بتعمد تبييض صفحة الحزب وإيران وحلفائها دون ثمن مقابل أو حتى بثمن بخس جدًّا، رغم ما أحدثوه من دمار في العالم العربي[4].

---

(1) ماجد عزام، مشعل ونصر الله.. أبعد من رفض اللقاء، عربي 21، 12 يناير/كانون الثاني 2022، (تاريخ الدخول: 16 مارس/آذار 2022)، https://bit.ly/3KM9Q3k

(2) عزام، المرجع السابق.

(3) عزام، المرجع السابق.

(4) عزام، المرجع السابق.

ورأى أن "ضعف قيادة الحركة جعل إســماعيل هنية مضطرًّا لزيارة إيران والمشاركة في تشييع قاسم سليماني ووصفه بـ"شهيد القدس""[1].

ويؤكد خليل الحية وجود حساسية لدى إيران وحزب الله من خالد مشعل، ويــرى في ذلك خطأً ســببه أن إيــران وحزب الله يريــان أن الأخ أبو الوليد، بحكم موقعه رئيسًا للحركة، كان له دور في تأزيم العلاقة "إن الأنظمة والدول والأحزاب لا تستطيع أن تقف عند لحظة من الزمن وتبقى متوقفة عندها، ونحن نصحنا الإخوة مرارًا بأن فتح العلاقة مع أبو الوليد يسهم في إنهاء حالة التوجس من إيران والحزب في العالم الإسلامي، لمكانته ودوره، صحيح أن عنده بعض التحفظات، لكن دوره إيجابي ومن المدافعين عن العلاقة والمنظِّرين لها"[2].

بعد تولي إســماعيل هنية اســتكملت الحركة ما أقرته في عهد مشعل، في 2016، ومن ذلك تمتين العلاقة مع إيران ومحور المقاومة والأمة كلها، بهدف أن تكون الأمة شريكة بكل طوائفها وبكل مشاربها في مشروع تحرير فلسطين، ســنة وشــيعة، علمانيين وقوميين وغيرهم من أحرار العالم. إن ما تســعى إليه الحركة هو الوصول إلى مرحلة شــراكة الأمة بكل أطيافها في مشروع التحرير، وأن نكون جسرًا لوحدة الأمة بين السنة والشيعة[3].

(1) عزام، المرجع السابق.

(2) عزام، المرجع السابق.

(3) عزام، المرجع السابق.

الفصل الثامن: العودة إلى سوريا

أمة واحدة في مواجهة الاحتلال

"أمة واحدة في مواجهة الاحتلال والعدوان"[1] عنوان بيان رسمي أصدرته حركــة المقاومــة الإسلامية حماس، في 15 ســبتمبر/ أيلول 2022، يؤكد نهاية القطيعة مع النظام السوري ويقطع الشك باليقين بعد أشهر من تسريبات وتوقعات بشأن عودة الحركة إلى سوريا.

لقد قررت الحركة "اســتئناف علاقتها مع ســوريا الشــقيقة خدمة لأمتنا وقضاياها العادلة، وفي القلب منها قضية فلسطين"[2].

مهَّد البيان للقرار بمقدمة يمكن من خلالها فهم دوافعه؛ فالحركة قلقة مما يجري في المنطقة من "تطورات خطرة تمس شعبنا الفلسطيني وقضيته العادلة"[3]، وترى أن أبرز هذه التطورات يتلخص في "مظاهر التطبيع ومحاولات دمج العدو الصهيوني ليكون جزءًا من المنطقة، مع ما يرافق ذلك من جهود للسيطرة على موارد المنطقة، ونهب خيراتها، وزرع الفتن، والاحتراب بين شــعوبها ودولها، واستهداف قواها الفاعلة والمؤثرة، الرافضة والمقاومة للمشروع الصهيوني"[4].

وذكَّر البيان بتصاعد وتيرة الإجراءات والسياسات العدوانية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، مستهدفة الأرض والإنسان، والمقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، وخاصة في القدس، ومحاولات التهويد والتهجير، والسيطرة على المســجد الأقصى المبارك، وتقسيمه مكانيًّا وزمانيًّا، وفي ظل سُعار الاستيطان،

(1) أمة واحدة في مواجهة الاحتلال والعدوان، الموقع الرســمي لحركة حماس على الإنترنت، 15 ســبتمبر/أيلول 2022، (تاريــخ الدخــول: 6 ديســمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3iAvEWR

(2) من بيان حركة حماس، المصدر السابق.

(3) من بيان الحركة، أمة واحدة..، المصدر السابق.

(4) من بيان الحركة، أمة واحدة..، المصدر السابق.

واستمرار الحصار على قطاع غزة، وسياسة إدارة الظهر لقضية فلسطين العادلة، ومحاولة تصفيتها وإنهائها لصالح المشروع الصهيوني[1].

وبدا واضحًا أن الحركة تنظر بقلق شـديد إلى تواصل العدوان الإسرائيلي على سوريا "بالقصف والقتل والتدمير، وتصاعد محاولات النيل منها وتقسيمها وتجزئتها"[2]، وقرأت فيه أنه يهدف "لإبعادها عن دورها التاريخي الفاعل، لاسيما على صعيد القضية الفلسـطينية؛ فسـوريا احتضنت شـعبنا الفلسطيني وفصائله المقاومة لعقود من الزمن، وهو ما يستوجب الوقوف معها"[3].

وبعد هذا التمهيد، أعلنت الحركة قرارها في النقاط الآتية:

1. إدانـة العدوان الصهيوني المتكرر على سـوريا بشـدة، وخاصة قصف مطارَيْ دمشـق وحلب مؤخرًا، ونؤكد وقوفنا إلى جانب سوريا الشقيقة في مواجهة هذا العدوان.
2. تقديـر الحركة للجمهورية العربية السـورية قيادة وشـعبًا؛ لدورها في الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، وتتطلع لتستعيد سوريا دورها ومكانتها في الأمتين، العربية والإسلامية، ودعم كل الجهود المخلصة من أجل استقرار وسلامة سوريا، وازدهارها وتقدمها.
3. تأكيد موقف الحركة الثابت من وحدة سوريا أرضًا وشعبًا، ورفض أي مساس بذلك.
4. الانحيـاز إلى الأمة في مواجهة "المخططات الصهيونية الخبيثة، الهادفة إلى تجزئتها وتقسيمها ونهب خيراتها، والوقوف صفًّا واحدًا وطنيًّا وعربيًّا وإسلاميًّا لمقاومة العدو الصهيوني، والتصدي لمخططاته".
5. الدعوة إلى إنهاء جميع مظاهر الصراع في الأمة، وتحقيق المصالحات والتفاهمات بين مكوِّناتها ودولها وقواها عبر الحوار الجاد.
6. تأكيد إستراتيجية حماس الثابتة، وحرصها على تطوير وتعزيز علاقاتها مع

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) من بيان الحركة، أمة واحدة..، مصدر سابق.

أمتها، ومحيطها العربي والإسلامي، وكل الداعمين للقضية الفلسطينية والمقاومة، وفي هذا السياق فإن الحركة تؤكد على "مُضيِّها في بناء وتطوير علاقات راسخة مع الجمهورية العربية السورية"[1].

كان استئناف العلاقة مع النظام السوري والعودة إلى سوريا، فضلاً عن توثيق عرى العلاقة مع إيران، قضية مهمة وضعتها الحركة على طاولة النقاش وطلبت من المعنيين في مكتب العلاقات العربية والإسلامية، أن يدرسوها.. فكان رأيهم أن يبقى الأمر على ما هو عليه[2].

وفي 2019، قررت الحركة تشكيل لجنة قيادية لدراسة العلاقة مع سوريا. وعن هذه اللجنة يقول خليل الحية: "لا أخفيكم أنه حدث تسويف وتعطيل لمنتجات اللجنة، ولم تفض لأي شيء وقضينا دورة كاملة ونحن ندور حول الحمى في العلاقة مع سوريا. ومع ذلك اتخذنا عدة اتجاهات بخصوص سوريا: أولاً: ألا نسيء إليها ولا نتدخل في شؤونها الداخلية. ثانيًا: أن يكون موقفنا من أي عدوان عليها موقفًا عروبيًّا قوميًّا، لذلك كنا ندين العدوان بكل وضوح وبقرار قيادي؛ إما باسم الحركة أو من أحد الناطقين باسمها[3].

فما الأسباب التي جعلت حركة حماس، فضلاً عما جاء في البيان المذكور، تسعى نحو سوريا؟

اقتنعت حركة المقاومة الإسلامية حماس أن أعداء الأمة يسعون إلى تفتيت المنطقة وإضعاف جبهاتها القوية، العراق وسوريا ومصر وخاصة دول الطوق، حتى تضعف الأمة. وقد وصلت أيديهم العراق فأضعفوها ويسعون أن يفعلوا الأمر نفسه بسوريا. ولما نظرت حماس إلى الحالة السورية وما يجري فيها وجدت أنه لم يعد خلافًا بين النظام والشعب أو المعارضة، إنما تعدى الأمر ذلك إلى صراعات دولية ومحاولة تفتيت سوريا إلى دويلات تكون عبئًا على القضية الفلسطينية في المستقبل ويضر بها.

---

(1) من بيان الحركة، أمة واحدة..، مصدر سابق.

(2) من مقابلة مع خليل الحية.

(3) من مقابلة مع خليل الحية.

أما السبب الثاني، فهو الموقع الإستراتيجي لسوريا كونها من دول الطوق؛ مما يجعلها مهمة للقضية الفلسطينية فضلاً عن وجود جالية فلسطينية بها.

أما السبب الثالث، فإن حماس لم تنس ما قدمته سوريا للقضية الفلسطينية سواء أكان ما قدمه النظام السوري أو الشعب "لم ننس ولم نتنكر لما قدمته، وما قدمته كان خياليًّا، كانت سوريا كأنها دولة فلسطين للمقاومة والشعب الفلسطيني، لقد كنا نشعر أن الدولة دولتنا والنظام نظامنا، وكانت الدولة الوحيدة التي تعاملت مع الفلسطيني كأنه سوري"[1].

اختلفت حماس بالأمس مع النظام السوري وخرجت من سوريا؛ لتنأى بنفسها عما حدث ولم تخرج بسبب خصومة مع النظام بل خرجت لأن ما حدث في نظرها كان خلافًا بين النظام والشعب، لكن المسألة لم تعد كذلك، وبعد ما آل إليه الربيع العربي أصبح واضحًا أن سوريا تتعرض لعدوان يهدف إلى تقسيمها.

ما أرادته حماس بقرار العودة هو أن تكون في سوريا دون أن تتدخل في الإشكاليات الداخلية خاصة أن جميع فصائل المقاومة الفلسطينية موجودة هناك، فتح والشعبية والجهاد...[2].

لقد أثَّرت القطيعة مع سوريا سلبيًّا على علاقة حماس بالوسط القومي العربي والنخبوي وأدت إلى شبه قطيعة مع القوميين والعلمانيين وهي فئات تعنى حماس بالعلاقة معها.. وترى الحركة أن إحياء علاقاتها بسوريا سيخدم وحدة الأمة وتسعى من خلالها أن تكون جسرًا للوحدة بين مكونات سوريا[3].

هنا قد يتساءل القارئ: أين إيران وحزب الله من قرار حماس إحياء علاقاتها بسوريا والعودة إليها؟

لم يضغط الحزب ولا إيران على حماس ولم يدفعاها إلى ما أقدمت عليه، بل كان ذلك قناعة ذاتية عندها، منذ 2018، بدأت تنفيذها بالحديث بإيجابية عن سوريا وعن أهمية العلاقة بها، لكنها وجدت صدودًا من النظام السوري فتراجعت، ولمحت في الوقت نفسه رغبة لدى إيران وحزب الله في أن تعود

(1) من المقابلة مع خليل الحية.

(2) من المقابلة مع خليل الحية.

(3) من المقابلة مع خليل الحية.

العلاقــة، لكنهمــا قالا للحركة، وكان خليل الحية شــاهدًا على ذلك: إن القرار قرارهــا، وإن كانــا يرغبان فــي ذلك لما فيه من مصلحــة، وإن علاقات إيران والحــزب مع حمــاس لا علاقة لها بعلاقتها بالنظام الســوري. وكانت الحركة تســمع كلامًا جيدًا عن موقف الرئيس بشــار من حماس وإن كان يميز ما بين حماس المقاومة (في الداخل) وحماس الإخوانية (في الخارج)[1].

وتحدث تحليل لموقع "مشــرق" الإيراني، كان قد نُشــر قبل الإعلان عن عودة العلاقات بين الحركة والنظام الســوري، بأنــه ونتيجة لجهود الجمهورية الإسلامية الإيرانية وحزب الله، فإن "ســوريا وحماس، على ما يبدو، تســيران رسميًّا على طريق إعادة العلاقات بعد 10 سنوات، وسنرى قريبًا خطوات عملية في هذا الصدد"[2].

في 2021، وضعت حماس موضوع استئناف العلاقة بسوريا والعودة إليها على طاولة البحث مجددًا، لكن هبَّت الرياح بما لم تكن تشتهيه سفن حماس؛ فقــد تزامــن الخوض في الموضوع "مع ما حدث فــي لبنان وزيارة الأخ خالد مشعل وما صاحبها من ضجيج ولم نكن نرغب أن تخط أقلام شبابنا ما خطته، كما أن الطريقة التي عومل بها الأخ أبو الوليد (مشعل) لم تكن مناسبة، وإن كنَّا للأمانة كنا نعلم مسبقًا أن الإخوة في حزب الله لن يقابلوه"[3].

وفــي مايو/أيــار 2022، أجمع قادة حماس في اجتمــاع لهم على إحياء العلاقة بسوريا والعودة إليها، ويشهد خليل الحية أن خالد مشعل كان ينظر إلى العلاقة مع سوريا نظرة إيجابية قوية ولم يتحفظ على القرار إلا عضو واحد لم يكن من حماس الخارج[4].

---

(1) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(2) مولفههــاى راهبــردى احياى روابط حماس با ســوريه در تحكيم پايههاى مقاومت منطقهاى/ آيا حماس به آغوش دمشق برمىگردد؟ (المكونات الإستراتيجية لإحياء علاقات حماس مع سوريا في تعزيز أسس المقاومة الإقليمية: هل تعود حماس إلى أحضان دمشق؟)، مشرق نيوز، 24 تير 1401 ش (تاريخ الدخول: 12 أبريل/نيسان 2023)، https://bit.ly/3zRpvLh

(3) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(4) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

وكانــت قيــادة الخارج قد بحثت الموضوع في اجتماع عقدته، في أبريل/ نيســان 2022، وانتهت إلى ضرورة عودة العلاقة بســوريا وأبلغوا قيادة الحركة بالقرار[1].

وقبل أن تتخذ الحركة قرار العودة إلى سوريا نظمت ورشات عدة في غزة والســجون وفي الخارج (لبنان وتركيــا)، وكانت نتيجتها في الغالب العمل من أجل العودة إلى سوريا.[2] جمعت حركة حماس كل الأوراق الصادرة عن تلك الورش وما تضمنته من تحفظات وملاحظات ورفعت مقترحًا لقيادة الحركة مع توصية مكتب قيادة الخارج.

وفــي النصف الثاني من مايو/ أيــار 2022، كان الاجتماع الذي قررت فيه الحركة بالإجماع، بعد نقاش مستفيض، العودة إلى سوريا، رأت الحركة ضرورة زيارة الحلفاء لمعرفة موقفهم من القرار وموقف النظام الســوري منه[3]. وهكذا شــدَّ خليل الحية الرحال إلى لبنان للقاء الأمين لحزب الله، حســن نصر الله، فأبلغه بقرار الحركة، وأنها تريد أن تعرف بدقة موقف النظام السوري قبل اتخاذ أي خطوة؛ لأنه يتردد أن دمشق لا تريد عودة العلاقة. ورد السيد نصر الله بالقول: "جزاكــم الله خيرًا، هذا ما نحب وقد فاجأتمونا بهذا القرار"[4]. وذكر نصر الله أن بشار الأسد قال له في آخر اجتماع: "لابد أن تعود العلاقة مع حماس"[5].

ونقل نصر الله عن الأســد قوله إنه التقى خامنئي فســأله عن أمر تســوية العلاقة مع حماس؛ فرد عليه: "إن شاء الله سنستعيد العلاقة مع حماس"[6].

وأبلــغ الحية نصر الله أنه ســينقل ما ســمعه منه لقيــادة الحركة، وطلب منه معرفة موقف النظام الســوري من عودة العلاقة؛ لأن نصر الله تحدث عن

(1) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(2) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(3) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(4) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(5) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(6) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

الماضي، فوعده بأن يأتيه من دمشق بالخبر اليقين.[1]

رحَّب بشـار الأسد بقرار حماس إعادة المياه إلى مجاريها ونقل نصر الله ذلك إلى خليل الحية، وأكده في اجتماع مع إسـماعيل هنية، في يونيو/ حزيران 2022، "اتصلت بالرجل (بشار الأسد) فرحَّب، وقال: أهلاً وسهلاً".[2].

بعـد هذا الرد الإيجابي بدأت الحركة تناقش الخطوة التالية لإخراج القرار إلـى حيـز التنفيذ، وكان الرأي أنه لابد من تهيئة الناس لتقبل الأمر؛ فرسـمت الحركة خطة لمخاطبة النخب والعلماء وحاضنتها[3].

وبعد كل تلك الجهود والأخذ والرد والاجتماعات والنقاشـات والورش على مدى سـنوات للبت في موضوع اسـتئناف العلاقة مع سوريا والعودة إلى دمشـق، رجعت "حمـاس الخارج" خطوة إلى الخلف دون أسـباب واضحة. ولحسم الأمر عقد لقاء لقيادة الإقليم، في 26 يونيو/ حزيران 2022، انتهى بدعم القرار. وبعد يومين من الاجتماع سـربت صحيفة الأخبار اللبنانية قرار الحركة، فأفسدت عليها خطتها لتنفيذ الإعلان عنه[4].

فـي 28 يونيو/ حزيران 2022، أجرت صحيفة "الأخبار" اللبنانية مقابلة مع خليل الحية، سـألته فيها عن العلاقة مع سـوريا وما إن كانت الحركة اتخذت قـرارًا فـي الموضوع، ويبدو أن الصحيفة كانت على علم بالقرار نظرًا لعلاقاتها بحزب الله وسـوريا، فأكد الحية اتخاذ الحركة قرارًا بعودة العلاقة، لكنه أشـار إلى أن قيادة الحركة لا تريد الحديث عن الموضوع في الوقت الحالي، وطلب من الصحيفة ألا تنسب إليه الخبر، لكن إغراء السبق الصحافي أنساها أخلاقيات

(1) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(2) في الاتصال الذي جرى بين نصر الله والأسد، سأله نصر الله: من تريدون أن يأتي من حماس؟ فطلب الأسد أن يأتي السنوار؛ فأجابه نصر الله: وكيف سيأتي السنوار؟ فسأل: من سيأتي؟ فقال له: من الممكن أن يأتي خليل الحية، وعندما عرف، قال: عليكم أن تنتبهوا حتى لا يستهدفه الاحتلال. فأجابه أنه سيأتي؛ لأنه مسؤول مكتب العلاقات لكن لاحقًا سيتم تعيين ممثل عن الحركة عندما تتفقون فرد: أهلاً وسهلاً.

(3) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(4) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

المهنة[1]. وبعد نشر الخبر هاجت الدنيا وماجت وصارت الحركة غرضًا يُرمى، ولـم ينفـع حجب الصحيفة الخبر في تخفيف حـدة الهجوم الذي تعرضت له حماس من معارضي القرار[2].

بعـد أيام مما جرى اجتمعت قيادة الحركة لمناقشـة الموضوع من جديد فدب الخلاف؛ لأن "حماس الخارج" شعرت بتبعات القرار، خاصة بعد هجوم الحاضنة الإقليمية والشـعبية على الحركة، وقالوا: إن تسـريب الخبر كان له أثر سـلبي وإنهم غير قادرين على إسـناد القرار، ومع ذلك صوَّتت الأغلبية لصالح القرار وامتنع خمسة أشخاص عن التصويت؛ ليس لأنهم ضد القرار بل اعترضوا على طريقة التنفيذ[3].

وما لبث الخلاف أن خرج إلى العلن، وارتفعت أصوات من داخل الحركة تعارض القرار، وذهب عيسى الجعبري، وزير الحكم المحلي في حكومة حماس العاشـرة، إلى حدِّ البراءة من قرار الحركة: "إني أبرأ إلى الله تعالى مما قررته حركة حماس، بشأن إعادة علاقتها بالنظام السوري المجرم"[4].

جاء الرد على الجعبري، من زميله وزير الأشـغال في الحكومة العاشـرة، عبد الرحمن زيدان، الذي عارضه بشـدة وكتب أن "الموضوع قُتل نقاشًـا على كل المستويات، وفي النهاية هو اجتهاد، ومن حق القيادة تقدير المصالح". وتابع "بعد المشورة والقرار، نقول: سمعًا وطاعة، ولا نستمر في تقليب الآراء، حتى لو لم نكن مقتنعين بالمبررات"[5].

وقد سبق لنائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، الشهيد العاروري، أن حسم الجدل بشأن قرار وصل ما انقطع مع النظام السوري وقال خلال مقابلة مع فضائية الأقصى التابعة لحماس: "إن قرار إعادة العلاقة اتخذته المؤسسـات

---

(1) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(2) من مقابلة الباحثة مع خليل الحية.

(3) من مقابلة الباحثة مع الدكتور خليل الحية.

(4) عوض الرجوب، إعلان حماس عودة علاقتها مع النظام السوري.. الجزيرة نت ترصد الجدل داخل الحركة وخارجها، الجزيرة نت، 17 سـبتمبر/أيلول 2022 (تاريخ الدخول: 6 ديسـمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3B8h7YX

(5) المصدر السابق.

المختصة في الحركة"، وإن "علاقتهم مع النظام تخدم القضية الفلسطينية"[1]. مذكِّرًا بمبادئ السياسة الخارجية لحركة حماس؛ إذ "ليس لديهم اعتراض على إقامة أي علاقة مع أي كيان في العالم سوى "إسرائيل""[2]؛ ومن حيث المبدأ يجب أن يكون للحركة علاقة مع النظام السوري مثل علاقتها مع مصر وقطر وغيرها من الدول.

ورغم ذلك مضت الحركة في تنفيذ القرار ولم تُلْقِ بالاً للأصوات التي شذَّت عن الإجماع، وعيَّنت وفدًا برئاسة خليل الحية لزيارة دمشق، وأعلنت عن الزيارة في بيان رسمي[3].

وكما يوجد معارض لقرار الحركة من المعادين والمناهضين للنظام السوري، يوجد كذلك في أروقة النظام السوري أو من المحسوبين عليه من يتحفظ أو يعارض وصل ما انقطع مع حماس بحجة ما صدر عن بعض قادتها وبعض أعضائها خلال الأزمة السورية. وجرى نقاش متعدد الأطراف قبل أن تحسم دمشق الجدل وترحب بحماس حركة مندمجة في قوى "محور المقاومة"، بعيدًا من امتداداتها الإقليمية "الإخوانية"[4].

وبالنظر إلى مواقف قادة الحركة السابقة[5] فهذا بالفعل تحول يحمل دلالات

---

(1) العاروري: شعبنا موحد في انتفاضة جديدة بوجه الاحتلال، وكالة شهاب، 29 سبتمبر/أيلول 2022، (تاريخ الدخول: 7 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3F3uACq

(2) المصدر السابق.

(3) من مقابلة خليل الحية.

(4) علاء حلبي، عهد جديد يبدأ: المقاومة مستفيدًا أول، الأخبار اللبنانية، 20 أكتوبر/تشرين الأول 2022، (تاريخ الدخول: 7 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3PaEpDq

(5) في فبراير/شباط 2012، اعتلى إسماعيل هنية منبر المسجد الأزهر في مصر وحيًّا الثورات العربية والربيع العربي، وحيًّا الثورة السورية و"الشعب السوري الذي يسعى إلى الديمقراطية والحرية والإصلاح". وتواصلت خطبة هنية وسط هتافات مناهضة لإيران وحزب الله. وفي ديسمبر/كانون الأول من العام نفسه، رفع خالد مشعل "علم الثورة السورية" في مهرجان ذكرى انطلاقة حماس في غزة. انظر: كلمة إسماعيل هنية، رئيس الوزراء الفلسطيني في الحكومة المقالة بغزة، ضمن مؤتمر وفعاليات جمعة "إنقاذ الأقصى ونصرة الشعب السوري" والذي بدأ عقب صلاة الجمعة في الأزهر الشريف، قناة الجزيرة مباشر على يوتيوب، 24 فبراير/شباط

كبيرة جدًّا، ولابد أن تطورات جذرية حدثت على مدار الفترة الممتدة من 2012 إلى 2022 كانت سببًا وراء القرار.

وقــد حــدث التغيير في موقف عــدد من قيادات الحركــة والمؤثرين في قراراتها بفعل ما شــهدته المنطقة ولعل في مقدمة ذلك الانتكاسة الشديدة التي أصابت الثورات العربية في مصر وسوريا وفشل الرهان عليها في إحداث تغيير يصب في مصلحة القضية الفلسطينية.

استقبال في دمشق وتمييز بين حماس المقاومة وحماس الإخوانية

بعد نحو ثلاثة أشــهر عادت قيادة حركة حماس لمناقشــة القرار وانصب النقاش على طريقة إخراج الزيارة المزمعة إلى دمشق واختيار الشخص المناسب للمهمة[1].

اتخذت الحركة قرارًا بتشــكيل وفد منها برئاسة خليل الحية، رئيس مكتب العلاقــات العربيــة الإسلامية، لكن البعض في الحركة عبَّر عن خشــيته من أن يُعامَل الحية معاملة غير لائقة ويســاء إليه، وهو من غزة حاضنة الحركة، فضلاً عن مكانته في قيادة حماس[2].

أعلنت الحركة في بيان رسمي عن الزيارة في ظل وجود تباين في المواقف داخل قيادتها، لكن ثلثيها كان داعمًا للقرار فضلاً عن الحاضنة الشــعبية وقيادة الداخل والأسرى في سجون الاحتلال، بينما كانت قيادة الخارج متأثرة بالأجواء العامة دون أن تعترض على قرار الزيارة، إنما كانت ملاحظاتهم تتعلق بترتيباتها والشكل الذي ستكون عليه[3].

2022، (تاريخ الدخول: 6 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3UyBIwj

وانظر أيضًا: مشــعل يرفع علم الثورة الســورية في مهرجان انطلاقة حماس، شــبكة القدس الإخبارية، 8 ديســمبر/كانون الأول 2012، (تاريخ الدخول: 6 ديســمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3UyyLM7

(1) من المقابلة مع خليل الحية.

(2) من مقابلة الباحثة مع الدكتور خليل الحية.

(3) من المقابلة مع خليل الحية.

كانت خطة الحركة لإعلان قرارها استئناف العلاقة مع سوريا والعودة إلى دمشق، التي أفسدتها صحيفة "الأخبار"، من ثلاث خطوات:

-التمهيد للقرار داخليًّا وبين صفوف البيئة الحاضنة للحركة.

-إطلاع علماء الأمة وقادتها على القرار.

-التأكد من أن المصالحة مع سوريا ستكون شاملة، وهو ما سعت الحركة لاستيضاحه من حزب الله.

في 19 أكتوبر/تشرين الأول 2022، استقبل بشار الأسد في دمشق فصائل فلسطينية، منها وفد من حماس برئاسة خليل الحية، عضو المكتب السياسي للحركة، ورئيس مكتب العلاقات العربية والإسلامية. وكانت الزيارة إيذانًا بنهاية عقد من القطيعة بين الحركة والنظام السوري[1].

ووفقًا لخليل الحية، كان اللقاء مع الأسد مريحًا ورُتِّب جيدًا من حيث الشكل والمضمون"[2]، وسبقه اجتماع مع علي المملوك[3]، نائب الرئيس السوري للشؤون الأمنية في ذلك الوقت.

رحَّب الأسد كثيرًا بالوفد، وخرج من صالون الزيارة وقطع نصف المسافة واستقبلهم بالأحضان، وأمسك بيد خليل الحية وسأله عن رفيقه في الزيارة، فقال له: إن جماعة البروتوكول أبلغوهم أن شخصًا واحد فقط سيشارك في اللقاء. فقال له الأسد: أهلاً وسهلاً به في المرة المقبلة.. كان الأسد ودودًا واحتفى بنا.. وقال لنا: هذه بلادكم[4].

---

(1) تقول معلومات حصلت عليها الباحثة: إن بشار الأسد اقترح أن يأتي وفد حماس مع وفد من الفصائل منعًا لإحراجها وإحراج النظام. وهو ما نقله نصر الله إلى الحركة ورُتِّبت الزيارة وفقًا له.

(2) من مقابلة خليل الحية.

(3) جرت إقالة علي مملوك من منصبه في رئاسة مكتب الأمن الوطني وتعيينه بمنصب مستشار الرئيس لشؤون الأمن الوطني، وتم تعيين كفاح ملحم خلفًا له في مكتب الأمن الوطني، في يناير/كانون الثاني 2024.

(4) من مقابلة خليل الحية.

رحَّب الأسد غير مرة خلال لقائه بوفد الفصائل الفلسطينية بممثلي حركة حماس فرد خليل الحية بأن الحركة تأمل أن تعود سوريا إلى وضعها الذي نحب. ولما قال ممثل إحدى الفصائل الفلسطينية إنه ضد عودة العلاقة قاطعه الأسد بالقول: الماضي أصبح من الماضي ووضعناه وراء ظهورنا.[1] وفي إشارة إلى قضية "أكناف بيت المقدس"، قال الحية للأسد: إن ما حدث كان اجتهادًا خاطئًا من طرف بعض شباب الحركة وهو ما لم تقره الحركة عليه، بل حاسبتهم عليه، ونأمل أن تصبح هذه الصفحة من الماضي[2].

في نهاية اللقاء استوقف الأسد الحية، وقال له: "يا دكتور خليل، لقد سمعت أن أناسًا قالوا لكم إنني أجبرت على استقبالكم، لكني أقول لك وبلغ إخوانك: إنني أنا الذي أبديت الرغبة في اللقاء. فرد الحية: "نحن نعلم ذلك يا سيادة الرئيس وبلغنا ما قلته لسماحة السيد خامنئي في طهران"[3].

ردود فعل إعلامية

وصفت صحيفة الوطن السورية شبه الرسمية، وفد الحركة الذي زار دمشق أنه "من الجناح المقاوم وليس الجناح الإخواني"[4]. وسبق للصحيفة أن نشرت مقالاً لمستشارة الأسد، بثينة شعبان، عقب العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة (2022)[5]، قالت فيه: إن "حماس غدرت بالمقاومة وردَّت على العدوان

---

(1) من مقابلة للباحثة مع الدكتور خليل الحية.

(2) المصدر السابق.

(3) من مقابلة خليل الحية.

(4) صحيفة الوطن السورية: وفد "حماس" من "الجناح المقاوم" وليس "الإخواني" سيزور دمشق خلال أيام، وكالة وطن للأنباء، 10 أكتوبر/تشرين الأول 2022، (تاريخ الدخول: 7 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3FcrgVA

(5) تشير شعبان إلى المواجهة التي حدثت في 2022 بين الجهاد الإسلامي وجيش الاحتلال ولم تشارك فيها حركة حماس. ووفقًا لمحللين إسرائيليين، فإن أحد الأسباب التي جعلت حماس تحجم عن المشاركة، أنه لم يمض سوى 15 شهرًا على معركة "سيف القدس"، وكان أهل غزة منهمكين في بناء ما دمره العدوان، وحماس تعيد بناء ترسانتها. وقد توهم الاحتلال أن سياسة الحوافز الاقتصادية، ومنح مزيد من تراخيص العمل في إسرائيل لأهل غزة، قد آتت أكلها. وقد أجاب طوفان الأقصى عن سؤال: لماذا سعت حماس آنذاك إلى احتواء الأزمة

بالبيانات"، ومقالاً آخر لفراس عزيز ديب دعا فيه إلى "التعاطي مع حماس أسوة بالشقيقة مصر التي تتعاطى مع التنظيم على مستوى الأجهزة الأمنية لا أكثر".

وتحدث بسام أبو عبد الله في مقال بالصحيفة نفسها[1] عن الجهود الكبيرة التي بذلتها إيران وحزب الله، لإعادة المياه إلى مجاريها بين دمشق وحماس. وقال الكاتب، بناء على معلومات من مصادر فلسطينية: إن "إقرارًا داخليًّا ضمن دوائر حماس بأن ما ارتُكب بحق سوريا قيادة وشعبًا هو خطأ إستراتيجي كبير، لا بل خطيئة كبيرة بدليل نتائج هذا التوجه على قضية فلسطين، وانكشاف حملة التطبيع التي تقودها تلك الدول العربية مع كيان الاحتلال، وتحولات السياسة التركية التي أظهرت ضحالة وسطحية تلك القيادات التي انساقت وراء هؤلاء"[2].

وأرجعت أصوات محسوبة على دمشق تجاوب القيادة السورية مع قرار حماس إلى "الحرص على وحدة محور المقاومة في وجه اتجاهات التطبيع على صعيد المنطقة"[3]، وكانت هناك مقالات وتعليقات تزعم أن "الرأي العام السوري والنُخب السورية لا تزال غير متقبلة لعودة حماس إلى دمشق، وتتحدث عن جسور الثقة، وعما دُمِّر في وجدان الناس من قيم ومبادئ.."[4].

بعد أشهر من مشهد لقاء وفد حركة حماس بالأسد الذي أثار نقاش كثيرًا، جاءت مقابلة الرئيس السوري مع قناة "سكاي نيوز"، في أغسطس/آب 2023، لتكشف أن الخرق في علاقة بلاده بحماس لم يرتق بعد. هاجم الأسد، في المقابلة حماس واتهمها "بالغدر والنفاق"[5]، وأكد أن العلاقة معها لن تعود كما

وإنهاء القتال؟

(1) بسام أبو عبد الله، عودة حماس.. الإخوانية أم المقاومةِ!، صحيفة الوطن، 22 سبتمبر/أيلول 2022، (تاريخ الدخول: 8 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3UHhPmV

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

(5) الأسد يتحدث عن "شروط" لقاء أردوغان و"غدر" حماس، سكاي نيوز عربية، 9 أغسطس/آب 2023، (تاريخ الدخول: 31 أغسطس/آب 2023)، https://2u.pw/6jE3HXG

كانــت: "علاقتنا اليوم هي علاقة ضمــن المبدأ العام، نحن نقف مع كل طرف فلسطيني يقف ضد إسرائيل لكي يسترد حقوقه، هذا مبدأ عام". "العلاقات مع حماس لا يمكن أن تعود كما كانت عليه في السابق. حاليًّا ليس لحماس مكاتب في ســوريا ومن المبكر أن نتحدث عن مثل هذا الشــيء، لدينا أولويات الآن، والمعارك داخل ســوريا هي الأولوية بالنســبة إلينا"[1]. رغم موقف بشار الأسد هذا فإن صنَّاع القرار في الجمهورية الإسلامية يراهنون على دور سوريا ويرون أن "دور دمشق في الدفاع عن المقاومة الفلسطينية من كل النواحي، من الناحية الإستراتيجية والجيوستراتيجية لا بديل له"[2].

موقف إيران من قرار العودة

نظرت إيران إلى اســتئناف العلاقة بين حماس والنظام الســوري على أنها حلقة في سلســلة إصلاح العلاقة بين الطرفين، وربطت ذلك بشــكل مفصلي بالعلاقة مع إيران. ورأت وكالة تســنيم، المحســوبة على الحرس الثوري، أن ترميم العلاقة جرى خطوة بخطوة من طهران إلى دمشق[3]، وأن ذلك يأتي بعد عقد من الخلافات بين النظام الســوري وحركة حماس، وأن زيارة وفد سياسي رفيع المســتوى من حماس لدمشــق ولقاء الرئيس السوري، يعد صفحة جديدة في علاقات محور المقاومة[4].

ومما تجدر الإشــارة إليه أن الإعلام الإيراني لم يتبنَّ التقســيم الســوري لحمــاس إلى "إخوانيــة" و"مقاومة" ونظر إلى الزيارة علــى أنها "تمثل خطوة تاريخية في ســجل حركــة المقاومة، ويمكن عدها الخطــوة الأخيرة في إعادة العلاقات بين حماس ومكونات محور المقاومة الأخرى، أي إيران وحزب الله وسوريا"[5].

---

(1) المرجع السابق.

(2) من المقابلة مع أبطحي.

(3) ترميم روابط حماس و سوريه، گام به گام از تهران تا دمشق (ترميم علاقات حماس وسوريا، خطوة بخطوة من طهران إلى دمشــق)، وكالة تســنيم، 27 مهر 1401 ش (تاريخ الدخول: 8 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3UrLrGp

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق

أعــرض أميــر عبد اللهيان عن الخوض في تفاصيــل الموضوع بحجة أن تفاصيــل علاقــات حماس مع أي دولة أخرى تخص الحركة نفســها وإيران لا تتدخل في هذا الشــأن، لكنها تعتقد أن دعم المقاومة الفلسطينية يعد أمرًا مهمًّا للحكومة السورية[1].

وفــي نظر أمير عبــد اللهيان، وزير خارجية إيران الســابق، فإن ما حدث مــن قطيعة في الماضي القريب مثَّل تجربــة ثمينة لجميع الأطراف في المنطقة ولابد أن نستخلص منها الدروس والعبر، وأن مصلحة الأمة الإسلامية ومصلحة المقاومة تقتضي أن نساعدهم في إصلاح العلاقة[2].

وقد ربط موقع "مشــرق" الإيراني اســتئناف العلاقة بين حماس وســوريا بالتغييــر في تركيبة القيادة السياســية في الحركة، أي انتخاب إســماعيل هنية، في 2017، رئيسًــا للمكتب السياســي للحركة. فعلى إثــر ذلك قررت حماس مراجعة علاقاتها السياسية بشكل جذري، خاصة مع أعضاء محور المقاومة في المنطقة[3]. وطوال هذه الســنوات، تحدث مسؤولو حماس، مثل إسماعيل هنية ويحيى الســنوار وصالح العاروري، ممن تربطهم علاقة قوية بمحور المقاومة، مرارًا وتكرارًا، عن رغبة الحركة في استئناف علاقتها بدمشق[4].

بعد معركة "ســيف القدس"، أدركت حماس ضرورة التحالف مع المحور بأكملــه. كمــا أن المقاومة وســوريا تجمعهما مصالح إســتراتيجية في مواجهة العــدو الصهيوني. تعد جبهة الجــولان المحتلة مهمة جدًّا على الصعيد الأمني للصهاينة، فهي مرتبطة بالجبهة الشمالية لفلسطين والضفة الغربية، وإذا ما جرى إحيــاء جبهة الجولان فذلك يعني أن يصبــح الاحتلال محاطًا بالمحور الأمني

(1) من المقابلة مع عبد اللهيان.

(2) من المقابلة مع عبد اللهيان.

(3) مولفههــاى راهبــردى احياى روابط حماس با ســوريه در تحكيم پايههاى مقاومت منطقهاى/ آيا حماس به آغوش دمشق برمىگردد؟ (المكونات الإستراتيجية لإحياء علاقات حماس مع سوريا في تعزيز أسس المقاومة الإقليمية: هل تعود حماس إلى أحضان دمشق؟)، مشرق نيوز، 24 تير 1401 ش (تاريخ الدخول: 12 أبريل/نيسان 2023)، https://bit.ly/3zRpvLh

(4) مشرق نيوز، المصدر السابق.

للمقاومة. ويتطلب تحقيق ذلك تعاون وتقارب الجانبين، السوري والفلسطيني، وخاصة حركة حماس[1].

عودة غير مكتملة

ما زالت الخطوات المستقبلية بين حماس والنظام السوري غير واضحة حتى اللحظة. ولا يمكن القول: إن القطيعة التي كانت بين الطرفين زالت بالكامل باستئناف العلاقات، لكنها مرحلة جديدة دخلتها الحركة بتحديات مختلفة. وفي هذا الصدد، يرى البعض أن الصيغة التي كان عليها وجود حماس في سوريا قبل "الثورة السورية" لن تكون نفسها بعد المصالحة. وتحدثت مصادر سورية عن أن "عودة تمثيل الحركة في دمشق وعودة جزء من نشاطها يحتاج إلى مزيد من الوقت"[2].

ولا يُتوقع أن تعود قيادات حماس إلى الإقامة في سوريا، بسبب المخاطر الأمنية نتيجة القصف الإسرائيلي الذي تتعرض له سوريا منذ سنوات، وانعدام الاستقرار في مناطق مختلفة من البلاد التي لم تعد كما كانت من قبل. لذا، فإن استئناف العلاقات قرار سياسي ولوجستي لتعزيز التحالفات في المنطقة"[3].

وتؤكد الحركة أنها عقدت لقاءات عدة في سوريا مع علي المملوك، كان آخرها بعد طوفان الأقصى، لترتيب إيفاد ممثل لها إلى دمشق وإتمام ترتيبات العودة[4].

---

(1) المرجع السابق.

(2) علاء حلبي، مصدر سابق.

(3) Adam Khalil, Hamas decision to restore ties with Syrian government sparks controversy, Middle East Eye, 18 September 2022, (accessed: 7 December 2022): https://bit.ly/3Y7yfIi

(4) من المقابلة مع الدكتور الحية.

ويؤكـد خليل الحية أن الحركة ماضية فـي قرار العودة[1]، واصفًا الخطوة بأنها إسـتراتيجية ولا رجعة عنها، على الرغم من التصريحات التي صدرت هنا وهناك. وقد تلقت الحركة تأكيدات من دمشـق بأن تصريحات الرئيس الأسـد كانت ردًّا على تصريحات صدرت عن شـخصية في الحركة وأنه ما زال على موقفه المرحِّب باستئناف العلاقة مع حماس[2].

علاقات حماس بإيران وسوريا: جدال سياسي وفقهي

كما كان الخروج من دمشـق صعبًا على حماس، كانت العودة إليها صعبة أيضًـا؛ فقد واجهت الحركة انتقادات واتهامـات من الداخل والخارج، وكانت زوايا النظر إلى الأمر متباينة، سياسية وأخلاقية وشرعية. وهي الانتقادات نفسها التي تستهدف علاقة الحركة بإيران.

فالأمر ضرورة إستراتيجية في نظر البعض؛ لأن الحرك أدركت "أن مساحة الجغرافيا تضيق، وأن الأرض تُسـحب من تحت قدميها، وبدأت تبحث توسيع الجغرافيا أو تنويعها على الأقل"، كما يقول خليل شـاهين، مدير البحوث في مركز مسارات[3].

تعد الخطوة هي "الوضع الطبيعي"، من وجهة نظر حسـن خريشـة، عضو المجلس التشريعي المستقل دورتين متتاليتين، فـ"سوريا هي مركز مثلث محور المقاومة، وفلسطين هي بوصلة المحور"[4].

ويرى سـليمان بشـارات، مدير مركز يبوس للاستشـارات والدراسـات الإستراتيجية في رام الله، أن حماس "تتقن الاستفادة من نافذة الفرص السياسية، وتسعى إلى الاستفادة من إعادة تعزيز محور الممانعة مقابل محور التطبيع، وأن ذلك يتلاقى مع رؤيتها"[5] التحررية.

(1) اختارت حركة حماس من يمثلها في سوريا لكنه أصيب بوعكة صحية، فاختارت ممثلاً آخر، وبينما كانت الترتيبات جارية لإخراجه من غزة بدأ "طوفان الأقصى" فتعذر ذلك.

(2) من المقابلة مع الدكتور الحية.

(3) الرجوب، مصدر سابق.

(4) الرجوب، مصدر سابق.

(5) الرجوب، مصدر سابق.

ومــن وجهة نظره، فــإن تحول حماس في الســنوات الماضية إلى عنوان سياســي للقضية الفلســطينية يتطلــب منها التعامل بمعادلــة تختلف عن كونها مجرد تنظيم مقاوم، وهذا الأمر يدفعها إلى التعامل بميزان العلاقات السياســية وانعكاســاتها[1]. وفي الوقت ذاته، فإن تمسك حماس بخيار المقاومة المسلحة يجعلها بحاجة إلى بيئة حاضنة لا توفرها الأنظمة السياسية الأخرى[2].

في مقابل الآراء المؤيدة لقرار حماس اســتئناف علاقاتها مع سوريا برزت أصوات لم يرقها القرار ولم تجد له أي مسوغ. فلم تضن على الحركة بدروس أخلاقية وصبَّت عليها جام غضبها وكالت لها الاتهامات.

فقد هاجم ياسر الزعاترة، الذي سبق وأن رأس تحرير "فلسطين المسلمة" التي تصدرها حماس، قرار الحركة، وقال في تغريدة له: بدل الانشغال بإصدار بيــان طويل يتضامن مع نظام بشــار، ضد اعتــداءات صهيونية.. كان على قيادة حماس أن تنشغل بالوضع الأهم في الضفة الغربية.. بشار هو سرٌّ دمار سوريا، ومجاملته خطيئة[3].

وتوســع الدكتور معتز الخطيب في انتقاد قرار حماس وعلاقتها بالنظامين، الســوري والإيراني، في سلســلة مقالات بموقع الجزيرة نت، وقال: إن الحركة تخســر أخلاقيًّا[4]، وإن حركات المقاومة بحاجة إلى التأســيس لخطاب يزاوج بين الأخلاقي والسياســي، ويؤســس لقضيته الكبرى على أسس أخلاقية أولاً،

---

(1) الرجوب، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) تغريدة لياسر الزعاترة على حسابه على منصة إكس، 17 سبتمبر/أيلول 2022، (تاريخ الدخول: 16 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://2u.pw/vjaLfOyv

(4) معتز الخطيب، التناقض بين الأخلاقي والسياسي لدى حركات المقاومة الفلسطينية، الجزيرة نــت، 10 يونيو/حزيــران 2020، (تاريخ الدخــول: 30 مــارس/آذار 2024)، https://acesse.dev/94Rec. وانظر أيضًا للخطيب: حماس والعلاقة مع نظام الأسد: جدل السياسي والديني، 29 يوليو/تموز 2022، https://l1nq.com/AVTSP، وعودة حماس إلى الأســد بين السياســة والسياســة الشرعية، الجزيرة نت، 27 أكتوبر/تشــرين الأول 2022، https://l1nq.com/i1iss، وعودة حماس إلى دمشــق وشــرعية البيانات، 22 ســبتمبر/أيلول 2022، https://l1nq.com/v43K0.

وموازين محددة يتم على أساسها بناء الموقف واتخاذ القرارات، والموازنة بين قيمة الإنسان (غير الفلسطيني) وقيمة الأرض (الفلسطينية وغير الفلسطينية)[1].

كما رأى الخطيب أن قضية فلسطين لم تَعد مركزية في عالم ما بعد الثورات العربية، وقد يرجع هذا إلى اعتبارات عدة، من بينها: أن حركات المقاومة نفسها أسـهمت بمواقفها من الثورات في هذا التراجع حين اتخذت مواقف تراوحت بين الصمت والانكفاء على الشأن الداخلي، وبين التصريحات الداعمة لمناهضي الثورة السورية، ومن ثم عزلت نفسها عن عمقها العربي والإسلامي[2].

وقد انبرى منير شـفيق، المفكر الفلسطيني، للرد على اتهامات الخطيب،؛ فـرأى فيهـا "مزيدًا من دروس أخلاقية كثيرة وُجِّهت إلى المقاومة الفلسـطينية وتُوجَّـه كأنهـا الشـذوذ في اللاأخلاقية فـي أوضاع عربية تعـج حتى التخمة بالأخلاقييـن حكامًا ومثقفين ونخبًا وثوارًا، لاسـيما منـذ 2011، فوجب إلقاء الـدروس في الأخلاق عليهـا، وهو ما يصيب، بالضرورة، آلاف أو عشـرات الآلاف من الشهداء والأسرى والمرابطين في الأنفاق[3].

وقـال: إن مقـالات الخطيب تعتمد على ما يسـميه "المبادئ الأخلاقية الكبرى"، كالحق والعدل والحرية، بعد أن أسـقط منها عزة الأمة واسـتقلالها ووحدتها ومحاربة الغزاة ودرء الفتنة.. "دون أن يقول لنا من يتبنى هذه المبادئ فـي سياسـته ومواقفه في هذا العالم؟ ومـا المرجعية التي تعرِّف الحق والعدل والحرية؟"[4].

وعارض شـفيق ما ذهـب إليه الخطيب من كون "التحرر من الاسـتبداد وتحريـر الأوطـان متلازمين ويصعب الفصل بينهما" متسـائلاً عن مصدر هذه

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) منير شفيق، دروس في الأخلاق للمقاومة الفلسطينية، الجزيرة نت، 6 يوليو/تموز 2020، (تاريخ الدخول: 30 مارس/آذار 2024)، https://acesse.dev/Z2Edu

(4) منير شفيق، دروس في الأخلاق للمقاومة الفلسطينية، الجزيرة نت، 6 يوليو/تموز 2020، (تاريخ الدخول: 30 مارس/آذار 2024)، https://acesse.dev/Z2Edu

الموضوعة وما الدليل على صحتها شبه الإطلاقية؟ دون أن يعني ذلك "دفاعًا عن الاستبداد، ولكن يعني، عدم اعتباره المعيار الأول في موازنة الأولويات"[1].

واستنكر أحمد الريسوني[2]، الرئيس السابق للاتحاد العالمي للمسلمين، تشويه منتقدي حماس للحقائق والتلاعب بالمعلومات. وشدَّد النكير على من رموا قادة الحركة بالطعون واتهموهم بأنهم ركنوا إلى الذين ظلموا، وارتموا في أحضان إيران، وتحالفوا مع المجرم السفاح، وصافحوا الأيدي الملطخة بدماء الأبرياء، وباعوا قضيتهم لإيران، وفتحوا الأبواب للتشيع، وخذلوا الشعب السوري[3].

ورأى أن السجال المتصاعد كشف عن مدى الحاجة إلى تصحيح وتوضيح كثير من المفاهيم والمنطلقات والمستندات الرائجة، أو المغيبة، ومنها أن قيادة حماس قيادة منتخبة، ويتجدد انتخابها بصفة منتظمة في الداخل والخارج. وهي لذلك تحظى بكامل الشرعية والصدقية، وهي ليست قيادة فردية استبدادية، مفروضة بالقوة أو بالتزييف أو بشراء الذمم؛ فهي قيادة ميدانية، وليست قيادة خطابية كلامية، وليست ظاهرة صوتية رنانة[4]، وأنها محل ثقة في دينها وكفاءتها ووفائها وإخلاصها وتضحياتها.

وفي ردِّه عن الإساءة إلى القيادي خليل الحية[5]، قال الريسوني: "أنا أفهم كيف يدفع الغضب والتهور إلى محاولة تشويه رجل مجاهد قدم بيتَه وأقاربَه

(1) المصدر السابق.

(2) أحمد الريسوني، حماس والنظام السوري: مبادئ ومواقف، الموقع الرسمي للريسوني على الإنترنت، 22 أكتوبر/تشرين الأول 2022، (تاريخ الدخول: 25 مارس/آذار 2024)، https://raissouni.net/8855

(3) الريسوني، المرجع السابق.

(4) الريسوني، المرجع السابق.

(5) نشر الدكتور محمد عياش الكبيسي على حسابه على منصة إكس "تويتر سابقًا"، صورة يتصدرها القيادي في حركة حماس، خليل الحية، مع بشار الأسد، ووضع تحتها الحديث الشريف: (إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّويلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ له عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ). انظر حساب الكبيسي على منصة إكس، تغريدة بتاريخ 19 أكتوبر/تشرين الأول 2022،

الشهداءَ تلو الشهداء في غزة، لكن لا أستطيع أن أفهم هذا التعدي والتألي على الحديث النبوي وتسخيره في الانتقام والتهديد، وكذلك التعدي وسوء الأدب والتطاول حتى في دعاء الله تعالى، {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(الحجرات: 16)[1].

المواقف العربية من علاقات حماس بإيران

تتباين المواقف العربية من موضوع علاقة حماس بإيران، ويمكن أن نجملها في ثلاثة: موقف مرحب بالعلاقة ويراها مسألة إيجابية، وتأتي سوريا في مقدمة الدول التي تتبنى هذا الموقف، ويكاد يكون ذلك موقف لبنان الرسمي. وتؤكد الحركة أن علاقاتها بإيران ساعدت في تطوير علاقتها بلبنان، كما تنظر الجزائر بعين الاحترام للعلاقة[2].

أما الموقف الثاني فينظر بتقدير إلى العلاقة مع تفهم متطلبات واحتياجات المقاومة، شرط ألا تقطع علاقة الحركة بإيران، علاقتها بمحيطها العربي، ومن أبرز الدول التي تمثل هذا الموقف اليمن[3].

تجنب أصحاب الموقف الثالث حتى 1999 التحدث بصراحة في الموضوع، لكنهم كانوا على الدوام يثيرون تساؤلات بشأن العلاقة مع إيران[4] ويثير حفيظتهم تنامي علاقة الحركة بها؛ وهم على خصومة معها وعلاقتهم بها لا تسير على ما يرام. وقبل 1999 لم تكن الحركة تسمع اعتراضًا جوهريًّا على علاقتها بإيران[5]. وبعد ذلك أصبح بعض العرب يوجه سهام نقده للحركة ويتهمها بأنها أداة في يد إيران. وكانت السعودية والإمارات، وما زالتا، من الدول التي لا تكن لحركة حماس ودًّا، واتخذتاها عدوًّا لدودًا.

(تاريخ الدخول: 21 فبراير/شباط 2024)، https://2u.pw/C956dsJ

(1) الريسوني، المرجع السابق.

(2) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(3) تعمد حمدان إعطاء مثل واحد لتجنب الحرج بالنسبة للفئة الثالثة.

(4) من المقابلة مع حمدان.

(5) من المقابلة مع حمدان.

أمـا حركـة حماس فما فتئت تؤكد أن ما يحكـم علاقتها مع إيران هو ما يحكـم علاقاتها مع الجميع، ولا يؤثر الجانب الفكري والمذهبي على العلاقة، فلا مشكلة لديها مع الأديان أو الأفكار أو المذاهب الأخرى، فلم يؤثر فكر فتح العلماني أو الفصائل اليسارية تأثيرًا سلبيًّا على علاقة حماس بها، وكذلك العلاقة مع الدول العربية، فحماس تتحرك بما يحقق مصالح الشـعب الفلسطيني. وفي حالة وجود انسـجام فكري، أو أيديولوجي فإن ذلك يسهم في تقوية العلاقة[1]. وبالنسـبة للعلاقة مع إيران فإن حماس ترى أنه بالإضافة إلى الرؤية المشـتركة فيمـا يتعلق بخطورة الكيان الصهيوني، فإن الإيرانيين مسـتعدون لتحويل ذلك إلى مواقف سياسـية وعملية، وهو ما أسـهم في تقوية العلاقة. ورغم اختلاف المذهب، فإن الهوية الإسلامية تسـهِّل العلاقة[2]، والحركة منسـجمة مع إيران فيما يتعلق برؤيتها الإسلامية، وفي الدوافع والمرجعيات الإسلامية.

وكثيرًا ما حاججت الحركة: رؤيتنا لمحددات العلاقة هي ذاتها مع الجميع، وتقوم على عدم التدخل في الشـؤون الداخلية للدول وعدم إقحام أنفسـنا في المسـائل غير ذات الصلة بالصراع مع العدو. وليس شـرطًا أن نتفق على كل شيء، لكن المهم هو وجود الاتفاق على مقاومة العدو الصهيوني[3].

فـي 27 ديسـمبر/ كانون الأول 2008، بدأ الاحتلال الإسـرائيلي عدوانًا عسـكريًّا على قطاع غزة سـماه "الرصاص المصبوب"، اسـتمر نحو 23 يومًا، وسمته المقاومة "معركة الفرقان". في خضم ذلك العدوان بادر الاتحاد العالمي لعلماء المسـلمين إلى لقاء عدد من الحكام العرب ليبحث معهم سبل مساعدة المقاومة الفلسـطينية ومدَّ يد العون لأهل غزة. وكان من ضمن من اجتمع بهم وفد الاتحاد، برئاسة يوسف القرضاوي، العاهل السعودي آنذاك، الملك عبد الله بن عبد العزيز، وحضر اللقاء بعض مساعدي الملك والمقربين منه.

---

(1) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(2) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(3) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

وكان ذلك اللقاء، بإجماع أعضاء وفد الاتحاد، "أسوأ اللقاءات" لأن العاهل السعودي "لم يقبل، لا حقيقة ولا مجاملة، أي شي مما عرضه الوفد عليه"[(1)].

كان اللقــاء متوترًا لدرجــة أحجم فيها الوفد عن الكلام وانحصر الحديث بين الملك والقرضاوي، "لقد طلبنا منه أي شكل من أشكال مساندة غزة، فكان يتهرب ولا يرى أنه بالإمكان أن يفعل شــيئًا، وأنهم قد فعلوا الشــيء الكثير من قبــل، وأن حمــاس لا تتجاوب ولا تلتزم بوعودها[(2)]... ولام حماس كثيرًا على علاقتها بإيران"[(3)].

حــاول الشــيخ القرضاوي أن يقنعــه باســتخدام سلاح النفط ضد الدول المســاندة للعدوان فرفض رفضًا باتًّا ولو تلويحًا، كما رفض أن يكلم حســني مبــارك في مســألة الحصار الظالم على غــزة وكان يدافع عن وجهة نظر مبارك وموقفه[(4)]، وخرج الوفد من اللقاء دون شيء يُذكر[(5)].

السعودية تصنف حماس حركة إرهابية

وفي يناير/كانون الثاني 2022، وصفت صحيفة "عكاظ" الســعودية حركة حماس بأنها دمية بيد إيران وأن وجودها يهدد الأمن العربي. وقالت الصحيفة:

---

(1) الحاج محمد الناســك (إعداد وتحرير)، ذكريات أحمد الريســوني من رعي الغنم إلى رئاســة اتحاد علماء المســلمين، إســهام في التأريخ للحركة الإسلامية المغربية، الدار المغربية للنشر والتوزيع، (المغرب، 2022) ط 1، ص 225.

(2) حمل الملك عبد الله بن عبد العزيز، موقفًا شخصيًّا من رئيس المكتب السياسي السابق لحركة حماس، خالد مشعل، وكان يحمِّله مسؤولية انهيار اتفاق مكة.

(3) المرجع السابق، ص 226.

(4) المرجع السابق، ص 227.

(5) يروي الريسوني: قال له الشيخ القرضاوي في الأخير: نحن الآن سنخرج ويسألنا الصحافيون عن نتائج اللقاء يا خادم الحرمين الشــريفين، ماذا نقول لهم؟ وماذا نقول لأصحاب الأحزمة الناسفة الذين يقولون: هذا كله عبث، ولا أمل يُرجى من الحكام؟ لكن الملك بقي على موقفه. انظر المرجع السابق، ص 227.

إن حمــاس "وُجدت من أجل مشــروع التمــدد الإيراني في المنطقة، فهي أحد الأضلاع الثلاثة مع ميليشــيا الحوثي وحزب الله، لإيران في المنطقة، والدليل الســاطع أن حماس فرضت على أهالي غزة رفع الرايات الســوداء حدادًا على مقتل قاســم ســليماني، قائد فيلق القدس في الحرس الثوري، بعد أن أقامت له في القطاع بيت عزاء"[1].

ولعلِ هذا المقال وكثيرًا من التصريحات السعودية تكشف أن علاقة الحركة بإيران تشكِّل عائقًا كبيرًا أمام علاقاتها مع السعودية وربما مع دول أخرى، رغم تأكيدات الحركة المتواترة بأن علاقاتها مع هذه الدولة أو تلك لا تصب في خانة معاداة دولة أخرى. ولا يخفى أن من أسباب عداء السعودية لحماس مرجعيتها الإخوانية؛ لأن المملكة تعادي الإخوان وقد طغى ذلك على سياستها. وقد سعت حماس إلى تحسين علاقاتها بالسعودية، لكن دون طائل.

في مايو/ أيار 2019، نشــرت صحيفة "مكة" الســعودية قائمة بأســماء 40 شــخصية إسلامية صنَّفتها إرهابية، على رأســها مؤسِّس حماس، أحمد ياسين، وكبار قادتها، إســماعيل هنيَّة، وخالد مشعل، ويحيى السنوار، ومحمد الضيف. ووفقًا للمقال، الذي اضطرت الصحيفة إلى حذفه من موقعها ومن حسابها على تويتر (ســابقًا) بعد موجة غضب عارمة منها، فإن أربعين شــخصية على علاقة بالإخوان المسلمين، دعموا الإرهاب، ومن بينهم مؤسس حركة حماس، الشهيد أحمد ياسين، والقيادي بالحركة، عبد العزيز الرنتيسي، ومؤسس حركة الإخوان المسلمين، حسن البنا، ويوسف القرضاوي وسيد قطب[2].

وفي ردها على ادعاءات "مكة"، ربطت حركة حماس القائمة بـ"المشروع الأميركــي"، وقالــت: إن "المطبِّعين والمهرولين الذين يصفــون قادة المقاومة

(1) وجودهــا يهــدد الأمن العربي: حماس "دمية" إيران.. خيانــات بـ "غطاء إسلامي"، صحيفة عكاظ، 24 يناير/كانون الثاني 2022، (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3WcC116

(2) ياســين والرنتيســي ضمن قائمة تضم 40 إرهابيًّا بصحيفة ســعودية، الجزيرة نت، 11 مايو/أيار 2019، (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3PskYpF

بالإرهاب لن ترضى عنهم أميركا، لن ترضى عنهم إسـرائيل، إنما يريدون أخذ أموالهم ليمرروا المشروع الأميركي في المنطقة"[1].

وكمـا أن "العلاقة مع إيـران" كانت عنوانًا بارزًا في الأزمة الخليجية التي اتخـذت اسـم "أزمة حصار قطر"؛ فإن العلاقة مع حمـاس كانت كذلك، فقد شـهدت علاقة حماس والسـعودية حالة من التوتر مع منتصف 2017، بعد أن قال وزير الخارجية السـعودي، عادل الجبير: إن "قرار قطع العلاقات مع قطر جاء بسـبب دعمها المسـتمر منذ سـنوات لـ"جماعات إرهابية ووسائل إعلام عدائيـة". ونُقل عن الجبير قوله: "طفح الكيل. وعلى قطر وقف دعم جماعات مثل حماس والإخوان المسلمين"[2]. وفي مطلع 2018، طالب الجبير قطر بوقف دعمها للحركة.

سارعت حماس إلى الرد على الجبير؛ فوصفت في بيان نشرته على موقعها الرسـمي مواقفه بأنها "غريبة" عن خط السياسـة السـعودية. وعبَّرت عن "بالغ الأسف والاسـتهجان"، ورأت فيها تحريضًا عليها وصدمة للشعب الفلسطيني، وأنها قابلة للاسـتغلال من طرف إسرائيل لارتكاب مزيد من الانتهاكات، وأنها "مخالفـة للقوانين الدولية والمواقـف العربية والإسلامية المعهودة"، داعية إلى "وقف هذه التصريحات التي تسيء للمملكة ولمواقفها".[3]

وتسعى الحركة منذ 2019، عبر وسطاء إقليميين ومسؤولين سعوديين، إلى ترميم علاقتها بالسـعودية، "لرغبتها في ألا تصل الأمور مع المملكة إلى قطيعة كاملة"[4]. وقد أسفرت بعض الجهود عن الإفراج عن معتقلين من أعضاء الحركة أو من مؤيديها، وترحيل بعضهم إلى الأردن.

---

(1) المصدر السابق.

(2) الجبير: قطر تدعم الإعلام المحرض وإيران تسـتضيف الإرهابيين، العربية، 6 يونيو/حزيران 2017، (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3PqtVQg

(3) حماس تسـتهجن تصريحات وزير الخارجية السـعودي ضدها، الجزيرة نت، 7 يونيو/حزيران 2017، (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3FvAQTE

(4) عدنان أبو عامر، حماس تسـعى إلى ترميم علاقتها بالسـعودية من دون شـروط، المونيتور، 15 يناير/كانون الثاني 2020، (تاريخ الدخول: 14 ديسـمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3UYZmCp

ويُرجع تقرير لـ "المونيتور" علاقات حماس بالسعودية إلى 1987، ومما جاء فيه أن جهاز الاستخبارات العسكرية السعودية عقد لقاءات مع قيادة الحركة لمعرفة مواقفها السياسية، وسبق أن قدمت السعودية لحماس دعمًا ماليًّا رسميًّا مرتين، الأولى في 1992، والثانية خلال زيارة الشيخ أحمد ياسين، 1998. وتركت الساحة الشعبية لحماس لجمع التبرعات بصورة غير معلنة، وإن حدَّتها ببعض الضوابط بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول 2001 [1].

لكن منذ تعيين محمد بن سلمان، في 2017، وليًّا للعهد في المملكة، تغير موقفها من حماس[2].

ولم تبق العلاقة بمنأى عن تأثيرات المتغيرات الإقليمية والعربية، وفي مقدمتها موقف حماس من المبادرة السعودية للسلام، وانفتاح حماس على إيران[3].

لم يجد خالد مشعل "سببًا جوهريًّا يستدعي التغيير" الذي حدث في موقف السعودية من الحركة، فحماس لم تبدر منها إساءة لأحد، ولديها رؤية وسياسة واضحة، فهي تحارب الاحتلال الصهيوني ولا تتدخل في شؤون الدول.

ومن الواضح أن الحركة تعتقد أن السعودية هي التي تغيرت، وهو ما عبَّر عنه مشعل بقوله: "لا يصح أن تحاسبني دولة؛ لأنني متمسك بفلسطين أو أنني أمارس المقاومة، هم مخطئون فيما يفعلون، فقد اعتقلوا أكثر من 60 شخصًا. يا أخي، إذا شعرت أن وجودهم عبء عليك أخرجهم؛ اطلب منهم مغادرة المملكة لكن لا تعتقلهم"[4].

---

(1) حمزة إسماعيل أبو شنب، علاقات حركة المقاومة الإسلامية "حماس" مع المملكة العربية السعودية، فصل في كتاب الثابت والمتحول 2015: الخليج والآخر، ص 125، انظر: عمر الشهابي ومحمود المحمود (محرران) الثابت والمتحول 2015: الخليج والآخر (الكويت: مركز الخليج لسياسات التنمية، 2015)، https://gulfpolicies.org/images/GCCS2015.pdf

(2) عدنان أبو عامر، مرجع سابق.

(3) أبو شنب، مرجع سابق.

(4) الجانب الآخر – خالد مشعل رئيس حركة حماس في الخارج، 12 أغسطس/آب 2022، الجزيرة

شهدت علاقة حماس بالسعودية بعض التحسن بعد الانفراج الذي شهدته العلاقات السعودية-الإيرانية الذي تكلل باتفاق سعودي-إيراني رعته الصين بعد خمس جولات من المحادثات جرت في العراق ووساطات أسهمت فيها سلطنة عُمان ودول أخرى. وفي أبريل/ نيسان 2023، أدى وفد قيادي من حركة حماس، برئاسة رئيس المكتب السياسي للحركة، إسماعيل هنية، العمرة خلال زيارة للسعودية هي الأولى منذ 2015[1]. وأعقب الزيارة إفراج السلطات السعودية، عن هاني الخضري، نجل ممثل حركة حماس السابق في الرياض، محمد الخضري، الذي أُفرج عنه في أكتوبر/ تشرين الأول 2022. وكانت المحكمة الجزائية السعودية قد قضت، في أغسطس/ آب 2021، بالسجن 15 عامًا على الخضري ضمن أحكام على 69 أردنيًّا وفلسطينيًّا، تراوحت ما بين البراءة والسجن 22 عامًا[2]. وعقب انطلاق عملية "طوفان الأقصى" سعت الحركة للتواصل مع السعودية بغية عقد اجتماع أو ترتيب زيارة لكنها لم تتلق ردًّا.

الإمارات: تنامي العداء لحماس

اتبعت أبو ظبي سُنَّة السعودية حذو القذة بالقذة؛ فصنَّفت حماس "إرهابية"، وتزامن ذلك مع تنامي علاقات الإمارات العربية المتحدة بالكيان الصهيوني والانخراط في تطبيع غير مشروط معه. وهو ما سمته التفكير الإستراتيجي المرتبط باتفاق "إبراهام" ليكون ملهمًا لدول أخرى بالمنطقة لإعادة تصور المستقبل[3]. وفي تحريض سياسي واضح، عبَّر وزير الخارجية الإماراتي، عبد

على يوتيوب، (تاريخ الدخول: 27 أبريل/نيسان 2023)، https://bit.ly/3HkjdYW

(1) وفد من حماس يؤدي العمرة خلال زيارته إلى السعودية لأول مرة منذ 2015، الجزيرة نت، 18أبريل/نيسان 2023، (تاريخ الدخول: 25 أبريل/نيسان 2023): https://bit.ly/3oKEB36

(2) في سبتمبر/أيلول 2019، أوقفت السعودية القيادي في "حماس" وممثلها في الرياض، محمد الخضري، ونجله، هاني، ضمن حملة استهدفت عشرات الفلسطينيين، يحمل بعضهم الجنسية الأردنية، وفق بيان صدر عن حركة "حماس".

(3) في حوار مع موقع اللجنة اليهودية الأميركية.. وزير خارجية الإمارات: من المؤسف تردد بعض الدول في توصيف واضح لحماس وحزب الله، الجزيرة نت، 12 يونيو/حزيران 2021، (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3Vc8qUN

اللــه بــن زايد آل نهيان، عن أســفه "أن تتردد الدول فــي الحديث عن كيانات مثل حماس أو حزب الله أو الإخوان المســلمين بطريقة أوضح" وأن تصنفها إرهابية[1].

وتُرجع بعض المصادر تنامي عداء الإمارات لحماس إلى 2006 بعد فوزها في الانتخابات التشــريعية الفلسطينية، وتشكيلها الحكومة؛ إذ سارعت أبو ظبي إلى إبلاغ الولايات المتحدة أنها تصنفها حركة "إرهابية"، وفق برقية كشفها موقع "ويكيليكس"[2].

وظهر التدهور في العلاقات بين حماس والإمارات إلى العلن، حين اغتال جهاز "الموســاد" الإسرائيلي محمود المبحوح، القيادي في كتائب القسام، في أحد فنادق دبي، في يناير/ كانون الثاني 2009، فرفضت الإمارات الموافقة على طلب الحركة المشاركة في التحقيق[3].

تحول كتبة الصحف الإماراتية مع نظرائهم الســعوديين إلى يد واحد على المقاومة يرمونها عن قوس واحدة؛ فلم يرقهم شــكر حماس إيران على دعمها المادي والسياسي للمقاومة، واتهموها بأنها أداة في يد إيران.

وفقًا لصحيفة "الاتحاد" الإماراتية، فإن "طهران لا تحارب بشــكل مباشر، بل عن طريق الوكلاء في العراق وســوريا ولبنان واليمن، وبكل تأكيد في غزة، وهــذا ليس مــن أجل القدس، لكنها تريد الضغط على القوى العالمية وتحديدًا الولايــات المتحــدة، من خلال تلويحها بأوراق الحرب والســلم في الشــرق الأوســط، والتأكيد أنها تمسك بالأوراق جميعها، وأن التفاوض معها هو الذي سيمكِّن تلك القوى من تحقيق غاياتها"[4].

---

(1) المصدر السابق.

(2) محمــد أبــو رزق، عداء متزايد.. لماذا تحارب الإمارات "حمــاس" وتلاحقها أمنيًا وماليًا؟، 27 أغســطس/آب 2020، (تاريــخ الدخــول: 14 ديســمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3Yy6tou

(3) المصدر السابق.

(4) ســالم حميــد، لماذا تشــكر "حماس" إيران؟، صحيفة الاتحــاد، 29 مايو/أيار 2021، (تاريخ

يميـــل البعض إلى قراءة دعم إيران للقضية الفلســـطينية على أنه اســـتثمار إيرانـــي في الفـــراغ العربي وتخلي الدول العربية عن دعم القضية الفلســـطينية، وأن الدعم يصب في خانة صالح إيران السياسية، لكن الشهيد صالح العاروري يرى غير ذلك ويعتقد أن "علاقة إيران بالقضية الفلسطينية مبدئية وأصيلة وكانت محورًا أساســـيًّا في خطاب الثورة والنظرة إلى المشروع الصهيوني، فالعلاقة مع الولايات المتحدة وإســـرائيل كانت في لُبِّ الخلاف بين الخميني والشـــاه، وقد أعقب انتصار الثورة خطوات عملية لفائدة القضية الفلسطينية"[1].

ويدعـــو أســـامة حمدان أي طرف لديه شـــكوك أو تحفظـــات على علاقة حماس بإيران لأن يقدم الدعم للمقاومة اختصارًا للطريق وربحًا للوقت وقطعًا للشك باليقين[2].

لقد اختارت الحركة الانفتاح على الجميع وســـعت إلى نســـج علاقات مع كل دول العالـــم، فـــي أميركا اللاتينية وفي شـــرق آســـيا وأوروبا، وكانت لديها اتصالات رســـمية مع الطرف الأميركي، ولكنها قُطعت بعد أن تبينوا أن الحركة لا توافق على التسوية ابتداء ثم لا توافق على أوسلو تحديدًا[3].

وزيادة في البيان يقول العاروري: "كانت إيران حريصة دائمًا على الحضور في الموضوع الفلســـطيني، وهذا الحرص ليس موســـميًّا ولا انتهازيًّا، ولا يقوم علـــى رد الفعل، بل يرتبـــط بروح الثورة، ولذلك لا علاقة للحضور العربي من عدمه بموضوع العلاقة مع إيران"[4]. وأكدت التجربة، وفقًا للعاروري، أن سقف التأييد الإيراني للقضية الفلسطينية سواء أكان سياسيًّا أو تنفيذيًّا ماديًّا لا يبلغه أحد من دول المنطقة.

وجوابًا عن بعض علامات الاســـتفهام التي قد تنتصب أمام القارئ بشـــأن الموقـــف العربـــي من علاقة حماس بإيران؛ ومنها: هـــل علاقة حركة المقاومة

الدخول: 14 ديسمبر/كانون الأول 2022)، https://bit.ly/3FO4ftI

(1) من مقابلة للباحثة مع الشيخ العاروري.

(2) من المقابلة مع حمدان.

(3) من المقابلة مع حمدان.

(4) المرجع السابق.

الإسلامية حماس بإيران هي نتيجة لتخلي العرب عن القضية الفلسطينية؟ وهل الحركة قد تستغني عن العلاقة في حال وجدت دعمًا عربيًّا؟ يقول الشهيد صالح العــاروري: "نحتاج إلــى كل المنظومة العربية والإسلامية والدولية في ســبيل قضيتنا، وفي هذا المجال لا تحل دولة مكان أخرى"[1] .

ويذهب حمدان، رفيق العاروري في النضال، المذهبَ نفسه؛ فالعلاقة مع إيران جاءت بشــكل طبيعي وتصاعدي، وهو تصاعد كان مقدرًا له أن يســتمر حتى لو توافر الدعم العربي؛ لأن الحركة ترى أن مجال دعم القضية الفلسطينية يجــب أن يكــون مفتوحًا، وأن أي دعــم يأتي من أي دولة حتى في الغرب هو أمر مقدر[2].

بدأت بعض الدول، وبأشــكال مختلفة، تتقدم في علاقتها بالحركة، ومنها من ســاومها على علاقتها بإيران ليقيم علاقة معها، وهو ما رفضته الحركة من حيــث المبدأ، وجادلت بأنــه فضلاً عن نمطه الإملائي، فهو غير مجد في عالم السياسة[3].

مع تطور علاقة حماس بإيران، وبالتزامن مع عدد من التطورات السياسية، أصبــح الهجــوم على الحركة وانتقــاد علاقتها بإيران عنوانًا بارزًا في السياســة الخارجيــة لبعــض الدول، وتلا ذلك إجراءات تحدُّ مــن حركة قيادات الحركة وســفرها، وعن هذا يقول محمود الزهار: "لا شــك أن بعض الدول التي تدور في فَلَك الغرب تحاول بكل الوسائل منع سفر أي شخص من الحركة، كما هو الحال معي، أو وفد، إلى إيران، أو أي بلد آخر يمكن أن تعقبه زيارة إيران. لا شك أن دولاً مركزية تتبنى هذه السياسة وخاصة المجاورة[4].

كان لوصول دونالد ترامب إلى سدة الرئاسة الأميركية تأثير سلبي على مسار القضية الفلســطينية، وشــكَّلت مواقفه خروجًا عن المواقف التقليدية الأميركية؛

(1) من المقابلة مع الشيخ العاروري.

(2) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(3) من المقابلة مع حمدان.

(4) من المقابلة مع الزهار.

فقد تبنَّى إســتراتيجية العمل على تصفيــة القضايا الكبرى وفي مقدمتها القضية الفلسطينية من خلال ما سُمي بصفقة القرن. واستهدفت هذه الإستراتيجية بصورة جلية العناوين الكبرى للقضية الفلســطينية: الأرض، واللاجئين، والقدس، ونقل السفارة إلى القدس باعتبار أنها خارج أي مفاوضات[1].

سار ذلك في اتجاهين، هما: تشريع الاستيطان داخل أراضي الضفة الغربية؛ حيث هناك 150 ألف مستوطن يعيشون في الضفة والقدس، نصفهم في القدس. وخطــة الضم المصممة لتأتي علــى 30٪ من أراضي الضفة الغربية. نتيجة هذا الموضوع لا يوجد هناك دولة ولا أرض تقوم عليها الدولة، أما قضية اللاجئين فتــم اعتبارها قضية غير قابلة للبحث كما تم العمل على تجفيف المؤسســات الداعمة وتصفية قضية حق العودة.

ولتحقيق ذلك أيضًا جرى العمل على بناء تحالف إقليمي في المنطقة، تكون إسرائيل فيه مؤثرة إستراتيجيًّا، وجرى وضع ملامح ذلك في مؤتمر الرياض، عام 2017 [2]، الذي حدد المسارات العامة للإدارة الأميركية. بدا وكأن هناك تحالفًا جديدًا تصبح فيه إســرائيل كيانًا شــرعيًّا، دولة جارة وصديقة وحليفة، وجرى العمــل على تغيير مصفوفة الأهداف في المنطقة وتغيير جبهة الصراع بناء على تحالف ضد إيران وحركات المقاومة. ولذلك جاءت مفردة الإرهاب لتبرر هذا التوجه في اســتهداف لحركات المقاومة والدول الداعمة لها. وتزامن ذلك مع السعي لتجفيف المنابع، للحيلولة دون تعزيز صمود الشعب الفلسطيني. وكذلك استهداف كل ما يعزز قوة المقاومة ورفع العصا الغليظة في وجه كل من يقدم المساعدة لحركات المقاومة في هذه المعركة الكبيرة.

شــهدت المنطقة نوعًا من التطبيع والســيولة ومخططــات تتم في مطابخ سياســية مشــتركة لمواجهة أعداء إســرائيل في المنطقة. ومثلت إسرائيل رأس الجسر في تنفيذ الإستراتيجية الأميركية.

---

(1) من لقاء مع رئيس المكتب السياســي لحركة حماس، إســماعيل هنية، ضم مجموعة محدودة من الشخصيات، الدوحة، 23 يوليو/تموز 2020.

(2) زهير حمداني، عام على قمة الرياض.. ماذا فعلت بالمنطقة؟، الجزيرة نت، 21 مايو/أيار 2018، (تاريخ الدخول: 7 مايو/أيار 2024)، https://2u.pw/vmpsGPNT

وجــدت حركة حماس أن هــذه التحديات لا تصلح مواجهتها تكتيكيًّا بل تحتاج إلى خطة إســتراتيجية متكاملة تتجاوز ردود الفعل الآنية، وتحتاج كذلك إلى عناصر متكاملة السياسة متعددة المسارات، وهو ما قررته الحركة في أروقتها الداخلية[1]. إستراتيجية عمل في عدة دوائر:

الدائــرة الفلســطينية لإنهاء الانقســام واســتعادة الوحــدة وترتيب البيت الفلسطيني. وفي هذه الدائرة اتفاق على عدد من العناصر، منها: إعادة تعريف المشروع الوطني الفلســطيني، والاتفاق على الإستراتيجية النضالية الفلسطينية، وضرورة الاتفاق على إستراتيجية نضالية ومفهوم المقاومة الشاملة وفي مقدمتها المقاومة المســلحة. بالنظر إلى أن العدو الذي تواجهه "بلطجي" يحاول فرض الوقائع بحكم التفوق العسكري والدعم الأميركي، وبالنظر إلى أن حماس تتربع على عرش المقاومة المسلحة. وكان السؤال هو: كيف ينخرط الشعب الفلسطيني في فعاليات المقاومة ضد العدو ويكون "الانخراط في فلســطين المحتلة التي هي ميدان الصراع"؟[2]

أما الدائرة الإقليمية فهي ذات بُعد عربي إسلامي وضرورة حمايتها كعمل إســتراتيجي باتت أولوية؛ فالمقاومة لكي تكون مقاومة وفاعلة تحتاج إلى دولة إسناد، ولذلك لابد من إعادة ترتيب العلاقة مع المحيط العربي والإسلامي ضمن "إستراتيجية تقوم على مفهوم الأمة الواحدة، ولابد من إخراج القضية الفلسطينية من دائرة الصراع بين الدول"[3]، ونسج العلاقات بتوازن تحتاجه الحركة[4].

فــي محيطٍ كالذي وصفناه كانت حركة حماس تحتاج أن تعرف أين تضع أقدامهــا، فهي حركة تحرر يلزمها مقاومة شــاملة ترتكز علــى المقاومة خيارًا إستراتيجيًّا لا يتم التخلي عنه، ويجعل من حق الحركة أن تمتلك جميع أسلحة

---

(1) من اللقاء مع هنية.

(2) من اللقاء مع هنية

(3) من اللقاء مع هنية

(4) قبل الربيع العربي كانت المحاور واضحة لكن بعد الربيع العربي والثورات المضادة تغير كل شيء.

المقاومة. ولذلك لا بد من وجود كتلة صلبة في المنطقة تكون حاضنة للشعب الفلســطيني وتتصدى لمحاولات الاختراق الصهيونــي للمنطقة وفرض الرواية الفلسطينية[1]. وراهنت الحركة على أن المنطقة ما زالت تمتلك أوراق قوة تمكّن من تطوير حالة الدعم وإعادة الاعتبار للقضية الفلســطينية وبناء تيار أوســع من إيــران، وقطر، وتركيا، والجزائر. ووجدت الحركة ضرورة تعزيز التشــاور مع الأردن لأنه البلد المتضرر من تطورات الحالة الفلســطينية بصورة مباشــرة ومن ســيناريوهات تهجير الناس، وبدت هناك حاجة إلى التنســيق وبناء المواقف مع الأردن في إطار الإستراتيجية المبتغاة.

ولأن حماس حركة مقاومة تحتاج إلى دعم بالمال والسلاح والتكنولوجيا، ودولة تعطي إســنادًا سياســيًّا مثل مصر، ودولة تســاعد ماليًّا وسياسيًّا مثل قطر وتركيــا، وتحتــاج بصورة أكيدة دولة تدعم بالسلاح؛ وهنا تبرز إيران متفردة في منظومــة داعمي حماس، ولا غنى للحركة عــن العلاقة معها، و"تتفهم الحركة الانتقادات التي توجه لعلاقتها مع إيران، لكن تأمل أن يتفهم المنتقدون مواقفها أيضًا إذ لم يصدر عنها أنها تؤيد السياسة الإيرانية في العراق أو سوريا"[2].

حماس والمشروع الإيراني

يعد "المشــروع الإيراني" في المنطقة ســيفًا مصلتًا على حركة حماس من طرف المعترضين على علاقتها بإيران. فمنذ نشأت العلاقة بين الطرفين والحركة تُتهم بالتغاضي عما يصفه منتقدوها بـ"المشروع التخريبي الإيراني" في المنطقة، الذي يرونه تحالفًا غير معلن مع المشروع الأميركي الصهيوني لضرب ما يسميه البعض "المشروع الحضاري السُّنِّي"!

وترد حماس بأن علاقتها بإيران كانت جزءًا من علاقاتها مع دول المنطقة عمومًا، وأنها مقتنعة اقتناعًا راســخًا بأن عمقها الإســتراتيجي هو العمق العربي

(1) مثل تعزيز الرواية الفلسطينية والدفاع عنها هو بؤرة العمل في **الدائرة الدولية**. وهو ما يتضمن العمل مع الدوائر العالمية ومد الجسور معها لتعزيز المواقف الإنسانية الدولية، واستثمار الحالة الدولية الداعمة والمتعاطفة مع القضية الفلسطينية.

(2) من اللقاء مع هنية.

الإسلامـــي، لذلـــك حرصت على أن تكون لها علاقـــات مع الدول المؤثرة في المنطقة، ذات الدور الأساســـي في القضية الفلســـطينية، وهي مصر والسعودية والعراق وسوريا وإيران وتركيا.

وتدرك الحركة أن لهذه الدول مشاريعها الإقليمية، لذلك قررت منذ اللحظة الأولـــى أنهـــا غير معنية بتكتل مجموعة دول ضد مجموعة أخرى، وألا تنخرط في محور ضد محور آخر.[1]

وفي هذا الســـياق، يقول موســـى أبو مرزوق: إن حمـــاس "حركة مقاومة إسلامية، وتســـعى إلى علاقات مع كل القوى الحية في المنطقة والعالم، وليس لها عداء مع أي مكون، سوى العدو الصهيوني"[2].

على الجانب الإيراني، يقول كمال خرازي: إن إيران لم تسجل أي تحفظات على علاقات حماس الخارجية، ولا ترى إشكالاً في أن تتلقى حماس المساعدة من دول أخرى؛ إذا ظلت الحركة مستمرة في طريق المقاومة ولم تكن العلاقة مع تلك الدول ذات تأثير سلبي في ذلك. فينبغي "ألا تكون المساعدة من أجل وقف المقاومة؛ كما جرى لفصائل فلسطينية كانت مقاومة؛ فدفعتها بعض الدول إلى عقد الصلح مع الصهاينة"[3].

وثيقة تؤصِّل لعلاقات حماس الخارجية

وقد دفعت الانتقادات والاتهامات الحركة إلى التأصيل الشـــرعي لسياستها الخارجيـــة وعلاقاتهـــا السياســـية، في وثيقة تقع في نحـــو أربعين صفحة (انظر الملاحق) أعدها أربعة من كوادرها الشـــرعيين، منهم الأســـير المحرر، الدكتور أشـــرف حســـن، وحظيت باهتمام ومتابعة الشـــيخ العاروري، وكان من المزمع اعتمادها من طرف الحركة في الضفة الغربية على وجه الخصوص.

---

(1) من المقابلة مع أسامة حمدان.

(2) جاء نص تغريدة أبو مرزوق: حماس ليســـت جزءًا من أي محور سياســـي أو عســـكري بغض النظر عن الاسم والعنوان. نحن حركة مقاومة إسلامية، ونسعى لعلاقات مع كل القوى الحية في المنطقة والعالم وليس لنا عداء مع أي مكون، سوى العدو الصهيوني، ونشكر كل من يقف معنا مساعدًا ومعينًا، وليس هناك من علاقة مع أي طرف على حساب طرف آخر، تويتر، 15 أبريل/نيسان 2023، (تاريخ الدخول: 25 أبريل/نيسان 2023)، https://bit.ly/3oHK7n1

(3) من المقابلة مع خرازي.

والوثيقة مقاربة شـــاملة ومتنوعة لمعالم السياســـة الشرعية للحركة، تعتمد مصـــادر متنوعـــة تجمع بين التراث الفقهي والفكـــري القديم، وبين المنهجيات الحديثة. وتناقش التطبيقات السياســـية الشـــرعية المتعلقة بالمقاومة الفلسطينية. وتوضح أن لدى الحركة مركزًا شرعيًّا متعدد الأطراف، يتعرض أحيانًا للتناقض الداخلي؛ إذ يحدث نزاع بين الالتزام بالحق والتسامح ببعض المخالفات الشرعية بسبب الضرورة.

لقد أسهمت الوثيقة، وفقًا لأشرف حسن، في تعزيز الفهم الصحيح للسياسة الشرعية وتوجيه العمل السياسي بما يتماشى مع القيم الإسلامية ومقاصدها[1].

تناقش الوثيقة التطبيقات السياســـية الشرعية المتعلقة بالمقاومة الفلسطينية، وتبدأ بالحديث عن المركز الشرعي للحركة، مشيرًة إلى أهمية فهم هذا المركز لفهم الأحكام الشرعية المتعلقة بها. فضلاً عن دورها في الحكم وإدارة الشؤون العامة في قطاع غزة. ويُبرز معدو الوثيقة التعقيدات في تقدير حكم الحركة نظرًا للتنـــوع في ظروفها وتنقلها بين الضعف والقوة والمواقف السياســـية المختلفة. ويؤكدون أن هذا التعقيد لا يُعفي الحركة من الالتزام بالأحكام الشرعية، ولكن يتطلب مراعاة التركيبة المعقدة لها عند اتخاذ القرارات.

ويظهر التفاوت في المركز الشـــرعي للحركة حســـب القضايا التي تتطلب نظرًا فقهيًّا، فالحركة ليست وحدها في فلسطين، بل توجد فصائل أخرى تشاركها الوطن، ولكن لها خصوصية في الضفة حيث إنها ليســـت مســـؤولية عن الحكم والإدارة، بينما في غزة تتحمل هذه المسؤولية.

وفي شـــأن العلاقات الخارجية، فإن الحركة تتعامل مع بعض الدول على أســـاس الشـــراكة الإقليمية، بينما مع البعض الآخر تكون العلاقة على أســـاس الشـــراكة الإسلامية أو بناءً على علاقات الدعم والحماية، مما يســـتلزم توخي الدقة في تحديد مركز الحركة الشـــرعي في كل حالة؛ فالحكم الشـــرعي يتأثر بالوضع المحيط بها والظروف التي تعيشها.

ووفقًـــا للوثيقة، فإن الحركة تعيش حالة مـــن الضرورة تجعل من مركزها الشـــرعي أمرًا محوريًّا يجب مراعاته في النظر الشرعي لقراراتها وتصرفاتها، مع

(1) مقابلة للباحثة مع أشرف حسن، الدوحة، 3 فبراير/شباط 2024.

أهمية التوجه إلى الفقه الشـرعي لفهم مركز حركة حماس وتصرفاتها في ظل التنوع والتعقيدات التي تواجهها، والتركيز على ضرورة توخي الدقة والحذر في تقدير الأحكام الشرعية المتعلقة بها.

تشير الوثيقة إلى وجود عدد كبير من أهل العلم الشرعي في قيادة الحركة، وهـذا يشـمل كلًّا من المختصين وغير المختصيـن الذين تلقوا معرفة إسلامية تمكِّنهم من فهم القضايا واتخاذ القرارات السياسية بناءً على المبادئ الإسلامية. وهو يعكس التوجه نحو الاستشـارة والتوجيه الشـرعي في مجالات السياسـة وغيرها.

وتنقسم الوثيقة إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

الأول: يستعرض مفهوم السياسة الشرعية ومقاصدها.

الثاني: يتناول مصادر السياسة الشرعية وقواعد النظر والاستنباط فيها.

الثالث: يقدم نظرة تطبيقية في السياسـة الشـرعية المتعلقة بالمقاومة الفلسـطينية، مما يعكس التحديات الحالية والإسـتراتيجيات الممكنة لمواجهتها.

وتقـدم الوثيقـة ما تقول إنـه نظرة تطبيقية لأحكام العلاقـات التي تتعلق بالحركة. وتشير النقاط الآتية إلى الجوانب التطبيقية في هذا الصدد:

1. تحليل العلاقات بناءً على المركز الشـرعي: يعكس هذا الجانب أهمية مراعـاة موقـع ومركز الحركة من الناحية الشـرعية في كل علاقة. ويجب أخذ طبيعة العلاقة والموقف الشـرعي للأطراف المتعاقدين في الاعتبار عند تحليل القضايا السياسية.

2. تعقيد المعاملات السياسية: تشير هذه النقطة إلى أن التعاملات السياسية غالبًـا ما تكون معقدة بسـبب وجود أطراف ثالثـة وعوامل أخرى. يتطلب هذا التعقيد دقة وتمهلاً في تحليل القضايا السياسية وتطبيق الأحكام الشرعية عليها.

3- العلاقات السياسية الخارجية: يتناول هذا الجزء العلاقات التي تنشأ مع أطراف سياسـية خارج بيئة الحركة، مثل الحركات الفلسطينية والدول الإقليمية والقوى العالمية. يعد هذا المجال تحديًا لأبناء الحركة؛ إذ يجب عليهم التعامل مع هذه العلاقات بحذر ودقة، مع المحافظة على مبادئهم وأهدافهم الشرعية.

وتقول الوثيقة: إن من أوجب الواجبات على العاملين لنصرة قضية فلسطين بوصفها قضية الإسلام الأولى تطبيق فقه الأولويات على كل تصرف أو تدبير أو عمل أو اجتهاد يتعلق بهذه القضية، وهذا يستلزم ضرورة تشكيل هيئة أو هيئات مختصة بتقدير المصالح والمفاسد وتشخيصها والموازنة بينها، وهذه الهيئة تتكون من مجموعة من المختصين في أبواب الفقه وأصوله والأولويات والمقاصد والسياسة الشرعية زيادة على مجموعة من أصحاب الخبرة السياسية مع الاستفادة من أهل الاختصاصات والخبرات الأخرى عند النظر في مسائل متعلقة بمجالاتهم، وترى أن هذا النوع من الاجتهاد سوف يرشِّد مسيرة الاجتهاد في مسائل القضية، ويوحد الجهود، ويصحح المسارات.

وتخلص الوثيقة إلى أنه يظل للمقاومة، باعتبارها طرفًا سياسيًّا، الحق بل الواجب في إنشاء تلك العلاقات التي من شأنها أن تخدم القضية وتحمي المقاومة وعناصرها وتدعمهم دون النظر إلى سلوك الأطراف الأخرى في غير محلِّ العلاقة، لضرورة الحال، وطبيعة المرحلة وقوانين السياسة الحاكمة.

الفصل التاسع: طوفان الأقصى
هل خذل محور المقاومة حركة حماس؟

"طوفان الأقصى": ردود الفعل

منـــذ بدء عملية "طوفان الأقصى" التي شـــنتها حركـــة المقاومة الإسلامية (حماس) على الاحتلال الإسرائيلي، في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، واسم إيران يتردد في وسائل الإعلام الإقليمية والدولية وفي تصريحات الساسة في إسرائيل والغرب. وأثيرت أسئلة في المنطقة والعالم بشأن الدور الإيراني في العملية وحدود هذا الدور، مع أن طهران سارعت مبكرًا لتأكيد أن العملية "فعل فلســطيني خالص". ولعل هذه الأســئلة تنطلق من مجموعة عناوين أهمها حالة العداء التي تطبع سياســية الجمهورية الإسلامية تجاه إســرائيل، والالتزام بدعم فصائل المقاومة الفلســطينية وفي مقدمتها حركة حماس وبناء علاقات قوية مع الحركة وتقديم دعم مالي وعسكري لها.

ومع إمعان الاحتلال الإســرائيلي في عدوانه على غزة كانت الأسئلة تكثر بشأن موقف إيران من العدوان وكيف ستدير معادلة دعم المقاومة في فلسطين من خلال أطراف محور المقاومة دون أن يقود ذلك إلى مواجهة شاملة تتحول فيها إيران نفسها إلى هدف. والواقع أن أبعاد الموقف الإيراني لا يمكن فهمها بمعزل عن فهم طبيعة الإســتراتيجية الدفاعية الإيرانية التي تقوم على بناء حالة ردع تجنِّبهــا الدخــول فــي حرب. وما العلاقة التي نســجتها مــع حلفائها في المنطقة إلا اســتجابة لما تفرضه هذه الإســتراتيجية. لقد أسهمت ويلات حرب إيران مع العراق (1980– 1988) في بناء هذه الإســتراتيجية، ثم جاءت حرب الخليج الثانية وما أعقبها من حضور غير مسبوق للقوات الأجنبية وفي مقدمتها القــوات الأميركية لتؤكد ضرورة المضي في هذه الإســتراتيجية الدفاعية. ولقد ارتبط تأســيس فيلق القدس، التابع للحرس الثوري، بهذا التطور، وكان احتلال الولايات المتحدة أفغانستان ثم العراق وتدميرهما عاملاً آخر لا يقل أهمية في شــكل وبنية الإســتراتيجية الدفاعية الإيرانية التي تقوم على محور أساسي وهو

تجنب المواجهة الشاملة. ومع ذلك، لا يمكن إغفال الموقف الأيديولوجي الإيراني من القضية الفلسطينية وهو موقف ظل ثابتًا منذ انتصار الثورة الإسلامية، ولعل هذا الموقف يفسر جانبًا من جوانب العلاقة مع حماس.

ولفهم هذه الحالة ينبغي تناول البعد الداخلي في إيران، وفهم طبيعة علاقة الجمهورية الإسلامية مع حلفائها في المنطقة، فضلاً عن فهم بنية الإستراتيجية الدفاعية الإيرانية التي توجه سياستها وردود فعلها على مجريات الأحداث في الإقليم وتتحكم في علاقاتها بمحور المقاومة.

قوبلت عملية "طوفان الأقصى" بردود فعل إيرانية متباينة، ومن أهم عناوين النقاش بشأنها:

- "طوفان الأقصى": مؤامرة وفخ أم فعل ذكي وخطة مدروسة؟
- سوء التقدير وقيمة العملية.
- حماس وأخلاقيات الحرب.
- دور إيران وحزب الله في عمليات "طوفان الأقصى": هل كانا على علم أم لا؟
- الديناميات الداخلية لحركة حماس.
- العلاقة بين حماس والقاعدة و"تنظيم الدولة/ داعش" و"الإخوان المسلمون".
- موقف الإيرانيين: دعم فلسطين أم دعم إسرائيل؟
- ماذا يعني لإيران انتصار حماس؟ وهل ستكون على موعد مع "طالبان" أخرى في المنطقة؟

في أعقاب هجوم 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023، سارع كبار المسؤولين الإيرانيين، ومنهم القائد الأعلى، آية الله علي خامنئي، والرئيس، إبراهيم رئيسي، إلى إعلان دعمهم للحركة مع نفي أي دور مباشر لإيران في الهجوم. ولم تقدم أي أدلة تؤكد هذا الدور وإن كان من المعروف أن إيران قدمت دعمًا سياسيًّا وعسكريًّا وماليًّا للمقاومة الفلسطينية وفي مقدمتها حركة حماس التي ترتبط بعلاقة وثيقة مع "محور المقاومة".

ورغم غياب الدليل على المسؤولية المباشرة لإيران فإن الغرب مقتنع بأنه

ليس بإمكان "حماس" التخطيط لمثل هذه العملية وتنفيذها دون سنوات من التدريب الإيراني، والأسلحة الإيرانية، ومئات ملايين الدولارات من التمويل الإيراني[1].

رأى خامنئي في طوفان الأقصى هزيمة للاحتلال لن يكون من السهل عليه التعافي منها، وأكد أن الهجوم استهدف بعض هياكل النظام بمستوى يصل إلى "عدم القابلية للإصلاح"[2]. ويرجح القائد الأعلى في إيران ألا يتمكن الكيان الصهيوني الغاصب من استعادة فاعلية تلك الهياكل رغم كل ما يفعله، وكل الدعم الذي يتلقاه من الغربيين. "لقد ضُرب، ولا يمكن تعويض ما لحق به بسهولة". وأكد خامنئي أن العملية "فلسطينية ولكن الاحتلال يلقي باللوم على الآخرين لعجزه أمام الشجاعة والتخطيط الذكي للشباب الفلسطيني"[3].

قرأ خامنئي "طوفان الأقصى" في سياق أوسع أطلق عليها سياسة "اجتثاث الأمركة"[4]. ورأى أنه حدث تاريخي استطاع أن يقلب أجندة السياسات الأميركية في المنطقة، وأن الطوفان سيستمر وسيمحو أجندة السياسات الأميركية في غرب آسيا. لذا، فإن إحدى سمات التغيير في خريطة الجغرافيا السياسية للمنطقة هي أن عملية "اجتثاث الأمركة" قد بدأت؛ فبعض الدول التي كانت خاضعة بنسبة

---

(1) Matthew Levitt, The Hamas-Iran Relationship, The Washington Institute, Nov 2023 (accessed: March 18, 2024):https://bitly.ws/3gcRv

(2) واكاوی نكات مطرح شده توسط رهبر انقلاب در مورد "طوفان الاقصى" و واكنش‌های رژیم صهیونیستی، تحليل النقاط التي أثارها قائد الثورة بشأن "عاصفة الأقصى" وردود أفعال النظام الصهيوني، موقع تابناك، 26 مهر 1402، (تاريخ الدخول: 4 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://2u.pw/6qescm8

(3) - حضور و سخنرانی فرمانده کل‌قوا در مراسم مشترک دانش‌آموختگی دانشجویان دانشگاه‌های افسری نیروهای مسلح (حضور وكلمة القائد العام في حفل التخرج المشترك لطلبة جامعات ضباط القوات المسلحة)، الموقع الرسمي لخامنئي، 1402/7/18 ش، (تاريخ الدخول: 4 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://farsi.khamenei.ir/news-content?id=54049

(4) - بیانات در دیدار بسیجیان "تصريحات في لقاء التعبويين"، الموقع الرسمي لخامنئي، 1403/9/8 ش(تاريخ الدخول: 4 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=54526

100 ٪ للسياسة الأميركية بدأت تجد زاوية في علاقتها مع أميركا وهو أمر سيستمر ويتصاعد.

وبخلاف النبرة الحذرة في تصريحات المسؤولين الإيرانيين يبدو موقف خامنئي في دعم المقاومة هو الأوضح. وبعد شهرين ونصف على "طوفان الأقصى" عاد خامنئي ليبشر بالنصر ويؤكد أن "ما يجري فريد في نوعه، فالبطش والقتل الإسرائيليان لم يشهد لهما التاريخ مثيلاً، لكن مقاومة أهل غزة وصبرهم أيضًا لم يشهد لهما التاريخ مثيلاً وعلى الجميع أن يساعد المقاومة بكل ما يستطيع. مساعدة المقاومة واجب، ومساعدة الكيان الصهيوني جريمة وخيانة"[1].

ورغم وجود أصوات مختلفة إلا أن الخطاب الرسمي في إيران ظل داعمًا للقضية الفلسطينية، وهو ما يعد مؤشرًا على الجذور العميقة للقضية الفلسطينية في السياسة الإيرانية. فمنذ الثورة الإيرانية، العام 1979، اتخذت طهران موقفًا معارضًا أيديولوجيًّا لوجود إسرائيل، وكان آية الله الخميني ينظر إلى إسرائيل على أنها قوة احتلال ومشروع استعماري للغرب يمثل تهديدًا للعالم الإسلامي.

وإن كان صنَّاع القرار في إيران يُجمعون على تأييد القضية الفلسطينية، إلا أن الشعب الإيراني تتجاذبه توجهات منها من لا يرى فائدة لإيران من دعم القضية الفلسطينية، ومنها من يدعو إلى الاعتراف بإسرائيل؛ مثل فائزة رفسنجاني التي طالبت بتغيير سياسة الجمهورية الإسلامية وإقامة علاقات مع إسرائيل التي أصبحت أمرًا واقعًا ودولة معترفًا بها في الأمم المتحدة[2].

تحركت إيران دبلوماسيًّا، وجال وزير خارجيتها في المنطقة، محذرًا من أن الاستمرار في العدوان على غزة من شأنه أن يوسع ساحة المواجهة في المنطقة. وتحدث عبد اللهيان غير مرة عن خطوط حمراء لن يُسمح بتجاوزها، لكن

---

(1) بيانات در ديدار مردم "كرمان" و "خوزستان" (تصريحات في لقاء أهل كرمان وخوزستان)، الموقع الرسمي للقائد الأعلى في إيران، 1402/10/2 ش (تاريخ الدخول: 24 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://bitly.ws/374Pg

(2) پيشنهاد فائزه هاشمى دربارهى روابط با اسرائيل(اقتراح فائزه رفسنجاني حول العلاقات مع إسرائيل)، انصاف نيوز، 15 مهر 1399 ش (تاريخ الدخول: 5 مارس/آذار 2024)، https:// bitly.ws/3eYJY

مجريات الحرب وأعداد الشهداء الكبيرة أثارت أسئلة بشأن المقصود بالخطوط الحمراء في المعادلة الإيرانية.

ودَعَــتْ طهران الــدول الإسلامية إلى اتخاذ إجراءات ضد إســرائيل ردًّا على عدوانها على غزة، مثل "قطع العلاقات الدبلوماســية ولو فترة محدودة"، وفــرض العقوبــات ووقف تصدير النفط[1]، لكن مقترحاتها لم تجد آذانًا صاغية على الرغم من فداحة الجرائم الإســرائيلية بحق المدنيين والأطفال. لقد كشف هذا التجاهل البون الشاسع بين ما تريده إيران وما تريده الدول العربية، وبدا أن السعي الإيراني إلى إيجاد شريك عربي يساعد في الضغط على إسرائيل لوقف الحرب ضرب من المستحيل.

إيران لا تصطاد لأصدقائها إنما تعلمهم الصيد

رغم تأييد إيران المعلن لـ"طوفان الأقصى" إلا أنها تعاملت مع تبعاته بحذر بالغ، وبدا واضحًا أن الداعم الأكبر لمحور المقاومة يبذل جهده لمنع توســيع ساحة الصراع، ويحذر من ذلك.

ظــل الأصوليون فــي إيران على موقفهــم الداعم لحمــاس، بينما دعت الشخصيات الإصلاحية والمعتدلة إلى ضرورة الحذر من "من يحاول جرَّ رجل إيران إلى المعركة". وكانت الدعوات إلى توخي مزيد من الحذر واضحة، منها دعوة الإصلاحي، محسن هاشمي، الذي حذر من استفزاز إسرائيل وتوريط إيران وتحويل اتجاه الخطاب نحو حرب إقليمية أوسع ضد إيران في محاولة لحشد دعم دولي أوسع[2].

لقــد دعــا التيار الإصلاحي والمعتدل، كما هو دأبــه، إلى ترجيح خطاب الدبلوماســية علــى خطاب المواجهة (خاصة في العلاقــة بالولايات المتحدة)،

---

(1) خامنئي يدعو الدول الإسلامية لقطع علاقاتها مع إسرائيل "لفترة محدودة"، الجزيرة نت، 19 نوفمبر/تشــرين الثاني 2023، (تاريخ الدخول: 5 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://bitly.ws/34CFU

(2) محسن هاشمی: باید مراقب بود تلاش اسرائیل برای کشاندن پای ایران به جنگ تحقق نیابد (محســن هاشــمي: يجب الحذر لمنع نجاح محاولة إســرائيل جر إيران إلى الحرب)، موقع انتخاب، 14 آبان 1402ش، (تاريخ الدخول: 5 ديســمبر/كانون الأول 2023)، https://www.entekhab.ir/0036zF

ويسري ذلك على موقفه من القضية الفلسطينية كذلك[1].

لقد صدرت تصريحات مؤيدة للقضية الفلسطينية عن وزير الخارجية السابق، محمد جواد ظريف، والرئيسين السابقين، حسن روحاني ومحمد خاتمي، لكنهم دعوا بوضوح إلى حصر دور إيران في الدعم السياسي وتجنب التورط العسكري. بعد ثلاثة أيام على "طوفان الأقصى" تحدث الرئيس الإصلاحي السابق، محمد خاتمي، وأشاد بعملية حماس وعدَّها "إنجازًا للشعب الفلسطيني" مشددًا على ضرورة "الحكمة السياسية" في التعامل مع الحرب في غزة، وأدان خاتمي إسرائيل وأعلن عن دعمه للفلسطينيين، ولكنه دعا إلى "إعطاء الأولوية للمصالح الوطنية الإيرانية" وإلى تبني سياسة خارجية "معتدلة"[2]، وحذَّر خاتمي من تبعات الاستقطاب السياسي واتخاذ مواقف "متهورة واستفزازية" من شأنها أن "تضر بالإيرانيين والفلسطينيين على حدٍّ سواء"[3].

وحذَّر ظريف في محاضرة بنقابة المحامين من دور يتعدى الدعم السياسي ويؤدي إلى توسيع ساحة المواجهة، مبينًا أن دعم المظلومين لا يعني القتال نيابة عنهم، مؤكدًا أن الإيرانيين تعبوا من دفع الأثمان، وأن وصول الصراع إلى إيران يعني أن الصواريخ ستسقط على رؤوس الناس لا المسؤولين[4].

وهاجم التيار الأصولي منافسيه وانتقد هذه الدعوات، ورأى فيها انحرافًا

---

(1) Hamidreza Azizi and Erwin van Veen,Iranian reactions to 7/10 and the invasion of Gaza, clingendael.org, 30 Nov 2023(accessed: 30 Nov 2023) : https://www.clingendael.org/publication/iranian-reactions-710-and-invasion-gaza

(2) سيد محمد خاتمی:حمله غافلگیرانه مقاومت به اسرائیل دستاورد بزرگی برای مردم فلسطین است/ زور و اشغال منشأ مشروعیت نیست (السيد محمد خاتمي: هجمة المقاومة المفاجئة على إسرائيل إنجاز عظيم للشعب الفلسطيني/ القوة والاحتلال ليسا مصدر الشرعية)، وكالة ايلنا، 1402/7/18ش ((تاريخ الدخول: 5 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://www.ilna.ir/fa/tiny/news-1405729

(3) المرجع السابق.

(4) - "مسئله فلسطین از دیدگاه حقوق بین‌الملل با تأکید بر تحولات اخیر"، (القضية الفلسطينية من وجهة نظر القانون الدولي بالتركيز على التطورات الأخيرة)، صحيفة اعتماد، 17/8/1402 ش (تاريخ الدخول: 5 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://www.etemadonline.com/fa/tiny/news-639964

عن مبادئ السياسة الأساسية للجمهورية الإسلامية. ومع ذلك، فإن سياسة طهران الفعلية حتى مع حكومة رئيسي الأصولية الخالصة كانت حذرة إلى حدٍّ ما، وتتحرك ضمن معادلة المصالح الوطنية[1].

"في حرب غزة حاول الصهاينة أن يجعلوا إيران تبدو كأنها قائد هجوم حماس، في حين أن أسلوب الجمهورية الإسلامية وإستراتيجيتها لا تقوم على مقاربة من هذا النوع. نحن لا نصطاد السمك لأصدقائنا، ولكننا نعلمهم كيف يصطادون"[2]. تشرح هذه المقولة لمحسن رضائي، عضو مجمع تشخيص مصلحة النظام والقائد السابق للحرس الثوري، السياسة الإيرانية بدقة واختصار، وهي النسخة الأصولية لوجهة نظر جواد ظريف.

عدَّد الأستاذ والأكاديمي الإيراني، آرش رئيسي نجاد، في مقال تحليلي أسبابًا سبعة تمنع إيران من أن تقاتل من أجل حماس. وصاحب المقال لديه تغريدة ثابتة على حسابه على "إكس" يقول فيها: "إن العمق الإستراتيجي لإيران ليس في العراق وسوريا، ولا في أفغانستان وطاجيكستان، بل يجب البحث عنه في البلاد! إن مركز ثقل الأمن الإيراني يرتكز على العلاقة بين الحكومة والشعب، ويشير إلى "الوحدة في القمة، والتعددية في القاع"، ويقتضي ضرورة التماسك بين صنَّاع القرار السياسي، واحترام أساليب حياة الناس، وخلق التوازن بين الأمن والحرية"[3].

والأسباب السبعة[4] هي:

(1) - Hamidreza Azizi and Erwin van Veen, Ibid.,

(2) – محسن رضايى: ما به حماس "ماهيگيرى" آموختيم، (محسن رضائي: علمنا حماس الصيد)، ايسنا، 22 آذر 1402 ش (تاريخ الدخول: 21 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://bitly.ws/36MAr

(3) تغريدة لرئيسي نجاد على منصة (إكس)، 15 أبريل/نيسان 2022، (تاريخ الدخول: 5 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://bitly.ws/34E2k

(4) Arash Reisinezhad, The 7 Reasons Iran Won’t Fight for Hamas, Foreign Policy, December 4, 2023, (accessed :December 4, 2023): https://bitly.ws/34Ehe

أولاً: لا تستطيع الجمهورية الإسلامية حشد المجتمع للانخراط في حرب جديدة كما فعلت خلال الحرب مع العراق في الثمانينات؛ فقد تغير الكثير منذ تلك الحرب وتراجعت قدرة النظام على التعبئة والحشد، وشهد المجتمع الإيراني تغيرات كثيرة لحقت مواقفه من النظام ومستوى تأييده.

ثانيًا: حالة الانقسام التي تحكم الساحة الإيرانية؛ ففي حين يوجد تيار داخل إيران يعارض التدخل المباشر في الحرب، الذي سيقود إلى مواجهة مع الولايات المتحدة الأميركية، يرى تيار آخر أن القضاء على حماس سيعقبه استهداف حزب الله وفي النهاية الهجوم على إيران.

ثالثًا: لا يمكن الرهان على فشل إسرائيل أمام هجوم حماس، ليكون ذلك سببًا في تغيير حسابات طهران الإستراتيجية تجاه إسرائيل. صحيح أن حماس وجَّهت ضربة عسكرية واستخباراتية كبيرة لإسرائيل، لكن هذا لا يغير من ديناميكيات القوة في المنطقة التي لا توفر لإيران الفرصة لتحدي إسرائيل باستخدام القوة الصاروخية.

رابعًا: طبيعة العلاقة بين إيران وحماس، وخلافًا للرأي السائد، فلا حماس، ولا حتى حزب الله، وكيل إيران؛ ومن الأدق تصنيفهما حلفاء لإيران من غير الدول. والعلاقة لا تقوم على تلقي الأوامر، وتوجد تباينات في مواقف حماس حتى وإن وُجدت مشتركات، والحالة السورية قدمت دليلاً واضحًا على ذلك. وتؤكد التقارير الاستخبارية الأميركية أن قادة إيران لم يكونوا على علم بعملية السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023.

خامسًا: أن شركاء إيران الإستراتيجيين، وهما: الصين وروسيا، لا يدعمون حماس بشكل واضح. ولا ترغب طهران في إفساد علاقتها بهاتين القوتين، كما أنها تسعى إلى تجنب العزلة الدولية في الأزمات الكبرى.

أما الشريك الروسي، فسياسته تجاه فلسطين لا يبدو أنها تسير في اتجاه السياسة الإيرانية، وهو ما تحدث عنه الخبير في الشؤون الأمنية والعسكرية، عبد الرسول ديفسالار، في تحليل[1] للموقف الروسي وللسياسة الروسية تجاه

(1) رشتو- موضع لاوروف درباره غزه نشانه شكست تلاش تهران براى نزديكى به روسيه در مساله فلسطين است(سلسلة- موقف لافروف بشأن غزة مؤشر على فشل محاولة طهران

فلســطين، وتعارض ذلك مع السياســة الإيرانية؛ اســتنادًا إلى تصريحات لوزير الخارجية الروســي، سيرغي لافروف، في ديســمبر/كانون الأول 2023. ورأى التحليل في الموقف الروسي من غزة مؤشرًا على فشل محاولة طهران بناء موقف مشــترك مع روســيا بشأن القضية الفلسطينية. إذ ترى روسيا ضرورة عقد مؤتمر بحضــور الأعضاء الدائمين في مجلس الأمــن وجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي ومنظمة المؤتمر الإسلامي. وفي خطة روسيا، تقف إيران على الهامش وتلعب الســعودية دورًا مركزيًّا. ويوجد على الأقل اختلافان أساســيان مهمان في موقفي إيران وروسيا بشأن القضية الفلسطينية، أولهما: إصرار موسكو على تشــكيل دولة فلســطينية في إطار خطة السلام العربية (المقترحة من طرف المملكة العربية الســعودية). وبذلك يتم الاعتراف لإسرائيل بالحق في الوجود، وهذا الموقف نابع من العلاقات البنيوية بين روســيا وإســرائيل. وثانيهما: تركز سياســة موسكو بشــأن غزة على منع استبعاد روسيا من العمليات الدبلوماسية. وترى موسكو في ذلك فرصة لتعزيز دورها الإستراتيجي في البنية الأمنية للشرق الأوســط، وفي الوقت نفســه جعل الجهود الأميركية لعزل روســيا غير فعالة. والنتيجة أن إيران ليســت شــريكًا لروســيا في أي من هذه الأهداف. إن هيمنة نهج المقاومة على السياســة الإيرانية تتعارض مع أهداف موسكو الإستراتيجية في غزة. ورغم أن موســكو تســتفيد تكتيكيًّا من هذا الفارق، فإن التنســيق مع طهران يضمن أهمية موسكو لكونها قناة دبلوماسية وقوة مؤثرة.

سادسًــا: توجــد قناعة مترســخة لدى صنَّاع القرار في إيــران بأن جيرانها ســيرحبون بحرب واســعة النطاق بينها وإســرائيل، كما أن زعماء هذه الدول يرغبون في القضاء على حماس التي يرون فيها وكيلاً لإيران.

سابعًا: وجهة نظر خامنئي في الصراعات الإقليمية، وهي الأهم من وجهة نظــر الكاتب، فخامنئي الذي خبر تبعات الحرب العراقية-الإيرانية يســعى إلى تفــادي مواجهة شــاملة؛ ما جعل رد فعل إيران محســوبًا بعد اغتيال الولايات المتحدة للقائد الســابق لفيلق القــدس التابع للحرس الثوري الإيراني، الجنرال

التقرب من روســيا بشــأن القضية الفلســطينية)، منصة اكس، 17 ديسمبر/كانون الأول 2023، (تاريخ الدخول: 21 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://rb.gy/hrfeut

قاسم سليماني، مطلع 2020. وتنسجم وجهة نظر خامنئي مع إستراتيجيته الشاملة في التعامل مع الأزمات الإقليمية؛ فقد سبق له أن رفض دعوات إلى مهاجمة أفغانستان بعد سيطرة طالبان على كابل والهجوم الذي تعرضت له البعثة الدبلوماسية الإيرانية في أفغانستان.

وفي الساحة السنية الإيرانية، تحاشى عبد الحميد إسماعيل زهي، إمام جمعة زاهدان والمعروف باسم مولوي عبد الحميد، إدانة طرفي حرب غزة؛ مما جعله عرضة لنقد كثير، وهو معروف بمعارضته للجمهورية الإسلامية خلال الاحتجاجات التي شهدتها على مدى السنوات الماضية.

تجنب عبد الحميد بشكل واضح دعم القضية الفلسطينية وقال على حسابه في موقع "إكس": إنه ينبغي على المجتمع الدولي أن يقوم بواجبه لوقف الصراع الأخير بين إسرائيل والفلسطينيين، الذي تسبب في وقوع خسائر فادحة في الأرواح، وخاصة بين المدنيين"[1]. وانحازت المعارضة الإيرانية في الخارج بصورة واضحة للرواية الصهيونية من خلال وسم "الإيرانيون يقفون مع إسرائيل"، واحتفوا بشكل كبير بفيديو من ملعب كرة القدم في طهران، يحتج فيه مشجعون على إدخال العلم الفلسطيني إلى الملعب[2].

وعودة إلى الأسئلة المحورية في صدر هذا الفصل التي يفيد هادي معصومي زارع، الباحث والخبير الإيراني في شؤون المنطقة العربية والحركات الإسلامية، أنها نوقشت في صالونات سياسية عدة؛ منها جلسة خاصة عُقدت في طهران، بمشاركة خبراء وباحثين ومسؤولين حاليين وسابقين لمناقشة "طوفان الأقصى" وتأثير ذلك في عدد من هذه القضايا ذات العلاقة بالسياسة الإيرانية الإقليمية. وقُدمت في هذه الجلسات قراءات إيرانية مختلفة لهذه المسائل[3].

(1) تغريده لمولوي عبد الحميد على حسابه على منصة "إكس"، 9 أكتوبر/تشرين الأول 2023، (تاريخ الدخول: 5 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://bitly.ws/34DQY

(2) مع استمرار الحرب بين حماس وإسرائيل زعيم إصلاحي إيراني يحث على "إعطاء الأولوية" للمصالح الوطنية، أمواج ميديا، 12 أكتوبر/تشرين الأول 2023، (تاريخ الدخول: 5 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://bitly.ws/34DW7

(3) مقابلة عبر الإنترنت مع هادي معصومي زارع، 24 أكتوبر/ تشرين الأول 2023.

ماهية طوفان الأقصى: نقاش النخب

انقســم الإيرانيون في الإجابة عن سؤال: طوفان الأقصى مؤامرة، أم خطة ذكية؟ إلى ثلاثة اتجاهات:

عبَّر الاتجاه الأول عن رأيه بأسئلة مشككة: هل حقًّا هُزمت إسرائيل؟ وهل حقًّا كانت العملية مباغتة لها؟ كانت هذه القراءة محكومة بالصورة التي استقرت في الأذهان بشأن قدرة إسرائيل الاستخبارية وكذلك قدرة الأجهزة الاستخبارية الغربيــة؛ إذ كيــف يمكــن التخطيط لعملية مــن هذا النــوع دون أن ترصدها المخابرات الإسرائيلية؟! جاء هذا التشكيك منذ اللحظة الأولى التي أعلنت فيها حمــاس عــن العملية، مع إصرار على إلقاء هالة من الشــك على الهجوم عند البعض، والبعض الآخر انطلق من موقفه تجاه منافســيه الداخليين متهمًا إياهم بأنهم واقعون ضحية التوهم راســمًا لنفســه صورة من يلقي بالشــك من بصيرة لديه لا تتوافر لدى خصومه السياسيين، ورأوا أن هذه العملية المذهلة مستحيل أن تتم في الأســاس دون معرفة أجهزة المخابرات القوية، وأن الذي جرى أن إسرائيل والأميركيين أهملوا ما وصلهم، ولم يكن ما حدث سوى عملية خطرة وفخ محكم نصبه نتنياهو واليمين المتطرف لحماس لإنقاذ أنفسهم من المستنقع السياسي والقضائي الذي كانوا يواجهونه والحفاظ على تماسك النظام[1].

ويرد أســامه حمدان، مســؤول العلاقات الخارجية في حركة حماس، هذه الرواية مفصِّلاً في ضعفها بالقول: أولاً: اســمحوا لي أن أقول بوضوح: أولئك الذين اعتادوا على الفشل لا يمكنهم تصور الفوز، ومن يفقد الثقة بالنفس اللازمة لتحقيق النصر لا يستطيع أن يصدق أن هذا الطريق سيؤدي إلى النصر. وإن من يدرس مسيرة المقاومة في المنطقة يمكن أن يستنتج بوضوح أن المقاومة يشتد عودها يومًا بعد يوم، وتتقدم نحو الفوز بالمعركة الأخيرة[2]. فعلى سبيل المثال،

---

(1) المرجع السابق.

(2) أسامة حمدان، مسؤول روابط بين الملل وعضو دفتر سياسى جنبش اسلامى حماس در گفت و گو با "ايران": انديشه تكفيرى در جامعه فلسطين جايگاهى ندارد (أسامه حمدان، مسؤول العلاقــات الخارجيــة وعضو المكتب السياســي في حركة حماس فــي حوار مع "إيران": لا مكان للفكر التكفيري في فلســطين)، صحيفة إيران، الســبت 20 آبان 1402 ش، العدد 8325

عندما بدأت المقاومة في لبنان في الثمانينات على يد حزب الله، قال كثيرون: ماذا يستطيع حزب الله أن يفعل بعد أن فشل الفلسطينيون أنفسهم؟ ولكن بعد 18 عامًا من المقاومة، انتصر لبنان. وعندما فرَّ النظام الصهيوني من لبنان، سمعنا البعض يقول: إن النظام الصهيوني ينفذ مؤامرة. وسرعان ما اندلعت حرب تموز وانتصر حزب الله مرة أخرى[1].

تستذكر حركة حماس الآراء المثبطة خلال المواجهات السابقة، فعندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية في 1987، قال كثير من الناس: هل يستطيع حجر أن ينتصر على الدبابات الإسرائيلية ويجعل الكيان في ورطة؟ لقد استثمر الكثيرون في فلسطين وبعض الدول العربية اتجهت نحو اتفاقات أوسلو، التي آلت إلى الفشل، وانفجر غضب الشعب الفلسطيني عام 2000 في الانتفاضة الثانية التي أدت إلى طرد الصهاينة من غزة، في 2004[2].

يسأل أسامة حمدان المروجين نظرية المؤامرة: كيف تفسرون انتصارات المقاومة في 2006 و2008 و2014؟ ويرد على هؤلاء بأنه لا يمكن النظر إلى طوفان الأقصى بمعزل عن عملية تطور المقاومة، سواء في فلسطين أم في لبنان. "إنها مقاومة صاعدة تكتسب الأرض وتستعد لتحقيق نصر أكبر"[3].

إذا كانت إسرائيل تريد خداع حماس والمقاومة، فلماذا سمحت بمهاجمة قواعدها المليئة بالجنود؟ كيف تقبل إسرائيل مقتل المئات من جنودها في الساعات الأولى من العملية؟ فهل إسرائيل لديها القدرة على استيعاب هذه القضية؟ ومن يتحدث عن المؤامرات عليه أن يلاحظ أنه في الساعات الأولى من اليوم، وباعتراف العدو، سقط للكيان الصهيوني 1200 قتيل وجريح وأسير. فهل يمكن لهذا النظام أن يدمر صورة جيشه بهذه الطريقة؟[4]

ص 22.

(1) أسامة حمدان، صحيفة إيران، السبت 20 آبان 1402 ش، العدد 8325، ص 22.

(2) أسامة حمدان، المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

إن مــا يجعــل أصحاب نظرية المؤامرة لم يستســيغوا ما حدث في عملية "طوفان الأقصى" هو نجاحها غير المسبوق. لقد استهان العدو الصهيوني دائمًا بقــدرات حماس. اليوم، ضباط الجيش يحذِّرون نتنياهو من أن الاحتلال البري لغزة خطر كبير، وعليه أن يحذر من خطر كبير كهذا؛ لأنه قد يؤدي إلى هزيمة أخرى. فهل يمكن أن يُعزى هذا الفشل أيضًا إلى مؤامرة؟[1]

إن المقاومة درســت خلال ثلاثين ســنة أســلوب العدو القتالي وتعلمت منــه، وعرفــت نقاط ضعفه، وفهمت بنية عقله الأمني، ونجحت في تضليل هذا العقل[2].

إن عملية السابع من أكتوبر/ تشرين الأول لم تحدث بين عشية وضحاها، إنمــا كانــت نتيجة عمل دؤوب "ناشــئ عــن طبيعة الصراع مــع العدو". منذ ســنوات طويلة والمقاومة الفلســطينية تراجع نتائج العمليات بعد كل مواجهة. على ســبيل المثال، درســت المقاومة جميع الهجمات على غزة في الســنوات الســابقة، وحددت نقاط القوة والضعف لدى العدو، وجاء طوفان الأقصى بناء على "المعرفة التي راكمتها حركة حماس والمقاومة الفلســطينية من خلال عدة مواجهات كبرى مع الجيش الصهيوني"[3].

فعلى ســبيل المثال، من خلال دراسة دبابة الميركافا التي يُقال إنها أفضل دبابة في العالم، تمكن المقاومون من تحديد نقاط الضعف التي أدت إلى تحطيم عدد منها خلال المواجهة. ويُرجع حمدان الفضل في ذلك إلى "الجهد والعمل المشترك مع الأخوة في محور المقاومة"[4]. لقد اتبعت المقاومة سياسة الخداع؛ مــا جعــل الصهاينــة لا يعرفون نياتها؛ فظنوا أنها تقــوم بمناورة كما حدث في الأشهر الماضية[5].

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

(5) المرجع السابق.

لا يرى حسن حب الله، القيادي في حزب الله[1]، أن ما وقع يوم السابع من أكتوبر كان فخًّا نصبه الإسرائيليون لحماس والفلسطينيين بهدف تدمير المقاومة وحتى تغيير التركيبة السكانية في غزة إن أمكن. ويرفض مسألة تضحية إسرائيل بـ1400 شـــخص. أو حتى بـ100 شـــخص لتحقيق مثل هذا الهدف. لا، لم يكن فخًّا، بالعكس كانت عملية ناجحة. أسهمت عوامل عدة في نجاحها؛ أولاً: عملية خداع المعلومات التي تقوم بها حماس بطريقة لم يفهم معها الإسرائيليون نياتها. ثانيًا: اختيار الوقت واليوم المناسب للعملية. ثالثًا: تأخر دخول سلاح الجو إلى العملية، بسبب اختلاط قوى المقاومة بالمستوطنين؛ إذ أصبح معه القيام بقصف جوي كالذي نشهده في غزة غير ممكن. وفوق ذلك، فإن المشاكل بين نتنياهو والمعارضة أثَّرت بشكل كبير على الجيش. لقد أدت كل هذه العوامل إلى انهيار جبهة العدو ســريعًا، لقد كان حدثًا غير مســبوق وضربة قاتلة لإسرائيل وتذكيرًا بحرب يوم الغفران (حرب أكتوبر/ رمضان 1973)[2].

كان الــرد فــي طهران على القائلين بنظرية المؤامــرة بالآتي: ما يجب أن نعرفه أنه في البنية السياسية والأمنية المتعددة الطبقات داخل النظام في إسرائيل والمتصارعة، فإنه من المستحيل الإجماع على الإيقاع بحماس بهذه الطريقة مع القدرة على الحفاظ على ســرية المخطط. علاوة على ذلك، كان من الممكن أيضًا شن حرب تحت ذرائع كاذبة وبتكاليف أقل بكثير، على غرار ما حدث في 2008 و2012 و2014 و2019 و2021، التي كانت تحدث أحيانًا ردًّا على بضعة صواريخ أو بضعة أسرى. في نظام متشدد وأمني مثل إسرائيل، لم يكن إشعال حرب مدمرة يتطلب مثل هذا العرض الفاضح والمزعزع[3].

---

(1) تصف صحيفة "إيران" القيادي في حزب الله، حسن حب الله، بأنه مهندس العلاقات مع حركات المقاومة الفلسطينية، وأنه الشخص الذي أدار ملف القضية الفلسطينية في حزب الله في أصعب الأوقات، وهو الصندوق الأسود لعلاقات حزب الله مع مختلف الفصائل الفلسطينية.

(2) – المرجع السابق.

(3) هــادي معصومــي زارع، و ناگهان طوفــان (درنگی در باب عملیات طوفان الأقصى) (وفجأة الطوفان.. وقفة على باب طوفان الأقصى)، قناة معصومي زارع على التلغرام، 9 أكتوبر/تشرين الأول 2023، (تاريخ الدخول: 23 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://2u.pw/4yogBGq

يواصل معصومي محاجة الأصوات المؤمنة بكون ما حدث مؤامرة وفخًّا نُصب لحماس بالقول: إذا نظرنا إليها بالعين المجردة، فإن "فضيحة السبت" قد سيطرت على النظام في إسرائيل إلى درجة لن يكون بالإمكان الهروب من عواقبها في وقت قريب، وستواجه مسيرة نتنياهو السياسية تعقيدات ومشكلات جمة، ولن يخرج منتصرًا من هذه الحرب، حتى لو سوى غزة بالأرض، وسيذهب كما ذهب أولمرت إلى مزبلة التاريخ في حرب الـ33 يومًا، وسيكون من الصعب جدًّا على اليهود الذين يعيشون في الأراضي المحتلة أن يستعيدوا ثقتهم بالحكومة وأجهزتها الأمنية في المستقبل القريب.

في مقابل الفريق المشكِّك والمتمترس خلف المؤامرة، يرى فريق آخر في "طوفان الأقصى" دليلاً على أن الموساد وأجهزة استخبارات الكيان الصهيوني، ليست بتلك التي لا يمكن هزيمتها، وليست بتلك الهالة من الكفاءة التي استطاعت أن تسوِّقها، ولا تملك نخبًا ورقابة معلوماتية، وهذا ما يسري كذلك على جيش الاحتلال. وهذا ما يدعمه أسامة حمدان بالقول: "هذا الكيان الذي يتمتع بمستوى كبير من القوة العسكرية والأمنية ليس كائنًا خارقًا للطبيعة، خاصة وأن وجوده في المنطقة طارئ"[1].

لقد كشفت تجربة صباح السبت أن قوة الموساد الحقيقية، تتغذى على التساهل والإهمال والاستهتار وعدم التدريب عند منافسي إسرائيل وأعدائها. وهذا الذي أطلق يد الموساد، أكثر من أي شيء آخر. ووفقًا لاستنتاجات معصومي من دراسته النمط السلوكي للموساد سنوات عدة، فإن خططه وإجراءاته كلاسيكية وثابتة نسبيًّا، من أنظمة واسعة النطاق وشبكات هرمية، ومعركة معلوماتية تقليدية مع الخصوم، وتوظيف أشخاص غير محترفين وفي بعض الأحيان استغلال نقاط الضعف المالية أو المعنوية لعدد من الأشخاص[2].

بناء على هذا التفسير، فإن نجاح حماس في طوفان الأقصى اعتمد، في المقام الأول، على تحويل شبكات واسعة وهرمية إلى وحدات عملياتية منفصلة ومخفية؛ فقد جرى إخفاء طبيعة ومهمة كل وحدة عن الأخرى. وهو أمر يمكن

---

(1) - أسامه حمدان، مرجع سابق.

(2) معصومي زارع، مرجع سابق.

الإشــارة إليه بالتطور السلوكي لحماس والانتقال من الروتين السابق إلى تجربة حرب المعلومات غير المتكافئة. وهذا شيء لم يحدث بين عشية وضحاها، لكن ثماره برزت في يوم واحد.

وصف القائد في الحرس الثوري، مجتبى أبطحي، "طوفان الأقصى" بمعركة تحرير فلســطين[1]، لكنها ليست معركة يشارك فيها الجميع، و"ما يقوم به بعض الإخــوة في محور المقاومة هو بعض الإجراءات من باب التعاطف والتعاون". ويؤكد أبطحي أن المقاومة "لم تستخدم 5٪ من طاقتها، وإذا استخدمت قوتها وتعاظم الطوفان فإن العدو سيقع في مشكلة أكبر"[2].

غزة طالبت بالمزيد

علــى الجانب الآخر، انطلقت دعــوات واضحة من قيادات حركة حماس في الخارج إلى إيران ومحور المقاومة لتقديم المزيد؛ فقد شــكر رئيس حركة "حماس" في الخارج، خالد مشــعل، "حزب الله" على موقفه من الحرب لكنه رأى أنه غير كاف؛ وقال: "حزب الله قام مشــكورًا بخطوات، لكن تقديري أن المعركة تتطلب أكثر، وما يجري لا بأس به لكنه غير كاف"[3]. وبعد أيام من هذا التصريح، أكد مشــعل أن "حزب الله وإيران دعمونا بالسلاح والخبرة ونطلب المزيــد"[4]. بدت التصريحات وكأنها تحمل اتهامًا مبطنًا للحزب بأنه تخلى عن

---

(1) سيد مجتبى ابطحى در "به افق فلسطين": هنوز 5 درصد از توان مقاومت هم بكار گرفته نشده است (السيد مجتبي أبطحي في برنامج "به أفق فلسطين": المقاومة لم تستخدم حتى الآن 5 بالمئة من قوتها)، شبكة أفق، 1 نوفمبر/تشرين الثاني 2023، (تاريخ الدخول: 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2023)، https://web.telegram.org/k/#@ofogh_tv

(2) المرجع السابق.

(3) خالد مشعل: حزب الله قام مشكورًا بخطوات لكن الأمر يتطلب أكثر ومن مصلحتنا خوض المعركة معًا، التليفزيون العربي، 17 أكتوبر/تشــرين الأول 2023، (تاريخ الدخول: 29 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://2u.pw/49mO38i

(4) رئيس حركة حماس في الخارج، خالد مشعل، في مقابلة حصرية مع العربية: هجوم 7 أكتوبر كان مغامرة مدروسة.. وإيران وحزب الله دعمونا بالسلاح والخبرة ونطلب المزيد، قناة العربية، 20 أكتوبر/تشــرين الأول 2023 (تاريخ الدخول: 29 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://2u.pw/WvIHvp9

المقاومة الفلسطينية ولم يقدم ما وعد به، فيما قرأ البعض تصريحات مشعل على أنها "تصفية حساب قديم مع الحزب" ردًّا على ما لقيه منه عندما زار لبنان، في ديسمبر/كانون الأول 2021؛ إذ جرى الضغط لإفساد الزيارة وإلغاء عدد من المقابلات مع مسؤولين لبنانين ومنهم رئيس مجلس النواب، نبيه بري، الذي اعتذر عن لقاء مشعل، فضلاً عن مقاطعة حلفاء الحزب في تحالف 8 آذار الزيارة[1].

وفضلاً عن خالد مشعل عبَّر موسى أبو مرزوق، عضو المكتب السياسي للحركة، الذي سبق أن أثار تسريب صوتي له شكوكًا بشأن جدية إيران في دعم المقاومة الفلسطينية؛ عن عدم رضاه عن أداء الحزب في دعم المقاومة: "بمنتهى الصراحة كنا نتوقع أن يكون التفاعل مع الحدث أكثر كثيرًا مما جرى".

وفي خضم هذا الجدل جاءت زيارة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، إلى طهران، في نوفمبر/تشرين الثاني 2023، واجتماعه مع آية الله علي خامنئي، وهو الاجتماع الذي ادعت وكالة رويترز أن خامنئي لام خلاله الحركة على عدم إخبار حلفائها بالعملية، ونسب تقرير رويترز إلى مسؤول من "حماس" أن الزعيم الأعلى الإيراني حثَّ هنية على إسكات تلك الأصوات التي تدعو علنًا إيران وحليفتها اللبنانية القوية جماعة حزب الله إلى الانضمام إلى المعركة ضد إسرائيل بكامل قوتهما[2].

سارعت حماس إلى نفي ما جاء في تقرير رويترز، وقالت في بيان لها: "إننا في حركة المقاومة الإسلامية ننفي صحة ما ورد في هذا التقرير، ويؤسفنا نشر خبر لا أصل له، وندعو الوكالة لتحري الدقة"[3]. ووصفت النشرة الدورية

---

(1) محمد قواص، سجال "حماس"-"حزب الله"!، صحيفة النهار، 26 أكتوبر/تشرين الأول 2023، (تاريخ الدخول: 29 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، https://2u.pw/JZcLZv6

(2) "رويترز": خامنئي أبلغ "حماس" أنَّ إيران لن تحارب إسرائيل نيابة عنها، العربي الجديد، 15 نوفمبر/تشرين الثاني 2023، (تاريخ الدخول: 14 مارس/آذار 2024)، https://bitly.ws/3fPIu

(3) حماس تنفي صحة ما ورد في تقرير لرويترز عن لقاء خامنئي وهنية، الجزيرة نت، 16 نوفمبر/تشرين الثاني 2023 (تاريخ الدخول: 14 مارس/آذار 2024)، https://bitly.ws/3fPJN

"خط حزب الله"، التي تصدر عن مكتب خامنئي، تقرير رويترز بأنه "كذب من أوله إلى آخره"[1].

وما يعضِّد ما ذهبت إليه حماس بشأن تقرير "رويترز"، هو أن المفردات التي استخدمها التقرير ونسبها إلى خامنئي، ليست من قاموسه ولا من خطابه عن القضية فلسطين، كما أنها لا تحمل سمات خطابه إلى مسؤولي الحركة التي يمكن استنباطها بتحليل الخطاب استنادًا إلى محاضر الاجتماعات المتعددة التي جرت بينهما على مدى سنوات[2]، والملاحظة الأخرى تتعلق بطبيعة اجتماعات خامنئي؛ فالرجل في اجتماعاته يكتفي بالعناوين ولا يخوض في الجزئيات التي يحيلها إلى أصحاب الشأن[3].

وأشاد خامنئي في لقائه بإسماعيل هنية، في شهر مارس/ آذار 2024 (رمضان 1444)، بثبات قوى المقاومة الفلسطينية المنقطع النظير، وأكد أن جمهورية إيران الإسلامية لن تتوانى عن دعم قضية فلسطين وأهل غزة المظلومين والمقاومين[4]. ووصف خامنئي، في لقاء بالأمين العام لحركة "الجهاد الإسلامي"، زياد نخالة، أعقب لقاءه بهنية، ثبات غزة بأنه "تدبير إلهي"، وقال: إن النصر النهائي قريب[5].

---

(1) "خط حزب الله"، السنة السابعة، العدد 419، الأسبوع الأخير من شهر آبان 1302 ش/ نوفمبر 2023، ص 1و3.

(2) يمكن استنباط ملامح الخطاب من تحليل ما يزيد عن 10 لقاءات جمعت آية الله خامنئي مع قيادات من حماس في مراحل زمنية مختلفة من تاريخ العلاقة، بما في ذلك اللقاءات التي جرت بعد مغادرة الحركة سوريا والفتور الذي أصاب العلاقة، ويبدو التقدير العالي والاحترام مصاحبًا لخطابه تجاه حماس.

(3) معلومات سمعتها الباحثة من أكثر من مصدر ممن سبق وقابلوا آية الله علي خامنئي، وأشار بعضهم إلى أن مكتبه يوضح هذه النقطة للضيوف قبل اجتماعه معهم.

(4) الإمام الخامنئي لدى لقائه رئيس المكتب السياسي لحركة حماس: الصبر التاريخي لأهالي غزة ظاهرة أعزَّت الإسلام/ لن تتوانى جمهورية إيران الإسلامية عن دعم قضية فلسطين، الموقع الرسمي لآية الله علي خامنئي بالعربية، 26 مارس/آذار 2024، (تاريخ الدخول: 2 أبريل/نيسان 2024)، https://arabic.khamenei.ir/news/8223

(5) - الإمام الخامنئي لدى لقائه الأمين العام لحركة "الجهاد الإسلامي في فلسطين" غزة هي المنتصرة حتى اللحظة|ستشهدون النصر النهائي"، 28 مارس/آذار 2024، (تاريخ الدخول: 2 أبريل/نيسان 2024)، https://arabic.khamenei.ir/news/8236

هل كان "طوفان الأقصى" جزءًا من عملية شاملة؟

زعمت وسائل إعلامية، بناء على ما قالت إنه تسريبات من اجتماعات لحزب الله، أن عملية "طوفان الأقصى" كانت جزءًا من عملية شــاملة كان يفترض أن تشــمل فتح الجبهة الشــمالية وجبهات أخرى في وقت واحد بناءً على توقيت تحدده الجمهورية الإسلامية. وتأخذ هذه التسريبات على "حماس" تفردها بعمل تجاوز ما قررته "قيادات المحور". ويشي هذا العتب، بأن كتائب "القسام" تفرض على "حزب الله" توقيتها[1]. وقد تحدثت بذلك مواقع إلكترونية إيرانية، ونقلت عنها مواقع إسرائيلية.

ردَّ رئيــس مكتب العلاقات العربية والإسلاميــة في حركة حماس، خليل الحيــة، هــذه المزاعم، وأكد أن "طوفان الأقصــى" فعل صُمِّم في أضيق نطاق داخــل حركة حمــاس، وحمله على عاتقه نخبة من قيــادة الحركة، خاصة في الداخل وصمموه وفق ســيناريوهات متعددة، وهذا الفعل لم يأت ضمن اتفاق بيننا وبين محور المقاومة، بمعنى اتفاق مرسوم على فتح جبهات، وما إلى ذلك مما هو متداول، ما كان بيننا كان كلامًا عامًّا، لا يمكن، ولا نستطيع حتى وصفه بـ"الإطار"، بل مناقشات حول كيفية توحيد الأمة من أجل معركة التحرير، لكننا لم نتفق لا على توقيت، ولا على شكل، ولا أي شيء من هذا القبيل"[2].

ونفــت الحركــة أن يكون عدم إخبار الحلفاء بتوقيت العملية قد أغضبهم، فقد أطلعتهم على أسباب الجناح العسكري لإخفاء توقيت العملية.

وكان الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، قد نفى كذلك في خطاب لــه في نوفمبر/ تشــرين الثاني أن يكون إخفــاء توقيت عملية "طوفان الأقصى" علــى الأطــراف الأخرى في محــور المقاومة قد أزعجها. كمــا نفى أن يكون لذلــك أي تأثير ســلبي على أي قرار يتخذه محــور المقاومة، بل بالعكس فإن ذلــك أثبت وأكد الهوية الحقيقية للمعركة وأهدافها[3]. ورأى نصر الله أن ذلك

---

(1) قواص، سجال "حماس" - "حزب الله"!، مرجع سابق.

(2) من مقابلة للباحثة مع الدكتور خليل الحية.

(3) النص الكامل لكلمة السيد حسن نصر الله في الاحتفال التكريمي لشهداء طريق القدس، مهر نيوز، 24 نوفمبر/تشــرين الثاني 2023، (تاريخ الدخول: 4 مارس/آذار 2024)، https://bitly.ws/3eU2k

قطع الطريق على الأعداء والمنافقين أن يزيفوا أو يحرفوا خاصة عندما يتحدثون عن العلاقات الإقليمية لفصائل المقاومة في لبنان وفلسطين ويزعمون أن الفعل المقاوم خدمة للمفاوضات الإيرانية مع الغرب أو خدمة للأهداف الإيرانية. ولقد أثبتت عملية "طوفان الأقصى" من خلال قرارها الفلسطيني وتنفيذها الفلسطيني وعدم علم أحد بها أنها معركة فلسطينية بالكامل، من أجل فلسطين، وقضية فلسطين، وشعب فلسطين، وليس لها علاقة بأي ملف إقليمي أو دولي[1].

وعن مستوى التنسيق بين محور المقاومة، يقول خليل الحية: إن مكوناته كانت تجتمع وتتحدث في الأمور العامة التي من الضروري إنجازها. أما بخصوص "طوفان الأقصى" فإن حماس هي التي بدأت التنظير للمعركة الكبرى، وما حدث فاجأ الجميع، بمن فيهم الشيخ صالح رحمه الله، الذي كان واحدًا من أهم الشخصيات في العلاقة مع إيران ومحور المقاومة؛ فلم يكن رحمه الله مطلعًا على كثير من التفاصيل الخاصة بالمعركة وهو حال كثير من قيادات الحركة التي لم تكن تعلم التوقيت، وكذلك شأن القيادة السياسية للحركة، لكنها كانت على اطلاع بالخط العام، وهو ضرورة التحرك للدفاع عن الأقصى. وبناء على ذلك، كانت كتائب القسام في غزة تخطط لمعركة كبرى دفاعًا عن المسجد الأقصى وهي التي حددت التوقيت؛ فما حدث للأقصى في الأعياد الإسرائيلية لم يحدث منذ خمس وسبعين سنة وهذا كلام يستند إلى تقدير ميداني[2].

إن الرواية التي يؤكدها أكثر من مصدر في حماس تقول: إن الحلفاء تفاجؤوا، بمن في ذلك إيران وحزب الله، وحتى الوسيط في العلاقة لم يكن يعلم موعد العملية، ولا القيادة السياسية لحماس التي وصلتها رسالة من غزة تقول: "لقد بدأنا معركة"[3].

تُبدي حماس تفهمًا لمستوى إسناد حلفائها لها، وإن كان غير كاف على أساس أنه عندما تفاجئ حليفك وتقول له بدأت حربًا وتدعوه إلى الدخول والمدافع تقصف والطيران يقصف، فهذا الحليف يحتاج إلى أن يدرس كيف

---

(1) المصدر السابق.

(2) من مقابلة الباحثة مع الدكتور الحية.

(3) المصدر السابق.

يمكنه أن يشـــارك في المعركة ويســـندك[1]. ولذلك ترى الحركة أن هذا الحليف صاحب حق في أن يقرر مستوى الإسناد وكيفيته[2]. وقد بدأ حزب الله بالدخول في المعركة منذ اليوم الثاني، وذلك وفق تقديرات عدة تتعلق بكيفية إسناد غزة، فهل يسندها بمشاغلة الاحتلال في جبهة أخرى؟ مع التقدير بأن إشعال المنطقة كلهـــا يخدم نتنياهو، فالـــكل متحفز: البارجات متحفزة، الولايات المتحدة وكل العالم. وكان تقدير الحزب: "نحن معكم وسنساندكم بالقدر الذي نراه مناسبًا"[3].

لقـــد كان تقدير حمـــاس مختلفًا؛ فهي كانت ترغب في أن يشـــاركوا منذ بدايـــة المعركـــة بكل قدراتهم. ومع ذلك ترى الحركة أن ما قاموا به جهد مقدر ومشكور؛ قدموا شهداء وفتحوا جبهة لبنان وجبهة اليمن وجبهة العراق[4].

ولكن هل أثَّر هذا المســـتوى من المشـــاركة في مجريات المعركة؟ ترى حماس أن تأثيره كان كبيرًا، ولكن كانت تريد من الأمة كلها أن تقدم هذا الإسناد، إسنادًا كبيرًا يُلجئ العدو إلى وقف العدوان. ولا ترى حماس أن المحور وإيران خذلوها، ولن تنســـى أنهم شاركوا في المعركة منذ البداية، شاركوا بالفعل على الجبهة اللبنانية واحتضنوا المقاومة الإسلامية الحمساوية وعملوا معها. وما فعلوه مقدر وكبير ومن يتحدث عن خذلان فهو يجانب الواقع. والواقع أن مشاركتهم مهمة، وإسنادهم بالمال والمعلومات مستمر[5].

بناء على ما ســـبق، فإن القول الفصل في شـــأن مســـتوى مشاركة المحور في المعركة هو أن حماس، كانت تتوقع أكثر مما قدم وأكبر ليؤثر في المعركة منذ البداية ويشـــكل حالة ردع لإســـرائيل، وأن ما قدمه المحور مشكور لم يَفِ بالغرض، وهو لجم الاحتلال، ومع ذلك "فما فعلوه كان جيدًا وقدموا شـــهداء وساندوا وفق رؤيتهم وجزاهم الله خيرًا.. وما قاموا به بلا شك مؤثر في توجيه

---

(1) من المقابلة مع خليل الحية.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق.

المعركة بشـــكل كبير وأثر في الوضع الإقليمي والدولي خاصة مشـــاركة أنصار الله. وربما يكون بيت القصيد عند نتنياهو هو توسيع المعركة؛ لأنه يريد للمنطقة أن تشتعل.[1]

ويبدو أن إدراك المحور لهدف نتنياهو فرض عليه مســتوى الإســناد؛ لأنه لا يريد أن يدخل في مسار إشعال المنطقة ودفعها نحو المصير المجهول الذي يسعى إليه نتنياهو حتى يطلق يده في غزة[2].

يرى حســن حب الله، في رده على اتهام الحزب بالتقصير في نصرة غزة وحمــاس، وأنــه لم يدخل المعركة، أن الحزب يدفع ثمن الدفاع عن فلســطين منذ أربعة عقود، وهو الأكبر دعمًا للشــعب الفلسطيني، ومهمته هي المساعدة، لا القتال نيابة عن الفلسطينيين.

إن فتح جبهة أخرى ضد العدو الصهيوني في نظر مهندس علاقات حزب الله مع حركات المقاومة الفلســطينية، ليس بالضرورة في مصلحة غزة. وحجته في ذلك أنه خلال حرب الـ33 يومًا، اقترح الســوريون فتح جبهة في الجولان لتخفيف الضغط على حزب الله فرفض الحزب الاقتراح؛ لأنه قد يزيد الوضع صعوبة وسوءًا ويدفعه نحو اتجاه خارج عن حساباتنا.

لقــد أراد الحزب بدخوله المعركة ضد إســرائيل فــي اليوم الثاني لمعركة "طوفان الأقصى" أن يبعث رسالة إلى الإسرائيليين والأميركيين بأن غزة ليست وحدهــا. وقد فرض تدخل الحزب على العدو الصهيوني تحويل جزء من قوته العســكرية إلى الشــمال مما حرمه من القتال بكل قوته وتركيزه في غزة. فنحو 40٪ من جيشه يوجد على الحدود مع لبنان. لقد قدم الحزب عشرات الشهداء، وهو رقم كبير جدًّا.

ويخلص حب الله إلى أنه لا ينبغي للمرء أن يتوقع إجراءات غير محسوبة؛ فالمقاومة تحسب نتائج كل فعل تريد أن تقدم عليه وآثاره[3].

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المرجع السابق.

لكن هل ما دفع به حب الله بخصوص مستوى مشاركة الحزب في المعركة مقنع للحلفاء؟ يعتقد حب الله أن الحلفاء فهموا جيدًا أنه إذا فتحت جبهة ثانية على نطاق واسع في الشمال، فإن غزة ستفقد أهميتها إعلاميًّا سريعًا، وهذا هو مــا تريده إســرائيل لتطلق يدها فيها وتمعن فــي جرائمها. لا ينبغي التعامل مع هذه القضية عاطفيًّا[1].

يستغرب حب الله تساءل البعض: هل سيدخل الحزب الحرب أم لا؟ فيؤكد أن حــزب اللــه لم يترك حماس وغزة لحالهمــا منذ اليوم الأول للحرب. وفي اليوم الثاني دخل الحرب رسميًّا ضد النظام الصهيوني ولم يتردد لحظة واحدة. والحزب جزء من المقاومة، وثقافة المقاومة منذ أربعين عامًا ولذلك نحن دائمًا في حالة حرب. لكن هذا لا يعني أن الحرب يجب أن تكون بالضرورة واسعة النطاق وشــاملة. في الخطوة الأولى لتدمير إســرائيل، يجب خلق الردع ضدها ومراقبتها باستمرار، وإذا وقع عدوان يجب رده مثل ما حدث في موضوع النفط والغــاز فــي لبنان[2]. إن معادلة الحزب التي يؤكدهــا حب الله هي: "ما دامت إسرائيل موجودة، فنحن في حالة حرب معها، لكن الحرب ليست دائمًا منتظمة وكلاســيكية. نعم، نحن اليوم في حالة حرب، ولكننا لا نعلن الحرب والهجوم الشــامل، إذا أردنا أن نفعل شــيئًا، فإننا نفعله، نحن في حالة دفاع عن أرضنا، ونقف علنًا إلى جانب الشــعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية وندعمها حتى تحرير كافة أراضيها وإقامة دولتها المستقلة وعاصمتها القدس الشريف"[3].

يؤكــد الناطق الرســمي باســم أنصار الله، محمد عبــد السلام، أن محور المقاومــة لم يخذل المقاومة في غزه أو فلســطين. ويــرى أن هذا الاتهام غير صحيح وأن ما يقوم به محور المقاومة أمر كبير ويشهد بذلك الميادين العسكرية والشــهداء الذين ســقطوا في اليمن وإيران ولبنان والعراق. وقد تكون دول لها ظروف مختلفة أو حركات مقاومة لا تســتطيع التحرك إلا وفق محددات معينة يفرضها واقع معين، ومع ذلك فقد قام الجميع رغم كل التحديات[4].

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) مقابلة للباحثة مع الناطق باسم جماعة أنصار الله، من خلال النت، 20 أبريل/نيسان 2024.

"نحن من يجب أن نسأل: ما موقف البقية تجاه القضية الفلسطينية؟"؛ لأننا في الجبهة العسكرية والسياسية والإعلامية وهم خارج هذه الجبهة فلا يحق لهم أن يسألوا مثل هذا السؤال، إلا إذا كانوا معنا في ذات الخندق، أما نحن فيحق لنا أن نتساءل أين هم مما يجري؟[1] سألت صحيفة "إيران" حركة حماس عن تسريبات مفادها أن "محور المقاومة وحزب الله اللبناني أدخلا حماس في هذه المعركة ثم تخليا عنها"، فردَّت الحركة: "إذا نظروا إلى حماس بهذه الطريقة، فهذا مضحك للغاية. ولو أرادت إيران أو حزب الله ذلك، لكان بإمكانهما فعل ذلك قبل عشر أو عشرين سنة. نحن قوة مقاومة ولن ننسى كيف دعمنا إخواننا في الجمهورية الإسلامية وحزب الله وساعدونا حتى نتمكن من مواجهة العدو"[2]. ويؤكد حمدان: "في المواقف الصعبة نعلق أملنا على إيران وحزب الله وليس على الآخرين، لأننا على يقين من أن محور المقاومة لديه مكونات لديها قوة اتخاذ القرار والشجاعة لتنفيذ القرار"[3].

وبعد أشهر من الحرب على غزة سألت قناة "الجزيرة مباشر" أسامة حمدان عن جدوى العلاقة بإيران، وأنها لم تؤت ثمارها[4]؛ فإيران لم تقدم دعمًا كبيرًا على المستوى السياسي والعسكري، مذكِّرة ببعض الآراء التي تعتقد خطأ العلاقة برمتها؛ لأنها تبعد دولاً أخرى عن دعم القضية الفلسطينية. فقال حمدان: إذا كان المقصود بـ"البعض" الولايات المتحدة الأميركية وأن العلاقة مع إيران تبعد الحركة عن العلاقة معها، فبكل تأكيد لسنا في موقع من يحزن على العلاقة مع أميركا؛ إذ إنها على مدى 75 عامًا لم تفعل خيرًا للشعب الفلسطيني، بل كانت

---

(1) من المقابلة مع عبد السلام.

(2) – أسامة حمدان، مسؤول روابط بين الملل وعضو دفتر سياسى جنبش اسلامى حماس در گفت و گو با "ايران".

(3) المرجع السابق.

(4) أسامة حمدان للجزيرة مباشر: المقاومة لا تزال قوية ميدانيًّا وخروج قيادات حماس من غزة فكرة حمقاء (فيديو)، الجزيرة مباشر، 27 مارس/آذار 2024، (تاريخ الدخول: 28 مارس/آذار 2024)، https://bitly.ws/3hgcD

شريكة في العدوان عليه وعلى أمتنا. إن موقف أميركا كان على الدوام "موقف الشـــريك فـــي الجريمة"[1]. أما القول بأن العلاقة مع إيـــران تُبعد أطرافًا أخرى، فيعتقد حمدان العكس تمامًا؛ فإيران تمثل تحديًا لمن يريد أن ينافسها في دعم القضية. ومن يردد هذه المقولات يريد أن "يبرر تخاذله أو عجزه أو ضعفه وعدم قدرته بالقول: إن لكم علاقة مع إيران وبالتالي نقطع علاقتنا معكم، وهذا تبرير غير مقبول في عالم السياسة، وبعض الدول التي تتحالف إستراتيجيًّا مع أميركا لا تجـــد غضاضـــة في أن يكون لها علاقة مع الصين ومع روســـيا ولذلك فهذه رواية مردودة على أصحابها وتكشـــف أنهم لا يريدون أن تكون لهم علاقة مع المقاومة[2].

أما الحديث بأن الحركة لم تســـتفد من العلاقة مع إيران فيصنف حمدان قائليه إلى صنفين: صنف لا يريد هذه العلاقة، ولذلك لا تُتعب الحركة نفســـها بالرد عليه، وصنف آخر لديه من الثقة في هذه العلاقة والاطمئنان لها ما يدفعه إلـــى طلـــب المزيد، ولهذه الفئة يقول حمدان: حرصكم مقدر، واســـتفادتنا من العلاقة مهمة وإســـتراتيجية، ولا يمكن الحديث عن التفاصيل في جو المعركة الراهن ولكن بعد انتهاء الحرب ســـيكون هناك ســـعة للحديث وكشف كثير من تفاصيل هذه المعركة التي استفادت الحركة فيها من علاقتها بإيران[3]. ومن يريد تشويه الصورة لا يمكنك إقناعهم؛ فهذه تتطلب إعادة البناء العقلي[4].

المحور وصبر أنصار الله

انخرطـــت جماعـــة "أنصار الله" في اليمن إلى جانـــب حزب الله اللبناني في إســـناد غزة وذلك من خلال اســـتهداف السفن الإســـرائيلية التي تعبر البحر

(1) أسامة حمدان للجزيرة مباشر: المقاومة لا تزال قوية ميدانيًّا وخروج قيادات حماس من غزة فكرة حمقاء (فيديو)، مرجع سابق.

(2) أسامة حمدان للجزيرة مباشر: المقاومة لا تزال قوية ميدانيًّا وخروج قيادات حماس من غزة فكرة حمقاء (فيديو)، مرجع سابق.

(3) أسامة حمدان للجزيرة مباشر: المقاومة لا تزال قوية ميدانيا وخروج قيادات حماس من غزة فكرة حمقاء (فيديو)، مرجع سابق.

(4) المرجع السابق.

الأحمـر[1]. وتعاظـم انخراط الجماعة في المواجهة، وتعهدت باسـتهداف كل سفينة شحن متجهة إلى إسرائيل، بغض النظر عن جنسيتها ومن يشغلها. وقالت الحركة: إن القرار يأتي في إطار تضامنها المسـتمر مع قطاع غزة الذي يشـهد حرب إبادة إسرائيلية أسفرت عن مقتل وجرح عشرات الآلاف من الفلسطينيين.

قدَّرت أنصار الله الأثر الذي أحدثته عملية طوفان الأقصى بأنه قد "شكَّل اختبـارًا حقيقيًّا لمحـور المقاومة في أهم قضية يعدها المحور نقطة ارتكاز في ثقافته وخطابه وكذلك في الموقف السياسـي والعسكري لمساندة لفلسطين"[2]. ويقول الناطق باسـم الجماعة، محمد عبد السلام: "لقد كان السـابع من أكتوبر تحديًا بكل ما تعنيه الكلمة لمحور المقاومة في مجال التحرك والدفاع المشترك عن أهم قضية ظل يتبناها عقودًا من الزمن وهي القضية الفلسطينية"[3].

قرأت الجماعة طوفان الأقصى على أنه كان موقفًا مهمًّا وضروريًّا سـواء من الناحية العسكرية أم من الناحية السياسية، لأن القضية الفلسطينية كانت إلى تراجع وبدأت دول في المنطقة تتحرك باتجاه التطبيع مع إسرائيل، واعتبار تحرير فلسـطين من الماضي. فضلاً عن أن العملية أعادت مفهوم المقاومة العسـكرية إلى الصدارة خاصة وأن الإسـرائيلي كان خلال السـنوات الأخيرة يسـعى إلى طمس هذا المفهوم[4].

لـم يكن قرار "أنصار الله" إسـناد المقاومة الفلسـطينية فـي غزة "موقفًا ارتجاليًّـا أو مصادفـة"؛ فقد انطلق من خلفية ثقافية ودينية وأخلاقية وإنسـانية، وهـو أمر معروف في أدبياتهم الثقافية، وفقًـا لمحمد عبد السلام، وكذلك في خطابهم الثقافي والسياسـي والفكري وفي خطهم الحركي. فالقضية الفلسطينية

---

(1) 13 صاروخًا بحريًّا يمتلكها اليمن وبها فرض حصارًا على الكيان الصهيوني، الموقع الرسمي لأنصار الله، 12 ديسمبر/كانون الأول 2023، (تاريخ الدخول: 13 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://bitly.ws/35NJT

(2) مقابلة للباحثة مع الناطق باسـم جماعة أنصار الله، محمد عبد السلام، من خلال النت، 20 أبريل/نيسان 2024.

(3) من المقابلة مع محمد عبد السلام.

(4) من المقابلة مع محمد عبد السلام.

عندهم قضية الأمة وهي نقطة اختبار حقيقي للأمة العربية والإسلامية في توضيح حقيقة انتمائها للإسلام والقرآن وكذلك للأخوة والإنسانية[1].

وفي قراءتها للعدوان على غزة، تعتقد أنصار الله أن فلسطين ليست مستهدفة وحدها، بل كل الأمة وفي المقدمة الأمن القومي العربي والإسلامي[2]، وتستحضر الجماعة النصوص القرآنية في تأطير موقفها في منظومة واضحة من الولاء والبراء: "أرشدنا القرآن الكريم، المليء بالآيات التي تتحدث عن خطر اليهود.. وما تعاملوا به مع النبي محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم.. إلى أن هؤلاء (اليهود) أعداء حقيقيون، والواقع يصدق ذلك (والله أعلم بأعدائكم)، ونعتقد أنها قضية عادلة ومظلوميتها لا يختلف عليها اثنان ونصرتها أمر واجب دينيًّا وأخلاقيًّا وإنسانيًّا لكل من يستطيع وبما يستطيع[3].

ولا تفصل الجماعة قرار مشاركتها عن موقف الشعب اليمني، لقد "جاء القرار بشكل ينسجم مع الموقف الكبير والشامل للشعب اليمني الذي يقف بكله إلى جانب القضية الفلسطينية وكذلك أتى الموقف استجابة لمطالب الإخوة الفلسطينيين الذين ناشدوا الجميع أن يقفوا إلى جانبهم لمساعدتهم أمام الغطرسة والصلف الإسرائيلي"[4].

تدفع حركة أنصار الله أثمانًا سياسية واقتصادية وإنسانية على دعمها غزة وتعاني ضغوطًا يبسط فيها الكلام محمد عبد السلام:

"لقد تحملنا ضغوطًا أميركية كثيرة وبريطانية ومن بعض الدول الغربية؛ وفي مقدمة هذه الضغوط تعطيل العملية السياسية، ورفض صرف رواتب الموظفين اليمنيين وإبقاء الحصار وعرقلة الإفراج عن بقية الأسرى.. وغيرها من الملفات الإنسانية، وهُدِّدنا بإعادتنا إلى قائمة الإرهاب وهو ما حصل بالفعل، ورُتِّب على ذلك إجراءات تعسفية ضد البنوك والصرافين. وقاموا بعمليات عسكرية ضدنا

---

(1) من المقابلة مع محمد عبد السلام.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) من المقابلة مع محمد عبد السلام.

ســقط فيها عشرات الشــهداء وكل هذا ضغط لمحاولة إيقاف العمليات اليمنية وبحمد الله ما زالت مســتمرة حتى الآن ومــا زال الموقف اليمني ثابتًا ومؤثرًا حتى هذه اللحظة[1].

دأبت إيران على النأي بنفسها عن فعل أنصار الله ونفت الاتهامات الأميركية لطهران بالضلوع في هجمات جماعة أنصار الله على ســفن تجارية وأنها تقدم المعلومات عن السفن للجماعة، وتقول: إن الجماعة تتصرف من تلقاء نفسها، وإن "المقاومــة تمتلك أدوات قوتها وتتصرف بناء على قراراتها وإمكانياتها"[2]، وهي إستراتيجية تبناها قائد فيلق القدس السابق، قاسم سليماني. وهذا ما يؤكده محمد عبد السلام: "موقف إيران تجاه ما يتعرض له الشعب الفلسطيني مشرف وهي تقدم تضحيات كبيرة في ســبيل موقفها المســاند لمحور المقاومة والدعم للشعب الفلسطيني، لكن قرارنا هو قرار يمني لا علاقة للإيرانيين أو لأي طرف خارجي به"[3].

جزمــت "وكالة فــارس"، المقربة من الحرس الثــوري، بأن دخول اليمن إلى حرب غزة أدى إلى تعطيل المعادلات المحلية والإقليمية والدولية[4] بحيث نشأت ظروف جديدة على الساحة اليمنية الداخلية.

يدير حزب الله وأنصار الله وغيرهما من أعضاء المحور لعبة مختلفة تمامًا، "إنهم يعملون بصبر ومنهجية على تعزيز تحالف القوى من خلال ساحة المعركة الإقليمية"، وهو ما تذهب إليه نرجس باجغلي في مقال مشــترك مع ولي نصر؛ إذ يريان أن الأمر قد بدأ بإيران وحزب الله، لكنه يتطور بسرعة إلى شيء أكبر

(1) من المقابلة مع محمد عبد السلام.

(2) باقرى در پاســخ به مهر:غربی‌ها به دنبال فرافکنی "ضربات جريان مقاومت" هســتند (باقري ردًّا على مهر: الغربيون يبحثون عن نسبة "ضربات المقاومة" لغيرهم)، مهر نيوز، 2 دي 1402 ش (تاريخ الدخول: 24 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://bitly.ws/374Cw

(3) من المقابلة مع محمد عبد السلام.

(4) ابعاد داخلی، منطقه‌ای و بین‌المللی ورود یمن به جنگ با رژیم صهیونیستی (الأبعاد الداخلية والإقليمية والدولية لدخول اليمن في الحرب مع النظام الصهيوني)، وكالة فارس، 1402/9/28 ش (تاريخ الدخول: 19 ديسمبر/كانون الأول 2023)، https://bitly.ws/36E3s

بيـــن أعضائها الآخريـــن، الحوثيين في اليمن وحمـــاس والجهاد الإسلامي في فلســطين والميليشــيات الشــيعية في العراق وســوريا.[1] وهذا وإن ظهر مهددًا لإمدادات الطاقة في البحر الأحمر، فهو في جوهره يمثل تحديًا مباشــرًا للنظام الإقليمي الذي أنشأه الغرب ودافع عنه في الشرق الأوسط لعقود من الزمن .[2] لقد أظهر قدرات المحور ونفوذه الذي يمتد إلى ما هو أبعد من فلسطين، إلى إيــران، والعراق، ولبنان، وســوريا، واليمن. ويرى الغرب أن طهران هي العقل المدبر لهذه الشــبكة، ولا شــك أن محور المقاومة يعكس النظرة الإستراتيجية لإيران، وأن الحرس الثوري يتبع إستراتيجية تقوم على تزويد المحور بالقدرات والمهارات العسكرية مع تنسيق ودعم متواصل[3]. نقلت عملية "طوفان الأقصى" ومــا أعقبها من عدوان على غزة العلاقة بين أنصار الله والمقاومة الفلســطينية إلى مستوى متقدم من التنسيق، وهو ما تؤكده جماعة أنصار الله بالقول: "نعم، المقاومة الفلسطينية تطلب من اليمن المساندة والدعم والمشاركة معهم في هذه المعركة والتنسيق قائم بين صنعاء وحركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي وبقية فصائل المقاومة بشكل مستمر ودائم".

بعد بداية عملية "طوفان الأقصى" شهدت إيران نقاشًا على أعلى المستويات في شأن الكيفية التي يمكن فيها إسناد غزة، ومن ذلك أن آية الله علي خامنئي اجتمــع مع "المجلس الجهادي" في الحرس الثوري وطلب منهم أن يعودوا له بتصور عن كيفية مساعدة المقاومة في غزة، ويُنقل عنه أنه قال لأعضاء المجلس: أنتم أصحاب الاختصاص والمقترح الذي ســتقدمونه هو ما سوف تسألون عنه يوم القيامة[4]، وعاد المجلس ليقدم تقريره بأن خطة نتنياهو هي توســيع ســاحة الصراع وجرُّ إيران إلى حرب شــاملة، ورســم المجلــس ملامح وحدود خطة

---

(1) Narges Bajoghli and Vali Nasr, How the War in Gaza Revived the Axis of Resistance, FOREIGN AFFAIRS, JANUARY 17, 2024,(accessed: February 29, 2024): https://bitly.ws/3eyYj

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) هــذه الرواية ســمعتها الباحثة من شــخصية ذات تماس مباشــر بملــف العلاقة بين حماس وإيران.

الإســناد التي شهدناها، ولذلك يبدو من الصعب تصور أن تنخرط إيران، التي بَنَت إستراتيجية دفاعية حذرة تقوم على الردع، في فعل عسكري خلف المقاومة الفلسطينية التي تدعمها.

قواعد الاشتباك وموازين الردع والثأر

في الأول من أبريل/ نيسان 2024، استهدف هجوم إسرائيلي مبنى القنصلية الإيرانية في دمشــق أســفر عن مقتل قادة في الحرس الثوري، أبرزهم العميد محمد رضا زاهدي، أحد قادة فيلق القدس البارزين، ومســاعده، العميد محمد هادي حاج رحيم، وخمســة مستشــارين عسكريين. فتوعد آية الله علي خامنئي إسرائيل بـ"ردٍّ يؤدبها" وتواترت التأكيدات بالرد الإيراني الذي وقع بالفعل ليلة الأحد 14 أبريل/ نيسان 2024 .

قالــت حمــاس في بيان لها: إن العملية الإيرانية تمثل "ردًّا مســتحقًّا على جريمة اســتهداف القنصلية الإيرانية في دمشــق واغتيال عدد من قادة الحرس الثــوري فيها". وحثَّ البيان الأمتين، العربية والإسلامية، "وأحرار العالم وقوى المقاومة في المنطقة على مواصلة إسنادهم لطوفان الأقصى"[1].

تجلــت التغييرات التي أحدثتها عمليات "طوفان الأقصى" بصورة واضحة في هجوم ليلة 14 أبريل/ نيسان الذي أطلق عليه الإيرانيون "الوعد الصادق"[2]؛ فقد اهتزت مرة أخرى صورة إسرائيل المتفوقة، واحتاجت تل أبيب إلى تدخل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والأردن للتصدي للمسيرات والصواريخ التي انطلقت من إيران.

كانــت طهــران بحاجة إلى رد يحمــل توقيعها ويعيد رســم قواعد الردع والاشــتباك مع إســرائيل بعد ســنوات من حرب الظل والمواجهة في المنطقة الرماديــة. ولكنها كانت تحتاج أيضًا إلــى معادلة تضبط الوضع دون الانخراط في حرب مدمرة. فبعد سنوات من إدارة إيران الحذرة لحرب الظل مع إسرائيل جاء الهجوم الأخير على قنصليتها في دمشــق ليتجاوز حدود المساحة الرمادية

---

(1) حماس: العملية العســكرية الإيرانية ضد إســرائيل رد مستحق، الجزيرة نت، 14 أبريل/نيسان 2024، (تاريخ الدخول: 17 أبريل/نيسان 2024)، https://bitly.ws/3ibf5

(2) "الوعد الصادق".. أول هجوم عســكري إيراني مباشــر على إسرائيل، الجزيرة نت، 14 أبريل/ نيسان 2024، (تاريخ الدخول: 17 أبريل/نيسان 2024)، https://bitly.ws/3ibgb

بكثير؛ فقد جاء بعد تدرج في الضربات وحساب لردود الفعل الإيرانية، فمنذ مطلع العام 2024 نفذت إسرائيل 29 ضربة، ووصل عدد الضربات في 2023 إلى 40 ضربة، و28 ضربة في 2022 وكذلك الحال في 2021. وقد استهدفت في معظمها أهدافًا وشخصيات إيرانية[1].

ولعل أهم ملمح إستراتيجي للهجوم الإيراني هو كشف مستوى الضعف الإسرائيلي، وما يمكن أن تكون عليه الصورة إذا ما دخلت المنطقة في مواجهة واسعة مباشرة. وهو الضعف الذي قالت عنه وسائل إعلام إسرائيلية: تعرضنا لإهانة علنية ثقيلة وغير مسبوقة. لقد انهار الردع الإسرائيلي الذي منع إيران من مهاجمتنا بشكل مباشر.

من الواضح أن الإستراتيجية الدفاعية الإيرانية التي تقوم على تجنب المواجهة، قد نالها بعض التغيير، وذلك تبعًا للتطورات التي أحدثتها عمليات طوفان الأقصى والعدوان على غزة.

اغتيال هنية: ضربة لمحور المقاومة ومساس بهيبة إيران الداعمة

لم تمر الساعة 1:40 دقيقة من يوم 31 يوليو/تموز 2024 بسلام على فجر طهران، فقد تلقت العاصمة، التي تعلن دعمها لحركة المقاومة الفلسطينية، ضربة موجعة واغتالت إسرائيل ضيف الجمهورية الإسلامية في عقر دارها، وكما لم يكن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، الشهيد إسماعيل هنية[2]، ضيفًا عاديًّا فحدث الاغتيال لم ولن يكون اغتيالاً عابرًا.

لم تمض ساعات قليلة على خطاب الرئيس الإيراني، مسعود بزشكيان، وعناقه الحار لهنية في حفل تنصيبه[3] حتى كانت إسرائيل تضرب في قلب

---

(1) فاطمة الصمادي، إسرائيل تعلن الحرب على إيران فهل تواصل طهران سياسة تجنبها؟، مرجع سابق.

(2) اولين جزئيات ترور اسماعيل هنيه در تهران (التفاصيل الأولى لاغتيال هنية في طهران)، فارس، 31 يوليو/تموز 2024، (تاريخ الدخول: 31 يوليو/تموز 2024)، https://bit.ly/4fw4BoL

(3) الظهور الأخير لإسماعيل هنية في حفل تنصيب الرئيس الإيراني بزشكيان، قناة الجزيرة، 31 يوليو/تموز 2024، (تاريخ الدخول: 31 يوليو/تموز 2024)، https://bit.ly/4caQsKA

طهران وتغتال هنية وقبله بوقت قصير كانت تضرب في عمق الضاحية الجنوبية في معقل حزب الله مستهدفة قائدًا بارزًا من قادته هو فؤاد شكر[1]، المسؤول عن منظومة الصواريخ الدقيقة في الحزب وأحد قادة المعركة الدائرة مع إسرائيل في الجنوب إسنادًا لغزة، وفي الليلة ذاتها جرى استهداف مقر للحشد الشعبي في العراق.

كان رئيس المكتب السياسي، إسماعيل هنية، من أبرز الضيوف الذين حضروا حفل تنصيب الرئيس الإيراني، مسعود بزشكيان، الذي انتُخب خلفًا للرئيس الإيراني الراحل، إبراهيم رئيسي، الذي قضى في تحطم الطائرة الرئاسية التي سقطت أو أسقطت في شمال إيران، أواخر مايو/ أيار 2024.

وأيًّا كان الأسلوب الذي جرى به اغتيال "أبو العبد هنية" مسيَّرة كانت أم صاروخًا موجهًا، فالاغتيال أصاب منظومة أمن الدولة المستضيفة وهيبتها، فقد كان مكان الاغتيال مهمًّا بقدر أهمية الشخصية التي استهدفتها إسرائيل؛ إذ تجاوز اغتيال قائد فلسطيني مهم ليكون ضربة دقيقة وحرجة لكل محور المقاومة والدولة التي تدعمه. وفيه تحد صارخ لاستقلال طهران ودعوة للحرب التي يدرك قادة إسرائيل كم تحاول الإستراتيجية الدفاعية الإيرانية تجنبها. أرادت إسرائيل من خلال اغتيال هنية أن ترسل مجموعة من الرسائل:

- تقول لقادة المقاومة أن لا مكان آمن لهم حتى في كنف الدولة التي تدعمهم.
- أنها تعتبر إيران جزءًا من المعركة التي بدأت عقب طوفان الأقصى بدعمها لحركة المقاومة سياسيًّا وتسليحيًّا، ولذلك فهذا الدعم لن يمر دون رد.
- إفراغ الصف القيادي في حركة حماس من الشخصيات الداعمة للعلاقة مع إيران ومحور المقاومة.
- خطوة من هذا النوع لم تكن لتتم بدون دعم ومباركة من الولايات المتحدة الأميركية، وهو ما ترجحه مصادر إيرانية أيضًا؛ وهو ما

(1) تعرف على فؤاد شكر قيادي حزب الله الذي اغتالته إسرائيل، الجزيرة نت، 31 يوليو/ تموز 2024، (تاريخ الدخول: 31 يوليو/ تموز 2024)، https://bit.ly/46EBPyc

رجَّحه حسين علائي، أحد قادة الحرس، أن تكون واشنطن مشاركة في الاغتيال في الجانب الاستخباري والعملياتي[1].

- أنها ستجعل مهمة الرئيس الإيراني، الذي بدأ ولايته بالتزامن مع عملية الاغتيال وتُبنى عليه آمال بإمكانية حلحلة المشكلات الاقتصادية، صعبة وشائكة.
- ترسل رسائل لأطراف إقليمية، تعول على العلاقة مع إسرائيل سرًّا وعلنًا لمواجهة إيران، بأنها ما زالت قادرة رغم ما لحق بها نتيجة عملية "طوفان الأقصى" والمقاومة الصلبة للمقاومة الفلسطينية سواء في الميدان أو المفاوضات.
- ترسل رسائل لحلفاء إيران بهشاشة أمن الدولة الداعمة ومستوى الخرق الأمني في منظومتها الأمنية، وتشكك بقدرتها على مواجهة الضربات، في سعي لجعل الحلفاء يعيدون النظر في مدى قوة إيران وهيبتها.
- أما في الداخل الإيراني، فقد عَبَرَت إيران مرحلة انتخابات رئاسية صعبة وانتخبت رئيسًا من تيار اشتكى سابقًا من الإقصاء ولذلك فهذه الضربة أيضًا تزعزع ثقة المواطن في قدرة الدولة أمنيًّا.

لم تكن الاغتيالات يومًا سببًا في تراجع حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، فقد استشهد كثير من قادتها وعوائلهم على مدى عقود من الصراع مع الاحتلال الإسرائيل، وكان سياسة الاغتيالات الإسرائيلية تضيف زخمًا وتضخ دماء جديدة في صفوف الحركة، لكن المسألة تتجاوز الحركة إلى كامل الإقليم.

على مدى سنوات نفذت إسرائيل عمليات ضد طهران داخل إيران وخارجها، لعل من أهمها استهداف المنشآت النووية الإيرانية، واغتيال العلماء الإيرانيين وفي مقدمتهم محسن فخري زاده الذي اغتيل في عملية استخبارية معقدة وسط طهران، واستهداف قيادات من الحرس الثوري ومهاجمة مبني

(1) در گفت وگو با جماران؛ سردار علايي: قطعا آمريكا در ترور هنيه همكارى نزديک عملياتى و اطلاعاتى با رژيم صهيونيستى داشته است (في مقابلة مع جماران، القائد علائي: أميركا تعاونت قطعًا مع إسرائيل استخباريًّا وعملياتيًّا في اغتيال هنية)، موقع جماران، 1/ 5/ 1403 ش،(تاريخ الدخول: 31 يوليو/ تموز 2024)، https: / /bit.ly /4frmIMl

القنصلية الإيرانية في دمشق، وهو الاستهداف الذي أعقبه رد إيراني أُطلق عليه عملية "الوعد الصادق".

شــكَّل الرد الإيراني على اســتهداف قنصليتها في دمشق بمهاجمة إسرائيل بصواريخ ومســيرات نهايــة لحقبة من ابتلاع الضربات ســميت بحقبة "الصبر الإســتراتيجي"، وكانت إيران تعتقد أنها أعادت تعريف قواعد الاشتباك ورفعت من مســتوى الردع في مواجهة اســرائيل، لكن اغتيال هنية أطاح بهذه المعادلة ووضع إيران أمام تحد كبير للدفاع عن منظومتها السياسية والأمنية وللدفاع عن "شرفها"، كما عبَّر عن ذلك الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في خطابه الذي أعقب اغتيال هنية وشكر[1].

وأمام هذا المستوى من الاستهداف والتهديد لا تبدو خيارات إيران كثيرة أمام هذه الضربة، ولم يعد بإمكانها أن تواصل المواجهة مع إسرائيل ضمن مساحات ومعادلات حروب الظل. إن الردع من شأنه أن يؤدي إلى حرب "شاملة"، وهي المخاوف التي تحكم إســتراتيجية إيران. لكن منطق ومسار الأحداث يقول بأن سياســة تجنب التصعيد قد تؤدي إلى صراع أوســع نطاقًا وأكبر كلفة وقد تكون صراعــات المنطقــة الرمادية صالحة في فترة ما لكنها لم تعد كذلك بعد مرحلة "طوفان الأقصى" خاصة بالنسبة لطهران.

إن حرب المنطقة الرمادية، والحرب غير المتكافئة، والحرب الهجينة جميعها مصطلحات لا تشير إلى أشكال منفصلة من الحرب بل تشير إلى الإستراتيجية التي تتعلق بكيفية اســتخدامها من قبل الدول من خلال طرق ووســائل لتحقيق غايات وسياسات الأمن القومي، وعندما تفشل في تحقيق الغايات الإستراتيجية فتجب مراجعة مكانتها في الإســتراتيجية الدفاعية، وإيران ليســت اســتثناء من ذلك، فإما أن ترد على اغتيال إســماعيل هنية في عقر دارها ردًّا واضحًا يرســخ صورتها ومكانتها في الإقليم دولةً قادرة، وإما أن تنكفئ نحو داخلها ومشكلاته وتقبل بتسويات تخرجها من جلدها، وبذلك لن تعود الجمهورية الإسلامية بل مجرد دولة في الإقليم تنوء بثقل مشكلاتها وغير قادرة على حماية حلفائها بل

(1) نصــر اللــه: دخلنــا مرحلة جديدة وردنا قادم وحتمي، الجزيرة نت، 1 أغســطس/ آب 2024، (تاريخ الدخول: 1 أغسطس/ آب 2024)، https: / /bit.ly /3ys5hut

مصالحهـــا، وقـــد تصل لمرحلة لا تكون فيها قادرة حتـــى على هتاف "الموت لإســـرائيل" الذي ترتفع به الحناجر في كل مناسبة. إن السعي المتواصل لإيران لتجنب المواجهة كلَّفها كثيرًا ولم يُعفها من تلقي الضربات بل شـــجَّع إســـرائيل على استهداف تصاعدي جاء وفقًا لقراءة معمقة لردود الفعل الإيرانية.

شكَّلت عملية "طوفان الأقصى" والعدوان على غزة، اختبارًا لحدود الفعل الإيراني والمدى الذي يمكن أن يبلغه محور المقاومة، ولعل النتيجة تقول: إن إيران نفســـها هي التي وضعت ســـقفًا لحدود الدعم التزم بها أعضاء المحور، وذلك وفق خطة مرسومة ومحسوبة يكون التصعيد فيها حذرًا ومتدرجًا.

ســـعت الجمهورية الإسلامية طوال معركة طوفان الأقصى وما أعقبها من الحرب على غزة، ومن خلفها الحلفاء إلى خلق حالة توازن بين خياري الرغبة والقدرة على المواجهة. وهذا يعني أن لدى جبهة المقاومة، بأطرافها المتعددة، القـــدرة اللازمة للدخول في المعركة مع إســـرائيل، لكنها تتحرك ضمن معادلة تُجنِّب الدفع نحو حرب واسعة النطاق.

لقد بنت إيران قوة ردع عسكري ولكن سياستها الحذرة في تجنب الرد على اســـتهدافها المتكرر تعود لأسباب مختلفة، منها ضعف الدعم الداخلي للدخول في مواجهة، والمشاكل الاقتصادية الناجمة عن دورات العقوبات المتتالية وفشل الاتفاق النووي.

علـــى أن جرائـــم الكيان الصهيوني في غـــزة، وما يلقاه من دعم غربي، قد يدفع إيران إلى تغيير عقيدتها الأمنية وإنتاج أسلحة نووية.

ولعـــل التغييـــر الذي أحدثه طوفان الأقصى لـــن يقف عند حدود البرنامج النـــووي بل سيشـــمل جوانب أخرى؛ فإيران تـــرى أن عملية "طوفان الأقصى" كانـــت قوة دفع فريدة؛ فقد "صنعـــت مجموعة من المقاتلين والمجاهدين بداية هذه الحقبة الحساســـة، التي تشـــكل نهاية النظام العالمي الموروث عن الحرب العالميـــة الثانيـــة"[1]. وكما أن العملية بدأت تشـــكل عالمًا بملامح جديدة فإنها

(1) دســـتيار ويژه وزير كشـــور در امور فلســـطين: طوفان الاقصى جهان جديدى را خلق كرده اســـت، (المســـاعد الخاص لوزير الداخلية للشؤون الفلســـطينية: لقد خلق "طوفان الأقصى" عالمًا جديدًا)، وكالة إيسنا، 6 اذر 1402 ش، (تاريخ الدخول: 5 مارس/آذار 2024)، https://bitly.ws/3eZ43

أنتجت كذلك خطابًا جديدًا؛ إذ لم يكن أحد يتصور أن مجموعة مسلحة اسمها حماس، المحاصرة داخل قطاع غزة منذ سنوات، يمكن أن تقوم بعملية "طوفان الأقصى" وتُحدث هذا التأثير الهائل، الذي أنهى جهودًا كبيرة بذلتها دول إقليمية ودولية لإدخال حماس في معادلة التطبيع والتسوية مع الاحتلال. لقد أعادت عمليات" طوفان الأقصى" الاعتبار للمقاومة المسلحة باعتبارها حقًّا مشروعًا لمقاومة الاحتلال.

ترى حركة حماس ما أن ما حدث في لحظات الشروق يوم السابع من أكتوبر/ تشرين الأول كان اجتهادًا بشريًّا فاجأ "كتائب القسام" نفسها والحركة كما فاجأ الجميع، وربما يعين هذا الاجتهاد في رسم ملامح المعركة الكبرى ضد الاحتلال، وهو أمر يحتاج إلى دراسة وتقييم أكثر، وما حدث سيؤثر إيجابيًّا على العلاقة في المستقبل وسيسهم في تعزيزها وتطويرها، فالقضية لم تنته[1]، وقد يرتبط مستقبل العلاقة بصورة جوهرية بنتائج طوفان الأقصى والحرب على غزة في المستقبل وما إذا كانت ستعزز من مكانة حركة حماس إقليميًّا. وفي هذا الشأن، يؤكد خليل الحية أن حماس باقية وقوية: "رغم أن رأس الحركة كان مطلوبًا وكان الكثيرون يدقون طبول العزاء لإنهاء الحركة، إلا أن ثباتها فاجأ المحبين القلقين على مستقبل المقاومة، كما فاجأ الشانئين والمبغضين والخصوم والأعداء الذين كانوا يريدون إنهاء حماس، وبفضل الله عز وجل ثبتت الحركة ومعها الحاضنة الشعبية رغم ما لحق بها من الآلام بفعل الجرائم الإسرائيلية. نحن أمام واقع جديد والحركة بلا شك سيكون لحضورها وقع مهم في مفاعيل القضية الفلسطينية على المستوى الوطني والمحلي والإقليمي والدولي، وهي القادرة والأقدر اليوم في الساحة الفلسطينية على أن تقول: نعم أو لا. لديها القوة والحضور الجماهيري الأوسع، ليس في فلسطين فحسب والمحيط، إنما على المستوى الدولي"[2].

تؤكد حركة المقاومة الإسلامية حماس أن الإسناد الذي وجدته من محور المقاومة وضمن المعادلة التي اختارها الحلفاء، سيدفع بالعلاقة نحو مستويات

---

(1) من المقابلة مع الحية.

(2) المرجع السابق.

أعلى مســتقبلاً، وســيعزز العلاقة؛ لأن الحلفاء في محور المقاومة، وكما تؤكد قيــادات في الحركة: "لم يبخلوا علينا لا بالرأي ولا بالمشــورة ولا بالمال"[1].

ووفقًا لخليل الحية، ســيجري بســط الكلام في قادم الأيام في شــأن المراحل القادمة، والمعركة الكبرى[2].

(1) 896 – المرجع السابق.

(2) 897 – المرجع السابق.

خاتمة

أثارت علاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ بدايتها جدلاً كبيرًا، وما زالت. وواجهت تحديات من المؤكد أنها ستبقى ملازمة لها، وستتعاظم كلما اشتد الصراع مع الكيان الصهيوني. لقد استطاع الطرفان التحلل من ثقل ماض ما زال ينيخ بكلكله على الحاضر، حاضر يصر البعض على أن يجعله تحت رحمة الماضي يتحكم فيه ويوجهه.

واجهت حماس، من داخل بيئتها ومن حاضنتها العربية، من يتحفظ على العلاقة أو يعترض عليها.

ويوجد في بيئة الطرفين، إقليميًّا ودوليًّا، من سعى لإفساد ذات البين ويسعى بالليل والنهار في ذلك، إلا أن حماس وإيران نجحتا في الاستجابة لكل التحديات التي واجهت العلاقة، وحرصتا على تجاوز أزماتها مع ضرورة استمرارها وتطويرها.

تحيط بعلاقة حماس وإيران تعميمات وأسئلة ذات حمولة سياسية وأيديولوجية تختلف باختلاف مصدر السؤال. إذ تركز الأسئلة وعملية تقويم العلاقة بشكل أساس على دور إيران وتهميش السياقات والأطراف الأخرى المؤثرة في العلاقة، مع حالة تشكيك دائمة بقدرة الحركة على حماية استقلال قرارها.

في دورات سياسية سابقة على انتصار الثورة ونشأة الجمهورية الإسلامية حضرت القضية الفلسطينية في السياسة الخارجية الإيرانية بمستويات مختلفة، بدءًا من أواخر العصر القاجاري مرورًا بالعهد البهلوي الأول والثاني. وقد تأثرت سياسة إيران الخارجية تجاه فلسطين بمنظومة علاقات إيران الخارجية وموقعها والدور المرسوم لها في منظومة المصالح الغربية، فضلاً عن نفوذها الإقليمي وما حَكَمَ علاقاتها مع جيرانها العرب. وبينما كانت حكومة الشاه تستجيب لمتطلبات هذا الحضور معززة العلاقة مع إسرائيل، كان قطاع واسع من المجتمع الإيراني يقف على طرف نقيض مع اختيارات النظام، خاصة رجال الدين من أمثال آية الله كاشاني الذي حذر من خطر المشروع الصهيوني ليس على العرب والعالم الإسلامي فحسب بل على البشرية برمتها، وآية الله الخميني

الذي جعل من علاقة إيران بإسرائيل عنوانًا بارزًا في نقده لنظام الشاه ومعارضته والدعوة إلى الإطاحة به.

لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال البعد الأيديولوجي والموقع الجيوسياسي للجمهورية الإسلامية وموقفها من إسرائيل عن عملية التوصيف والتقييم للعلاقة، مع الإقرار بأن العلاقة مع حماس تخدم منظومة الأمن والمصالح الإيرانية التي يشكل دعم القضية الفلسطينية والعداء لإسرائيل أبرز عناوينها.

ينسجم الأداء الإيراني في الموضوع الفلسطيني مع سعي إيران للتحول إلى قوة إقليمية مؤثرة تخاطب المحيط والعالم الإسلامي من عنوان القضية الأبرز، وهي فلسطين. وتعمل على الاستفادة من هذه الفرصة إلى أقصى حدٍّ. ولا يمكن تجاهل ما تواجهه الجمهورية الإسلامية من ضغوط وما قدمته من أثمان نظير موقفها هذا.

تشكل القضية الفلسطينية بؤرة من بؤر الخطاب السياسي الإيراني، وواحدة من أولويات سياسة الجمهورية الإسلامية الخارجية. ولن يحدث تغيير في موقفها هذا إلا بحدوث تغيير جذري في بنية النظام الإيراني، بصورة تؤدي إلى تعريف جديد لهويته. فطوال العلاقة بين الطرفين لم يحدث تغيير في المواقف الكلية والأساسية لصنَّاع سياسة الجمهورية الإسلامية من القضية الفلسطينية، لكن التباين كان في أولويات كل رئيس وما كان يتجاذبه من تيارات، وما يرتب على ذلك من ضغوط عليه. وقد وقف آية الله خامنئي ومؤسسة الحرس الثوري ضد محاولات لإحداث تغيير في هذه السياسة استجابة لمتطلبات العلاقة مع الخارج. وإذا كان أحمدي نجاد هو أكثر رئيس قُدِّم في عهده الدعم للحركة بالمال والسلاح، فإن حسن روحاني هو الرئيس الإيراني الأقل دعمًا للقضية الفلسطينية؛ ففي عهده انقطع الدعم المالي الذي كان يُقدَّم لحركة حماس من مؤسسة الرئاسة، كما أن روحاني تفادى مقابلة قادة الحركة طوال سنوات حكمه الثماني.

تثير علاقة إيران بحماس حفيظة دول عربية ترى في الحركة منفِّذًا للسياسات الإيرانية في المنطقة، لكن الواقع أن إيران تتحرك في الفراغ العربي. وترى حماس

أن "التجربــة أثبتت أن لا أحد من دول المنطقة في دعمها للقضية الفلســطينية يستطيع أن يضاهي الدعم الإيراني".

أمــا حمــاس، فهي فــي علاقتها مع إيران تتحرك ضمــن حالة من الوعي والإدراك والحاجة. وتشــترك مــع الجمهورية الإسلامية فــي أهداف وعناوين عريضــة، وتدرك منظومة المصالح الإيرانية، لكنها تبني علاقاتها بناء على قربها أو بعدها من الأهداف التي نشــأت الحركة لأجلها بوصفها حركة تحرر هدفها تحرير فلسطين.

شابت علاقات الطرفين خلافات في قضايا عدة، لكن سرعان ما نجحا في تجاوزها، إلا أن ما حدث في ســوريا وقرار المكتب السياسي للحركة الخروج منهــا أدخــل العلاقة في أزمة كادت تعصف بها، لولا ســعي شــخصيات من الطرفين لإصلاح ذات البين. ومن أبرز من عملوا على ذلك؛ قائد فيلق القدس السابق، قاسم سليماني، وقادة آخرون في الحرس الثوري، ومن جانب حماس، محمد الضيف، القائد العام لكتائب عز الدين القسام، وقادة آخرون في الجناح العســكري للحركة. لقد أســهم في عودة العلاقة إلى ما كانت عليه قبل الأزمة الســورية بقاء الخط الســاخن بين القسام وفيلق القدس ساخنًا لوصل ما انقطع وحفظ العلاقة لتستمر فصول القصة حتى التحرير.

المصادر والمراجع

صقر الزعيم، إبراهيم، الحركة النسائية الإسلامية–حماس، (لندن، دار أي_ كتب، ط 1، 2019).

غوشـــة، إبراهيـــم، المئذنـــة الحمراء: ســـيرة ذاتية (بيروت: مركـــز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، 2008).

بسيسو، إسماعيل، مؤمن، المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني، (غزة، المركز العربي للبحوث والدراسات، 2004).

روح الله، الخميني، صحيفة النور، ج5، (طهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ذو الحجة 1398ه).

يوسفي، أمير محمد حاجي، ايران و رژيم صهيونيستى از همكاري تا منازعه (إيران والنظام الصهيوني من التعاون إلى الصراع)، (تهران: تهران دانشگاه امام صادق، 1382ش).

فروم، إيريك، فن الحب، بحث في طبيعة الحب وأشكاله {ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد} بيروت، دار العودة، 2000.

ياسين، بلال خليل، "د. موسى أبو مرزوق في العمق: قراءة في الفكر الحركي والسياسي لأول رئيس مكتب سياسي لحركة حماس 1997- 2017"، الجزء الثاني، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات (بيروت، 2020).

تقي زاده، بيژن تقى، «يك پرداشت از رويكرد جلال أل احمد به معضل صهيونيسم (فهم لمقاربة جلال الأحمد لمشـــكلة الصهيونية) ، فصلية 15 خرداد، السنة الثامنة، العدد 28 (صيف 1390 ش).

نتصـــر، آمنون، پادياوند (Padyavand دراســـة تاريخ وثقافـــة يهود إيران)، المجلد الأول، مزدا، (لوس أنجلوس: 1969).

كاشاني، أبوالقاسم كاشانى ودهنوي، محمد؛ مجموعه مكتوبات، سخنرانيها و پيامهاى آيت الله كاشـــانى، (مجموعة كتابات، خطابات ورسائل آية الله كاشاني).

دهقاني، جلال فيروز أبادي، "هويت ومنفعت درسياست خارجى جمهورى اسلامى ايران"(الهوية والمصلحة في سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية"،

فصل في كتاب: "منافع ملی جمهوري إســلامي ايران" (المصالح الوطنية للجمهورية الإســلامية الإيرانية)،(تهران: پژوهشــكده مطالعات راهبردی، 1388ش).

آل أحمد، جلال، مقدمه سفر به ولايت عزرائيل، (تهران: انتشارات مجيد).

فارسي، جلال الدين فارسي، زوايای تاريک (الزويا المظلمة)، (نشر حديث – تهران، 1373 ش).

الحسني، جهاد، الفكر السياسي العربي الإسلامي (بغداد، دار الكتب للطباعة والنشر، 1993م).

منصوري، جواد منصوري، خاطرات يک ديپلمات: خاطرات جواد منصوری (جلد 1) (مذكرات دبلوماســي: مذكرات جــواد منصوري)، تحرير محمد محسن مصحفي، (تهران: سوره مهر، 1394 ش).

بينين، جويل، شــتات اليهود المصريين: الجوانب الثقافية والسياسية لتكوين شتات جديد [ترجمة: محمد شكر] القاهرة، دار الشروق، الطبعة 2، 2008.

الناسك، الحاج محمد (إعداد وتحرير)، ذكريات أحمد الريسوني من رعي الغنم إلى رئاسة اتحاد علماء المسلمين، إسهام في التأريخ للحركة الإسلامية المغربية، الدار المغربية للنشر والتوزيع، (المغرب، ط1، 2022).

لوي، حبيب ، تاريخ يهود إيران، ج 3، (تهران، كتابفروشی يهودا برخيم)، 1339 ش.

روحاني، حسن، امنيت ملي ونظام اقتصادي ايران، (تهران: مجمع تشخيص مصلحة النظام، مركز تحقيقات استراتژيک، ط 7، 1391ش)،

روحاني، حســن، انديشه‌های سياسی اسلام (الأفكار السياسية الإسلامية)، المجلد الثاني، باب السياســية الخارجية، (تهران: نشــر كميل، ط 2 1389 ش)«

آجورلو ، حســين و حاج زرگر باشــی ســيد روح الله ، ايران و مسئله ي اسرائيل(إيران ومسألة إسرائيل))تهران :دفتر گسترش توليد علم 1388 ش).

أبو شــنب، حمزة إســماعيل، علاقات حركة المقاومة الإسلامية "حماس" مــع المملكة العربية الســعودية، فصل في كتــاب الثابت والمتحول 2015:

الخليج والآخر. انظر: عمر الشهابي ومحمود المحمود (محررون)، "الثابت والمتحـول 2015: الخليـج و الآخر" (الكويت: مركز الخليج لسياسـات التنمية، 2015).

خالد مشـعل، "شـروط واحتمالات قيام انتخابات نزيهة"، في جواد الحمد وهاني سليمان (محرران)، مركز دراسات الشرق الأوسط، (عمان: 1994م).

آمينـي، داود ،"بـاز بينى مواضـع رژيم پهلوي، روحانيـت و مردم ايران، در منازعات فلسـطين و اسـرائيل« ،(إعادة قراءة مواقف النظام البهلوي، رجال الدين والشعب الإيراني فيما يتعلق بنزاع فلسطين وإسرائيل)، فصلية گنجينۀ اسناد (العدد 61 ،1385 ش).

دستور الجمهورية الاسلامية في إيران، سلسة الفكر الايراني المعاصر، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، (بيروت 2010م).

عباس، دلال وآخرون، المرأة والأسرة في الدستور والقوانين الإيرانية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي (بيروت، ط 1، 2009).

رايت، دنيس ، انگليسى ها در ميان ايرانيان (إنكليز بين الإيرانيين)، ترجمة اسكندر دلدم (تهران، به افرين، 1385 ش).

دنيس رايت، ايرانيان در ميان انگليسيها، صحنههايى از تاريخ مناسبات ايران و بريتانيا، (إيرانيون بين البريطانيين، مشـاهد من تاريخ العلاقات بين إيران وبريطانيا)، ترجمة: كريم إمامى، ط2، (تهران، نشر نو، 1368ش).

حقيقـت، راضيـه حقيقت و روزي طلب، محمدحسـن، «سـفير قدس»، برش‌هايى از خاطرات مرحوم حسـين شـيخ الإسـلام ("سـفير القدس": مقتطفات من مذكرات المرحوم حسـين شـيخ الإسـلام)، (تهران:راه يار، 1400ش).

د. فرانـكل، رافييل، إبقـاء حماس وحزب الله خـارج الحرب مع إيران، ترجمـة مركـز الزيتونة، سلسـلة ترجمات الزيتونـة (73)، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012).

روابط ايران و اسـرائيل به روايت اسـناد نخسـت وزيرى(1327-1357) (علاقـات إيران وإسـرائيل برواية وثائق رئاسـة الـوزراء (1979-1949)، (تهران:رياست جمهورى، 1377ش).

روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية، (طهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام، ط 1، 1996م).
رمضاني، روح الله، چارچوبی تحلیلی برای بررسی سیاست خارجی جمهوری اسلامی ایران ، ط 5 (تهران: نشر ني) 1386 ش.
ــــــــــ، چارچوبی تحلیلی برای بررسی سیاست خارجی جمهوری اسلامی ایران، ترجمة علیرضا طیب، ط 2 (تهران: نشر ني)، 1386 ش.
ري شهري، محمد، خاطرات سياسي (المذكرات السياسية)، (تهران: مؤسسه مطالعات وپژوهشهای سیاسی،1369 ش).
منتظري، سعيد، آية الله حسين علي منتظري في حوار نقد ومكاشفة للتجربة الإيرانية، ت: فاطمة الصمادي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (بيروت، 2020م).
شاه، ناصر الدين، سفرنامه ناصرالدين شاه به فرنگ (كتاب سفر ناصر الدين شاه إلى الغرب)، تقديم عبد الله مستوفي، انتشارات مشعل وانتشارات غزل (اصفهان، 1362 ش).
أتنجر، صامويل (تحرير)، اليهود في البلدان الإسلامية (1850 – 1950) [ترجمة: جمال أحمد الرفاعي] الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، عدد 197، مايو/ أيار 1995.
أبو فخر، صقر أبو فخر "أنيس النقاش أسرار خلف الأستار"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، ط 2، 2010م).
قوام، عبد العلي، روابط بين الملل نظريه ها ورويكردها (العلاقات الدولية: النظريات والأساليب)، (تهران: نشر سمت، 1386ش).
أحمدي، عبد الرحمان أحمدي، ساواك ودستگاه اطلاعاتی اسرائیل (السافاك والمخابرات الإسرائيلية)، (تهران: موسسه مطالعات وپژوهش های سیاسی، ط 4، 1402 ش).
سلطان شاهي، علیرضا سلطان شاهی،فروباشی اسطورة هولوكاست سیری در آراء و اندیشه‌های دکتر محمود احمدی‌نژاد رئیس جمهوری اسلامی ایران پیرامون فلسطین و رژیم اشغالگر قدس (سقوط أسطورة الهولوكوست: مرور على أفكار الدكتور محمود أحمدي نجاد حول فلسطين والكيان

المحتل للقدس)، (تهران: نشر جمهور، ط 1388،1).
المسيري، عبد الوهاب محمد ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق (القاهرة، 1999)ط 1
لحلوح، علاء، موقف حركة فتح من عملية السلام في ظل الشراكة السياسية مع حركة حماس، المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، رام الله، يوليو/ تموز 2009م.
عبـد القادر، علـي أحمد، مقدمة فـي النظرية السياسـية (القاهرة: مطبعة الكيلاني، 1974م)
ولايتي، علي أكبر، إيران وفلسطين (1879-1937): جذور العلاقة وتقلبات السياسة، ترجمة سالم مشكور، (بيروت: دار الحق، 1997م).
ولايتي، على أكبر، جمهوري اسلامى ايران وتحولات فلسطين (الجمهورية الإسلامية وتطورات فلسطين)، (تهران: وزارت امور خارجه، 1386 ش).
ازغندي، عليرضا، روابط خارجى إيران 1330-1357 ش (العلاقات الخارجية لإيران 1950-1979)، (تهران: قومس، 1384 ش).
الصمادي، فاطمة، التيارات السياسية في إيران: صراع رجال الدين والساسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (بيروت، 2019).
__________، نسـاء في معترك السياسة، منشورات البنك الأهلي (عمان، 2004م).
سرشـار، هومن فرزندان اسـتر، مجموعه مقالاتي درباره تاريخ و زندگي يهوديـان در ايـران (مجموعة مقالات حول تاريخ وحياة اليهود في إيران)، تحرير، ترجمه مهرناز نصريه، (تهران: كارنگ، 1384 ش).
دوراند، مورتيمر، گزارش سِـر مورتيمر دوراند (اسـنادى درباره وضعيت ايـران در دهه پايانى قرن نوزدهم)» "تقرير السـير مورتيمر دوراند (وثائق عن الوضع في إيران في العقد الأخير من القرن التاسع عشر)"، ترجمه إلى الفارسية: أحمد سيف، (تهران، شر نى، 1392 ش).
صالـح، محسـن، حركة المقاومة الإسـلامية حماس دراسـات في الفكر والتجربة، (الفصل 16، العلاقات الدولية لحركة حماس، أسـامة حمدان)، (مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات: بيروت، ط 2، 2015).

حســيني زاده، محمد علي، اسلام سياسى در إيران ("الإسلام السياسي في إيران")، (تهران، انتشارات دانشگاه مفيد، ط 1، 1386).
سريع القلم، محمود، "ايران وجهانى شدن: چالش‌ها و راه حل‌ها"("إيران والعولمة: التحديات والحلول")، (تهران: مركز تحقيقات استراتژيک، مجمع تشخيص مصلحة النظام، 1384 ش).
ســريع القلم، محمود ســريع، سياســت خارجى جمهورى اسلامى ايران: بازبينى نظرى و پارادايم ائتلاف (السياســة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانيــة: مراجعــة نظرية ونموذج التحالف)، مركز تحقيقات اســتراتژيک (تهران، 1379 ش).
بازرگان، مهدى، انقلاب ايران در دو حركت، تهران (الثورة الإسلامية في حركتين)، (نهضت آزادى ايران، تهران) ط5، 1363 ش.
كفــاش، مهين، روابط خارجــى ايران بعد از انقلاب اســلامى (العلاقات الخارجية لإيران بعد الثورة الإسلامية)، (تهران :انتشارات آواي نور، 1388 ش)
حركة حماس، ميثاق حركة حماس، مجلة الدراســات الفلســطينية، المجلد الرابع، العدد 13، شتاء 1993م.
حركة حماس، وثائق حركة المقاومة الإســلامية، سلســلة بيانات الحركة، المكتب الإعلامي لحركة حماس، د.م، د.ت.
جبرائيلي، ياسر ، "سوداى سكولاريسم (رمزگشايى از زندگى وكارنامه سيد محمــد خاتمى)"("ربح العلمانية (تفكيك رموز حياة الســيد محمد خاتمي وعمله)")، (تهران: خبرگزارى فارس،1391)، ط 1.
يهوديان ايران در تاريخ معاصر" (يهود إيران في التاريخ المعاصر)، المجلد الرابع، (كاليفورنيا: مركز التاريخ الشفوي لليهود، كاليفورنيا، 2000م.
رزقه، يوســف، الرؤية السياســية لحركة حماس، فصل في حركة المقاومة الإســلامية حماس: دراســات في الفكر والتجربة، مجموعة مؤلفين، تحرير محســن صالح، مركز الزيتونة للدراســات والاستشــارات، (بيروت: ط 2، 2015).

الدوريات

احمدي، محمود طاهر، اسنادي پراكنده از نهضت ملى شدن نفت ايران (وثائق متفرقة حول حركة تأميم النفط الوطنية الإيرانية)، دورية "گنجينه اسناد".

آرائي، وحيد آرائى و نجف پور، شعبان، « تحليلى بر روابگ ايران ورژيم صهيونيستى در دوره پهلوى؛ توازن يا وابستگى (تحليل لعلاقات إيران والكيان الصهيوني في العهد البهلوي: التوازن أم التبعية؟)، فصلية "تاريخ روابط خارجى" السنة 14، العدد 56، خريف 1392 ش.

ازغندي، علي رضا، پوزيتيويسم شناخت مسلط بر سياست خارجي ج .ا .ا(الوضعية الإدراك المهيمن على السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية)، دورية "علوم سياسي"، السنة الأولى، العدد 1، صيف 1384ش.

ازغندي، علي رضا، تنش زدايي در سياست خارجي: مورد جمهوري إسلامي إيران (78-1367)، فصلية "سياست خارجي"، العدد 52، 1378 ش.

بهبودي، هدايت الله، "نقش انگليس در مهاجرت يهوديان ايران به فلسطين مطالعه موردى:سال 1301 شمسى"(دور الإنكليز في مهاجرة اليهود الإيرانيين إلى فلسطين دراسة حالة: عام 1301 ش)، "مطالعات تاريخى"(دورية دراسات تاريخية)، العدد 23، شتاء 1387 ش.

دهشيري، محمد رضا، چرخه آرمان گرايي و واقع گرايي در سياست خارجي جمهوري اسلامي ايران (دورة المثالية والواقعية في السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية)، دورية "سياست خارجي" الدورة 15، العدد 2، 1380 ش.

رضائي، عليرضا، تبيين دوره هاى سياست خارجى ج.ا.ا از منظر تئورى هاى روابط بين الملل (شرح دورات السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية من منظور نظريات العلاقات الدولية)، فصلية "راهبرد"،السنة 16، العدد 48، 1387 ش.

رضائـــي، عليرضا، تحليل سياســت خارجى جمهورى اســـلامى ايران در پرتـــو نظريه هاى روابط بين الملل (تحليل السياســة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية على ضوء نظريات العلاقات الدولية)، راهبرد، العدد 17 ربيع 88 ش.

سريع القلم، محمود سريع، بازنگرى نظرى در سياست خارجى جمهورى اســـلامى ايران: پارادايـــم ائتلاف) المراجعـــة النظرية للسياســـة الخارجية لجمهورية إيران الإســـلامية: نموذج الائتلاف)، دورية "اطلاعات سياســـي واقتصادي، فروردين وارديبهشت، العدد 163 و164، 1380 ش.

شـــعر باف، جواد، "موازنۀ تهديد؛ جمهوري اسلامى ورژيم صهيونيستى" (موازنة التهديد، الجمهورية الإسلامية والنظام الصهيوني)، فصلية "ديپلماسى دفاعى"، العدد 4، 1391 ش.

شمس، مرتضى، "تهديدهاي نظامى امنيتى اسرائيل عليه جمهوري اسلامى ايران"(التهديد العســـكري والأمني لإســـرائيل ضد الجمهورية الإســـلامية الإيرانية)، فصلية "مطالعات راهبردى"، العدد الثاني 1377 ش.

شهبازي، الهام، ايران وإسرائيل از همكارى تا منازعه (إيران وإسرائيل من التعاون إلى الصراع)، دورية "خرنامه"، العدد 12، ربيع وصيف 1393 ش.

شـــيخ رضائي، انســـيه، مدارس فرانســـوى در ايران (المدارس الفرنسية في إيران)، گنجينۀ اسناد، الدورة 2، العدد 4 و3، شتاء 1371 ش.

صقر الزعيم، إبراهيم، الدور السياسي للمرأة الفلسطينية في حركة حماس، مجلة جيل للدراسات السياسية والعلاقات الدولية العدد 27، 2020.

عباسي، إبراهيم وتبريزي، زينب، ، بررسى روابط ايران و جنبش حماس بعد از بيداري اسلامى (دراسة العلاقات بين إيران وحركة حماس بعد الصحوة الإســـلامية)، دورية، پژوهش‌هاي سياسى و بين‌المللى سال 6، شماره 24، 1394ش.

فرجاد، فرهاد،اتحاد ســـرخ و ســـياه : گزارشى از ســـفر آموزش نظامى به كمپ‌هاى فلسطينى اتحاد الأحمر والأسود: تقرير عن رحلة تدريب عسكرية الى المخيمات الفلســـطينية دورية "انديشـــه پويا"، السنة الثالثة، العدد 22 ، آذار 1393 ش.

فوزي، يحيى فوزى وعلي بخشـــي، عباس، وجوه اشتراک و افتراق انديشه سياســى جنبش حماس با انديشــه سياسى انقلاب اســلامى ايران: "وجوه التشــابه والاختلاف في الفكر السياســي لحركة حماس مع الفكر السياسي للثورة الإســلامية الإيرانية"، دورية "انديشه سياسى در اسلام"، ربيع 1395 شمسي، العدد 7.

فيروز آبادي، ســيد جلال دهقانى ورادفــر، فيروزه، الگوي صدور انقلاب در سياســت خارجى(نموذج تصدير الثورة في السياســة الخارجية) ، مجلة "دانش سياسى"، السنة الخامسة، العدد الأول، ربيع وصيف 1388 ش.

كوهســتاني نژاد، مســعود، روابط ايران وإســرائيل در دوره دكتر مصدق (1330-1332) (علاقات إيران وإســرائيل في فترة الدكتور مصدق)، فصلية "تاريخ روابط خارجي"، العدد 15، 1382 ش.

ميرفخرائي، ســيد حســن ، سياست خارجى دولت موقت: از عدم تعهد تا اصل نه شرقى، نه غربى(السياســة الخارجيــة للحكومة المؤقتة: من عدم الالتزام إلى أســاس "لا شــرقية ، لا غربية"، فصلية " راهبردي سياست"، السنة الثانية، العدد 8 ، ربيع 1393 ش.

نجف اندرور، قربان على، قانون گريزى دوره قاجار و نقش آن بر اوضاع سياســى و اجتماعــى ايران(انقلاب مشــروطه)(التهرب القانوني في العهد القاجــاري ودوره فــي الوضــع السياســي والاجتماعي في إيــران (الثورة الدستورية)، فصلية تاريخ، السنة ال14ـ، العدد55، شتاء 1398ش.

هزار جريبى، جعفر وصفرى شــالى، رضا ،بررسى نظرى در شناخت طبقه متوســط (با تاكيد بر طبقه متوســط جديد ايران) (بحث نظري في معرفة الطبقة المتوســطة (مع تركيز على الطبقة المتوســطة الجديدة في إيران))، فصلية "علوم اجتماعى"، السنة 1389 ش.

رسائل جامعية

دغيش، لنا نعيم راغب دغيش، تطور الخطاب السياســي والإعلامي لحركة حماس تجاه الغرب وموقف الأخير منه (1987 - 2018)، رسالة ماجستير (جامعة القدس)، 2018.

معتز سمير الدبس، بعنوان: "التطورات الداخلية وأثرها على حركة المقاومة الاسلامية "حماس" (2000–2009)"، جامعة الأزهر، غزة، 2010.

Thomson, Amy, The ties that bind: Iran and Hamas' principal-agent relationship: University, Turitea, New Zealand, 2012.

المراجع الأجنبية

Maloney, Suzanne. Identity and Change in Iran's Foreign Policy. from Identity and Foreign Policy in the Middle East edited by Shibley Telhami and Michael Barnett Cornell University Press: Ithaca and London, 2002, p97

Andreas Krieg and Jean-Marc Rickli, Surrogate Warfare: The Transformation of War in the Twenty-First Century, Georgetown University Press, 2019.

Seyed Ali Alavi, Iran and Palestine Past, Present, Future, Routledge, 2020.

Rahimiyan. Orly. R, Chisme et Khomeynisme: le dépérissement du Judaïsme Iranian, in: Shmuel Trigano (Direction), La Fin du Judaïsme en Terres d'Islam, Denoel 2009.

Xiaohui Xu Research on the Application of Context Theory in Vocabulary Study, Theory and Practice in Language Studies, Vol. 3, No. 6, June 2013.

R. k. Ramazani, Independence without Freedom Iran’s foreign policy, university of Virginia press, first published 2013.

-----------, “Iran and the Arab-Israeli Conflict” was originally published in Middle East Journal 32, no. 4 (Autumn 1978(

-----------, Independence without Freedom Iran’s foreign policy, university of Virginia press, First published, 2013

Roham Alvandi Mentions, The Shah's Détente with Khrushchev: Iran's 1962 Missile Base Pledge to the Soviet Union, Routledge, Cold War History, Volume 14, 2014.

Bahgat, G, Egypt and Iran: The 30-year Estrangement. Middle East Policy, 2009.

Arshin Adib-Moghaddam, Iran in World Politics: The Question of the Islamic Republic, New York: Columbia University Press, 2008.

Dalia Dassa Kaye, Alireza Nader, Parisa Roshan, Israel and Iran, A Dangerous Rivalry, RAND National Defense Research Institute, 2011

Trita Parsi, Treacherous Alliance. Yale University Press. 2007.

Ilan Goldenberg, Nicholas Heras, Kaleigh Thomas and Jennie Matuschak, Countering Iran in the Gray Zone, What the United States Should Learn from Israel's Operations in Syria, CNAS,

المقابلات

الصمادي فاطمة، مقابلة مسجلة مع مجتبى **أبطحي**، طهران، 2023.

ـــــــــــ، مقابلة للباحثة مع موسى **أبو مرزوق**، الدوحة، 23 يناير/ كانون الثاني 2020.

ـــــــــــ، مقابلة مع سيد **أبو مسامح**، إسطنبول، 2019.

ـــــــــــ، مقابلة مسجلة مع أشرف **حسن**، الدوحة، 3 فبراير/ شباط 2024.

ـــــــــــ، مقابلة مسجلة مع أسامة **حمدان**، الدوحة، 2016.

ـــــــــــ، مقابلة مسجلة مع خليل **الحية**، الدوحة 7 شباط/ فبراير 2024.

ـــــــــــ، مقابلة مسجلة مع كمال **خرازي**، الدوحة، 12 فبراير/ شباط 2019.

ـــــــــــ، مقابلة مكتوبة مع محمود **الزهار**، نوفمبر/ تشرين الثاني 2022.

ـــــــــــ، مقابلة مسجلة مع حسين **شيخ الإسلام**، طهران، 18 ديسمبر/ كانون الأول 2018.

ـــــــــــ، مقابلة مسجلة مع **صالح العاروري**، الدوحة، 2019.

ـــــــــــ، مقابلة مكتوبة مع محمد **عبد السلام**، 20 أبريل/ نيسان 2024.

ـــــــــــ، مقابلة مكتوبة مع أمير حسين **عبد اللهيان**، 2023.

ـــــــــــ، مقابلة عبر سكايب مع **خالد القدومي**، 23-24 أغسطس/ آب 2022.

ــــــــــــ، مقابلـة مع أصغر **محمدي**، طهران 17 ديسـمبر/ كانون الأول، 2018.

ــــــــــــ، مقابلة عبر الإنترنت مع هادي **معصومي زارع**، 24 أكتوبر/ تشرين الأول 2023.

ــــــــ، لقاء مع رئيس المكتب السياسي لحركة حماس **اسماعيل هنية**، ضم مجموعة محدودة من الشخصيات، الدوحة، 23 تموز/ يوليو 2020

المواقع الإلكترونية

واكاوى نكات مطرح شده توسط رهبر انقلاب در مورد «طوفان الاقصى» و واكنش‌هـاى رژيم صهيونيسـتى، تحليل النقاط التـي أثارها قائد الثورة بشـأن "عاصفة الأقصـى" وردود أفعال النظام الصهيونـي :https: / /2u. pw /6qescm8

حضـور و سـخنرانى فرمانده كل‌قوا در مراسـم مشـترک دانش‌آموختگى دانشـجويان دانشگاه‌هاى افسـرى نيروهاى مسـلح (حضور وكلمة القائد العام في حفل التخرج المشـترك لطلبة جامعات ضباط القوات المسلحة)، https://farsi.khamenei.ir/news-content?id=54049

بيانـات در ديـدار بسـيجيان "تصريحـات في لقـاء التعبوييـن"، الموقع الرسـمي لخامنئي، 8/ 9/ 1403 ش. https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=54526

بيانات در ديدار مردم «كرمان» و «خوزسـتان» (تصريحات في لقاء أهل كرمان وخوزستان)، https: / /bitly.ws /374Pg

پيشـنهاد فائزه هاشمى درباره‌ى روابط با اسـرائيل(اقتراح فائزة رفسنجاني حول العلاقات مع إسرائيل)، https: / /bitly.ws /3eYJY

خامنئي يدعو الدول الإسلامية لقطع علاقاتها مع إسرائيل "لفترة محدودة" https: / /bitly.ws /34CFU

هاشـمى، محسـن: بايد مراقب بود تلاش اسرائيل براى كشاندن پاى ايران به جنگ تحقق نيابد (محسـن هاشـمي: يجب الحذر لمنع نجاح محاولة إسرائيل جر إيران إلى الحرب)، https://www.entekhab.ir/0036zF

خاتمی ، سید محمد:حمله غافلگیرانه مقاومت به اسرائیل دستاورد بزرگی برای مردم فلسطین است/ زور و اشغال منشأ مشروعیت نیست (السيد محمد خاتمي: هجمة المقاومة المفاجئة على إسرائيل إنجاز عظيم للشعب الفلسطيني/ القوة والاحتلال ليسا مصدر الشرعية)، https: //www.ilna. ir /fa /tiny /news-1405729

"مسئله فلسطین از دیدگاه حقوق بین‌الملل با تأکید بر تحولات اخیر"، (القضية الفلسطينية من وجهة نظر القانون الدولي بالتركيز على التطورات الأخيرة)، https: //www.etemadonline.com /fa /tiny /news-639964

رضايي محسن: ما به حماس «ماهیگیری» آموختیم، (محسن رضائي: علمنا حماس الصيد)، https: //bitly.ws /36MAr

تغريدة لرئيسي نجاد على منصة (إكس)، 15 أبريل/ نيسان 2022، https: // bitly.ws /34E2k

ما هي اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية؟: 7 نقاط أساسية، https: // news.un.org /ar /story /2024 /01 /1127587

رشتو- موضع لاوروف درباره غزه نشانه شکست تلاش تهران برای نزدیکی به روسیه در مساله فلسطین است(سلسلة- موقف لافروف بشأن غزة مؤشر على فشل محاولة طهران التقرب من روسيا بشأن القضية الفلسطينية)، منصة إكس، 17 ديسمبر/ كانون الأول 2023، (تاريخ الدخول: 21 ديسمبر/ كانون الأول 2023)، https: //rb.gy /hrfeut

تغريدة لمولوي عبد الحميد على حسابه على منصة "إكس")، https: // bitly.ws /34DQY

مع استمرار الحرب بين حماس وإسرائيل، زعيم إصلاحي إيراني يحث على "إعطاء الأولوية" للمصالح الوطنية، https: //bitly.ws /34DW7

دستیار ویژه وزیر کشور در امور فلسطین: طوفان الاقصی جهان جدیدی را خلق کرده است، (المساعد الخاص لوزير الداخلية للشؤون الفلسطينية: لقد خلق "طوفان الأقصى" عالمًا جديدًا)، وكالة إيسنا، 6 اذر 1402 ش، (تاريخ الدخول: 5 مارس/ آذار 2024)، https: //bitly.ws /3eZ43

هــادي معصومي زارع، و ناگهــان طوفان (درنگی در باب عملیات طوفان الأقصى) (وفجأة الطوفان.. وقفة على باب طوفان الأقصى)، https: / /2u. pw /4yogBGq

سيد مجتبى ابطحى در «به افق فلسطين»: هنوز 5 درصد از توان مقاومت هم بكار گرفته نشــده اســت (الســيد مجتبي أبطحي في برنامج "به أفق فلســطين": المقاومة لم تســتخدم حتى الآن 5 بالمئة من قوتها)، https:// tv_ofogh@#/web.telegram.org/k

خالد مشعل: حزب الله قام مشكورًا بخطوات لكن الأمر يتطلب أكثر ومن مصلحتنا خوض المعركة معًا، https://2u.pw/49mO38i

رئيس حركة حماس في الخارج خالد مشعل في مقابلة حصرية مع العربية: هجوم 7 أكتوبر كان مغامرة مدروسة.. وإيران وحزب الله دعمونا بالسلاح والخبرة ونطلب المزيد، https://2u.pw/WvIHvp9

محمد قواص، سجال "حماس"-"حزب الله"!، https://2u.pw/JZcLZv6

حماس: ندفع بكل القوى للقتال معنا من حزب الله وإيران، https: / /2u. pw /7v4uVAw

"رويترز": خامنئي أبلغ "حماس" أن إيران لن تحارب إســرائيل نيابة عنها، https://bitly.ws/3fPIu

حماس تنفي صحة ما ورد في تقرير لرويترز عن لقاء خامنئي وهنية، https:// bitly.ws/3fPJN

الإمام الخامنئي لدى لقائه رئيس المكتب السياســي لحركة حماس: الصبر التاريخــي لأهالي غزة ظاهرة أعزَّت الإســلام | لــن تتوانى جمهورية إيران الإســلامية عن دعــم قضيــة فلســطين، https: / /arabic.khamenei.ir / news /8223

الإمــام الخامنئــي لدى لقائه الأميــن العام لحركة "الجهاد الإســلامي في فلســطين": غزة هي المنتصــرة حتى اللحظة | ستشــهدون النصر النهائي، https: / /arabic.khamenei.ir /news /8236

النص الكامل لكلمة الســيد حسن نصر الله في الاحتفال التكريمي لشهداء طريق القدس، https: / /bitly.ws /3eU2k

العــاروري: نشــق بالإخوة في حزب الله.. وأداء محــور المقاومة في لبنان واليمن متقدم، https://2u.pw/ErSel6P

أسامة حمدان للجزيرة مباشر: المقاومة لا تزال قوية ميدانيًّا وخروج قيادات حماس من غزة فكرة حمقاء (فيديو)، https://bitly.ws/3hgcD

13 صاروخًا بحريًّا يمتلكها اليمن وبها فرض حصارًا على الكيان الصهيوني، https://bitly.ws/35NJT

بيان صادر عن القوات المســلحة اليمنية، حســاب العميد يحيى سريع على منصة إكس، https://bitly.ws/35wLj

جماعــة "أنصار الله" الحوثية تصدر بيانًا، روســيا اليــوم، https://bitly.ws/36yFZ

إيران تنفي مساعدة الحوثيين في استهداف سفن مرتبطة بإسرائيل، https://bitly.ws/374CE

كلمة السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي عن آخر المستجدات في فلسطين، 22 فبراير/ شــباط 2024م/ 12 شــعبان 1445هـ (نص+ فيديو)، https://www.ansarollah.com/archives/657468

الضربــات الأميركية البريطانية ضد الحوثيين: إلى أين ســتمتد؟، https://bitly.ws/39KgD

باقری در پاسخ به مهر:غربی‌ها به دنبال فرافکنی «ضربات جریان مقاومت» هستند (باقري ردًّا على مهر: الغربيون يبحثون عن نسبة "ضربات المقاومة" لغيرهم)، https://bitly.ws/374Cw

ابعاد داخلی، منطقه‌ای و بین‌المللی ورود یمن به جنگ با رژیم صهیونیستی (الأبعــاد الداخليــة والإقليمية والدولية لدخول اليمن في الحرب مع النظام الصهيوني)، https://bitly.ws/36E3s

شلل في الموانئ الإسرائيلية، والبحرين الدولة العربية الوحيدة في التحالف الأميركي لمواجهة الحوثيين، https://bitly.ws/36Eie

بينها دولة عربية... واشــنطن تعلن تشــكيل تحالف دولي يضم 10 بلدان للتصدي لهجمات "أنصار الله"، https://bitly.ws/36yHF

"نور نيوز" تســلط الضوء على الدعم الأميركي الأعمى للكيان الصهيوني، https://bitly.ws/36E89

آمریکا در چه شرایطی به ایران پاسخ می‌دهد؟ (تحت أي ظروف ترد أميركا على إيران؟)، https: / /bitly.ws /36FwR

حمید عظیمی، برای فلسطین یا فلسطيني (لأجل فلسطين أو الفلسطيني)، مرصاد، 6 آبان 1402، https: / /bitly.ws /374Hc

فاطمة الصمادي، إسرائيل تعلن الحرب على إيران فهل تواصل طهران سياسة تجنبها؟، https: / /studies.aljazeera.net /ar /article /5893

حماس: العملية العسكرية الإيرانية ضد إسرائيل رد مستحق، https: / /bitly.ws /3ibf5

"الوعد الصادق".. أول هجوم عسكري إيراني مباشر على إسرائيل، https: / /bitly.ws /3ibgb

إسرائيل أنفقت 1.5 مليار دولار في ليلة واحدة لصد الهجوم الإيراني، https: / /bitly.ws /3ibhV

فاطمة الصمادي، رسائل طهران: انتهت مرحلة الصبر الإستراتيجي، https: / /studies.aljazeera.net /ar /article /5898

دستیار ویژه وزیر کشور در امور فلسطین: طوفان الاقصی جهان جدیدی را خلق کرده است: https: / /bitly.ws /3eZ43

Arash Reisinezhad, The 7 Reasons Iran Won’t Fight for Hamas: https://bitly.ws/34Ehe

Narges Bajoghli and Vali Nasr, How the War in Gaza Revived the Axis of Resistance:https://bitly.ws/3eyYj

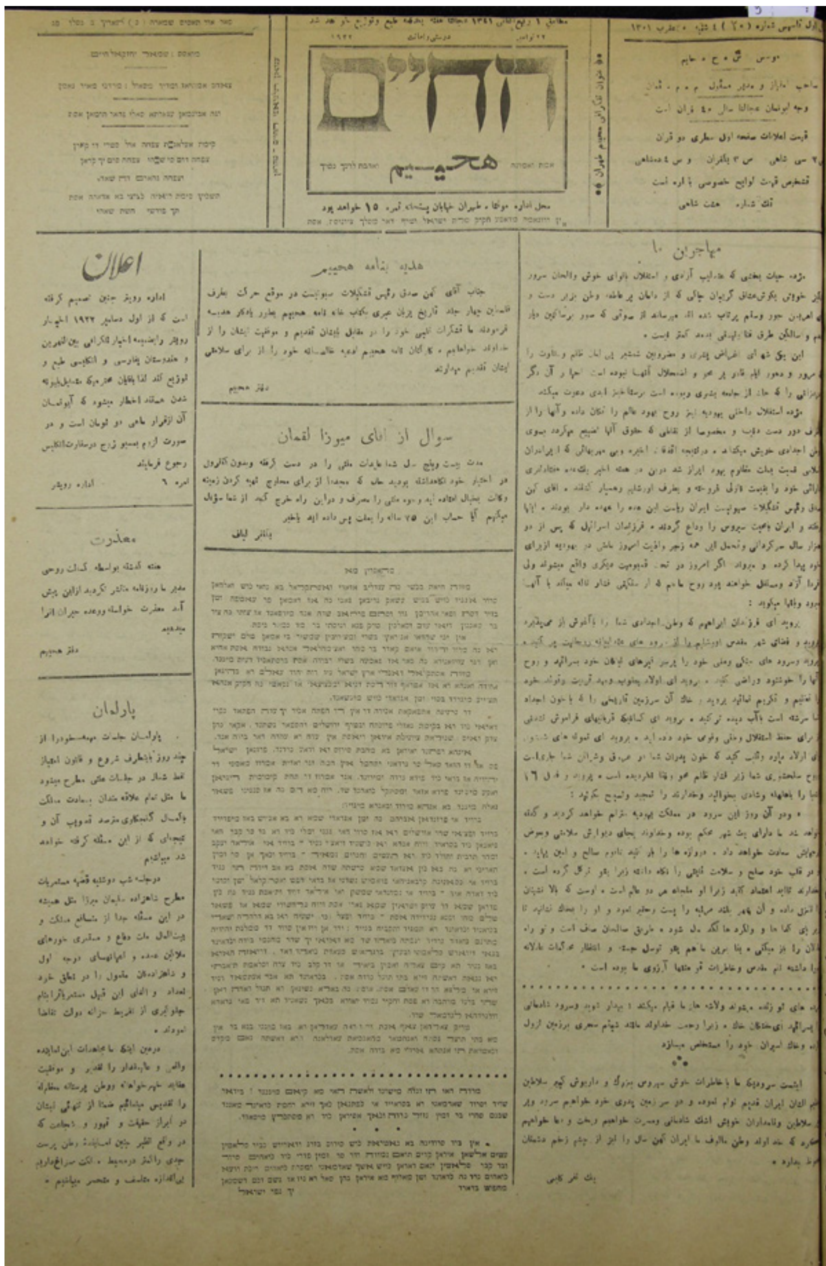
Juan P. Villasmil, Why is Gen Z so pro-Palestine and anti-Israel?,: https://bitly.ws/3eTEQ

‘Yemen, Yemen make us proud, turn another ship around!’ YE #freepalestine #london, youtube, 4 Feb 2024(accessed: 4 March 2024): https://2u.pw/mZMg07o

The blockade stops when the genocide stops, X, Jan 4, 2024, (accessed: 3 March2024): https://twitter.com/i/status/1742901062724358364

Hamidreza Azizi and Erwin van Veen, Iranian reactions to 7/10 and the invasion of Gaza: https://www.clingendael.org/publication/iranian-reactions-710-and-invasion-gaza

الملاحق



החיים

هحییم

مهاجرین !

اعلان

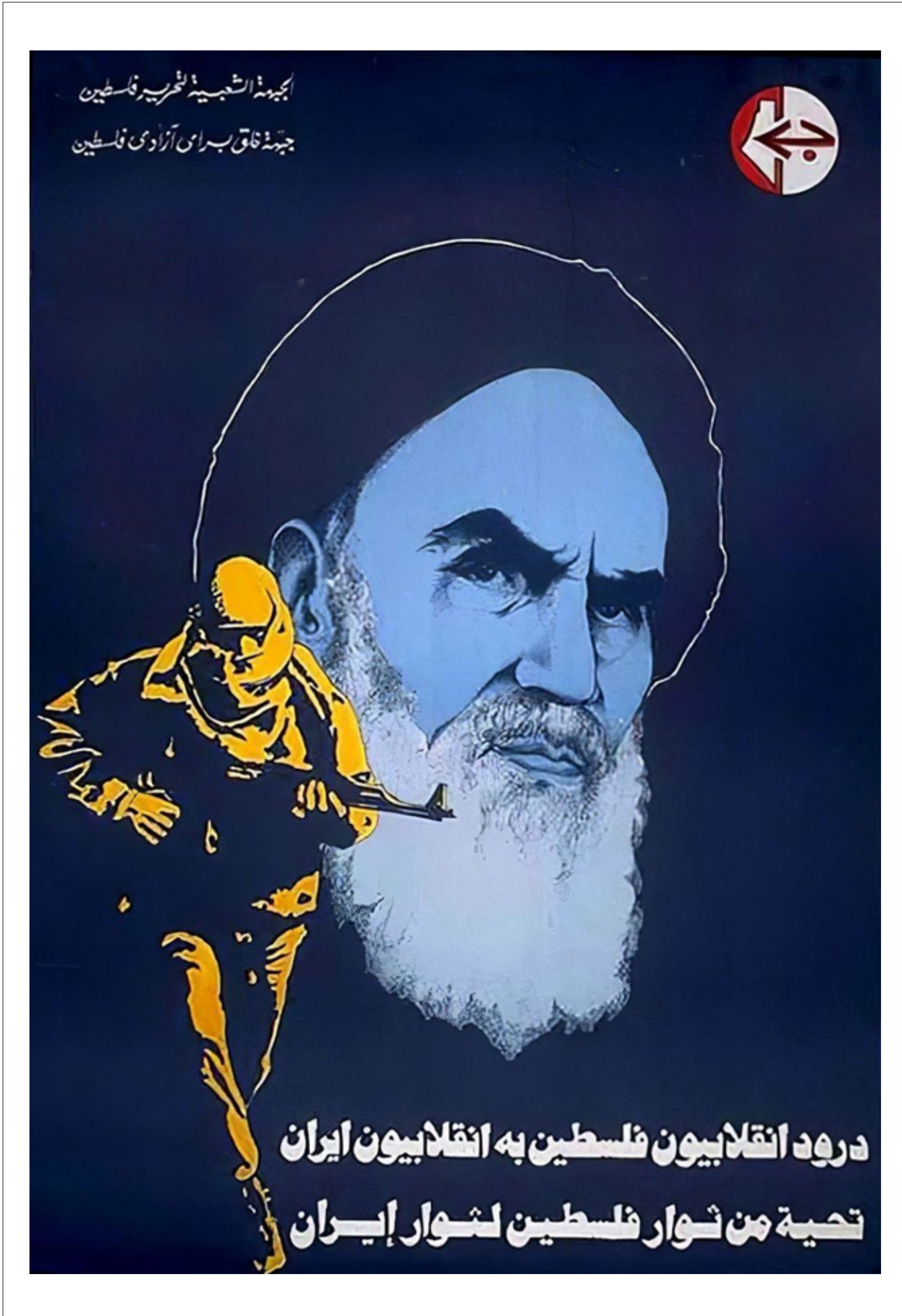
هدیه بنامه هحییم

سوال از آقای میرزا لقمان

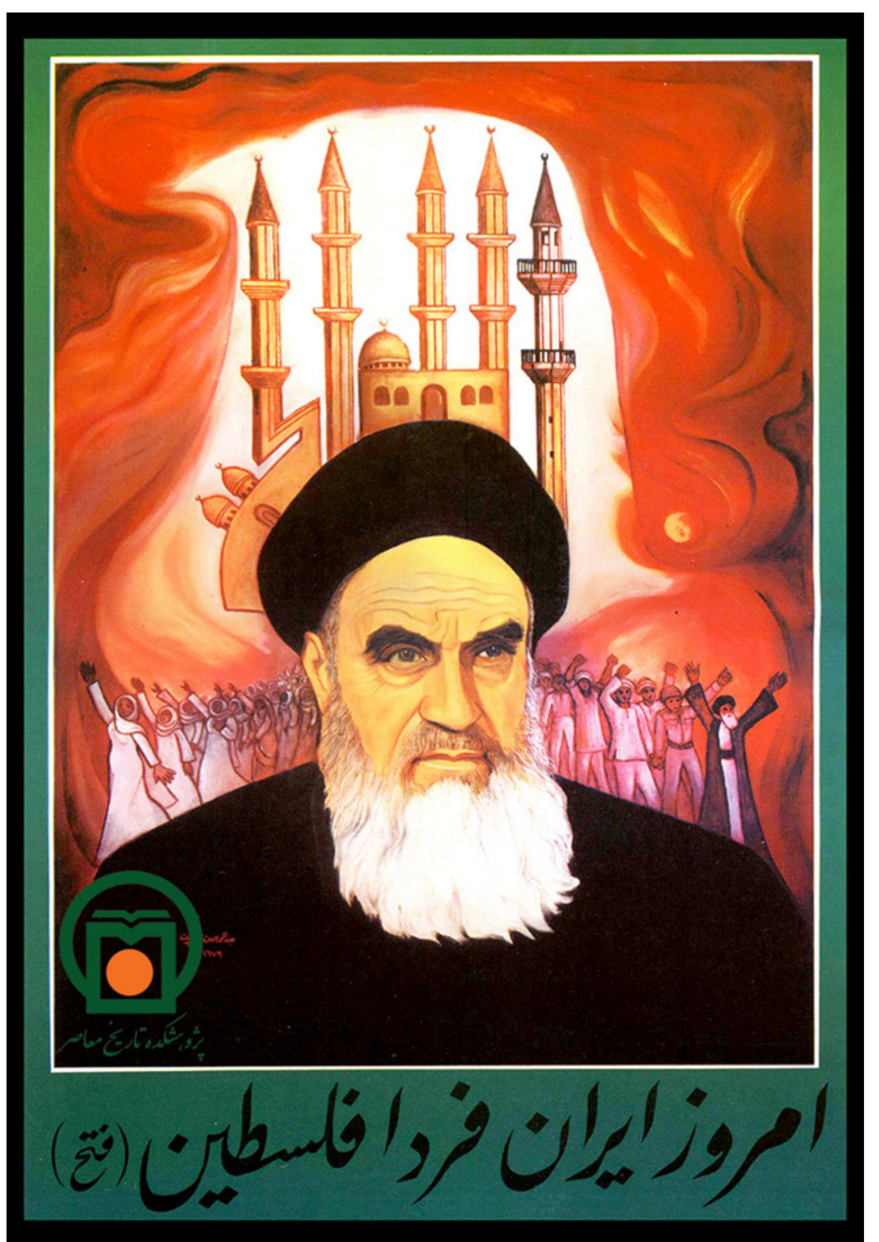
معذرت

پارلمان

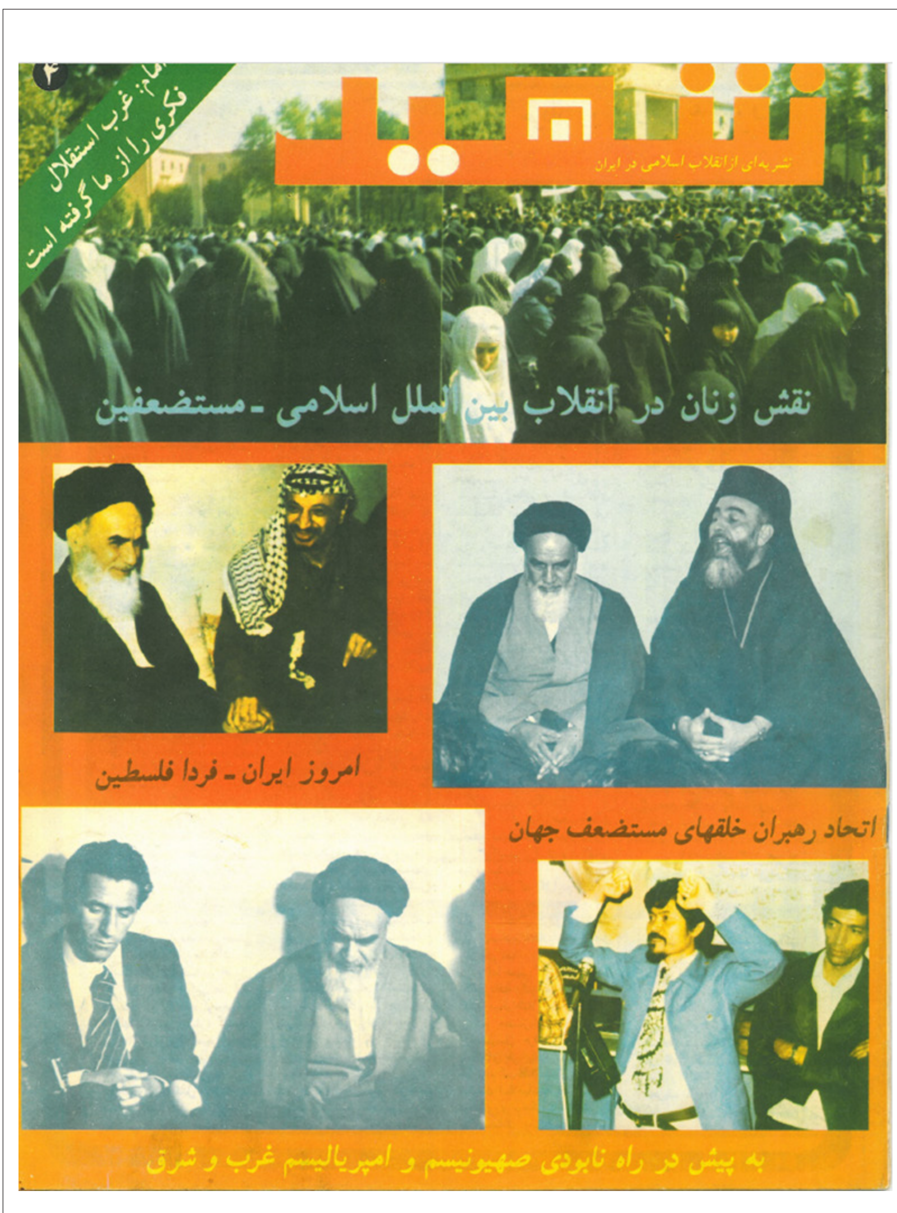
عدد من صحيفة "هحييم " الصهيونية الصادرة في طهران عام 1922 وتدعو يهود إيران إلى الهجرة إلى فلسطين



ملصق للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يمجد الثورة الإسلامية في إيران: "تحية من ثوار فلسطين إلى ثوار إيران"



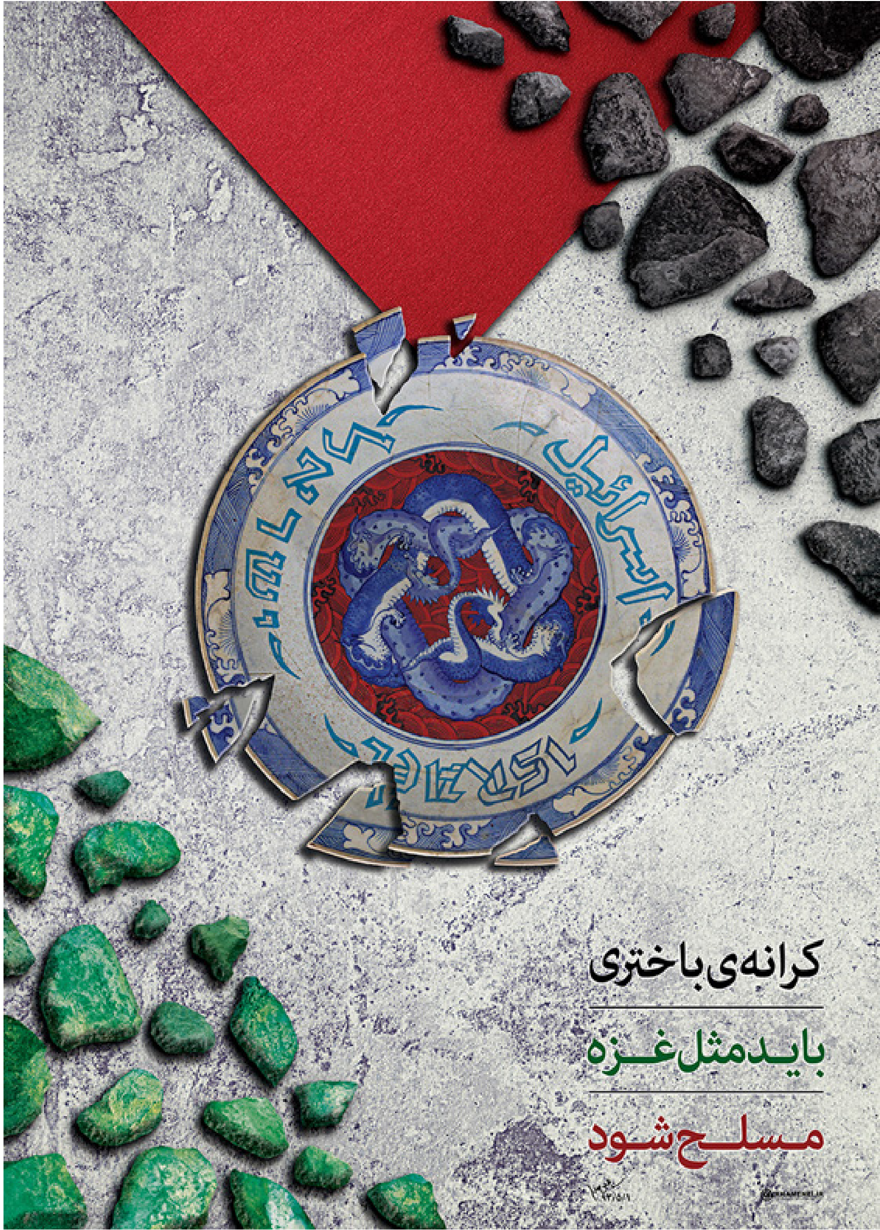
ملصق لحركة فتح مرحبا بانتصار الثورة الإسلامية: اليوم إيران وغدا فلسطين



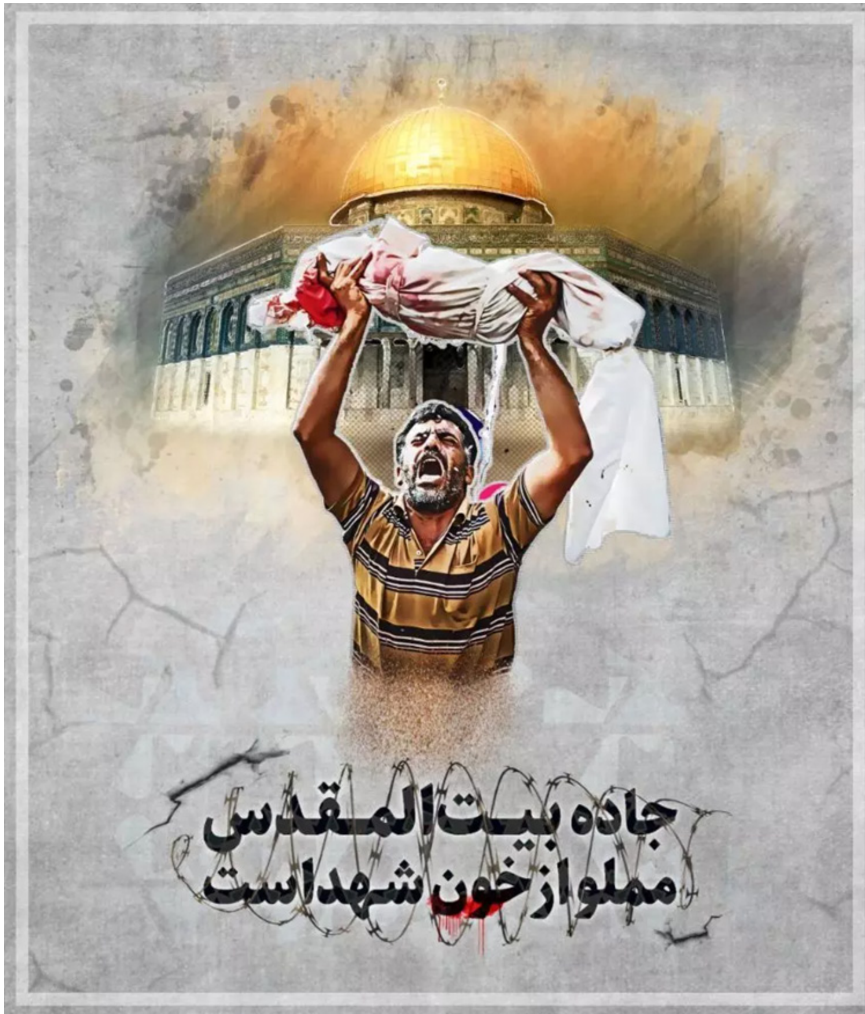
غلاف العدد الرابع من مجلة الشـــهيد التي أصدرها محمد منتظري مع بدايات انتصار الثورة وكانت تركز على الحالة الثورية في العالم الإسلامي وعلى قضية فلسطين



ملصق لحركة حماس في ذكرى تأسيسها



ملصق نشــره موقع آية الله علي خامنئي بالتزامن مع طوفان الأقصى مع عبارة تقول: يجب أن تصبح الضفة الغربية مسلحة كغزة



ملصق بمناسبة يوم القدس: طريق بيت المقدس مضرجة بدماء الشهداء



طوابــع بريدية تذكارية خاصة بيوم القدس والمقاومة أصدرتها إيران على مدى العقود الماضية

محضر اجتماعات الحركة خلال زيارتها إلى طهران في 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير حول المشاركة في ذكرى انتصار الثورة

طهران (11- 2016/2/16)

وفد الحركة: أبو عمر محمد – أبو حمدان – د.خالد / القدومي

برنامج الزيارة: محمد نصر / أسامة

أولا: البرنامج مع وفد الفصائل الفلسطينية:

1- المشاركة في احتفال انتصار الثورة.
2- اجتماع وفد الفصائل.
3- لقاء مع اللواء قاسم سليماني.
4- لقاء مع د. علي لاريجاني. (رئيس مجلس الشورى الإسلامي).
5- لقاء مع السيد علي شمخاني. (أمين عام مجلس الأمن القومي).
6- تلبية دعوة السفير الفلسطيني على العشاء.

ثانيا: لقاءات خاصة بوفد الحركة:

1- لقاء اللواء قاسم سليماني.
2- عدة لقاءات مع الحاج رمضان.
3- لقاء جمعية الدفاع عن الشعب الفلسطيني.
4- زيارة مكتب تمثيل الحركة.
5- زيارة جمعية الأقصى الثقافية.
6- لقاء جماعة الدعوة والإصلاح.

- ملاحظة: طلب الحاج رمضان من الوفد تأجيل السفر للقاء مع د.علي أكبر ولايتي (مكتب القائد)، ووزير الخارجية د. ظريف، ولكن لم يتم اللقاء بسبب تأخر عودتهما من السفر خارج البلاد.

ثالثا: لقاءات إعلامية:

1- لقاء قناة العالم.
2- لقاء قناة الميادين.
3- لقاء قناة فلسطين اليوم.
4- مقابلة مع موقع سماحة القائد.
5- مقابلة مع وكالة فارس للأنباء.
6- مقابلة مع وكالة نسيم للأنباء.
7- مقابلة مع وكالة مهر للأنباء.
8- زيارة ومقابلة مع وكالة قدس للأنباء.
9- مقابلة مع بعض المواقع العربية، الرسالة وموقع شهاب الإخباري ومركز فلسطين للإعلام.
10- لقاء مع مجموعة من النخب الإعلامية.

1

أولا: برنامج وفد الفصائل الفلسطينية:

تشكيل الوفد:

- الجبهة الشعبية القيادة العامة: د. طلال ناجي.
- حماس: أبو عمر محمد، أبو حمدان، د.خالد
- الجهاد الإسلامي: أبو طارق نخالة، أبو محمد العجوري، أبو شريف.
- فتح: عباس زكي
- الجبهة الشعبية: أبو أحمد فؤاد.
- الجبهة الديمقراطية: فهد سليمان.
- فتح الانتفاضة: أبو حازم.
- جبهة النضال الشعبي: خالد عبد المجيد.
- الصاعقة: فرحان أبو الهيجاء.

1- المشاركة في الاحتفالات:

شمل ذلك فقرتين:

ا- الحضور في منصة الضيوف في ساحة الاحتفال (ساحة الحرية)، وحضور كلمة رئيس الجمهورية.

ب- جولة في طائرة عامودية فوق طهران لاسيما ساحة الاحتفال والشوارع الرئيسة لمشاهدة الحشود.

2- اجتماع الفصائل:

بناء على طلب الفصائل الاطلاع على تطورات المصالحة، تم عقد لقاء ضم أعضاء الوفد الفلسطيني حيث دار حوار تفصيلي حول مسار المصالحة، وتم التوقف أمام محطتها الأخيرة في لقاء الدوحة. وقد تم تقديم شرح للفصائل حول ظروف انعقاد اللقاء في ظل أجواء الانتفاضة، وفي ظل ظروف المنطقة الراهنة، وفي ظل التحديات التي تواجه الوضع الفلسطيني. ثمن المجتمعون موقف الحركة، وأكدوا الدعم لأي خطوات جدية لتحقيق المصالحة.

وجرى اقتراح بإصدار بيان مشترك، وبعد الحوار تم التوافق أن يكون تصريحا صحفيا، وتم بالفعل إصدار التصريح. (مرفق).

3- لقاء اللواء قاسم سليماني:

افتتح الحديث الدكتور طلال ناجي، ثم تحدث ممثلو الفصائل وكذلك الأخ أبو عمر قبل حديث اللواء، ركز جميع المتحدثين على التهنئة بالمناسبة، والتأكيد على أهمية دور الجمهورية الإسلامية في دعم المقاومة في فلسطين ولبنان، ودعم الشعب الفلسطيني، حتى تحرير أرضه ووطنه. كما تم التأكيد على أهمية تطوير وتحسين العلاقة مع حماس من قبل الفصائل، واستمرار دور إيران في دعم القضية الفلسطينية.

- اللواء سليماني:

رحب بالحضور، وشكرهم على المشاركة في احتفالات الذكرى، معتبرا اللقاء مع المجاهدين في فلسطين يجدد الروح الجهادية والثورية، وأن ما يجمع إيران بالمقاومة في فلسطين هو المحبة والمشروع الاستراتيجي، معتبرا أن النضال والمقاومة في فلسطين هو أطهر وأشرف وأنبل مقاومة ولا تشوبه شائبة،

وأن المعرفة والمحبة بيننا تسهل الحديث، خاصة وأننا نفهم بعضنا، وأنه سيتحدث في أربع نقاط لا يعبر فيها عن موقفه بل موقف قائد الجمهورية الإسلامية والدولة والحكومة، ومجلس الأمن القومي. والنقاط على النحو التالي:

1. الموقف من القضية الفلسطينية بعد الاتفاق النووي:

موقف الجمهورية الإسلامية من فلسطين ثابت وراسخ قبل الاتفاق النووي وهو ذاته بعد الاتفاق النووي، لا تغيير، ونحن ماضون في دعمنا لفلسطين. وأؤكد بالصوت العالي، أن المفاوضات مع الغرب كانت حول الاتفاق النووي ولم يكن هناك أي موضوع آخر، ولم تكن هناك صفقات أخرى، وبكل شفافية فإن وزير الخارجية د. ظريف كانت له مهمة محددة وواضحة وهي الاتفاق النووي ولا تفويض لبحث أي موضوع آخر، رغم كل المحاولات الأمريكية. حتى العلاقات الثنائية رفضنا نقاشها مع الأمريكيين، رغم احتياجاتنا وضروراتنا لم نفتح معهم أي موضوع، وأؤكد لكم أنهم حتى لو ضاعفوا الضغوط والحصار علينا عشرات الأضعاف، فإننا لن نقدم أي تنازل في قضية فلسطين، لهذا ترون الكونغرس مصر على موقفه ضد إيران باعتبارها داعمة للإرهاب وفلسطين.

البعض - كما تعلمون- يقول أننا ندعم فلسطين بسبب مصالحنا، هذا لم يكن صحيحاً منذ بداية الثورة، وليس صحيحا الآن، فنحن غير مستعدين للتفاوض أو التفاهم مع أمريكا أو غيرها على المسألة الفلسطينية. وأؤكد لكم، وأود أن تبلغوا إخوانكم، أن دعمنا لفلسطين سيستمر، لأن هذا موقف مبدئي أصولي عقائدي عندنا، هذا الموقف هو علاقة بيننا وبين الله.

بالنسبة لحجم الدعم، ففي بعض الأوقات قد يتراجع الدعم، وهذا بسبب ظروفنا، وأوضاعنا الاقتصادية فقط وليس لتغير في الموقف السياسي اتجاه فلسطين، فنحن لا نغير في الأصول. وستظل فلسطين عندنا عقيدة.

2. الفتنة في المنطقة:

هناك فتنة في المنطقة، والبعض حاول أن يجعلها فتنة بين السنة والشيعة، يريد أعداء أمتنا أن يستغلوا هذا الحال ليؤدي إلى انحراف البوصلة من المواجهة مع العدو الصهيوني في فلسطين إلى الفتنة داخل الأمة. يجب أن ننتبه إلى ذلك، يجب أن لا نفسر هذه الفتنة بطريقة خاطئة فنضيع فلسطين.

3. دول المنطقة والتطبيع مع "إسرائيل":

هناك سباق في المنطقة لتطبيع العلاقة مع الكيان الصهيوني،وهو تناقض واضح مع طموحات الشعوب ومواقفها ضد الكيان الصهيوني. ويحصل هذا حتى من دول لم نكن نتوقع منها ذلك، نراهم يقولون أنهم يفكرون ويبحثون مسألة العلاقة مع الكيان الصهيوني.

هذا الأمر يراد منه التأثير على المقاومة الفلسطينية وأن يتم تجاوزها، نحن مطمئنون أنهم لن ينجحوا في ذلك رغم محاولات الكثيرمن الدول أن يضغطوا عليكم. إن ما يخشاه العدو هو ترسيخ القناعة التي تحملون بأنه لا يمكن التوصل إلى أي إنجاز إلا عبر المقاومة.

وهنا يأتي دوركم كحركات مقاومة فلسطينية أن تنتقلوا هذه الروح إلى الشعوب والحكومات في المنطقة. هناك دور كبير على الفصائل لحفظ البوصلة، وإبقاء الأمة في مربع المقاومة، ومنع هؤلاء من التآمر على المقاومة، وهذا دور كبير جداً.

فمثلاً من المهم أن تعرف كل الدول التي تقوم بالعلاقة معكم أنكم ترفضون التطبيع مع الكيان الصهيوني، وأن عليهم أن يقطعوا العلاقة مع الكيان الصهيوني. لا بد أن يكون هناك صراحة وشفافية في موقفكم حول هذا الموضوع، وهو ما يترك أثراً إيجابياً. سلوككم مهم، وتأثيره كبير، ولا بد أن تفهم جميع هذه الدول أن التطبيع والعلاقة مع الكيان الصهيوني عقبة في العلاقة مع هذه الدول.

4. ضرورة أن تكون علاقاتكم مع العالم الإسلامي والعربي جيدة، ومع الجميع:

هناك اختلافات إقليمية وعربية وقومية وإثنية، علماني وإسلامي، سني وشيعي، من المهم أن لا تتورطوا في هذه الخلافات، وأن تتفقوا مع مكون وتفقدوا مكوناً آخر في العالم الإسلامي. ولا أحد يتوقع منكم أن تميلوا مع طرف ضد الآخر.

على مدى 37 سنة من عمر الثورة، لم نطلب منكم أبداً أن تكونوا مع أحد ضد أحد، وكلكم شاهدون على ذلك وهذا قلناه لكم في جلسات خاصة، وليس فقط كلاما عاما. بالتأكيد يمكن أن يكون لدينا أحيانا رأي أو معلومات أو تحليل نساعدكم فيه، إلا أننا لم نشترط عليكم أبداً، وهذا الأمر مهم جداً لفلسطين، وغير هذا يخالف استراتيجية فلسطين. وأقول لكم حتى لو طلب منكم أي أحد في إيران أخذ أي موقف من أي بلد لا تقبلوا هذا. ونحن نتوقع منكم نفس الرفض إذا طلبت منكم هذا الأمر دول أخرى. النضال في فلسطين والجهاد امتد على أكثر من سبعين سنة، منها أربعون سنة كنا معكم فيها، هل بدا منا خطأ أو كذب أو رياء أو طلبنا منكم أو اشترطنا عليكم شيئا خلاف ما نعلن من مواقف.

إيران لم تكذب ولن تكذب، أرسلنا عددا كبيرا من السفن المحملة بالسلاح للمقاومة صودر بعضها، ولم ولن نترككم، كلما وصلنا إلى تقنية أو إمكانيات سننقلها لكم، لم نبخل عليكم بشيء، ولن نبخل بشئ، ولم نتحدث أبداً أن هذا فضل منا. الشعب الفلسطيني شعب مسلم مستضعف يستحق الدعم، وما نقوم به واجبنا، ومن لم يدعم هذا الشعب يستحق عذاب الله في النار. وذمنا لن يؤثر في موقفنا هذا، الله شاهد وهو يحكم، ولن نفعل أي شيء فيه غضب لله. ومن يقول غير ذلك ويشكك بنا عليه أن يتذكر أن الله يرى (ألم يعلم بأن الله يرى)؟

نحن لسنا ضد أن تدعمكم الدول الإسلامية، بل نُقبّل يد كل من يقف مع فلسطين من الدول الإسلامية ولا مشكلة لدينا في ذلك، بل نفرح إذا ساعدتكم أي من هذه الدول، وأن تكون مع المقاومة، بل وأن تملأ مكاننا. نحن نريد تحرير كل فلسطين، ولا ندعم فلسطين وشعبها ومقاومتها لحرفها بأي اتجاه، دعمنا سيتواصل وليست لدينا حساسية من دعم أي طرف لكم.

أتمنى أن لا تدخلوا في الخلافات العابرة في المنطقة. مشاكلنا مع السعودية ستنتهي، وسيخسر من يصطف هنا أو هناك، وسيتذكر الجميع من وقف مع من، معركتكم طويلة وواسعة، ومن الضروري أن يدعمكم كل العالم الإسلامي. لا بد أن يقال للكوادر والقيادات كيف يتحدثون. لا ينبغي أن يستاء منكم حلفاؤكم وأصدقاؤكم الحميميون.

في إيران بالنسبة لفلسطين الكل ثوري، وهم جميعا يحبون فلسطين، وفلسطين أساسية حتى في وضعنا الداخلي، قبل سنوات رفع البعض شعار (لا غزة ولا لبنان.. روحي فدا إيران)، أسألكم أين هؤلاء الناس، لقد سجلنا هذا في قاموسنا السياسي الداخلي، أن من رفع هذا الشعار لن يكون في أي من المناصب السياسية، ولن يكون له دور في صناعة القرار السياسي في هذه البلاد. أين يمكن أن يحصل ذلك؟ علاقتكم مع إيران علاقة متينة، وهي كنز كبير لكم، أدعوكم للاستفادة منه وأن وتحافظوا عليه.

ختاما، نحن في خدمتكم، وسنبقى ندعمكم وندعم فلسطين، ونقف مع فلسطين. ولن نأخذ أي موقف لايخدم فلسطين، أو ضد أي من التنظيمات، نريد أن تكون فلسطين قوية، وأن تتوفق الفصائل وأن تنجحوا في المصالحة فيما بينكم. لم نعمل أبداً في يوم من الأيام أن نتدخل في عمل التنظيمات وأن نتدخل في شؤونهم، على العكس كلما وجدنا طريق للنصح وللوحدة نصحنا وتركنا القرار لكم.

نحبكم كلكم، وكلكم مهما كبر أو صغر ضروري لفلسطين، وله تأثيره في فلسطين. هذا أساس العلاقة معكم. نقبل أياديكم باسم كل مجاهدينا، ونفتخر بكم، وأنتم فخر للأمة، ونقبل يد كل مجاهد في فلسطين، في الحرب الأخيرة مجاهدوكم فعلوا ما لم يفعله أحد.

نرحب كذلك بحركة فتح، وإن شاء الله تستفيدوا من التجربة التاريخية فأنتم جربتم التسوية والمقاومة، ورأيتم أيهما أنفع. وأقول لكم إذا أتيتم إلى المقاومة ستكونون مثل حماس والجهاد بالنسبة لنا. معيارنا هو تحرير فلسطين.

4- لقاء د. على لاريجاني:

افتتح الحديث الدكتور طلال ناجي، ثم تحدث ممثلو الفصائل وكذلك الأخ أبو عمر قبل حديث الدكتور لاريجاني، ركز جميع المتحدثين على التهنئة بالمناسبة، والتأكيد على أهمية دور الجمهورية الإسلامية في دَعم المقاومة في فلسطين ولبنان، ودعم الشعب الفلسطيني، حتى تحرير أرضه ووطنه، وتم الحديث حول الانتفاضة الراهنة وضرورة دعمها في إطار الدعم الذي تقدمه إيران للقضية الفلسطينية. والتعبير عن السعادة بوجود حماس في طهران من قبل الفصائل. والتهنئة بالاتفاق النووي الإيراني. والتقدير لدور لاريجاني في دعم القضية الفلسطينية.

- الدكتور علي لاريجاني:

رحب بالوفد وشكر الجميع للتهنئة والتعبير عن المحبة للجمهورية الإسلامية بمناسبة انتصار الثورة. مشيرا لرغبته في الحديث في عناوين محددة لضيق الوقت:

1. موقع القضية الفلسطينية بالنسبة لإيران:

تبني قضية فلسطين مسألة محورية في الجمهورية الإسلامية، والدفاع عنها وعن الشعب الفلسطيني مسألة مبدئية في إيران على الرغم من التنوع في التيارات هنا، ولكن لا خلاف حول فلسطين. يمكن أن يختلف البعض في السياسة أو الاقتصاد ولكن فيما يتعلق بدعم فلسطين ومقاومتها ضد الكيان فلا يوجد خلاف وبالخصوص عل مستوى القائد فرأيه راسخ وواضح حيال هذا الموضوع. قضية فلسطين قضية عقائدية، وفي مسيرات انتصار الثورة كان الشعار هو الدفاع عن قضية فلسطين.

2. الأوضاع الإقليمية:

نحن يجب أن نعترف أن ظروف المنطقة صعبة، وكل المؤامرات في المنطقة هدفها صرف الأذهان عن قضية فلسطين، ولذلك تصنع الأزمات. نحن في الواقع كنا نود أن يتم تسوية كل هذه الأزمات سياسيا، وبذلنا قصارى الجهود لتحقيق تسوية لهذه الأزمات، ولكن بعض الدول مثل أمريكا وبعض دول المنطقة لا يريدون ذلك.

هناك من خرج بتحليل خاطئ، أن هذه معركة سنية شيعية، وتمترس خلف الخلاف السني الشيعي، وهذه كذبة استعمارية للتفريق بين الأمة الإسلامية فمشكلتنا ليست سنة وشيعة. الشعب الفلسطيني سني ونحن ندعمه منذ سبع وثلاثين سنة، فنحن موحدون في الأصول وحول الكثير من الفروع الأساسية. لكن المغرضين يسعون لصناعة الأزمة والتمترس خلفها. ولا بد من بذل الجهود لتوضيح هذه المسألة، وهدف الجمهورية هو ما طرحه الإمام الراحل وهو الوحدة بين المسلمين.

3. دعم القضية الفلسطينية:

نحن سندعم الانتفاضة، وندعم كل فصائل المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني في سعيها لتحرير القدس وفلسطين، ودعمنا سياسي وعسكري وغير ذلك. ويجب أن تستعيد فلسطين مكانتها المحورية على مستوى الأمة.

بعض الأخوة اقترح عقد مؤتمر لدعم فلسطين ولا أعترض على هذا، وسنتابعه. ولكن من الجيد أن يكون هناك أفكار إبداعية أيضا إلى جانب ذلك. ويمكن أن تعلمونا بأي اقتراح عبر الإخوة في الحرس. كذلك أوصينا كمجلس بتقديم الدعم لأسر شهداء الانتفاضة، وإعادة إعمار البيوت المهدمة في الانتفاضة.

ختاما أشكركم لحضوركم في انتصار الثورة وأنتم جئتم إلى بيتكم. والشكر كذلك على دعائكم لي بالفوز في الانتخابات.

5- لقاء السيد علي شامخاني:

افتتح الحديث الدكتور طلال ناجي، حيث بدأ بالتهنئة بمناسبة انتصار الثورة، والتأكيد على أهمية دور الجمهورية الإسلامية في دعم المقاومة في فلسطين ولبنان، ودعم الشعب الفلسطيني، حتى تحرير أرضه ووطنه، وأشار إلى أن هذه مناسبة طيبة أن نلتقي خاصة بوجود الإخوة في حماس، وتم الحديث حول الانتفاضة الراهنة وضرورة دعمها في إطار الدعم الذي تقدمه إيران للقضية الفلسطينية. والتهنئة بالاتفاق النووي الإيراني.

- شمخاني:
رحب بالوفد وشكره على التهنئة بالذكرى، وتحدث في النقاط التالية:

1. مكانة القضية الفلسطينية:

صحيح أنكم حركات وتوجهات متنوعة في فلسطين، ولربما جئتم من جغرافيا مختلفة، ولكنكم جميعاً تنتمون إلى القدس وفلسطين، وهذا هو الأهم على مستوى الأمة أن نتوحد لنصرة القدس وفلسطين. اليوم هو 14 شباط، وقبل أربعة أيام من هذا التاريخ عام 1979، كانت سفارة "إسرائيل" في طهران، وتم إغلاقها وطردهم وافتتاح السفارة الفلسطينية، وهذا يعبر عن تضامن الشعب الإيراني مع الشعب الفلسطيني.

موقف الجمهورية الإسلامية ليس موقفا مصلحيا تجاه فلسطين، بل هي العقيدة ونصرة المستضعفين، وهذا هو السبب الوحيد لنصرة فلسطين. هذا الموقف استمر سبعاً وثلاثين سنة وسيستمر اليوم وغدا، ولا يمكن

للجمهورية الإسلامية أن تتنازل عن فلسطين. قبل سنوات رأيتم وسمعتم عن مجموعة من الإيرانيين رفعوا شعار "لا غزة ولا لبنان روحي فدا إيران"، ماذا حل بهؤلاء؟!

نحن دفعنا أثمانا من أجل قضية فلسطين، وهذه لا ندفعها إلا لدعمنا للشعب الفلسطيني، والسبب هو إيماننا بالقدس ولازلنا وسنبقى ندفع هذه الأثمان.

2. الاتفاق النووي :

البعض انتقد الاتفاق النووي واعتبر أنه سيبعد إيران عن فلسطين وهذا غير صحيح، والحقيقة عكس ذلك. الاتفاق النووي لا علاقة له بفلسطين فهو اتفاق فني، وأما الموقف من فلسطين فهو استراتيجي. خسارة فلسطين هي بما يحدث في المنطقة، نحن من دافعنا عن المقاومة وسنبقى ندافع، والموضوع الفلسطيني لا يستطيع أحد اللعب فيه أو المساومة عليه. من أوصل سعر النفط إلى مستويات متدنية، من قام بهذا، إنهم من لا يريدون تحرير فلسطين، صحيح أن أسعار النفط مشكلة، لكننا سنتجاوزها، فنحن تحت الحصار منذ 37 سنة.

3. دعم القضية:

أتابع الانتفاضة وأخبارها بشكل يومي، وفي القرن 21 نجد شعباً يقاوم بأدوات بسيطة في وسط التطور التكنولوجي لدى الآخر. دعمنا للقضية الفلسطينية والمقاومة سيظل قائما، وحرب 51 يوماً أثبتت ذلك. ولا شك أن دعمنا المتراكم كان له أثره في المعركة. فلسطين والمقاومة هي في رأس أولويات الجمهورية الإسلامية، كانت وستبقى. وأؤكد لكم الضفة الغربية يجب أن تسلح، وسنقوم بذلك، مثل ما فعلنا في غزة، وكما قال سماحة القائد، وبدلاً من أن نخرب على بعضنا تعالوا نتعاون مع بعضنا من أجل فلسطين. وأود إبلاغكم أنه فيما يتعلق بمؤتمر دعم فلسطين فسيتم التنسيق له خلال الأشهر القادمة إن شاء الله.

تحدث بعد ذلك ممثلو الفصائل وجرى التركيز على دعم الانتفاضة، ودعم المقاومة، والتأكيد على دور إيران وأهميته، والإشادة بما قدمته، وتحدث الأخ أبو عمر محمد في الاتجاه نفسه.

<u>ثانيا: لقاءات وفد الحركة:</u>

1- لقاء اللواء قاسم سليماني.

الحضور: الحرس: اللواء سليماني، الحاج رمضان.

الحركة: الوفد

1. <u>التسريب الصوتي الخاص بالدكتور موسى:</u>

- اللواء قاسم سليماني:
- ما الذي يجري يا إخوة؟
- أنا متعجب من د.موسى، موقفه متطرف جدا ولا نعرف لماذا يفعل ما فعله.

- نحن لم نقصر معكم، وسمعتم كلامي في اللقاء مع الفصائل، وكنت أقصد ما قلت. كيف يقول هذا الكلام؟ ولماذا؟.. ألم يعلم بأن الله يرى.
- يجب أن تعرف القيادات ما تقوله، وما تأثيراته وتداعياته.
- كل مرة نقابلكم وتتحدثون عن أفكار ومبادرات، ونحن نرحب ونوافق ثم ما هي النتيجة؟ الأمور تزداد سوءاً.
- التقيت أبو الوليد في تركيا بناءً على طلبك وإلحاحك، وزرتونا مرات، وحصلت تصريحات، وكل مرة نقول نحن جاهزون. والآن ماذا نقول؟
- هذا الموقف غير مقبول، وهو شأنكم. لابد من عمل كنترول لهذه المسألة من طرفكم، هذه مسؤوليتكم، هذا الكلام الذي قاله د.موسى رآه الملايين على الانترنت وفي كل أنحاء العالم الإسلامي وداخل إيران وشاهدته كل القيادات وغيرها، وهذا يؤثر، يؤثر هنا، ويؤثر عند الشعب، وهذا ليس في مصلحتكم، ويفرح "إسرائيل". هذا الأمر لا يمكن أن يستمر هكذا.

- أبو عمر:
- كنا نرغب في أن نبدأ بالموضوع السياسي، ولكن لنتحدث حول الأمر.
- هذه المرحلة التي تعيشها المنطقة لها طبيعتها وظروفها ولها إفرازاتها، وعلينا أن نمررها بأي شكل.
- نحن ما زلنا على ما نحن عليه من موقفنا وحرصنا على علاقة قوية مع الجمهورية الإسلامية، ولا ننسى فضلكم ودعمكم.
- هذا التسجيل جزء مقتطع من مكالمة مسربة وليس تصريحاً صحفياً، وجرى بثه وتسريبه من قبل أجهزة أمنية لأغراض ضرب العلاقة بين الحركة وإيران.
- يجب ألا نسمح لهم بتحقيق أهدافهم بتعطيل العلاقة أو إرباكها.
- لا أحد ينكر ما قدمته إيران للمقاومة ولحماس بشكل خاص.
- نحن سنعالج الأمر من طرفنا ووجودنا في طهران هو في الأساس لهذه الغاية، ولكن مطلوب أن تعالجوه من جانبكم. (اللواء: قُلْ لي كيف؟)
- يجب ان نعمل معاً على معالجة هذا الأمر، ومنع أي تأثيرات سلبية له على العلاقة، وعلى دوركم في دعم المقاومة، وسنتابع ذلك مع الحج رمضان، وما بيننا أكبر من أي حدث مهما كان.

2. <u>الموضوع السياسي:</u>

- من طرفنا:
- المنطقة تمر في ظروف صعبة وقاسية.
- ذروة الأزمة في المنطقة لم تحصل بعد، وعلينا جميعا أن ننتظر الأسوأ.
- ستكون التقلبات الاقليمية القادمة صعبة على الجميع.
- إسرائيل تظن أنها تستطيع أن تحقق كل أهدافها في فلسطين وفي المنطقة في ظل استنزاف الأمة. من استيلاء على القدس وتوسيع للاستيطان، وإسقاط حق اللاجئين.
- الأمريكيون يعتقدون أنهم يستطيعون إعادة رسم خارطة المنطقة ويسعون لذلك .
- المعركة ضد المقاومة والإسلام السياسي ليست في العالم العربي فقط بل في المنطقة كلها ونحن وأنتم مستهدفون.

- نحن في ظل ما يجري محتاجون لبعضنا البعض بشكل أكبر في الأيام والمرحلة القادمة وأكثر من أي وقت مضى.
- الأمر يحتاج لحديث موسع ومفصل لبناء رؤية مشتركة.

- اللواء قاسم سليماني:
- أوافقكم على التحليل، ولا أريد تكرار ما تحدثنا به في اللقاء السابق ولقاءات أخرى.
- نحن جاهزون عندما تكونوا جاهزين، وفي كل مرة نقول نحن جاهزون، وأؤكد لكم نحن جاهزون.
- تحدثنا قبل ذلك عن جهودكم المطلوبة، أنتم محترمون والكل يسمع منكم، هنا في إيران وفي تركيا، وإذا ذهبتم إلى جهات أخرى يسمعون منكم.
- هناك مسؤولية عليكم، واحترام لكم لا تضيعوه بمواقف مثل الذي حدث.

2- لقاء الحاج رمضان.

جرى الحوار مع الحاج رمضان خلال أيام الزيارة مرات عديدة، وأخذ موضوع المكالمة المسربة حيزا كبيراً في الحوار، كما تم الحديث حول التطورات السياسية في المنطقة وعلى صعيد القضية والانتفاضة والمقاومة في قطاع غزة.

وكانت الخلاصة في موضوع المكالمة المسربة من طرفنا على النحو التالي:

- إن هذه ليست تصريحات وإنما مكالمة مسربة ويقف وراء تسريبها أجهزة أمنية تسعى لتحقيق هدفين:
  1) محاولة إظهار أن ما ورد في المكالمة هو موقف حماس من إيران وهي الحركة العليمة بإيران.
  2) ضرب العلاقة بين الحركة وإيران.
- يجب ألا نتصرف برد فعل يحقق أهدافهم فهو ما يريدوننا أن نفعله وعلى العكس علينا أن نفشل هذه الأهداف.
- فيما يتعلق بالهدف الأول، فوجودنا في طهران وإجراء عدد كبير من المقابلات والفعاليات الإعلامية هو بهدف إرسال رسالة بأن ما ورد في التسريب لا يعبر عن موقف الحركة تجاه إيران، وأن موقفها على عكس ذلك تماماً. فهناك فرق بين التصريحات والتسريبات.
- وفيما يتعلق بالهدف الثاني، فعلينا أن نحافظ على علاقتنا، وما بيننا في ميدان المقاومة هو أكبر من أي حادث. ونحن نعلم موقفكم من المقاومة ودعمها فهو موقف مبني على أسس وقناعات معروفة لدينا.
- بإمكاننا معاً أن نتجاوز ما حدث، ونحن جاهزون لمعالجة ذلك وآثاره.

وفي مقابل ذلك، وبصرف النظر عن أي نقاش، كرر الحج رمضان خلال طيلة أيام الزيارة ما أبلغنا به باعتباره موقف القيادة الإيرانية:

- هذه المكالمة ليست تصريحا، وهنا الخطورة، الأخ يتكلم براحته، ويعبر عن موقفه الحقيقي، هل فعلا إيران كما وصفها د. موسى؟

- ما قام به د.موسى ليس خطأ يمكن الاعتذار عنه أو سقطة لسان، وليست مسألة لها علاقة بإيران أو بالحرس، بل ما قام به هو تجاوز لكل الخطوط الحمراء، لأنه تحدث ضد كل الشيعة، ودخل في قضايا شرعية، يتهمنا بأننا باطنيون، يتهمنا في ديننا وعقيدتنا.
- نحن مشوارنا طويل، ولا يمكن أن تستمر علاقاتنا بهذه الطريقة.
- يبدو أننا أخطأنا في طريقة التعامل مع د.موسى عندما فعل ذلك أمام الفصائل، وكان يجب من وقتها أن يكون لنا موقف مختلف، ولكننا قبلنا وساطتك يا أبو عمر.
- هذا الموقف ليس موقفي بل هو موقف القيادة ، وهو على النحو التالي:
- فيما يتعلق بالمقاومة سيستمر دعمنا للقسام دون أن نتأثر بما حدث، وهو ينسجم مع قولكم بعدم السماح بتحقيق أهداف من سرب المكالمة.
- بالنسبة للحركة وخاصة في الخارج، لا نشترط موقفاً معيناً، ولكن لا بد أن يكون هناك معالجة لما حدث بطريقة أو بأخرى وأنتم تعرفون كيف يمكن أن يتم ذلك.
- فيما يتعلق بالدكتور موسى، فلن نتعامل معه بعد ما حدث، ولا يوجد مجال لغير ذلك.

الموضوع السياسي:

تحدثنا مطولاً في المضمون نفسه الذي تحدثنا به مع اللواء قاسم عن أحوال المنطقة والانتفاضة والمقاومة في قطاع غزة، وكل القضايا ذات الاهتمام المشترك.

انتهى

بيان حماس معزيا بقاسم سليماني

بيان تعزية باستشهاد اللواء قاسم سليماني

03 كانون الثاني / يناير 2020 08:13 ص



بسم الله الرحمن الرحيم

بيان تعزية وإدانة

صادر عن حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في فلسطين

تتقدم حركة المقاومة الإسلامية "حماس" بخالص التعزية والمواساة للقيادة الإيرانية والشعب الإيراني باستشهاد اللواء قاسم سليماني -رحمه الله- أحد أبرز القادة العسكريين الإيرانيين، والذي كان له دور بارز في دعم المقاومة الفلسطينية في مختلف المجالات

وإذ تنعى الحركة القائد سليماني وشهداء الغارة الأمريكية هذا اليوم فإنها تتقدم بالتعزية للشعب العراقي الشقيق باستشهاد عدد من أبنائه جراء الغارة الأمريكية الغادرة

كما تدين الحركة هذه العربدة والجرائم الأمريكية المستمرة في زرع وبث التوتر في المنطقة خدمة للعدو الصهيوني المجرم

إن الولايات المتحدة الأمريكية تتحمل المسؤولية عن الدماء التي تسيل في المنطقة العربية، خاصة أنها بسلوكها العدواني تؤجج الصراعات دون أي اعتبار لمصالح الشعوب وحريتها واستقرارها

حركة المقاومة الإسلامية "حماس" فلسطين

الجمعة: 8 جمادى الأولى ١٤٤١ هـ

الموافق: 3 يناير للعام ٢٠٢٠ م

بيان حماس حول العودة إلى سوريا

15
سبتمبر
2022

بيان

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صادر عن حركة المقاومة الإسلامية حماس

أمة واحدة في مواجهة الاحتلال والعدوان

تتابع حركة المقاومة الإسلامية حماس ما يجري في المنطقة من تطورات خطيرة تمس بشعبنا الفلسطيني وقضيته العادلة، أبرزها مظاهر التطبيع ومحاولات دمج العدو الصهيوني ليكون جزءًا من المنطقة، مع ما يرافق ذلك من جهود للسيطرة على موارد المنطقة، ونهب خيراتها وزرع الفتن والاحتراب بين شعوبها ودولها، واستهداف قواها الفاعلة والمؤثرة، الرافضة والمقاومة للمشروع الصهيوني.

يجري كل هذا، في ظل تصاعد وتيرة الإجراءات والسياسات العدوانية الصهيونية على شعبنا الفلسطيني، مستهدفةً الأرض والإنسان، والمقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، وخاصة في القدس، ومحاولات التهويد والتهجير، والسيطرة على المسجد الأقصى المبارك، وتقسيمه مكانيًا وزمانيًا، وفي ظل سُعار الاستيطان، واستمرار الحصار على شعبنا في قطاع غزة، وسياسة إدارة الظهر لقضيتنا العادلة، ومحاولة تصفيتها وإنهائها لصالح المشروع الصهيوني.

كما تتابع الحركة باهتمام؛ استمرار العدوان الصهيوني على سوريا الشقيقة، بالقصف والقتل والتدمير، وتصاعد محاولات النيل منها وتقسيمها وتجزئتها، وإبعادها عن دورها التاريخي الفاعل، لا سيما على صعيد القضية الفلسطينية؛ فسوريا احتضنت شعبنا الفلسطيني وفصائله المقاومة لعقود من الزمن، وهو ما يستوجب الوقوف معها، في ظل ما تتعرض له من عدوان غاشم.

وأمام كل ما تقدّم؛ فإننا في حركة المقاومة الإسلامية حماس نؤكد على ما يلي:

1. ندين بشدة العدوان الصهيوني المتكرر على سوريا، وخاصة قصف مطارَيْ دمشق وحلب مؤخرًا، ونؤكد وقوفنا إلى جانب سوريا الشقيقة في مواجهة هذا العدوان.
2. نعرب عن تقديرنا للجمهورية العربية السورية قيادةً وشعبًا؛ لدورها في الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، ونتطلع أن تستعيد سوريا دورها ومكانتها في الأمتين العربية والإسلامية، وندعم كل الجهود المخلصة من أجل استقرار وسلامة سوريا، وازدهارها وتقدمها.
3. نؤكد على موقفنا الثابت من وحدة سوريا أرضًا وشعبًا، ونرفض أي مساس بذلك.
4. ننحاز إلى أمتنا في مواجهة المخططات الصهيونية الخبيثة، الهادفة إلى تجزئتها وتقسيمها ونهب خيراتها، ونقف صفًا واحدًا وطنيًا وعربيًا وإسلاميًا لمقاومة العدو الصهيوني، والتصدي لمخططاته.
5. تدعو حماس لإنهاء جميع مظاهر الصراع في الأمة، وتحقيق المصالحات والتفاهمات بين مكوناتها ودولها وقواها عبر الحوار الجاد، بما يحقق مصالح الأمة ويخدم قضاياها.
6. تؤكد حماس على استراتيجيتها الثابتة، وحرصها على تطوير وتعزيز علاقاتها مع أمتها، ومحيطها العربي والإسلامي، وكل الداعمين لقضيتنا ومقاومتنا، وفي هذا السياق؛ فإن الحركة تؤكد على مُضيّها في بناء وتطوير علاقات راسخة مع الجمهورية العربية السورية، في إطار قرارها باستئناف علاقاتها مع سوريا الشقيقة؛ خدمةً لأمتنا وقضاياها العادلة، وفي القلب منها قضية فلسطين، لا سيما في ظل التطورات الإقليمية والدولية المتسارعة التي تحيط بقضيتنا وأمتنا.

حركة المقاومة الإسلامية حماس

فلسطين

الخميس: 19 صفر 1444 هـ
الموافق: 15 أيلول/ سبتمبر 2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد؛

فإنّ ما تشهده ساحتنا من تغيّرات متسارعة، ومواقف وتآمر واضح على قضايا المسلمين لا يخفى على أحد، وقد بلغ التآمر ذروته في العمل على تصفية القضية الفلسطينية، بعد أن حشد المتآمرون جمعهم، واستخدموا كل أدواتهم لتحقيق هذا الهدف، فلم يتركوا منفذاً إلا أغلقوه، حصاراً وانتقاماً من ثبات أهلنا، فضلا عن الهرولة الممنهجة نحو التطبيع مع العدو الصهيوني في وضح النهار، وعلى أعين الأشهاد، والأمر نفسه يقال في القضايا العربية والإسلامية الأخرى. وبالمقابل لم يعد أمام المشروع المقاوم إلا البحث عن فرص ومنافذ وأدوات – مهما كانت محدودة-؛ للوقوف في وجه المؤامرة الشرسة الضخمة التي تتولى كبرها القوى الكبرى عالمياً، ومن خلفها الكثيرون من أبناء جلدتنا قبل غيرهم. وفي هذا السياق تأتي هذه المذكرة دفعاً لافتراءات ودعاوى الشانئين وتطميناً لقلوب المحبين وتثبيتاً لأفئدة العاملين حول جملة من سلوكيات الحركة السياسية.

فحفاظاً على الحق والحقيقة أولاً، ودفاعاً عن هذا الجسد المقاوم الذي يشكّل طليعة المشروع الوطني التحرري في فلسطين، **وتوضيحاً** لأسس النظر الشرعي والعمل السياسي وظاهر الحال السياسي وخفاياه، وتصدياً للخلل الجاري في سياق الاعتراض والنقد من خلال استخدام الأدلة الشرعية وقواعد الدين ومقاصده في غير محلّها - انعكاساً لسوء فهم ، أو خضوعاً لحكم مسبق، جاءت هذه المذكرة ردا للأمور إلى أصولها، وتذكيراً بأسس وقواعد النظر الشرعي في أمور السياسة والشأن العام.

ولمزيد من البيان نقول إن هذه الورقة لا تهدف للدفاع عن أحدٍ بعينه أو تحجر عن أحد حقّ النقد وإبداء الرأي، ولكنّها تحاول أن تبصّر المتصدّر لهذا الأمر بأسسه وقواعده وضوابطه، فالخلاف لا في الحكم الذي لا ينبغي إنكار الاختلاف فيه في موضع الظنيات، وإنما فيما اعترى الأصل الذي بُني عليه الحكم فاسد، فضلا عن المناهج والاستدلالات المعتمدة في إصدار تلك الآراء المخطئة.

٢

إنها مقاربة تخطُ للفضلاء المهتمين معالم لا بد منها في تناول هذا الضرب من مسائل السياسة الشرعية وتطبيقاتها ومستجداتها، تحريا للمنهج القويم في النظر السياسي. والله الهادي وهو المستعان.

لقد اعتمدت هذه المذكرة في مادتها على مصادر متنوعة، فجمعت بين القديم الأصيل الذي يمثّل ثروة أمتنا الفقهية والفكرية، وبين الجديد المنضبط الذي يمثّل محاولة أمتنا فَهْم واقعها وتقديم الحلول له. كما اقتبست من المخالف والموافق في الرأي السياسي، لا إثباتاً لأفكارها بطريق حشد الأقوال وحسب، بل تأكيداً على قواعد وأدوات النظر السياسي التي جاءت الرسالة منبهة عليها، وأنّها محل إجماع واتفاق، تأكيداً على أننا لا نرى الخلاف في الرأي أو المشرب أو الاتجاه السياسيّ حائلاً من الإفادة والاستفادة، وإن تنافرت مذاهب كثيرين ممن اتكأت هذه الرسالة على كتبهم وآرائهم واجتهاداتهم، فلعل في اجتماع أسمائهم في محل واحد على وجه الاتفاق أن يكون خطوة في طريق الحد من هذا التشرذم بين أبناء الأمة الواحدة والهم الواحد والمقصد الواحد المتمثل في إرضاء الله عز وجل وفق أمره ونهيه.

وجاءت هذه المذكرة على أقسام، هي:

القسم الأول: مفهوم السياسة الشرعية، ومقاصدها.

القسم الثاني: مصادر السياسة الشرعية وقواعد النظر والاستنباط فيها.

القسم الثالث: نظرة تطبيقية في السياسة الشرعية المتعلقة بالمقاومة الفلسطينية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٣

القسم الأول: مفهوم السياسة الشرعية ومقاصدها

أولاً: مفهوم السياسة الشرعية

تعددت التعريفات للسياسة عموماً وللسياسة الشرعية خصوصاً، ولكننا سنقتصر في هذه الدراسة على ما له صلة بماهية السياسة وجوهرها ولوازمهما وعلائقها، بجانب أسسها وفلسفتها وروحها، باستقراء عدد من التعريفات اللغوية والاصطلاحية، وتتبع التطور الدلالي لها، كما يلي:

أولاً: الأصل اللغوي.

السياسة في أصلها الترويض والحمل على الطباع الحسنة، بالتنظيم والتدبير والعناية، وهذا مأخوذ من معناها اللغوي[1]، وهذا يؤسس لفهم الأصل اللغوي للكلمة، وما يتخلله من أثر في المعنى الاصطلاحي، إذا السياسة ليست عناية ورعاية وحسب، بل هي عناية ورعاية لقصد ما بالنسبة للمعنى اللغوي، وهو بالعموم الانقياد إلى السائس[2]، فهي رعاية على وجه من التملك والسيطرة لا الخدمة على وجه الإحسان، وهذا ترك أثراً في المعنى الاصطلاحي المستخدم حالياً، حيث يقوم السلوك السياسي على تحقيق الأهداف بصورة جماعية، والخضوع لصاحب السلطة السياسية، لا مجرد تلقي الرعاية والعناية، وإلا اختل الشأن السياسي عند اختلال الانقياد، كما يحصل الأمر عند الإخلال بالعناية[3].

[1] تعود كلمة سياسة إلى الجذر اللغوي: ساس يسوس فهو سائس سياسة وهو الشخص الذي يعتني بالدواب. الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، ج٧، ص٣٣٦. ابن سيده، **المحكم**، ج٨، ص٥٣٨.

[2] ولذلك استخدمت كلمة سياسة في حق أوامر الله جلّ في علاه، يقول الجاحظ في معرض شرحه ثنائية الخطاب القرآني بين الترغيب والترهيب: " الرغبة والرهبة أساس السياسة". الجاحظ، **الرسائل السياسية**، ص٧٣. ولذلك عرّف ابن خلدون الخلافة بأنّها: " حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها". ابن خلدون، **المقدمة**، ص٥٧٨.

[3] لذلك ذكر ابن تيمية في أوّل كتابه السياسة الشرعية قوله تعالى: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .. يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .." سورة النساء، ٥٨ و ٥٩. قال ابن تيمية: " قال العلماء نزلت الآية الأولى في ولاة الأمور: عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم، عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قَسْمِهِم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك؛ إلا أن يأمروا بمعصية الله". ابن تيمية، **السياسة الشرعية**، ص٦.

٤

ثانياً: التطور الدلالي

لم يطرأ على المفهوم تغيرٌ كبير عن معناه اللغوي، بل توسع ليشمل رعاية البشر ومصالحهم بعد أن كان يستعمل في رعاية شؤون العجماوات، وهذا الانتقال يشي بتلك التطورات التي طرأت على الحياة البشرية التي كانت أقلّ تنظيماً قبل هذا التوسع مقارنة في المرحلة اللاحقة، خاصة في المنطقة العربية. وهذا النقل اللغوي أدّى إلى تراجع لفكرة الترويض[4] لحساب زيادة في جانب التنظيم والتدبير، للفارق الواضح بين محل الاستعمال اللغوي والاصطلاحي.

ثالثاً: السياسة باصطلاح بعض الفقهاء

استعملت كلمة السياسة عند البعض في العهود الأولى من الحياة الإسلامية بمعنى غير الذي هي عليه الآن، فكانت تطلق عموماً بمعنى العدول عن ظاهر النص لمصلحة أو ضرورة، فهي ضرب من الاستحسان الأصولي، ولكنّه نوع خاص متعلق بمجال الحكم والإمامة بمعنى إدارة الدولة[5].

[4] وفكرة الترويض هذه استخدمت أكثر في الكلام عن " سياسة النفس". فمثلاً يقول الأمير الصنعاني: " ..إذا كان ذلك سياسة للنفس ودفعاً لشهوتها". الصنعاني، **سبل السلام**، ج١، ص٥٦٣.

[5] كما فعل ذلك ابن قدامة في معرض تسويغه لرفض عمر بن الخطاب حديث المغيرة رضي الله عنهما، حيث قال ابن قدامة: " كان يفعل ذلك سياسة ليتثبت في رواية الحديث". ابن قدامة، **روضة الناظر**، ج١، ص٣٢٦. وهذا أيضاً ورد في بيان بعض التصرفات النبوية التي جاءت على خلاف المنهج المعتاد، حيث قال ابن الجوزي في معرض تعليقه على الأحاديث التي فيها بعض وجوه القصاص المستقبحة والمتنافية مع مظاهر الرحمة: " ..محمول على أنّه فعل ذلك سياسة". ابن الجوزي، **إيثار الإنصاف**، ج١، ص٤٠٨. وكذلك الأمر في تسويغ قطع أبي بكر رضي الله عنه أيدي نسوة أظهرن الفرح بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال علاء الدين البخاري: وكان ذلك سياسة لا حداً. علاء الدين البخاري، **كشف الأسرار**، ج٢، ص٣٩. وانظر كيف جعل القلقشندي السياسة بمقابل السائغ شرعاً إذ يقول: " فعل ذلك سياسة وإن كان الحكم في نفس الأمر سائغاً". القلقشندي، **مآثر الأناقة في معالم الخلافة**، ج١، ص٥٨. وهذا لا يعني الخروج عن مقتضى الحكم، وإنّما هو ضرب من الاجتهاد المقبول، فتصرف الإمام بغير نصّ أو بخلاف نصّ لمسوغ شرعي يقبل ذلك، بأن يزيد عقوبة أو أن ينقص منها أو أو، لا يعدّ اعتداء على الشرع، بل إعمالا لكلياته على حساب جزئيات، وأخذ بمقاصده، ولذلك استخدم البعض السياسة بمعنى التعزير، الذي هو قرار الأمير فيما لا نص فيه، يقول ابن الهمام: " أمر بذلك سياسة وتعزيراً". ابن الهمام، **فتح القدير**، ج٥، ص٢٦١. ويؤكد ابن نجيم المصري أنّ السياسة وإن خرجت عن ظاهر نص الشريعة فهي لم تغادرها، إذ يقول نقلا عن أبي السعود: " السياسة الشرعية عبارة عن شرع مغلظ". ابن نجيم المصري، **تكملة البحر الرائق**، ج٥، ص٦٧. وأمثال هذا كثير لا حصر له، بل إنّ البعض عرّف السياسة وفق هذا الأمر، ومن ذلك تعريف الشيخ عبد العال عطوة، حيث يقول في تعريف السياسة: فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، فيما لم يرد فيه نص خاص.." عبد العال عطوة، **مذكرة أنظمة الحكم**، ص١٩. ولعلّه قد تأثر ببعض التعريفات القديمة التي سبقت عصره، والتي تركّز على كون السياسة في جزء كبير منها تصرفاً خارج دائرة النصوص تحقيقاً لمصالح معتبرة، فمثلا عرّف ابن نجيم الحنفي السياسة الشرعية بقوله: " فعل شيء من الحاكم لمصلحة

٥

وهذا الاستعمال في غاية الأهمية إذ يبين لنا أنّ أصلاً مهماً من أصول الممارسة السياسيّة هو العدول عن حكم عام إلى حكم خاص لعلّة معتبرة أثرت في ذلك. كما استعملت كلمة سياسة لا بمعنى العدول عن مقتضى ظاهر النص وحسب، بل بمعنى أنّها خلاف الحقيقة والمراد[6]. وهذا مهمّ جدا في فهم بعض قوانين السياسة، التي قد يكون ظاهرها غير باطنها، لا على مستوى التشريع فحسب، بل على مستوى السلوك السياسي أيضاً، فكما انتقل الحكم الشرعي في بعض المسائل السياسية من الانضواء تحت الأدلة العامة والعلل الظاهرة واتجه إلى الأدلة الخاصة والعلل الخفية، كذلك ينتقل السلوك السياسي من كونه فعل ما يفضّل إلى فعل ما يجب، فمقتضى السياسة بمعنىً ما هو العدول عن السياق العام إلى منحى خاص، لا مخالفة للسياق العام أو نكوصاً عنه، بل انصياعاً لسنن الدنيا في الإصلاح التي يأتي بعضها على خلاف جلّها، حتى إنّ العلماء ذكروا في تربية النفس وتزكيتها جواز ما لا يجوز أصالةً سياسة للنفس وترويضاً لها[7]. فهذا واحد من أهمّ مباني السياسية وأسسها فهماً وتنزيلاً. وعند النظر في المصالح فثمّة أمران مهمّان، الأول:

يراها، وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي". ابن نجيم المصري، **البحر الرائق**، ج٥، ص١١. وكذلك تعريف ابن عقيل، إذ قال:" السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يصنعه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نزل به وحي" ابن القيم، **الطرق الحكمية**، ص١٢. ومن المعاصرين تعريف عبد الرحمن تاج إذ يقول:" .. ولو لم يدل عليها شيء من النصوص التفصيلية الجزئية في الكتاب والسنة". عبد الرحمن تاج، **السياسة الشرعية والفقه الإسلامي**، ص١٠. وكذلك من التعريفات الحديثة تعريف عبد الوهاب خلّاف الذي نصّ في آخره على:" .. وإن لم يتفق وأقوال الأئمة والمجتهدين". عبد الوهاب خلاف، **السياسة الشرعية**، ص١٧. والبعض أشار إلى تمدد هذه الظاهرة، واستخدام هذا التسويغ " فعله سياسة" في تشريع الظلم، يقول ابن الجوزي:" فهم يقتلون من لا يجوز قتله، ويفعلون ما لا يحل فعله، ويسمون ذلك سياسة". ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١، ص١١٧. ويقول ابن مفلح الحنبلي: ..ثم دخلت آفات فأكثر السلاطين يعملون بأهوائهم وآرائهم لا بالعلم ويسمون ذلك سياسة والسياسة هي الشريعة". ابن مفلح الحنبلي، **الفروع**، ج١١، ص١١٦. وعليه فقد استخدمت هذه الكلمة بشكل عام باستحداث شيء، سواء استحداث شيء لم يرد فيه نص، أو لم يعهد من قبل، ولذلك يقول ابن أيبك الصفدي في معرض كلام له:" لكنه ساس ذلك سياسة جيدة" يقصد أنّ الوالي استحدث ما لم يكن فعله قبله أحد، وهو إضافة الحسبة في الخبز في أيام الغلاء. ابن أيبك الصفدي، **أعيان العصر**، ج٣، ص٣٣٢. والشاهد في محل البحث هنا، استخدام هذه الكلمة في الخروج عن مقتضى النص، فإن حصل هذا الخروج وفق قوانين الاستحسان التي قررها أهل العلم بما يتوافق مع تحقيق العدالة ومقاصد الشريعة فإنّه خروج محمود بل مأمور بها لحصول الظلم أو فوات مصلحة بعدمه.

[6] فمثلا ذكر ابن كثير في شأن تصرفات القرامطة مع الدولة المهدية" .. كانوا يفعلون ذلك سياسة ودولة لا حقيقة له". ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١، ص١٨٣.

[7] فمثلاً يقول الأمير الصنعاني:" ..إذا كان ذلك سياسة للنفس ودفعاً لشهوتها" في معرض كلامه عن الوصال في الصيام الذي أصله التحريم. الصنعاني، **سبل السلام**، ج١، ص٥٦٣.

اعتبار المصلحة شرعاً[8]، ذلك أنّها ليست كلّها معتبرة. والثاني: تعارض المصالح[9]، وذلك أنّها ليست كلها على درجة واحدة، وسيأتي الكلام مفصلاً عن هذا[10].

رابعاً: المصطلحات ذات الصلة.

تناولت النصوص الشرعية والفقهية مفهوم السياسة بهذا اللفظ وبغيره، منه ما هو مرادف لها كالإيالة[11]، وكثير من الألفاظ تتقاطع مع مفهوم السياسة دون ترادف حقيقي، مثل: الإمامة[12]،

[8] ذلك أنّ المصلحة واحدة من المفاهيم التي تطبق عليها الشريعة من حيث قبولها وردّها، حالها بذلك حال السلوك البشري جملة.

[9] ولذلك جاء في تعريفات السياسة:" .. ولضبط الصراعات والتعدد في المصالح ..". وفي تعريف آخر:" دراسة المصالح المتضاربة ..". وقريب من هذا تعريفها بأنّها:" ..مقارنة البدائل ..". عبد الوهاب كيالي، **الموسوعة السياسية**، ج٣، ص٣٦٣. ولذلك جعل الإمام الجويني من شروط عمل الإمام:" .. وموازنة ما يدفع .." الجويني، **الغياثي**، ص٢٨٣.

[10] في موضع النظر الفقهي في السياسة.

[11] فمثلاً يقول الجويني:" والركن الأعظم في الإيالة البداية بالأهم فالأهمّ". الجويني، **الغياثي**، ص٢٧٨. وانظر ممن استخدمها بهذا المعنى أيضاً: الغزالي، **المنقذ من الضلال**، ص٨٥. وأصل تسمية السياسة بالإيالة لغوي، وإن كان البعض يرى أنّها من باب أوْل الأمور إلى وليّ الأمر، ولكن يمكن أيضا القول إنّها من النّظر في مآلات الأمور. انظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج١، ص٨٦.

[12] من ذلك تعريف الماوردي للإمامة بأنّها:" موضوعة لخلافة النبوة وحراسة الدين وسياسة الدنيا". الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص١٥. وعرّف ابن الهمام الإمامة بأنّها:" استحقاق تصرف عام على المسلمين". وهذا هو السياسة لتعلقها بالمجال العام. ابن قطلوبغا، **المسامرة شرح المسايرة**، ج٢، ص١٤١.

والخلافة[13]، والدولة[14]، والأحكام السلطانية[15]، وبعض الكلمات العامة مثل كلمة الشأن[16] والأمر[17]. وأهمية الالتفات إلى هذا الأمر تكمن في التنبيه إلى تطبيق كثير من القوانين التي نصّت عليه الأدلة الشرعية والنصوص الفقهية تحت تلك العناوين في الشأن السياسي، فإنّ ما ذكره العلماء من قوانين السياسة في غالبه جاء بهذا المفاهيم.

[13] من ذلك تعريف ابن خلدون للخلافة بأنّها:" حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية". وما هذا إلا السياسة بالمصطلح المعاصر. ابن خلدون، **المقدمة**، ص٢٣٩. وإن كانت الخلافة قد استعملت بمعان أخرى، كالدولة الإسلامية، فنقول سقوط الخلافة الإسلامية بمعنى الدولة الإسلامية، فمثلاً يقول محمد عمارة:" الخلافة الإسلامية ليست دولة دينية .. وإنما هي دولة مدنية". محمد عمارة، **الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال**، ص١٠. وكذلك يقصد بها رئاسة الدولة الإسلامية وحكومتها، يقول السنهوري في تعريف الخلافة:" نظام الحكومة الإسلامية". السنهوري، **فقه الخلافة**، ص٦٠. وهذا مأخوذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم:" تكون النبوة فيكم ... ثم تكون خلافة على منهاج النبوة". مسند أحمد، رقم الحديث: ١٨٤٠٦. وكذلك حديث:" الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ..". الترمذي: ٢٢٢٦. أبو داود: ٤٦٤٧. وكذلك في الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ثلاث لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّنهن أحب إلي من الدنيا وما فيها: الكلالة، والربا، والخلافة". ابن ماجة: ٢٧٢٧.

[14] فمثلا ذكر ابن كثير أنّ بعض تصرفات القرامطة مع الدولة المهدية كان " سياسة ودولة". ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١، ص١٨٣.

[15] كما عنون عدد من العلماء كتبهم بهذا الاسم، منهم: الماوردي الشافعي، والفراء الحنبلي، وابن الطقطقي.

[16] مثل قوله صلى الله عليه وسلم:" الناس تبع لقريش في هذا الشأن قال أراهم يعني الإمارة ..". مسلم: ١٨١٨. وفي الشروح أنها الإمامة. انظر: ابن هبيرة، **الإفصاح عن معاني الصحاح**، ج٦، ص٣١٠. وفي البخاري حديث:" وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية". البخاري: ٣٤٣٩. وذكر العلماء في شرح الحديث أن الشأن هو الإمامة. انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج٦، ص٥٣٠. الهرري، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، ج٢٤، ص١٩٠.

[17] مثل قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" سورة النساء: ٥٩. وقد فسّر كثير من العلماء الأمر هنا بأهل الحكم وهم أهل السياسة. انظر: الطبري، جامع البيان، ج٨، ص٤٩٢ و٤٩٧. الرازي، **مفاتح الغيب**، ج١٠، ص١١٣. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٥، ص٢٥٨. وكذلك في الحديث النبوي مثل قوله صلى الله عليه وسلم:" .. وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يدخل فيه .." مسلم: ١٩٥٨. وأشار العيني وغيره في شرحه للحديث أن الأمر هنا الإمارة والحكومة. بدر الدين العيني، **شرح صحيح البخاري**، ج١٦، ص١٣١. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" لا يزال هذا الأمر في قريش ..". البخاري: ٣٥٠١. وفي رواية مسلم:" لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان". مسلم: ١٨٢٠. قال ابن حجر في شرح الأمر هنا: الخلافة. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ، ج١٣، ص١١٧.

خامساً: المصلحة هي الأكثف حضوراً في تعريفات السياسة الشرعية.

بالنَّظر إلى تعريفات السياسة الشرعية نجد أنّ أكثر كلمة قامت عليها التعريفات هي المصلحة، وما تفرع عنها من مشتقات لفظاً أو ما رادفها معنى[18]، فتحقيق المصلحة بتحصيلها ودفع مقابلها هي غاية الحكم[19]، وفي هذا إشارة مهمة لواحدة من أهم أسس النظر الشرعي في مجال السياسة، فالنظر السياسيّ والسلوك السياسيّ يدوران مع المصلحة التي تشكّل علّة أحكامه، ومقصد أفعاله، ومحرّك سلوكه، ومخصص عامّ نظرياته، ومقيّد مطلق سياقه[20].

[18] في كلام الغزالي:" أعني بالسياسة استصلاح الخلق ..". الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص١٣. وكلام الغزالي عامّ في الشأن العام والخاص، أي أنّه أقرب للمعنى اللغوي منه للاصطلاحي. وفي تعريف ابن عقيل الذي نقله ابن القيم:.. أقرب للصلاح ..". ابن القيم، **الطرق الحكمية**، ص١٩. تعريف البجيرمي:" .. إصلاح أمور الرعية .." البجيرمي، **حاشية البجيرمي على مغني المحتاج**، ج٢، ص١٧٨. وفي تعريف ابن عابدين:" .. استصلاح الخلق ..". ابن عابدين، **حاشية ابن عابدين**، ج٤، ص١٥. ويقول نجم الدين النسفي في تعريفه:" .. بما يصلحها .." النسفي، **طلبة الطلبة**، ص١٦٧. وقال تقي الدين المقريزي:" إنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح ..". المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج٣، ص٣٨٣. وفي تعريف ابن خلدون:" .. في مصالحهم الأخروية والدنيوية ..". ابن خلدون، **المقدمة**، ص٥٧٨. وفي تعريف عبد الوهاب خلاف:" .. تحقيق المصالح .." عبد الوهاب خلاف، **السياسة الشرعية**، ص١٧. وفي تعريف الدكتور عبد العال أحمد عطوة:" فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها ـ" عبد العال أحمد عطوة، **المدخل إلى السياسة الشرعية**، ص٥٢. وفي تعريف الدكتور عطية عدلان:" .. في جلب المصالح ـ" عطية عدلان، **النظرية العامة لنظام الحكم في الإسلام**، ص١٩. وعنون ابن تيمية كتابه بـ: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.

[19] يقول الدكتور رشدي عليان:" .. لأنّ غاية الحكم هي صلاح أمور الناس، ودرء المفاسد عنهم". رشدي عليان، **الإسلام والخلافة**، ص٢٠. وأشار إلى ذلك الإمام الجويني في عبارته البديعة لما تكلّم عن الإمام إذ قال:" والله نصيره على الشرط المقدّم في رعاية المصالح، والنظر في المناجح، وموازنة ما يدفع، ويرتفع بما يتوقع". الجويني، **الغياثي**، ص٢٨٣.

[20] يقول الإمام الطاهر بن عاشور:" فإنّ سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح، وهو جعل الشيء صالحاً، فجميع تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة، وذلك بأن تكون الأعمال العائدة بالخير والصلاح لفاعلها ولغيره". الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٩، ص٨٨.

سادساً: السياسة في الاصطلاح الوضعي

وردت تعريفات اصطلاحية كثيرة متباينة[٢١] للسياسة، تكاد تكون متعارضة لدى علماء هذا الفن[٢٢]، ومنشأ هذه التعدد الشديد في التعريفات أمران. الأوّل: اختلاف محلّ الناظر. والثاني: اختلاف محلّ النظر. ففي الأول اختلاف المنطلقات والأيدلوجيات الباعثة للنظر. وكذلك الخلاف في محلّ النظر فينظر المعرّف إلى محلّ دون محلّ، أو إلى مهمة دون مهمّة، أو إلى جزء من الجوهر والماهية دون غيره، ومنشأ هذا هو تركّب جوهر السياسة، فهي فلسفة تنطلق عن أيدلوجية الناظر ونظرته للكون والحياة والإنسان[٢٣]، وهي فنّ فيما يتعلق بسلوك السلطة وقدرتها على التحكّم[٢٤]،

[٢١] عند استعراض التعريفات التي ذكرها صاحب الموسوعة السياسة نجد تبايناً في ماهيّات المعرّف، ومن هذه الماهيّات المتباينة: فنّ، نشاط أي سلوك، وقريب منه تعريفها بالجهد، دراسة أي علم.

[٢٢] يقول إحسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة:" يختلف المعنى الاصطلاحي للسياسة تبعاً لاختلاف وجهات النظر، فمن المفكرين من يرى أنّ السياسة هي احتراف الحكم والسلطان، أي ممارسة السلطة، ومنهم من يرى أنّها: إدارة المجتمع بالتوافق مع جوهره. وعند هذا الفريق تكون سياسة المجتمع الصناعي غير سياسة مجتمع الرفاه، وغير سياسة مجتمع الاستهلاك ..، ومن المفكرين من يعرف السياسة بأنّها فن الممكن، أو همّ الممكن وإرادة الوصول، أو هي أفكار تتعلق برعاية الشؤون. ومنهم من يرى أنّها التنفيذ العملي أو الإشراف العملي لفلسفة معينة، أو هي التنفيذ العملي لمنظومة من المفاهيم والمعايير السلوكية المتعلقة بالإنسان في حياته. أو أنّها إجراءات لتحقيق القيم الدينية والاقتصادية والثقافية في سلوك الناس وعلاقاتهم ونظام حياتهم. ومنهم من يرى أنّها نظريات لتنظيم المجتمع وعلاقات البشر. وفي هذا الصدد يقول جوج بوردو: السياسة هي: تقنية تحقيق القيم الدينية والاقتصادية والثقافية .. وفي موضع آخر يقول: السياسة: نظريات التنظيم الاجتماعي. هي: النضال للسيطرة على السلطة .. هي: هم الممكن وإرادة الوصول .. هي ممارسة السلطة .. هي إدارة المجتمع بالتوافق مع جوهره .. ويقول محمد البهي: إن السياسة في أصلها هي: إشراف على تنفيذ فلسفة معينة، وقد تكون احترافا بالحكم لذاته.. ويقول النهاني: السياسة هي رعاية شؤون الناس داخلياً وخارجياً، وهي تعني نظام الحكم، وجهاز الدولة، وتعني علاقة الناس وعلاقة الأمّة بغيرها من الأمم وهو ما اصطلح على تسميته بالسياسة الداخلية والخارجية. ويقول في موضع آخر: السياسة: هي أفكار تتعلق برعاية الشؤون، سواء أكانت قواعد: عقائد وأحكاماً أو كانت أفعالاً تجري أو جرت أو ستجري أو كانت أخباراً". **النظام السياسي في الإسلام نظام الخلافة الراشدة**، ص١٣-١٤.

[٢٣] لذلك ترى أنّ مقصود السياسة عند علماء المسلمين حماية الدين وإقامة العدل، بينما يكون المقصد عند غيرهم السلطة والاستحواذ على الآخر وممتلكاته. انظر في هذا: الشنقيطي، **الأزمة الدستورية**، ص٧١ وما بعدها. جاء في الموسوعة السياسية كذلك " السياسة متصلة أيضاً بعلم الأخلاق والفلسفة، لأنّ هناك منحى نمطيا وقيمياً وخلافياً في السياسية". الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج٣، ص٣٦٤.

[٢٤] انظر قول معاوية رضي الله عنه:" لو كان بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت، فإذا شدّوا أرخيت وإذا أرخوا شددت". الطرطوشي، **سراج الملوك**، ص٦١. وهذا أبلغ أمثلة بيان جهة الفن في التحكم في مفهوم السياسة، وكذلك يشي بواحد من أهمّ جواهر السياسة وهو التبدل والتغيّر وعدم الثبات.

وهي علم فيما يتعلق بالإدارة والتنظيم والتدبير. فليس أيّ من هذه التعريفات خاطئ مطلقاً، وليس أيّ منها صحيحا مطلقاً.

ومهما يكن من أمر، فنحن أمام استنتاجات كثيرة نتجت عن استقراء جزء كبير من الاستعمالات اللغوية والشرعية والاصطلاحية لهذا المفهوم، وهي لا تعبّر عن اختلاف في ماهية المعرَّف بقدر ما تعبّر عن اختلاف في وجهة الناظر إليها أو محلّ النظر، ولكل تعريف أو معنى حظّ في هذا المفهوم الواسع الذي يتعلق بأغلب شؤون الحياة، وعليه فإنّ هذه التعاريف لا تتعارض بل تتكامل، وإن صح إنزال مقتضى أحدها في محل ما فإنّه في غيره فاسد لا وجه له، والموفق من استطاع أن يميز بين ما يجب تنزيله وما يجب منعه من هذه الأفهام والمقتضيات[٢٥]، فليست السياسة الشرعية الرشيدة[٢٦] إلا هذا.

[٢٥] ومن الخطأ بمكان حصر السياسة بأيّ من هذه التعاريف أو المقتضيات، ومن باب أولى تأسيس العمل السياسي عليها، لأنّ هذا أولا مناقض لمفهوم السياسة وجوهرها، وكذلك فيه تضييق ناتج عن تحكّم لا عن دليل، ولعلّ من أبرز ما يميّز الفكر الإسلامي عن الفكر الفلسفي المجرد هو قبول الإسلام للازدواجية وتنزيل كلّ منها في محلّه، فالإسلام كما وصفه الإمام البنا في الأصول: نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا، فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة، وعبادة صحيحة، سواء بسواء. وفي شأن السياسية نذكر مثالاً حول فلسفتها قبل مسالكها وأحكامها: فإنّ المتأمل للفلسفات السياسية يرى أنّها تقوم على فلسفتين اثنتين، الأولى: مذهب التغيير، والثانية مذهب التبرير. انظر: الشنقيطي، **الأزمة الدستورية**، ص٧٢. وهذا ما لم تقع فيه الفلسفة السياسية في الإسلام انعكاساً لروح الإسلام الجامعة بين أطراف الأمر تحقيقاً للخير والعدل، فالإسلام يتمثّل السياسة التغييرية أحياناً، بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخلع الحاكم عند توافر الشروط، بل إن رسالة الإسلام برمتها جاءت رسالة تغييرية ، حيث جاءت بمجتمع وكيان سياسي جديد، ولكنّها في الوقت ذاته تنتهج سياسة التبرير وقبول الواقع، سواء لصلوحيته، كما حصل في قبول الكثير من السياسات التي ورثها المسلمون الأوائل عن أجدادهم العرب، أو ما أقروا عليه غيرهم في البلاد المفتوحة، وكذلك الأمر عند ارتفاع تكلفة التغيير والإصلاح على تكلفة الخضوع للواقع السيئ، كما هو الحال في كثير من أحوال الإمام المتغلب، وأحكام الحروب كالمعاملة بالمثل.

[٢٦] و" الرشيدة" هنا وصف بيان لا تقييد، فالشرعية من حيث هي شرعية راشدة حكيمة.

ثانياً: مقاصد السياسية الشرعية:

يمكن اختصار مقاصد السياسية الشرعية بأمرين لا ثالث لهما، وهما: حراسة الدين، ورعاية الدنيا[٢٧]. وعامّة المقاصد الأخرى تتفرع عنهما، وما ذكره العلماء راجع إلى أحدهما أو كليهما[٢٨]. وهذان المقصدان يقتضيان أمرين. الأوّل: مراعاة الشرع في أحكامه. والثاني: مراعاة الدنيا في سننها. ومحل مراعاة الدين في أثناء مراعاة الدنيا، ومحلّ مراعاة الدنيا في أمر مراعاة الدين. ومعنى ذلك أنّه يجب أن لا يُغفل السياسي في سلوكه وقراره السياسي المختص بشأن دنيوي الشرع وحكمه، ولا ينبغي له وهو يراعي الشرع وحكمه في قراره السياسي أن يهمل سنن الدنيا وقوانينها، فلا يُفسِد المتصدر للقرار السياسيّ أحدهما لإصلاح الآخر، إلا بما تحتّمه الضرورة.

[٢٧] وهذا مقتبس من تعريف الإمام الماوردي للإمامة، يقول:" الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا". الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص١٥. وذكر ذلك في محلّ آخر فقال:" الأدب أدبان: أدب شريعة وأدب سياسة. فأدب الشريعة ما أدى الفرض، وأدب السياسة ما عمر الأرض" في كتابه: **أدب الدنيا والدين**، ص١٣٤. وهذا ما ذكره ابن خلدون في تعريفه الخلافة أيضاً إذ يقول:" هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة". ابن خلدون، **المقدمة**، ص٥٧٨. وإلى ذلك أشار الجويني إذ يقول في معرض شرحه لما يتعلق بالدول وتنصيب الإمام لها:" .. ولهذا السبب انتظم أمر الدين والدنيا". الجويني، **الغياثي**، ص٢٣٧. ويقول ابن تيمية:" المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق ... فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم والتناصر لدفع مضارهم". ابن تيمية، **الحسبة**، ص٤-٥.

[٢٨] مثال ذلك ما ذكره الجويني في كتابه الغياثي إذ يقول:" مهمتها [أي الإمامة] حفظ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الخيف والحيف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها على المستحقين". الجويني، **الغياثي**، ص٢١٧. ويقول ابن تيمية:" المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق". مجموع الفتاوى، ج١٨، ص٢٦٢. ويقول أيضاً:" أصل ذلك أن نعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله". ابن تيمية، **الحسبة في الإسلام**، ص٦.

القسم الثاني: منهج النظر الفقهي في المسائل السياسية تطبيقاً[٢٩]

إنّ النظر الشرعي في المسائل المتعلقة بالمجال العام و إدارة الدولة و تنظيم العلاقات مع الآخرين هو في المبتدأ والمنتهى نظر فقهي كالنظر في سائر مسائل المكلفين الأخرى من جهة الأدوات الفقهية، إلا أنّ السياسة بتشعباتها وكثرة علائقها وتركب محل النظر فيها، وتردد محل المصلحة فيها، يجعل من النظر الفقهي فيها ذا خصوصية.

وهذا أهمّ ما يجب التنبيه إليه في مسألة النظر الشرعي في مسائل السياسة تطبيقاً فيما استجد واحتاج إلى نظر:

أوّلاً: مرحلة التصوّر والتكييف الفقهي:

إن تصور المسائل الفقهيّة المتعلقة بالسّياسة وتكييفها ليس مرحلة سهلة يتقنها كلُّ باحث، فكثيرٌ من "الخلاف بين أعضاء المجامع الفقهية في جملة من المسائل يرجع إلى تفاوتٍ بين الباحثين في قضية التّصور والتّشخيص أكثر مما يرجع إلى اختلاف في فهم النّصوص الفقهية"[٣٠]، ولا يخفى على الناظر في هذه القضية صعوبة التّصور في هذا الزّمن الذي اتّسم بالتّعقيد والتّركيب والاستحداث في كل جوانب الحياة الإنسانية والعلمية، وذلك لعوامل عدّة أهمّها:

أ. في مرحلة التصوير يؤثر بشكل كبير انتماء[٣١] السياسة إلى حقل العلوم الإنسانية، والذي يجعلها محكومة بالنسبيّة المكانيّة والزمانيّة، ويجعلها أقلّ دقّة بسبب التحيز الأيدلوجي أو ما يسمّى بإشكاليّة الموضوعيّة النّاجمة عن كون الباحث جزءاً منها[٣٢]، وهذا يدفع الباحث في المستجدّات الفقهية المتعلقة بالسياسة الشرعية إلى الاهتمام بتحرير المصطلحات والمفاهيم وعدم الخلط بينها، ومراعاة تطورها الزماني، وتباينها المكاني، والانعزال التام عن الانتماءات المذهبية أو السياسية والرغبات والعواطف أثناء البحث في المسألة، وإدراك المتغيرات المؤثرة في تصور المسائل، والنسبية العالية لهذه المسائل.

[٢٩] الكلام هنا عن النظر فيما استجد تطبيقاً، أمّا أصول الأحكام في السياسة الشرعية وفي غيرها فمنصوص عليها لا حاجة لإعادة الاجتهاد فيها، خاصة في مواضع القطع والإجماع منها.

[٣٠] بن بيّة، **تنبيه المراجع**، ص٧١.

[٣١] وقد جعل الفارابي علم السّياسة من أنواع العلوم الفلسفيّة العمليّة، وهو محق في ذلك: إذ إنَّ النّظر في السّياسة فلسفيّ في أصله، عملي في نتيجته. انظر: أبو نصر الفارابي، **رسالة التّنبيه على سبيل السعادة**، ص٢٢٥.

[٣٢] انظر لهذا المفهوم: فريد الأنصاريّ، **أبجديات البحث في العلوم الشرعيّة**، ص٥١.

ب. وفي مرحلة التكييف (أو التوصيف) لا بد من مراعاة الفروق الهائلة في النظم السياسية الحالية، فالدولة الحديثة تختلف في نظامها السياسي وعلاقات الفرد بالسلطة والعلاقات بين السلطات مع ما كان سائداً منذ قرون[٣٣]، مما يجعل رد المسائل إلى أصول معينة أكثر صعوبة في ظل هذا التباين الهائل بين شكل الدولة أثناء ظهور المذاهب الفقهية المعتمدة وكتبها الموثوقة[٣٤] وبين شكل الدولة الحديثة، فالواجب على الباحث مراعاة الفروق الحاصلة، والتنبّه إلى مكامن الزّلل الممكنة، وألّا يتعجل في التكييف كلمّا رأى تشابهاً ظاهرياً بين محل المسألة ومسألة ذكرها العلماء سابقاً[٣٥]، **وليعلم أنّ "لكل زمان رسمه وحكمه"**[٣٦].

ج. التعقيد والتّركيب الحاصل من تداخل المؤثرات في عالم السياسة[٣٧]، خاصّة" في هذا الزمان الذي كثرت فيه المستجِدَّات وتقاربت فيه المسافات وتداخلت فيه مصالح الشّعوب ومعاملاتهم"[٣٨]، والذي يحتاج إلى دقّة نظر، وعمق تأمّل،" ولا ريب أن تجاهل أيٍّ من مكوّنات الواقع الاجتماعيّ لا يستقيم معه أيّ تشريع"[٣٩]، وفي هذا الزمان غالباً ما تقْصُر قدرة الباحث عن إدراك هذا منفرداً، ولكن لا بدّ من سؤال أهل الفن، والرّجوع إليهم في كلِّ كبيرة وصغيرة، ليتمكّن من دَرْك المسألة على أتمّ وجه. " وقد تمهَّد في قواعد الشَّرع أنّا نكتفي في كلِّ مقام بما يليق به من العلم؛ فنكتفي في المقوِّم بالعلم بالأسعار ... ويقع الاجتزاء في

[٣٣] انظر: بن بية، **تنبيه المراجع**، ص٩٦.

[٣٤] الأمثلة على حصول الخطأ في التكييف نتيجة عدم مراعاة هذا الضابط تكاد لا تحصى، بين إفراط وتفريط، فالبعض يرى – مثلاً – في المجالس المنتخبة مجالس شورى لها ما لمجالس أهل الحل والعقد من أحكام، رغم عدم انطباق الكثير من الشروط الأساسية على المنتسبين لهذه المجالس، علاوة على طريقة اختيارهم التي تساوي بين الصديق والزنديق بحق التصويت، وفي المقابل ينظر البعض إلى هذه المجالس بعين السخط التي تراها مجالس كفر وردّة، إذ إنها أعطت نفسها حكم التشريع الذي خصّه الله لنفسه! وهذا مثال من أمثلة كثيرة - لا يتسع المجال لذكرها هنا – في بيان الخطأ الحاصل من عدم تصور الفارق الحاصل في بنية الدولة الحديثة التي نعيش فيها اليوم.

[٣٥] وانظر لما ذكره الجويني نقلاً عن الشافعي:" فإن عدم المطلوب في هذه الدرجات – أي النصوص- لم يخض في القياس بعد، ولكنه ينظر في كليات الشرع ومصالحها العامة". البرهان، ج٢، ص١٣٣٨، الفقرة: ١٥٠٣. وإن كان تقديم القياس أو تأخيره في النظر الفقهي ليس محل بحثنا هنا، إلا أنّ في هذا تنبيه لأهمية التمهل في القياس، وأهمية إعمال النظر في كليات الشرع ومصالحها العامة.

[٣٦] الجويني، **الغياثي**، ص٣٧٧.

[٣٧] انظر: فتحي الدريني، **خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم**، ص١٢.

[٣٨] عبد العال عطوة، **المدخل إلى السّياسة الشرعية**، ص٥.

[٣٩] الدريني، **خصائص التشريع الإسلامي في السّياسة والحكم**، ص١٧٢.

القسّام[٤٠] بمعرفة الحساب والمساحة ... ويراعى في الخارص ما يقتضيه حاله ... ولم يشترط أن يكونا – أي الحكمان – مجتهدين، بل يكفي علمهما بحقوق النكاح، وتفطنها لعادات التّعاشر، وإحاطتهما بما يدقّ ويجلّ من هذا الفن"[٤١]. وكثيراً ما يُحتاج في هذا إلى مجالس يجتمع فيها أهل الفقه بأهل السّياسة، فيجتمع فيها أهل النّظر الفقهي بأهل النّظر السياسي، إذ يندر اجتماع عمق النّظرين في الشّخص الواحد، ومن اللافت ما ذهب إليه ابن خلدون إلى أنَّ العلماء أبعد البشر عن فهم السياسة ومذاهبها[٤٢]، والغريب إحجام طائفة من العلماء عن هذه المجالس والهيئات والتّشكيلات، وعدم اكتراثهم بها، مما أدخل النّاس في ظلمات بعضها فوق بعض، من تلاعب الأهواء، وندرة مراعاة الأحكام الشرعية، وعدم الالتفات إلى مقاصد الشرع في سياسات تلك الأحزاب أو الهيئات أو المجالس، فالواجب إنقاذ الأمّة من براثن هذا الضّياع، بانضمام الفقهاء إلى السّاسة، إرشاداً وتنبيهاً وتقويماً[٤٣]، وإلا ضُيِّع الواجب بتضييع ما لا يتم إلا به، ولا يُعذر في الأمر بأنّ السياسة من أمور الدنيا[٤٤]؛" فإن الدّنيا إنّما ترعى من حيث يستمدّ استمرار قواعد الدّين منها، فهي مرعية على سبيل التّبعية، ولولا مسيس الحاجة إليها على هذه القضيّة، لكانت الدّنيا حَرِيّة بأنْ نضرب عنها بالكليّة"[٤٥]. ومن العجيب أن يجمع المسلمون قديماً وحديثاً على دخول أمور

[٤٠] أي الذي يتولى مهنة التقسيم في الأرض وغيرها.

[٤١] الجويني، **الغياثي** ، ص٢٤٦ – ٢٤٧.

[٤٢] "والسبب في ذلك أنّهم معتادون النظر الفكري والغوص في المعاني وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذّهن، ... ، فهم متعودون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لا يعرفون سواها. والسّياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها، فإنّها خفيّة". ابن خلدون، ، **المقدمة**، ص٧٤٥-٧٤٦. وهذا في حق الممارسة السياسية لا العلم بها علماً نظرياً، فقد وجد من العلماء من خطّ وكتب الكثير النافع وإن لم يخالطوا الأمر.

[٤٣] قال ابن تيميّة في معرض كلامه عن ولاية الأمر وأنّها من أعظم واجبات الدّين:" فالواجب اتخاذ الأمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله، فإنّ التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات". ابن تيميّة، **مجموع الفتاوى**، ج٢٨، ص٣٩١.

[٤٤] قال خير الدين التونسي:" فالعالم إذا اختار العزلة والبعد عن أرباب السياسة فقد سد عن نفسه أبواب معرفة الأحوال المشار إليها، وفتح أبواب الجور للولاة" التونسي، **أقوم المسالك**، ص٦٣.

[٤٥] الجوينيّ، **الغياثي**، ص٣٠٧. ويؤكد تلميذه الغزاليّ هذا المعنى فيقول:" نظام الدّنيا شرط لنظام الدّين". انظر: الغزاليّ، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص١٧٠. ويقول ابن خلدون في مقدّمته:" واعلم أنّ الدنيا كلّها وأحوالها مطيّة للآخرة ومن فقد المطيّة فقد الوصول" ابن خلدون، **المقدّمة** ، ص٢٥٣.

الدّنيا بما فيها السياسة ضمن شرائع الإسلام[٤٦]، ولكنّهم يعزفون عن تطبيق هذه الأحكام، ونقلها من بطون الكتب إلى ميادين الحياة! رغم أنَّ " الدين والملك توأمان"[٤٧]، وهذا ما حذّر منه ابن فرحون حيث قال:" وإهماله – أي باب السّياسة الشرعيّة – يضيّع الحقوق ويعطّل الحدود، ويجرئ أهل الفساد ويعين أهل العناد"[٤٨]، وقد جعل ابن تيميّة أهل الدّيانة المفارقين للسّياسة على أصناف، إلا إنّه شنّع عليهم، وجعل عزوفهم سبباً في تضييع الواجبات، والوقوع في المحرَّمات[٤٩]، "وهذا ما جعل الفقه السياسي ينحو منحى التقرير النّظري الذي لا يتفاعل مع مجريات الحياة السّياسية الفعلية"[٥٠]. وبمقابل إهمال كثير من العلماء هذا الواجب، نجدّ أيضاً مشكلة اتساع نظر الفقيه فيما لا قدرة له عليه[٥١]، فتراه ينظر في مصالح السياسة ومخاطرها وهو عريّ عن أحوالها ومداركها وقوانينها وحيثياتها، فالسياسة فنّ مختلف كل الاختلاف عن الفقه وإن اشتركا في النظر إلى السلوك الإنسانيّ، فلا يختص الفقيه دون الخبير السياسي الثقة في النظر، بل هما شريكان، ولا شك أنّ الخبير السياسي صاحب الدور المركزي في هذا الأمر، فمبنى السياسة تحقيق المصالح، وتقرير المصالح المعتبرة من غيرها عمل الفقيه، وتقرير محلّ المصلحة المعتبرة عمل السياسي[٥٢]، إلا إذا اجتمع إلى الفقه علم السياسة وممارستها فعدّ خبيراً بها، ولا يُكتفى من

[٤٦] ممّن كتب في هذا الميدان الهامّ، يبين حقيقة الإسلام وسلطانه على أحوال الدّنيا إجماعاً بين المسلمين، الشّيخ محمّد بخيت المطيعي مفتي الدّيار المصريّة، في معرض ردّه على كتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ علي عبد الرّازق، انظر: محمّد بخيت المطيعي، **حقيقة الإسلام وأصول الحكم**، ص٢٣٨-٢٤٠.

[٤٧] ينسب هذا القول للحكيم أردشير، وقد ذكره كثير من العلماء موافقين عليه، انظر: الماوردي، **درر السّلوك في سياسة الملوك**، ص٩٠.

[٤٨] ابن فرحون، **تبصرة الحكّام**، ج٢، ص١١٥.

[٤٩] ابن تيميّة، **السياسة الشرعية**، ص٨٠.

[٥٠] عبد المجيد النّجار، **تجديد فقه السّياسة الشرعيّة**، ص٥.

[٥١] يقول الدريني:" الاستعانة بالخبرة العلمية والمتخصصة أضحى أمراً لا مناص منه". فتحي الدريني، **خصائص التشريع الإسلامي في السياسية والحكم**، ص١٥٠.

[٥٢] يقول ابن القيم:" ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما. والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع ، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان قوله في هذا الواقع ، ثم يطبق أحدهما على الآخر ". ابن القيم، **إعلام الموقعين**، ج١، ص٨٧.

فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرا ; فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله ، كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه

السياسي بمعرفة قوانين السياسة، وإنما لا بد له من العلم بما يتعلق بمحل المسألة من ملابساتها وعلائقها كافة، وهذا قد يخفى على الفقيه لعدم انشغاله بالأمر فلا يعلم تفاصيله، أو سرّية بعض الأمور.

ثانياً: مرحلة النظر في الأدلة المتفق عليها[٥٣]:

إنّ أوّل نظر الفقيه بعد تحرير موضوع الواقعة محلّ النظر هو البحث في الأدلة المتفق عليها، فالنّظر في المسائل السياسية في هذه الأدلة لا يكون من باب الأخذ بها مباشرة وإنزال حكمها على المسألة محلّ البحث إلا قليلا، وغاية الأمر هنا هو الأخذ بمشروعية المسألة من عدم ذلك، فلا يستدلّ على حصول المهادنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية جواز أيّ هدنة، وإنّما مشروعية الهدنة أصالة. ثم البحث في علّة الحكم، فالأدلة الفقهية المتعلقة بالسياسة معقولة المعنى لا تعبدية، والأدلة قد تكون متضادة لتضاد الظرف والسياق مع اتحاد في صورة المسألة المجردة، وعليه فلا بد من النظر لمعقولية الحكم وعلّته.

ثالثاً: مرحلة النظر في الأدلة التبعية:

إنّ عمدة النّظر في المسائل السياسية هو النّظر في الأدلة الفقهية التبعية[٥٤]، لأن المسائل السياسية تتعلق بشكل بنيوي بأربعة من أهمّ أبواب هذا النوع من الأدلة، وهي:

أ. المصلحة أو الاستصلاح: فقد مرّ في الكلام عن التعريفات مركزية المصلحة في السياسية. وكتب السياسة الشرعية قديماً وحديثاً تحفل بالتّأكيد على أنَّ المصلحة المعتبرة شرعاً[٥٥]

[٥٣] وهي: القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس.

[٥٤] يقول الإمام النووي في معرض تعليقه على قوله تعالى:" وإذا جاءهم أمر من الخوف ..إلا قليلاً":" فالاعتناء بالاستنباط من آكد الواجبات المطلوبة؛ لأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة فإذا أُهمِلَ الاستنباطُ فات القضاءُ في معظم الأحكام النازلة ، أو في بعضها والله أعلم". شرح مسلم، ج١١، ص٥٧. وهذا في السياسة أشد، لأنّ الأحداث السياسة وإن تكررت في صورها اختلفت سياقاتها مما يؤدي إلى احتياج النظر فيها والاستنباط لها. ولذلك يقول أحمد الريسوني:" أما مجال السياسة الشرعية، فليس فيه سوى مبادئ وقواعد ومقاصد، وتبقى مساحة الاجتهاد والاختيار والتعديل والتطوير شاسعة فسيحة". أحمد الريسوني، **الفكر الإسلامي**، ص٣٠. وإن كان الكلام عاماً جداً فإنّه لا يخلو من صحة من جهة قلة الاعتماد على النصوص فيما تعلق بالسياسة بالمقارنة مع غيرها من أبواب الفقه لما ذكرنا.

[٥٥] وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ للمصلحة المعتبرة لدى الفقهاء ضوابط ومعايير، ولا يمكن اعتبار أي مصلحة بالمفهوم اللغوي مصلحة بالمفهوم الشرعي، والكلام في ضوابط هذا الأمر طويل، وممن جمعه وذكر تفاصيله د. محمد همام عبد الرحيم ملحم في كتابه: تأصيل فقه الأولويات . ص٧٥ وما بعدها.

هي أسُّ النظر الفقهي في السّياسة وأساسه[56]، وسيرة الخلفاء الراشدين مليئة بأمثال هذا[57]، لذلك كانت القاعدة الأهم في فقه السياسة تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة[58].

ومن أهم ما يجب الالتفات إليه عند النظر في المصالح والمفاسد الموازنة بينهما[59]، وينبغي التنبه على أن للسياسة خصيصة في هذا الأمر، وذلك أنّ السياسة لا تحتمل شغور الحال عن تصرف، فعدم التصريح في أمر ما يعدّ تصريحاً بإهماله – مثلاً- وهو بذلك موقف سياسي، ولذلك ذكر كثير من العلماء ترجيحات بين المرشحين للإمامة أو قيادة العسكر لاندراجها تحت هذا الأمر الذي لا ينبغي فيه شغور المحل[60]. ونكرر هنا تأكيداً، أنّ تعيين محلّ المصلحة يكون بواسطة أهل الفن في المسألة.

[56] الجوينيّ، **الغياثي**، مصدر سابق، ص٢٨٣و٣١٨و٣٢٢و٣٧٣ وغيرها. الماوردي، **الأحكام السلطانيّة**، ص٢. ابن فرحون، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومنهاج الأحكام**، ج٢، ص١١٥. ابن تيميّة، **السّياسة الشرعية**، ص٢٤١. يقول الدّريني:" الحكم السياسي بوجه خاص – فضلاً عن التكليفي العام – مناطه المصلحة". الدّريني، **خصائص التشريع الإسلاميّ في السّياسة والحكم**، ص٣٥-٣٦. يقول الغزاليّ:" وأمّا السّياسات فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحيّة المتعلقّة بالأمور الدنيويّة والإيالة السلطانيّة". الغزاليّ، **المنقذ من الضّلال**، ص٨٥. وإن كان ابن تيميّة جعل جماع السّياسة العادلة " أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل"، إلا إنّ هذا يمكن اعتباره جماع القضاء العادل؛ لأنّ جوهر السياسة أوسع من أداء الأمانة والحكم بالعدل، بل هو تحصيل المصالح ودرء المفاسد. انظر: ابن تيميّة، **السّياسة الشرعيّة**، ص٦. ويقول ابن عاشور:" ليتعلّمَ مزاولُ هذا العلم أن طريق المصالح هو أوسع طريق يسلكه الفقيه في تدبير أمور الأمة عند نوازلها ونوائبها إذا التبست عليه المسالك. وأنه إن لم يتبع هذا المسلكَ الواضح والمحجةَ البيضاءَ فقد عطّل الإسلام عن أن يكون ديناً عاماً وباقياً". ابن عاشور، **مقاصد الشريعة**، ج٣، ص٢٥٧.

[57] وقد جمع عبد الوهاب خلاف عدداً كبيراً من استصلاحات الصحابة فيما يتعلق بالحكم والسياسة وغير ذلك، لا يسع المجال لذكرها هنا. عبد الوهاب خلاف، **مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه**، ص٨٨.

[58] انظر: الدّريني، **خصائص التّشريع الإسلاميّ في السّياسية والحكم**، ص٩٣. وهذه القاعدة نصّ عليها الشّافعي كما ذكر السيوطيّ. انظر: السّيوطي، **الأشباه والنّظائر**، ص١٨٥.

[59] وقد أكثر ابن تيمية من ذكر أهمية تمييز خير الخيرين وشر الشرين في مواضع كثيرة من كتبه. انظر: مجموع الفتاوى، ج١٤، ص٤٣٤. الاستقامة، ج١، ص٤٣٩. وهي في الحقيقة قاعدة عظيمة يفوت البعض الالتفات إليها في نقده لغيره عندما يراه يفعل شراً فيظنّه قد ارتكب مخالفة شرعية، ولعله يفعل ذاك اتقاء لشر أعظم، حاله في ذلك حال موسى عليه السلام مع الرجل الصالح.

[60] **من ذلك ما ذكره العزبن عبد السلام:" في تفضيله تقديم ودعم الأقل فسوقاً من الأمراء والولاة، قال – رحمه الله -: (فإن قيل أيجوز القتال مع أحدهما لإقامة ولايته وإدامة تصرفه مع إعانته على معصيته؟ قلنا: نعم، دفعاً لما بين مفسدتي**

ب. الاستحسان: لما مرّ في الكلام عن التعريفات أنّ السياسة لفظاً استخدمت في كثير من النصوص الفقهية بهذا المعنى، وإن كنّا لا نحصر استعمال السياسة بهذا المعنى، ولكنّ جزءاً كبيراً من السياسة يعتمد على الاستحسان بالانصراف عن قاعدة كلية إلى قاعدة جزئية، أو حكم عام إلى حكم خاص، أو علة ظاهرة إلى علة خفية، وهذا تابع للدليل السابق وهو المصلحة، فما هذا العدول إلا تحقيقاً للمصلحة.

ج. قاعدة سدّ الذرائع: هذه القاعدة وثيقة الصّلة بالسّياسة الشرعية[61]؛ لأنّ "دفع الضرر قبل الوقوع أوجب من رفعه بعده"[62]، وهذا عام مطّرد في مناحي الحياة جميعها، وهو في السّياسات أهمُّ وأحرى؛ لأنّ رفع الضرر الواقع قد يتعذر لعموم أثر الحكم السّياسي وتعلقِه بأهم تفاصيل الحياة؛ لذلك أكدّ ابن تيمية على ضرورة معرفة السّياسي بمكامن الخطر والأمراض[63] – كما سمّاها - ، وتطبيقاتُ سدّ الذرائع من لدن عهد النبوة الأولى إلى ما استقرت عليه المذاهب الفقهيّة في السّياسة الشرعيّة، ومروراً بأحكام الخلفاء الراشدين، كثيرةٌ لا يمكن حصرها[64].

د. العرف: والعرف في النّظر الفقهي المتعلق بالسّياسة له من الأهميّة ما ليس لغيره من أبواب الفقه[65]، فالثّابت بالعرف كالثابت بالنّص[66]، ويؤكد الجويني أهميّة النّظر إلى العرف

الفسوقين من التفاوت ودرءاً للأفسد فالأفسد، وفي هذا وقفة وإشكال، من جهة أنّا نعين الظالم على فساد الأموال دفعاً لمفسدة الأبضاع وهي معصية، وكذلك نعين الآخر على إفساد الأبضاع دفعاً لمفسدة الدماء وهي معصية، لكن قد تجوز الإعانة على معصية لا لكونها معصية بل لكونها وسيلة لتحصيل المصلحة الراجحة، وكذلك إذا حصل بالإعانة مصلحة تربو على المفسدة كما تبذل الأموال في فداء الأسرى الأحرار من المسلمين من أيدي الكفرة الفجرة". العزبن عبد السلام، قواعد الأحكام، ج١، ص٨٧.

[61] انظر: إسماعيل محمد البريشي، مجلة دراسات (علوم الشريعة والقانون)، **سدُّ الذّرائع وعلاقته بالسّياسة الشرعية**، ص٤٩٨. وانظر: عبد العال عطوة، **المدخل إلى السّياسة الشّرعيّة**، ص١٦٣.

[62] الدّريني، **خصائص التّشريع الإسلامي في السّياسة والحكم**، ص٦٣.

[63] انظر: ابن تيميّة، **السّياسة الشّرعيّة**، ص١٨٩.

[64] من أمثلة ذلك: عدم هدمه صلى الله عليه وسلم للأصنام مع وجوب ذلك وصلاته في الكعبة وحولها ثلاثمئة وستون صنماً. البخاري:٤٢٥٢. امتناعه صلى الله عليه وسلم عن تصحيح بناء الكعبة. البخاري: ١٥٨٦. مسلم:١٣٣٣. ودخوله صلى الله عليه وسلم في جوار المطعم بن عدي، البخاري: ٤٠٢٤. وغير ذلك مما تركه النبي صلى الله عليه وسلم سداً لذريعة شر أعظم.

[65] انظر: عبد العال عطوة، **المدخل إلى السّياسة الشّرعيّة**، ص١٧٧.

[66] هذا ما أكدّه الشّيباني في كتابه السّير الكبير مراراً. انظر: السرخسي، **شرح السير الكبير**، ج٤، ص١٦٩-١٧٠.

فيقول:" وقد يختلف نظره في البلاد على حسب تباين أحوال العباد"[67]، وعلّة الارتباط الوثيق بين السّياسة والعرف محلّهما المشترك، وهو تنظيم وتسيير أمور النّاس، ومن النّظر في العرف النّظر في عرف النّاس في استعمال المصطلحات، وتطورها من زمن إلى زمن. ومن أهمّ ما يجب أن نلاحظه في زمننا اختلاف العرف المنظّم للدول، فقد نشأ الفقه الإسلامي في مرحلة كان العرف السياسي على غير ما هو عليه اليوم، وهذا ليس اختلافاً بسيطاً بل اختلاف جوهري، وذلك غالباً بعد نشوء الدولة الحديثة[68]، وما رافقها من أشكال في تنظيم العلاقات، خاصة بنشوء المنظمات الدولية وقوانينها ذات الطبيعة الملزمة أو الأدبية، ومن أهم ما طرأ أيضاً تفرق المسلمين على دول، وإن كان الأصل الشرعي عدم مراعاة العرف الفاسد كهذا الطارئ، إلا أن مراعاته في بعض الشؤون يكون من باب فقهي آخر، كالاستحسان أو المصلحة أو سد الذريعة[69].

وعند التأمل ترى أنّ هذه الأربعة راجعة لواحدة وهي المصلحة تحصيلاً لها ودفعا لنقيضها، إذ الاستحسان يكون عدولا لمصلحة، والاستصلاح مداره المصلحة، والذرائع يكون منعاً لنقيضها، وكذلك الأمر في العرف إذ محلّ النظر ليس العرف الحسن بل العرف الفاسد الذي قد يجوز العمل به لمصلحة في ذلك تفوق مفسدة العرف ذاته.

[67] الجوينيّ، **الغياثي**، ص٣٣٥. ويقول في موضع آخر:" لكل زمان رسمه وحكمه". الجويني، **الغياثي**، ص٢٥٥. ويقول ابن القيم في معرض كلامه عن رد ابن عمر -رضي الله عنهما- بعض تصرفات الصحابة:" والمقصود أنّ هذا وأمثاله سياسة جزئية بحسب المصلحة، تختلف باختلاف الأزمة، فظنها من ظنها شرائع عامة لازمة للأمة إلى يوم القيامة". ابن القيم، **الطرق الحكمية**، ص١٩.

[68] يقول ياسر الزعاترة في مواضع في كتابه (**لماذا يفشل الإسلاميون سياسياً**):" ..أما الأهم من ذلك كله فهو ما ورد مرارا في السابق، والمتعلق بطبيعة الدولة الحديثة التي تختلف جوهريا عن تلك التي سادت في المراحل الأولى للتجربة الإسلامية، والتي أخذت تتغير بمرور الوقت بين تجربة وأخرى". ص٦٠. " الدولة الحديثة تختلف اختلافا جوهريا من حيث مركزية السلطة وهرميتها ومؤسساتها وفي مقدمتها الجيش والأجهزة الأمنية. المهم أن تبذل القوى الإسلامية جهدا كافيا في دراسة الدولة الحديثة، وفهم سماتها وآليات عملها، وعلاقاتها بالمجتمع وطبقاته المختلفة.." ص٦٦.

[69] ومن ذلك أنّه صلى الله عليه وسلّم لما كتب رسالة إلى هرقل راعى أعراف الرسائل فقال:" .. إلى هرقل عظيم الروم .." البخاري: ٧. وامتناعه عن قتل الرسل اتباعاً للعرف السائد. جاء في سنن أبي داود:" أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما". سنن أبي داود: ٢٧٦١.

إن المصلحة الواجب رعايتها وتحصيلها في السّياسة هي المصلحة التي نُصَّ عليها، أو رأى فيها أهل الاختصاص في السياسة نفعاً للمسلمين خاصَّة، وللنّاس عامّة، ولم تعارض نصاً شرعياً، ولا مصلحة أهمَّ منها، ولا أدت إلى مفسدة أكبر من نفعها، وهو ما سمّاه الدريني[70] في عالم السّياسة **مصلحة الأعدل**، أي المصلحة التي تحقق العدل وتقيم بنيانه، بمقابل مصلحة الأقوى، التي تقوم على أساسٍ من تحصيل المصالح الشّخصية للقائمين على الحكم، دون النّظر إلى أحكام الشرع، ولا مصالح الخلق[71]، وهذا ما سمّاه العزّ بن عبد السّلام سياسة الرّحمن، في مقابل سياسة الشّيطان[72].

ومع أهميّة تحصيل المصالح فإنّه لا يجوز بحال" أن نستحدث وجوهاً -في استصلاح العباد، وجلب أسباب الرشاد-، لا أصل لها في الشريعة"[73]، وهذا ضابط مهم في النّظر للمصلحة، خاصة في عالم السّياسة الذي قد تطغى فيه مصالح دنيوية غير مرعية شرعاً، فيعتد بمصالح لا أصل لها شرعيًا، ومن هذا القبيل ما ذهبت إليه بعض المذاهب السّياسية، كالمدرسة اللّيبرالية التي جعلت المصلحة المعتبرة هي المنفعة الخاصة التي تسببَ اللذة وتجتنب الألم[74]. ويبقى على رأس تلك المصالح كلّ ما مسّ ضروريات الكليّات الخمس، ومن المعلوم أن الحاجي ينزل منزلة الضروري وفق الضوابط المعمول بها فقهاً.

<u>رابعاً: مرحلة النظر في مقاصد الشرع والمآلات:</u>

ومن أهمّ تطبيقات هذا الأمر:

[70] انظر: الدّريني، **خصائص التّشريع الإسلامي في السّياسة والحكم**، ص٥٧.

[71] وهذه النّظرة في رعاية مصلحة الأعدل بمقابل مصلحة الأقوى هي جوهر نصيحة الغزاليّ للملوك، وبها ابتدأ كلامه لأنّها أساس السّياسة الصحيحة، نقلاً وعقلاً، قديماً وحديثاً. انظر: الغزاليّ، **التّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ص٤٤-٤٥.

[72] العزّ بن عبد السّلام، **قواعد الأحكام**، ج١، ص٨٩.

[73] الجوينيّ، **الغياثي**، ص٣٩٨. وهذا ما أشار إليه ابن الأزرق حين قال:" ومراد الأئمّة به – أي ما به المصلحة – من حيث القصد التّشريعي". ابن الأزرق، **بدائع السّلك في طبائع الملك**، ج١، ص٦٨.

[74] تسمّى هذه النّظرية: نظرية المنفعة، أسّسها جرمي بنتام بإسم " مبدأ السّعادة الأعظم". انظر: ول ديورانت، **قصّة الحضارة**، ج٤٢، ص١٢٥. ثم سمّاه – مبدأ السّعادة الأعظم- جون ستيوارت مل: مذهب المنفعة العامّة، وجعله أساساً لليبيراليّة السّياسيّة. انظر: جون ستيوارت مل، **أسس الليبرالية السّياسيّة**، ص٤٣-٤٤. وقد تطورت هذه النظرية فيما بعد مل، ولكن يبقى القدر المشترك في فلسفات منظريها جميعا، أنَّ " اللذة هي وحدها الخير الأقصى". الطويل، توفيق (١٩٥٣م)، **مذهب المنفعة العامّة في فلسفة الأخلاق**، ط١، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، ص٢١.

١. اعتبار مآل الحكم، وقد ورد في الكلام على التعريفات تسمية السياسة بالإيالة[٧٥]، لشدّة أهمية النظر في المآلات عند اتخاذ القرارات، حتى قال العمريّ في هذا الشأن:" ويفكّر فيما بعد أكثر مما قرب"[٧٦]. والواجب هنا ألا يقصد إلى مصلحة يُجلب بتحقيقها مفسدة أعظم، ولا تجتنب مفسدة في اجتنابها درء لمصلحة أعظم، "وهو مجال للمجتهد صعب المورد؛ إلا أنّه عذب المذاق"[٧٧]، ومصالح الناس تكون بتحقيق مقاصد الشرع، و" مقصود الشّرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكلُّ ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"[٧٨]. والنّظر في المآل يكون أيضاً من جهة النَّظر إلى صالح الأمّة العامّ، وتحقيق الخير لها، خاصّة "أنّ كثيراً من القضايا التي ينظر إليها من خلال الأدلة الفرعية بنظر جزئيّ، هي قضايا تتعلق بكليّ الأمّة"[٧٩]، وأظهر الأمثلة على ذلك حديث رسول صلى الله عليه وسلم في شأن لحوم الأضاحي[٨٠]. والنّظر في المآلات يعتمد بشكل كبير على فقه التّوقع[٨١]، إذ إنَّ هذا النَّوع من الفقه مجاله "تغطية الذرائع والمآلات"[٨٢]، والنَّظر إلى المآلات منضبط بآلاته الصّحيحة، "يعرف تارة بالحسّ إن كان الوصف حسيّاً، وقد يُعرف بالعرف، وقد يُعرف باللّغة، وقد يُعرف بطلب الحدّ وتصوّر حقيقة الشيء في نفسه، وقد يعرف

[٧٥] في الكلام عن المصطلحات ذات الصلة.

[٧٦] العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، ص١٣١.

[٧٧] الشاطبي، **المو افقات**، ج٤، ص١٤١.

[٧٨] الغزاليّ، **المستصفى**، ج١، ص٦٣٦.

[٧٩] بن بيّة، **تنبيه المراجع**، ص٢٤.

[٨٠] عن جابر رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلّم:" أنّه نهى عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، ثم قال بعدُ:" كلوا، وتزودوا وادخروا". مسلم: ١٩٧٢. ومن الأدلة الأخرى في النظر إلى المآل:" دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه". البخاري: ٤٩٠٥. مسلم: ٢٥٨٤. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم:" يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير - بكفر، لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون". البخاري: ١٢٦.

[٨١] بن بيّة، **تنبيه المراجع**، ص٣٣. وفقه التوقع ليس هو ذاته الفقه الافتراضي الذي اشتهرت به مدرسة الرأي بالكوفة، والفارق بينهما أن الافتراضيّ يفترض مسألة أقرب للخيال، أمّا فقه التوقع فهو يبحث في المآلات. انظر: المزيني، **تجديد فقه السياسة الشرعية**، ص٧٢.

[٨٢] بن بية وآخرون، **الاجتهاد بتحقيق المناط: فقه الو اقع والتوقع (الخلاصات والتوصيات)**، ص٤.

بالأدلّة الشَّرعية النَّقلية"[٨٣]، وإنَّ زلة العالم أكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشرع[٨٤]، وفي مسائل السياسة الشرعية هو صميم عمل الناظر. والنّظر في المآلات وتحقيق المقاصد وتحقيق المناط، أدوات فقهية تعصم الباحث عن الوقوع في فخ الجزئيات على حساب الكليات، أو كما يسمّيه القانونيون: العقلية المنطقية في الشؤون الدستورية[٨٥]، والتي تنزع بأصحابها إلى التفكير بطريقة الاستنتاج من مبادئ نظرية مجرّدة، دون النّظر إلى آثاره العملية ومدى ملاءمته للظّروف، فهم يغرقون في الاستنباط، ويهملون النّظر في القواعد العامة وضوابطها ومعاييرها ومآلات التصرفات، وهذا في البحث الفقهي المتعلق بالنظر السياسي ممكن الحصول، فيقع البعض في مزلق حكم الجزئية دون مآلها، فيرى الحرمة في الجزئية لفسادها، مهملاً المصلحة العظيمة في مآلها، والعكس بالعكس، وأيّ نظر فقهي في مسائل السياسة يهمل هذا الأمر هو نظر قاصر يعاني من خلل بنيوي يتمثّل بإهمال أكبر مقومات النظر السياسي وهو المآلات والنتائج بعيدة المدى.

٢. الاهتمام بالقواعد الفقهيّة المقرّرة، خاصّة العامّة منها، ولعلّ أهمّ هذه القواعد ما روي فيه الاتفاق، وهي خمس قواعد[٨٦]: الأمور بمقاصدها، اليقين لا يزول بالشك، المشقة تجلب التيسير، العادة محكمَة، لا ضرر ولا ضرار. ومن أهمّ القواعد الفقهية التي تقوم عليها السياسة[٨٧]: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة[٨٨]، وهي أعظم القواعد في هذا الباب

[٨٣] الغزاليّ، **شفاء الغليل**، ص٢٠٧.

[٨٤] الشاطبيّ، **المو افقات**، ج٤، ص١٢٢.

[٨٥] عبد الحميد متولي، مجلة القانون والاقتصاد، **الإسلام هل هو دين ودولة ٢**، العدد ١، ص١٤٥.

[٨٦] وزاد عليها ابن نجيم المصريّ:" لا ثواب إلا بنية". انظر: ابن نجيم المصري، **غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر**، ج١، ص٣٧.

[٨٧] لا بد من التذكير بأن عامة مباحث السياسة بُحثت تحت عناوين الإمامة وغيرها مما مرّ من مصطلحات في الاستهلال اللغوي والاصطلاحي في هذه الورقة، وإن كان انطباق كل ما ذكر في حق الإمامة على السياسة باطلاً، إلا أن جزءا كبيراً ينطبق بحسب الجهة التي تكلم بها الفقهاء عن المسألة، فإن كانت في جهة الحكم وإدارة الدولة فذاك وإلا فلا، كالقضاء والواجبات الشرعية المنوطة بالإمام باعتباره إمام المسلمين دينياً.

[٨٨] الزركشي، **المنثور في القواعد الفقهية**، ج١، ص٢٠٩. السيوطي، **الأشباه والنظائر**، ١٢١. ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، ١٠٤.

وأكثرها أهمية[٨٩]. ومن القواعد المهمة: الجماعة رحمة والفرقة عذاب[٩٠]، إذ إنّ طبيعة النظر السياسيّ قائم على الظنّ والتقدير مما يورث الخلاف في وجهات النظر، فإنّ نزل الأمر إلى ميدان التطبيق كان الاجتماع عليه خيرا من التفرق على ضدٍّ لرجحانه عند المخالف، إذ الشأن السياسي قائم على أمر الجماعة لا يسع فيه الخلاف عند التطبيق، حاله كحال صلاة الجماعة يأتم فيها المختلفون بإمام واحد على مذهبه. وكذلك قاعدة لا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة[٩١]. إذ عامة التصرفات السياسية في حال الضعف محكومة بهذه القاعدة. ومنها أيضاً: الوسائل لها أحكام مقاصدها[٩٢].

وإن كانت القواعد لا على إطلاقها؛ بل لها ضوابطها ومعايير فقهية لا بد منها.

إن النّظر في الأدلّة السابقة لا يستقل به الفقهاء دون السّاسة[٩٣]؛ لذلك فإنَّ" الفقيه في القضايا السّلطانيّة – السّياسيّة – إنَّما يسهم في بيان المقدمة الأولى"[٩٤]، أي وجوب تحقيق المصلحة أو العمل بالعرف – مثلاً -، وعدم مخالفة أيٍّ من ذلك للشَّريعة، "فرجال السياسية يدركون المصالح ومناشئ الضرر، والعلماء يطبقون العمل بمقتضاها على أصول الشريعة"[٩٥]. وعدم مراعاة هذا الضابط أوقع الكثيرين في الخطأ، سواء في ذلك خطأ الفقيه في النظر إلى مآلات السّياسة ومصالحها وهو غير مؤهل لذلك، أو نظر السياسيّ فيما يعد مصلحة معتبرة في الشّرع استصلاحاً[٩٦]، أو اعتبار

[٨٩] ويعضد هذه القاعدةَ القاعدةُ الأصلية: الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكملها وتعطيل المفاسد وتقليلها. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٢٠، ص٤٨.

[٩٠] وهو من حديث في مسند أحمد: ١٨٤٤٩.

[٩١] الوزير اليماني، **العواصم**، ج٨، ص١٧٤.

[٩٢] العز بن عبد السلام، **قواعد الأنام**، ج١، ص٥٣.

[٩٣] يقول خير الدين التونسي:" وذلك أن ملك الإسلام مؤسس على الشرع، الذي من أصوله المشار إليها سابقاً وجوب المشورة، وتغيير المنكر، والعلماء أعرف الناس به، كما أن الوزراء أعرف بالسياسة ومقتضيات الأحوال". التونسي، **أقوم المسالك**، مصدر سابق، ص٤٩.

[٩٤] بن بيّة، **تنبيه المراجع**، ص١٢٩. وسبق ابن بيّة في هذا، ما نقل عن ابن عرفة المالكيّة، حيث قال:" حال الفقيه من حيث هو فقيه، كحال عالم بكبرى قياس الشّكل الأوّل فقط، وحال القاضي والمفتي كحال عالم بهما مع علمه بصغراه". الحطاب الرعيني، **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، ج٦، ص٨٧. وعلّل كلام ابن عرفة ابنُ الأزرق فقال:" لما في تحقيق المناط من التنزل". ابن الأزرق، **بدائع السلك**، ج١، ص٢٥٧.

[٩٥] التونسي، **أقوم المسالك**، ص٦٢.

[٩٦] أي أن سبب اعتبارها دليلاً الاستصلاحُ (المصلحة المرسلة) لا النّص أو الإجماع أو القياس.

مآل أمر فساداً لا يقبل به الشّرع، وهلمّ جراً، وهو ليس ممن امتلك أدوات الحكم على هذا، والتداخل في مجال المستجدّات السّياسة بين الفقهيّ والسياسيّ مُشكل مشوّش، يخفى على الكثيرين معرفة حدوده والتماس فواصله، على خلاف المستجدّات الطبية- مثلاً-، وهذا ناتج كما أشرنا إلى إنسانية العلوم السّياسية، ولا حلّ لذلك إلّا باجتماع الفقيه بالسّياسيّ في معرض البحث عن الحكم، والمناقشة العلميّة الرصينة التي تقوم على أساسٍ من الثّقة المتبادلة، ليلزم كل واحد منهما حدّه[٩٧].

خامساً: تنزيل الأحكام الشرعية في الواقع:

وهذه المسألة لا تقل خطورة عن سابقتها، إذ تحتاج إلى حكمة وحسن تقدير، وإلى تبصر زائد على حفظ الفقه وأدلته[٩٨]، يقول الدريني:" الاجتهاد في التّطبيق لا يقل خطراً عن الاجتهاد النَّظري في الاستنباط"[٩٩]، بل جعله الغزالي تسعة أعشار النظر الفقهي[١٠٠]، وجعله الشاطبي نصف الدليل الشرعي[١٠١]، وهو من أهمّ أسباب الخلاف بين العلماء[١٠٢]، فلا بد من التَّأكد أنَّ محل الحكم في الواقع مطابق بأوصافه وشروطه محلّ الحكم في الذّهن[١٠٣]، وهذا في النظر السياسي مهمّ جداً

[٩٧] واجتماع النّظر الفقهيّ الرّصين، بالنّظر السّياسي الدّقيق في الشّخص الواحد عزيز نادر، ولعلّ ذلك من آثار الانفصام النّكد بين الكتاب والسّلطان، الذي حصل بانتهاء الخلافة الراشدة، والذي أشار إليه حديث رسول صلى الله عليه وسلم:" ألا إنَّ الكتاب والسّلطان سيفترقان". رواه الطبراني، انظر: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب(١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي السّلفي، ط٢، مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، رقم الحديث: ١٧٢، ج٢٠، ص٩٠. أشار الهيثمي إلى ضعفه. انظر: الهيثميّ، أبو الحسن نور الدّين علي بن أبي بكر(١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، **مجمع الزّو ائد ومنبع الفو ائد**، تحقيق حسام الدّين المقدسيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ج٥، ص٢٣٨. يقول إمام الحرمين:" ولا يدرك ما ضمنّاه هذا الفصل من الجمع بين مقاصد ذوي الإيالة – أي السياسيين- وموافقه الشريعة، إلا من وَفَرَ حظُّه من العلوم، ودفع إلى مضائق الحقائق". الجوينيّ، **الغياثي**، مصدر سابق، ص٣٦١. وقد تنبّه الفاروق عمر إلى هذا مبكراً، فكان كما قال ابن حجر: "والذي يظهر من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمّرهم في البلاد أنّه كان لا يراعي الأفضل في الدّين فقط، بل يضم إليه مزيد المعرفة بالسّياسة". ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي الشافعي (١٣٧٩هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ج١٣، ص١٩٨.

[٩٨] السّيوطيّ، **الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أنَّ الاجتهاد في كل عصر فرض**، ص٩٠.

[٩٩] فتحي الدّريني، **المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي**، ص١٩.

[١٠٠] الغزاليّ، **أساس القياس**، ص٤٠.

[١٠١] الشاطبي، **المو افقات**، ج٣، ص٣١.

[١٠٢] الدرينيّ، **بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله**، ص١١٩.

[١٠٣] وليس هذا من الدّور، بأن يكون تصور الحكم الذي ذكر في النّقطة الأولى هو نفسه تحقيق المناط هنا، فالأول في تصور المحل مجرداً وهنا التأكد في كون المحل الذي سيتنزل عليه الحكم موافقاً بماهيته وأوصافه وشروطه للمحل الذي في الذّهن

لأنّ تنزيل الحكم فيه يؤثر على جماعة من المسلمين وليس على مسلم واحد، ويتعلق بمجمل مصالحهم لتشابك السياسي بالاقتصادي بالاجتماعي، فلا بد من الحذر فيه حذراً شديداً.

ومن أهمّ ما يعتري هذه المرحلة، النّظر في الأولويات والترجيح بينها، فإن الحكم الشرعي عند التنزيل تجب فيه مراعاة الأَوْلى في الأَوْلى خاصة فيما تعلق به من شأن سياسي، يقول الجويني: "والركن الأعظم في الإيالة -السياسة- البداية بالأهم فالأهم"[104].

سادساً: مسائل هامة للنظر الفقهي السياسي السديد:

لا بد من الإشارة إلى جملة من المسائل في النظر السياسي، تركها يؤدي إلى الغلط في النظر، ومن ثم إلى اللغط بين أبناء الصف الواحد، وصف المؤمنين المعظِّمين لشعائر الله حكماً، ومنها:

١-الثابت في السياسة هو التغيّر فلا ينكر تغيّر الفتوى:

إن في السياسة من التّغير ما ليس لغيرها مثله، فالأحوال السياسية تتباين وتختلف، وهذا يدعو الباحث في هذه الشؤون، إلى عدم الاكتفاء بنقل الأقوال الفقهية القديمة زمناً، أو المباينة وطناً، دون النّظر إلى مدى التّغير الحاصل، إذ التّغير هو الأصل في عالم السياسة لا الثّبات، حتى في مجال المفاهيم والمصطلحات.

٢-في السياسة يقطع بالحكم لا بمحلّه: مسائل السياسة عرية عن مسلك القطع، خلية عن مدارك اليقين[105]. ومحل الظن فيها ليس النص الشرعي كما هو حال أغلب المسائل الشرعية، إذ إنّ محل الظن فيها إما ثبوت الدليل أو ظنية دلالته، ولكنّ محل الظن في المسائل السياسية هو النظر في

وقد حكم عليه، وأضرب لذلك مثالاً بسيطاً: إذا وجد من أراد الوضوء دلواً فيه سائلٌ، فالتوصيف أن يقول: في هذا الدلو ماء، والاستنباط الذي أوصل إلى الحكم يقول: لا يصح الوضوء إلا بالماء، والتنزيل يقول: هذا الذي في الدلو يصح به الوضوء لتحقق أوصاف الماء – الذي في الذهن الذي لا يصح الوضوء إلا به. وهي مسألة منطقية عالجها الإمام الغزالي في معيار العلم. انظر: الغزالي، **معيار العلم في فن المنطق**، ص٢٣٥.

[104] الجويني، **الغياثي**، ص٢٧٨. ويقول العمري في كتابه المصطلح الشريف في حق الخلفاء:" .. ولا يزال للأحوال متفقداً، وللأمور متعهداً، يبدأ بالأهم فالأهم، ويقدم الأولى فالأولى". ص١٣٠.

[105] يقول الجويني:" مسائل الإمامة عرية عن مسلك القطع، خلية عن مدارك اليقين". الجويني، **الغياثي**، ص١٦٦. وهي كما قال:" من الكثرة، والتنوّع، والتّجدد بحيث لا يمكن أنْ يحصيها عدٌّ". ص ١٦٧- ١٦٨. ويقول الإمام العز في كلام نفيس حول النّظر في مراتب المصالح والتمييز بينها:" أكثر المصالح والمفاسد لا وقوف على مقاديرها وتحديدها وإنما تعرف تقريبا لعزة الوقوف على تحديدها". العز بن عبد السلام، **الفوائد في اختصار المقاصد**، ص١٠٠. وفي نصّ آخر يقول:" والوقوف على تساوي المفاسد وتفاوتها عزة ولا يهتدي إليها إلا من وفقه الله تعالى، والوقوف على التساوي أعز من الوقوف على التفاوت، ولا يمكن ضبط المصالح والمفاسد إلا بالتقريب". قواعد الأحكام، ج١، ص٢٤.

محلّ المصلحة المطلوبة شرعاً، ففي حادثة غطفان جاء النّص الشرعي بجواز الأمرين، الصلح أو عدمه، ولكنّ محلّ النظر في طرفي المسألة سياسي لا شرعي، وكذلك الأمر في مسألة الاستخلاف إذ روي عن ابن عمر، قال: حضرت أبي حين أصيب، فأثنوا عليه، وقالوا: جزاك الله خيراً، فقال: راغب وراهب، قالوا: استخلف، فقال: أتحمل أمركم حياً وميتاً، لوددت أن حظي منها الكفاف، لا عليَّ ولا لي، فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني، رسول الله صلى الله عليه وسلم[106]. فالاستخلاف وتركه مشروعان، والعلّة في المسألة مصلحة المسلمين، فإنّ النظر يتّجه إليها، وهذا نظر عادي لا شرعي. وعليه فإنّ الحكم الشرعي، من وجوب العدل، وتحصيل المصلحة، وحماية الدين، وإصلاح الدنيا، كلّها أحكام مقطوع بها، ويبقى محل الظن والتردد في محلّها، ويزيد من التردد أنّ محلها يتناوب ويتردد، فهو في محلّ اليوم وفي نقيضه غداً، وعلى ذلك لا بدّ من الحذر عند النظر، والعذر من الناس لمن صدر عنه نظر - عن تأهل لذلك- ثم بان فساده أو رجحان مصلحة مقابله.

٣-قد يسع الجماعة ما لا يسع الفرد:

مفاد هذه القاعدة أنّ الفرد غير المتصدي لأمر من أمور العامة قد يطيق ما لا تطيقه الجماعة أو من يمثلها، فإن الفرد المسلم الواحد اليوم يستطيع أن يطبق الحكم الشرعي الأصلي في المسألة من مسائل السياسة الشرعية دون التفات إلى مصالح أعظم مهدرة، أو مفاسد أشد نازلة، فما تقوم به بعض الأنظمة من ظلم يجب منعه باليد وإلا فاللسان وإلا فبالقلب، وهذا الفرد قد لا يملك اليد فيملك اللسان، فينكر على الظالم ظلمه، ويشد من أزر المظلوم بكلماته، ولكنّ الجماعات التي تلبّست بمهمة شرعية ما، وألزمت نفسها النهوض بأعبائها والعمل على تحقيق متطلباته، قد يلزم من أدائها الواجب الأصلي الإخلال بحكم شرعي تترتب عليه مفسدة أشد، أو ضياع مصلحة أعظم، فإنّ المؤسسات الخيرية أو العلاجية التي تعمل في مناطق الحروب بتجنّبها إطلاق الأحكام في موضع الخلاف السياسي أو العسكري تضمن – إلى حد ما – القدرة على القيام بواجبها الإغاثي الذي تلبّست به، وانشغالها بغير ذلك إعراض عنه، وقد تأثم على ذلك، إذا فوتت ما تلبّست به وتوقف عليها من جلب مصالح ودرء مفاسد بقيامها بما لم تتلبس به ولم يطلب

[106] مسلم: ١٨٢٣.

منها[107]. وعليه فإنّ الفرد قد يسعه ما لا يسع الجماعة، لتكاثر علائقها التي تجعلها يأخذ بالمرتبة الأدنى.

٤-لا محلّ للعاطفة المنفلتة في السياسة الشرعية:

النظر في أمور العامة يقتضي النظر في مظالمها وآلامها، وفي هذا إثارة للعاطفة المحمودة شرعاً، التي تدفع صاحبها إلى مزيد حرص على تطبيق الحكم الشرعي الذي من شأنه أن يرفع الظلم عن المظلوم وأن يعاقب الظالم، ولكن ثمّة طرف آخر للعاطفة مذموم، يمكن تسميته بالعاطفة السلبية، التي تحمل الإنسان على تجاوز النظر الفقهي، أو تجاوز الحد في تنفيذ الحكم الفقهي. فالمتصدر للقضاء قد يرى ظلماً وقع بين مسلمَين، فإذا حملته عاطفته على الإسراع في إمضاء الأمر الشرعي، برفع الظلم وإنزال العقوبة المقدرة شرعاً على الظالم، من خلال سرعة النظر في حيثيات القضية، فإنّها عاطفة محمودة تستهدف ما استهدفه الشرع وقصد إليه، ولكن إن كانت العاطفة على صورة إنزال عقوبة أشد من العقوبة المقررة شرعاً في حق المجرم فإنها عاطفة سلبية مرفوضة شرعاً. وفي المسائل العامة المتعلقة بالسياسة وإدارة البلاد وعلائقها يزداد الأمر تعقيداً، فإنّ العلاقات بين الدول اليوم وفق أنظمة القانون الدولي والأنظمة الدبلوماسية والأعراف الدولية، قد تقتضي خلاف ما تميل إليه العاطفة، فيرى البعض بعاطفتهم لا بنظر فقهي سديد أنّ الالتزام بهذه المحددات مخالفة للحكم الشرعي، فكرههم للظالم يقتضي وفق النظر العاطفي السلبي قطع العلاقات به، وشتمه وسبّه وتقريعه علانية أمام الناس، وليس في ذلك من مصلحة متحققة إلا إرضاء العاطفة السلبية، التي تبيح ذلك بل تفرضه ولو ضيّع من المصالح أعظمها، وجلب من المفاسد أشدها، وهذا مناف لقوانين العقل ومعارض لمنطق الشرع ومقاصده، فالعقل يحكم بأنّ العلاقة بين الدول والمؤسسات والجماعات لا تحكمها العواطف التي تحكم علاقات أقران الدرس أو زملاء الصف، والتي لا ضرر في قطعها عند حصول الخصومة في أمر ما، بل هي علاقات لها موازين مختلفة، وقوانين مغايرة، فأشد الأعداء السياسيين اليوم قد يكون أقوى الحلفاء غداً،

[107] وأصل هذه المسألة أن المتلبس بالواجب الكفائي صار في حقه واجباً عينيا. والعمل في المجال السياسي ضرب من فروض الكفاية، يقول الشاطبي:" .. أو من فروض الكفايات، كالولاية العامة من الخلافة والوزارة والنقابة ..". الموافقات، ج٢، ص٤٨٠.

فأمور العامة لا تحتمل الأحكام الحدية لكثرة تعلقاتها في أحد الطرفين، بل تبقى في اتزان يمنع الخضوع للعاطفة السلبية المؤذنة بفساد النظر وسوء التطبيق[108].

٥- الإيمان بالمبادئ لا يتجزأ، والعمل بها على قدر الاستطاعة.

جاء الإسلام مقرراً جملة من الأحكام الشرعية وأوجب على الناس الالتزام بها، ومن جملة هذه الأحكام منع الإيمان ببعضها دون بعض، بل يجب الإيمان بالدين كاملاً ، وكذلك الأمر في مصاديق أحكامه، فإذا قرر الإسلام حكماً فقهياً واحداً فإنّ مصاديقه كثيرة تكاد تكون لا حصر لغالبها، فالله حرّم الكذب، وله من المصاديق اليومية ما لا حصر لها، ويجب على المسلم إنكار الكذب أصلاً، ومصاديقه فرعاً، ومع ذلك فقد يعرض للمصداق ما يمنع من تطبيق الحكم الأصلي عليه، وهذا لا يخلّ بالحكم الأصلي، فقد يكون الكذب في أحد مصاديقه جائزاً بل واجباً شرعاً[109]، وهذا لا يناقض إيماننا بقبح الكذب أصلاً وفرعاً في أغلب مصاديقه. وفي النظر الشرعي لأحوال العامة قد يعرض من هذا الاستثناء الكثير، فالأصل في المسلم نصرة أخيه المسلم، هذا حكم أصلي لا خلاف فيه، أمّا مصاديقه العملية فقد تتخلف لمانع عرض لها، فيمتنع المسلم عن نصرة أخيه لا إنكاراً للقاعدة الأصلية، ولكن إعمالاً لأمر آخر معتبر شرعاً حال دون تطبيق القاعدة الأصلية، ولا يمكن اتهامه بأنه ترك واجب النصرة، لضعف منعه عن ذلك. ولا يمكن تطبيق قاعدة الكل أو العدم على هذا الأمر، فهذا متصور في الإيمان لا في التطبيق الذي يعتريه ما يعتري تصرفات البشر من التعقيدات التي تصرف القطع بالحكم تنزيلاً.

٦-الولاء والبراء لا ينافي المناورة السياسية اللازمة.

إن الأصل في المسلم أن يوالي المسلمين، وأن يتبرأ من الشرك وأهله، وهذا حكم عامّ، يعرض له الكثير من التخصيص والتقييد، ولا يعني قطع العلاقة بالمسلم عدم تخلق المقاطِع بالولاء، ولا

[108] ولعلّ من أجمل ما قيل في هذا ما ذكره البنا في رسائله:" ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف". فالعواطف تلهب العقول ولا تقودها.

[109] جاء في الملل والنحل:" فليس كل كذب معصية بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل .. وقد أجمع أهل الإسلام على أن إنسانا لو سمع مظلوما قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق ويأخذ ماله غصبا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدا بذلك السلطان السامع عما سمعه منه وعن موضعه فإنه إن كتم ما سمع وأنكر أن يكون سمعه أو أنه يعرف موضعه أو موضع ماله فإنه محسن مأجور مطيع لله عز وجل وأنه إن صدقه فأخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقا عاصيا لله عز وجل فاعل كبيرة مذموما تماما". ج٤، ص٥. ولهذه المسألة شواهد كثيرة، اقتصرنا على كلام ابن حزم فيها لاختصاره.

تعني العلاقة بالكافر عدم اتصاف صاحبها بالبراء[110]، بل قد تكون قطيعة مع مسلم مع كون المقاطع موالياً للمسلمين حاملاً لصفة الولاء، فمقاطعة مسلم لأخيه المسلم الفاسق خوف تأثره به لا تعني أنّ هذا المقاطع قد ترك الولاء للمسلمين، وبالمقابل فإن نشوء علاقة بين مسلم وكافرٍ لأصلٍ في نسب، أو اتحاد في وطن، أو اشتراك في مصلحة دنيوية معتبرة، لا يعني أنّ صاحب العلاقة قد ترك البراء من الشرك وأهله. فالواجب في كل مصداق من مصاديق الولاء والبراء ينظر إليه بحسب خاصة أمره لا بأصل المسألة فقط.[111]

<u>٧-العجز حقيقي وحكمي:</u>

يظنّ البعض أنّ كل ممكن حقيقة تنتفي عنه أحكام العجز، وهذا غلط، فالعجز قد يكون حكمياً لا حقيقياً، فالتيمم يكون لفقد الماء حساً ومعنى، حقيقة وحكماً، وكذلك الأمر في السياسة، فقد يكون قطع العلاقة ممكناً حقيقة، ولكنّه محلُّ عجز حكماً، لما يترتب عليه من الضرر اللاحق[112]. وهذا يلحق بأحكام الضرورة ومراعاة الواقع على ذلك.

<u>٨-تقدير الموقف منوط بأهل الخبرة:</u>

إن القرارات التي قد تجلب مصلحة أقل من المتوقع أو ضرراً أكثر من المحذور إن صدرت عمن تتوفر فيه أدوات ذلك بطريقة منهجية سليمة، يبقى أمرها أقل خطراً بكثير من تلك الانتقادات التي قد تدعو إلى حكم نهائي خير مما توصل إليه ممن وكل إليه هذا الأمر إذا كانت

[110] فعلاقات النبي صلى الله عليه وسلم بالكفار لم تنقطع، يكفي في ذلك دخوله في أمان كفار حماية لنفسه وكذا فعل كثير من الصحابة، بل بلغ بنبينا صلى الله عليه وسلم الوفاء لهذا الفعل أن قال:" لو كان المطعم بن عدي حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له" يقصد أسرى بدر. البخاري: ٣١٣٩. واستعانته بصفوان بن أمية يوم حنين وأخذه السلاح منه صلى الله عليه وسلم. المسند: ٢٧٦٣٦. المستدرك: ٢٣٠٠.

[111] ....

[112] ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري عن ابن مسعود:" دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: " {جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا} [الإسراء: ٨١]، {جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد} [سبأ: ٤٩]". البخاري: ٤٧٢٠. فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لهذه الأصنام إلا يوم فتح مكة، مع أنّه صلى الله عليه وسلم كان يمكنه أن يتعرض لها قبل ذلك، وهو مقيم بمكة كما فعل جدّه إبراهيم عليه السلام، ولكن أثر ذلك عليه وعلى المسلمين لن يكون أقل مما حصل لإبراهيم عليه السلام، فقد كان عجزه حكمياً لأثر الفعل لا لذاته. وكذلك إسلام النجاشيّ سراً لعجزه الحكمي عن إعلان الإسلام وإصلاح قومه. وعرضه لغطفان في غزوة الأحزاب. البيهقي، **معرفة السنن والآثار**، ١٨٦٧٤.

تصدر بمنهجية خاطئة، ويعبّر عنها بأدوات فاسدة، تحمل بين طياتها ضياع المنهج العلمي الشرعي في النظر، وهشاشة في الصف.

<u>٩-تناقضات السياسة:</u>

في السياسة ما ليس في غيرها من قوانين وضوابط تجعل ظاهر الأمر ضد باطنه، وتناقضُ الوسيلةُ الغايةَ والطريقُ المقصدَ بشكل يصيب المتابع بالحيرة، وهذا لتعلقاتها شديدة التعقيد، فقد يكون ثمن التخلي عن أداة من أدوات القوة أقل تكلفة من امتلاكها، فيغدو فَقْدُ القوة قوةً، وقد يكون الإبقاء على خصم ضعيف المناورة خير من القضاء عليه.

<u>١٠-القرار السياسي ملزم عملاً رغم ظنّيته نظراً</u>

من شأن القرار السياسي الالتفاف حوله وعدم الخروج عنه، فلمّا كان محلّه جماعياً كان الحكم به جماعياً، وإن صح للمسلمين الذين يصلون في جماعة واحدة أن يختلفوا في شروطها وهيئاتها وحتى أركانها، فإنّه لا يكون لهم أن يخالفوا فيها الإمام، وكذلك الأمر في الشأن السياسي الذي لا يحتمل عند التطبيق التنوع، بل يجب أن يأتي على صورة واحدة، ومثال ذلك الأمر بالهجرة، إذ جاء الأمر على صيغة الجماعة، وجعل الشرع من خالف هذا الأمر خارجاً من واجبات الأمة من نصرة وغيرها.[113].

[113] رواه البيهقي وغيره. البيهقي، السنن الصغير، ج١، ص٢٢٠، رقم الحديث: ٥٦٦.

<u>القسم الثالث:</u>

نظرة تطبيقية في السياسة الشرعية المتعلقة بالمقاومة الفلسطينية

<u>تمهيد</u>

قبل النَظر في هذه التطبيقات، لا بدّ من الكلام على بعض النقاط التي تشكّل أرضية الانطلاق إلى المسائل التطبيقية. وهي:

أولاً: المركز الشرعي للحركة.

لا بد من تصور المركز الشرعي لهذه الحركة، للنظر في الأحكام الشرعية المتعلقة بها، إذ إنّ الواجب يختلف بحسب التوصيف للمركز الشرعي للشخص أو الكيان. ويمكن القول إنّ الحركة: مجموعة خاصة من الأمة تنهض بعبء الجهاد وما يتعلق به في فلسطين. وفي نفس الوقت فإنّ للحركة دوراً في دعوة الناس إلى الحق، وإرشادهم إلى ما يصلح حالهم في الدين والدنيا. بجانب هذا تضطلع الحركة بجزء مهم في الحكم وإدارة الشأن العام في قطاع غزة، وبذلك فإنّ الحركة تمتلك مركزاً شرعياً متعدد الأطراف، وأحياناً يتعرض للتناقض الداخلي، فالدعوة يلزمها الاستمساك المطلق بالحق، دون النَظر إلى غيره، بينما السياسة وإدارة أحوال الناس يلزم عنها القبول ببعض المخالفات الشرعية بسبب الضرورة، لدفع مخالفة أعظم، أو لقصور قدرتها عن ذلك، إذ إنّ الداعية يقول – على سبيل المثال- بحرمة الربا قطعاً، بينما إدارة البلاد والعباد في زمن انتشرت فيه المصارف الربوية وبدونها تتعطل أحوال العباد تستلزم السماح لها بممارسة أعمالها[114]. وكذلك فإنّ حكم الناس يستلزم تحصيل مصالحهم، ومنها المحافظة على أموالهم وأرواحهم، والجهاد مقتضاه خلاف ذلك، فهو مهلكة للأموال والأرواح، وعليه فنحن أمام حالة معقدة في المركز الشرعي لهذه الحركة، وهذا لا يعني بحال خلو تصرف من تصرفاتها عن حكم شرعي، بل يحتاج إلى مراعاة هذه التركيبة المعقدة. بجانب ذلك فإنّ الحركة تنقسم إلى أجسام مختلفة بحسب ظروفها، فهي في غزة غيرها في الضفة، وفي الخارج في بعض الدول المسلمة مختلفة عن غيرها في مكان آخر، وغير ذلك مما يوجب النظر إلى أي تصرف منها وفق معيار جوهر مركزها الشرعي، وعوارضه الموضوعية، والتي تشمل كذلك تناوب حالها بين الضعف والقوة، فهي في غزة قوية بقدر ما، بخلاف الحركة في الضفة أو الخارج، بجانب قدرتها المالية وغير ذلك.

[114] وذلك لا يعني التسليم بها مطلقاً، بل التدرج في التخلص منها بقدر الاستطاعة.

أمّا بالنسبة للمركز الشرعي للحركة بحسب القضايا التي تحتاج إلى نظر فقهي، فإنّنا نرى تفاوتا فيه يجب أن يراعى في النظر الفقهي، فهي في فلسطين مع غيرها من الفصائل شريكة وطن عموماً، ومع ذلك فإنّ لها خصوصية في الضفة حيث لا مسؤولية عليها في الحكم والإدارة، بخلاف الأمر الذي عليه الحال في غزة. وبالنظر إلى علاقتها خارج حدود فلسطين، فهي تلتقي بالبعض على أساس الشراكة الإقليمية، كما هو الحال مع مصر، وتلتقي بالبعض على أساس الشراكة الإسلامية، وتلتقي بالبعض على أساس علاقة تمويل أو حماية أو غير ذلك، ولكل مقام مقال، ولكل حال نظر يجب أن يحدد مركزها بدقة، ليكون الحكم الشرعي الصادر عن النظر الفقهي صحيحاً. فهذا التنوع الهائل في التوصيف لمركزها الشرعي لأسباب ذاتية وموضوعية يذهب بنا إلى ضرورة التأني عند إطلاق الأحكام الشرعية في حق تصرفات الحركة.

وبعد بيان أهمية الالتفات إلى المركز الشرعي للحركة، فتجدر الإشارة إلى الظرف المحيط بها، فهي لا تعيش اليوم في سعة من أمرها تمكّنها من القيام بالواجبات الشرعية على أتمّ وجه، بل هي تعيش حالة من الضرورة، تجعل من مركزها الشرعي ذا خصوصية لا بدّ من مراعاتها في النظر الشرعي لقراراتها وتصرفاتها.

ثانياً: الفاعلية السياسية للحركة.

تحتّم الظروف الموضوعية والشخصية على الحركة الانخراط بالممارسة السياسية، والانخراط بهذه الممارسة يعني الخضوع لأحكامها وأعرافها ، وبعض هذه الأعراف فاسدة، وبعض هذه الأعراف الفاسدة يمكن تجنّبه والتحايل عليه، وبعضها لا يمكن، وأحياناً يكون ثمن مجابهة العرف الفاسد ومخالفته أشد بكثير من المصلحة المترتبة على الانصياع له. وإنّ الحركة وإذ ارتضت لنفسها أن تنهض بما نهضت به من واجبات شرعية حتّمت عليها سلوك السهل والوعر، وتناول الغث والسمين، فإنّها بذلك تكون قد عذرت لنفسها من كثير من الانتقادات التي توجّهت إليها من خارج هذا السياق، فمن ارتضى لنفسه أن لا يحمل عبء هذا الواجب لا ينبغي له أن يقارع تصرفات الحركة بأسلحة الشرع والأخلاق التي لا تملك الحركة ولا غيرها تطبيقها في هذا المسلك.

ثالثاً: القيادة السياسية للحركة تضم عددا من أهل العلم الشرعي.

إنّ الملاحظ في قيادة الحركة كما هو حال سائر الهيئات العليا في الدعوة الإسلامية وجود عدد كبير من المختصين، وحتى غير المختصين قد تلقوا كمّاً كبيراً من المعرفة الإسلامية التي تمكّنهم

من الإحاطة بكليات الشريعة، خاصة أنّ ما يعرض أمامهم – غالباً- من قضايا لا يتعلق البحث فيها بالبحث الحكمي الأصلي المعروف بل بالبحث التنزيلي، وإن حصل نظر في حكم فالمختصون موجودون ويستشارون، فالمصلحة المعتبرة شرعاً معروفة، ولكنّ محلّها هو الغائب وهو محلّ النظر، وهو بحث سياسي لا شرعي، لأنّه بحث في ذات المسألة لا في دليلها الشرعي.

النظرة التطبيقية: أحكام علاقات الحركة.

الأصل في العلاقات النّظر إلى المركز الشرعي لأصحاب العلاقات من جهة، وطبيعة العلاقة من جهة أخرى، وفي الحالة السياسية فإنّ الأمور بالغة التعقيد، فالأمر في البيوع والشراء عادة ما يكون بسيطاً، وقد يعرض له من التعقيد والتركيب ما يقتضي كثير من الدقة والتمهل في إصدار الأحكام، فالمعاملات التي تحصل مباشرة بين البائع والمشتري بسيطة غير مركبة، بينما يكون الأمر فيه شيء من التعقيد إذا دخل إليه طرف ثالث، كالوكيل أو الكفيل، ويزداد الأمر تعقيداً إذا كان الطرف الثالث مؤسسة مصرفية كما يحصل في بيع الأقساط، وهكذا يزداد الأمر تعقيداً في المسائل محل النظر الفقهي لأسباب تتعلق بتركب محل النظر، وهو في السياسة من أكثرها تعقيداً، إذ يجتمع في محل النظر ما لا يجتمع في غيره من المؤثرات والعلائق. وعليه فلا بدّ من الدقة في النظر إلى علاقات الحركة المختلفة؛ لأنّ غالب هذه العلاقات هي علاقات تتعلق بالمجال العام أي المجال السياسي، وهو مجال شديد التعقيد والتركيب، ويحتاج إلى نظر عميق مطوّل، يجتنب الوقوع في خطأ إهمال عامل، أو خطيئة تضخيم عامل آخر، بل ينظر إلى كل عامل من عوامل تركيب العلاقة بوزنها الحقيقي دون إهمال أو تضخيم.

لقد عاشت المقاومة أمةً من الزمان تمارس واجبها في الجهاد في سبيل الله بتنظيم بسيط ودائرة علاقة محدودة لم تخرج عن علاقتها بغيرها من الجماعات الإسلامية وغيرها، ثم ما لبث موقعها السياسي وفعلها العسكري أن أدخلها ميدان العلاقات بالآخرين، ويمكن القول إنّ هذه العلاقات تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

الأول منه علاقتها بغيرها من الجماعات الإسلامية، وعلاقتها بالمجتمع الفلسطيني في الوطن والشتات، وعلاقتها بالشعوب الإسلامية وغيرها، وهذا ليس موطن البحث، إنّما موطن البحث **النوع الثاني** من العلاقات وهي تلك العلاقات التي نشأت مع غيرها من الأطراف السياسية خارج العمل الإسلاميّ العام، كالحركات الفلسطينية، والدول الإقليمية والقوى العالمية، هذه العلاقات جاءت صادمة أحياناً لكثير من أبناء الحركة قبل غيرهم، لأنّها اتسعت بالحركة إلى مراكز أخرى، فالحركة في أصلها دعوة إسلامية تنتمي إلى هذا الدين الذي تفارقه بعض هذه الأطراف التي تشكّلت معها العلاقات السياسية، وفي ممارستها مقاومة الظلم والقهر الذي تمارسه بعض تلك الأطراف،

فحصل الاستشكال حول الحكم الشرعي لهذه العلاقات، وهذا سؤال مشروع، لا بل هو سؤال يعبّر بوضوح عن تلك الأسس الراسخة في إعلاء شأن الحكم الشرعي حكما لتصرفات أبناء هذه الحركة وأنصارها. هذا الاستشكال كان منطقياً جداً، يراه البعض تناقضاً بين الانتماء الإسلامي الرافض لسلوك تلك الأنظمة والهيئات، كما أنّه تناقض بين الفعل الثوري في وجه الظلم الذي وقع فيه بعض أطراف تلك العلاقات، ومع ذلك فإنّ النظر الشرعي لا يقتصر على هذه الزاوية فقط، بل ينظر إلى العلاقة وفق طبيعتها وما يترتب عليها من المصالح والمفاسد، بعيداً عن تلك المشاعر المحترمة لعدم اعتبارها شرعاً في هذا الموطن. فقد أسس النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر قاعدة تضمنها حديثه عن حلف شهده في الجاهلية[١١٥]، وهي أنّ العلاقة مع المخالف إن كانت لخير تقره الشريعة، أو تحتاجه الأمة فهي علاقة مشروعة بل ممدوحة، والعكس بالعكس[١١٦]. فلم يتحفظ النبي صلى الله عليه سلم على نوع المشاركين فيه، وأنّهم مشركون أو كفار؛ لأنّ هدفه الأعظم هو هدف سام يدعو له الإسلام، ومن ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم العملية لهذا الأمر

[١١٥] ففي حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حُمُرَ النَّعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت". سيرة ابن هشام، ج٢، ص٣١٧. مسند أحمد: ١٦٥٥.

[١١٦] و انظر إلى دقيق فهم سلف أمتنا من العلماء إذ يقول الإمام العز بن عبد السلام:" وقد تجوز المعاونة على الإثم والعدوان والفسوق والعصيان لا من جهة كونه معصية، بل من جهة كونه وسيلة إلى مصلحة.. فكانت المعاونة على الإثم والعدوان والفسوق والعصيان – في كل ذلك – تبعاً مقصوداً". العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، ج١، ص١٢٩.

ما فعله من أحلاف مع غير المسلمين، يقصد بذلك تحصيل مصالح المسلمين الدينية والدنيوية بدفع الأعداء عنهم[١١٧]، أو إقرارا للسلم الأهلي والتعايش بين المسلمين وغيرهم[١١٨].

مجمل القول في العلاقات السياسة التي تلبست بها الحركة أو لمّا بعد، أنّ المعتبر فيها النظر في مصالحها ومفاسدها والتي نطلع على بعضها ونجهل كثيراً منها؛ لطبيعة تلك العلاقات وما تحويه من خفايا وأسرار لا يطلع عليها المقربون من قيادة الحركة، علاوة على من ينتقدها ممن هم خارج الصف. بل إنّ تلك العلاقات وإن لم تحمل فائدة ومصلحة اليوم، فقد تحملها غداً، فإنّ طبيعة العلاقات السياسية وفق شكل الدولة الحديث[١١٩] يحتم على الفاعل السياسي إنشاءها وإلا خسر

---

[١١٧] من ذلك حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية مع قبيلة خزاعة حيث دخلت خزاعة حلفاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تحمل له المودة، وكانت عيبة(*) نصح له وللمسلمين، قال ابن حجر رحمه الله:" وفيه جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بإيثارهم أهل الإسلام على غيرهم، ولو كانوا من أهل دينهم، ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهاراً على غيرهم، ولا يعد ذلك من الموالاة للكفار ولا موالاة أعداء الله، بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وإنكاء بعضهم لبعض، ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشركين على الإطلاق". ابن حجر، **فتح الباري**، ج٥، ص٣٣٨. وحلف الرسول صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب، ومع المطعم بن عدي حيث إنه تحالف معهما منفصلين لحمايته، والتحالف أقل شأناً من الدخول في حماية الكافر. أما حديث البخاري: ٢٢٩٤، ومسلم: ٢٠٤ " لا حلف في الإسلام"، فهو مؤوّل إلى غير الحلف السياسي أو بعض وجوهه؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم المخالف لظاهره، قال النووي: فالمراد به حلف التوارث والحلف على ما منع الشرع منه، والله أعلم. النووي، **شرح مسلم**، ج١٦، ص٨٢. وقال ابن حجر:" ويمكن الجمع «بين الأحاديث» بأن المنفي ما كانوا يعتبرونه في الجاهلية من نصر الحليف ولو كان ظالماً، ومن أخذ الثأر من القبيلة بسبب قتل واحد منها، والتوارث ونحو ذلك، والمثبت ما عدا ذلك من نصر المظلوم والقيام في أمور الدين، ونحو ذلك من المستحبات الشرعية". ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٠، ص٥٠٢.

(*) والعيبة ما يوضع فيه الثياب لحفظها.

[١١٨] لما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان من أول أعماله أنه قام بعقد معاهدة بين المسلمين واليهود تضمّنت تحالفات بينهما، وكتبا بذلك صحيفة كتبها التاريخ في سجلاته تضمّنت معاهدة بالتحالف والتناصر العسكري، والمشاورات السياسية الدائمة، وأن مرد سائر الأمور الخلافية إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. انظر: ابن زنجويه، **الأموال**، ص٣٣١ وما بعدها، رقم الحديث: ٥٠٨.

[١١٩] مع ملاحظة أنّ واحدة من أهمّ معالم الدولة الحديثة: المساواة بين الدّول، نصّ على ذلك ميثاق الأمم المتحدة في بنده الأوّل. ويترتب على ذلك منع التدخل في شؤونها الداخلية. انظر: محمد أحمد علي مفتي، **الأمة والروعوية**، ص٢٧٣. صبحي محمصاني، **القانون والعلاقات الدولية في الإسلام**، ص٧٦. وبالتالي فإنّ واحداً من أهمّ المعايير التي استجدت على عرف العلاقات الدولية الكف عن التدخل في شؤون الغير فعلاً وقولاً، وبغض النظر أنّ هذه الأعراف فاسدة من عدم ذلك؛ فإنّها اليوم هي الحاكمة للسلوك السياسي والدبلوماسي ولو نظرياً، وثمن مخالفتها من ضرر على المخالف معروف، فالحاصل أنّ هذا العرف الدبلوماسي صار حاكماً في المجال السياسي ينبغي مراعاته خاصة من المتصدرين للمشهد السياسي إلّا إن أمنوا عاقبة ذلك،

عمقه الاستراتيجي، فالعلاقات مكاسب عاجلة أو آجلة، يكفي في ذلك دفع شرّ صاحب العلاقة أو بعضه، إذ لا ينبغي لعاقل اليوم التخلي عنها مهما تعرض من الانتقاد ممن جهل أمر السياسة أو فارق محلّ النظر الشرعي المنضبط فيها، فحركات التحرر الوطني التي شهدها العالم القرن المنصرم، شهدت من أمثال هذا الكثير، فاستغلالا للعداوة بين الدول الكبرى نشأت تحالفات بين القوى الثورية وأعداء أعدائها، والعدول عن ذلك إهمال لسنن الكون، وحكمة العقلاء، وقوانين السياسية، خاصة أنّ عامّة الدول ترفض أية علاقة ظاهرة، وما رفضهم لها إلا دليل مصلحتها للمقاومة وهم أشد الناس حرصاً على عدمها بل هم أشد الناس على نقيضها وضدها.

وعليه يظلّ للمقاومة باعتبارها طرفاً سياسياً[١٢٠] الحق بل الواجب في إنشاء تلك العلاقات التي من شأنها أن تخدم القضية وتحمي المقاومة وعناصرها وتدعمهم، دون النظر إلى سلوك الأطراف الأخرى في غير محلّ العلاقة[١٢١]، لضرورة الحال، وطبيعة المرحلة، وقوانين السياسة الحاكمة.ولا يخفى على عاقل أنّ الأمور تقدر بقدرها ضرورة أو غير ذلك، فلا ينبغي تحوّل العلاقات السياسية

أو كان لكلامهم الذي يعدّ تدخلا في بلد آخر يحمل من المصلحة ما يفوق الفساد الذي قد يتعرّض له المتكلم، وهذا كلّه خاضع لأدوات تقدير المصلحة.

[١٢٠] نعيد تذكير القارئ بكلامنا عن المركز الشرعي المتعدد للحركة، وعليه فإنّ أي ممارسة خارج الإطار السياسي يحكمها أصول النظر في جنسها ولا يتعدى هذا الكلام إليها، فإذا استخدمت الحركة مركزها الدعوي – مثلاً وهذا بعيد ولله الحمد- لعلاقة مع هذه الأطراف بما يشعر بقبول ظلمهم، أو مدح فعلهم، أو غير ذلك مما لا يجوز شرعاً فها هنا يقع المحظور، فالحركة تتلاق والأطراف باعتبار أنّها حركة سياسية، ولا تزال هذه العصبة بخير، ما دامت تنزل السياسي منزلة السياسي، والدعوي منزلة الدعوي، فلكل قانون، فالأول قانونه المصلحة والمداراة والمدافعة والمسايرة ولا انفكاك فيه عن علاقة بظالم أو كافر، والثاني قانونه بيان الحق والدعوة إليه وفضح الظالمين ورد ظلمهم، فما دام السياسي من قيادة هذه الحركة يغدو ويروح تحقيقاً لمصلحة القضية بلا مفسدة حقيقية عليها ولا على غير أهلها من الإخوة المسلمين، وما زال الدعوي قائداً أو عنصراً أو مناصراً ينكر الظلم ويتبرأ منه فإن الحركة على الجادة، والله الموفق.

[١٢١] قال ابن القيم – رحمه الله – في تعليقه على صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة في الحديبية:" إن المشركين وأهل الفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى، أجيبوا إليه وأعطوه وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمات الله لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك، فكل من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مرض له أجيب إلى ذلك كائناً من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظم منه، وهذا أدق المواضع وأصعبها وأشقها على النفوس". وهذا من ابن القيم – رحمه الله – تجويز للتعاون إلى أبعد ما يمكن. ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، ج١، ص١٩٥.

إلى تحالفات إلا إن لزم، وينبغي أن لا تتعدى التصريحات المتعلقة بهذه العلاقات من المستوى السياسي عرف السياسة وضرورتها، لا مدحا ولا ذمّا.

ثمّ الواجب على أبناء هذه الثلة المباركة، ومحبيها من أبناء الشعب الفلسطيني وعموم أهلنا أهل الإسلام، على اختلاف درجاتهم وتباين مراتبهم العلمية والسياسية، أن يكونوا السند للمتصدر في الشأن السياسي باسم هذه الحركة، بحسن الظنّ فيما استشكل، والاعتذار لهم عمّا ظاهره الإثم، فهذه الدعوة وقودها وذخرها وعمقها أمّتها الإسلامية وكلّ حرّ يتحرى رفع الظلم عن المظلومين، خاصة وأنّ عدداً من أهل الفضل سبقوا الخصوم في الانتقاد غير العلمي للسلوك السياسي للحركة، فصار بعض الشرعيين ينظر بمنظار الدعوة في ميدان السياسة، فأساء لنفسه وإخوانه، إذ أنزل الأدلة الشرعية في غير مناطها، ونشز عن الصف الذي بلغ به المكر أشده؛ بحكم الهجمة الشرسة وتراكم الخسائر عبر سنوات الثورات المضادة التي أنهكت الصفوف وعطّلت المشاريع. فما يحصل في الفضاء المفتوح اليوم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، من انتقاد علني ممن يَعلم وممن لا يَعلم، في حق ما يُعلم وما لا يُعلم[١٢٢]، فواجب الناس أن يتبعوا في كلّ ميدان أهله لا على عمى، ولكن على درجة من الثقة[١٢٣]، ومسالك النقد وقنواته معروفة، والعدول عنها إلى غيرها علامة خلل تربوي وتنظيمي، نعيذ أنفسنا وإخواننا منهما، ونسأل الله الرشد والعون[١٢٤].

---

[١٢٢] من المعلوم المشهور، أنّ هذه الحركة تسيّر جلّ أمورها بالسرّ والكتمان، وما تحصل عليه في العلاقات مع غيرها منه ما يعلّم وجلّه لا يفصح عنه، والكلام عن مسألة دون معرفة حيثياتها كاملة دليل التسرع والعجلة، وفي قصّة موسى عليه السلام درس شديد لنا، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وقصة الخضر مع موسى لم تكن مخالفة لشرع الله وأمره ولا فعل الخضر ما فعله لكونه مقدرا كما يظنه بعض الناس؛ بل ما فعله الخضر هو مأمور به في الشرع بشرط أن يعلم من مصلحته ما علمه الخضر؛ فإنه لم يفعل محرما مطلقا.. فهذه القضية تدل على أنه يكون من الأمور ما ظاهره فساد فيحرمه من لم يعرف الحكمة التي لأجلها فعل وهو مباح في الشرع باطنا وظاهرا لمن علم ما فيه من الحكمة التي توجب حسنه وإباحته". مجموع الفتاوى، ج١٤، ص٤٧٥ -٤٧٦. ونعوذ بالله أن ننزل أحداً منزلة أعلى من منزلته، إلا أنّ الصورة مشابهة من جهة ما، إذ القياس محلّه تشابه الصور لا تشابه أفرادها، وهنا حصل التشابه المجيز للقياس، وهو الجهل بمؤثر في الحكم.

[١٢٣] وإلا اضطربت الأمور، وصار يلزم المتصدر لأمر ما أن لا يخطو خطوة إلا بعد أن يقنع الصغير والكبير، وهذا لا تعرفه حركة المنظمات وسيرورتها، ولذلك جعل البنا من الثقة ركناً من أركان البيعة لئلا تضطرب سفينة الدعوة.

[١٢٤] "ولما كانت القضية الفلسطينية قضية المسلمين المركزية في هذا العصر؛ لأنها تمثل جوهر الصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، كان من أوجب الواجبات على العاملين لنصرة قضية الإسلام الأولى تطبيقُ فقه الأولويات على كل تصرف أو تدبير أو عمل أو اجتهاد يتعلق بهذه القضية، وهذا يستلزم ضرورة تشكيل هيئة أو هيئات مختصة بتقدير المصالح والمفاسد وتشخيصها والموازنة بينها، وهذه الهيئة تتكون من مجموعة من المختصين في أبواب الفقه وأصوله والأولويات والمقاصد والسياسة الشرعية بالإضافة إلى مجموعة من أصحاب الخبرة السياسية مع الاستفادة من أهل الاختصاصات والخبرات الأخرى عند النظر في مسائل متعلقة بمجالاتهم، والذي أراه أن هذا النوع من الاجتهاد سوف يرشِّد مسيرة الاجتهاد في مسائل القضية، ويوحد الجهود، ويصحح المسارات، ويقربنا

ثمّ إنّه من المعلوم أنّ الواجب على المسلم نصرة أخيه المسلم، ورفع الظلم عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[١٢٥]، فإنْ تعطّلت سبله عن ذلك فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وأبناء هذه الحركة يجب عليهم ما يجب على المسلمين، وينتفي عنهم ما ينتفي عن المسلم من أحكام واجبة لحصول العجز عنها، ولا يعني بحال عدم القدرة على نصرة مسلم في قضيته أن يعرض أخوه عن ظالمه مستتبعا الضرر لقضيته، وإلا فحينها يكون قد جمع إلى الضرر الأول ضرراً ثانياً بلا مسوّغ شرعي إلا التعاطف الذي لن ينفع المسلم المظلوم، بل تنفعه قوة أخيه ولو بعد حين[١٢٦]. قد يسع المسلم ترك بعض وجوه المصلحة الدنيوية حفظاً لحق الأخوة، إلا أنّ هذا لا يسع من تصدّر بأمر سياسي، وكما أسلفنا قد يسع الفرد ما لا يسع الجماعة، وقد يحصل العكس، ولكلّ موضعه وفقهه، والله أعلى وأعلم.

من الوصول إلى موعود الله عز وجل لهذه الأمة بتحرير مسجدها الأقصى وبيت المقدس.". محمد همّام ملحم، **القواعد المقاصدية في تصنيف الأولويات وتطبيقاتها في القضية الفلسطينية**، ص١١.

[١٢٥] ولعل الاستطاعة في أمور السياسة وما يتعلق بتأثير الواقع من أهمّ محددات القرار أو السلوك السياسي، فإنّ عامة العبادات لها حدود تنتهي إليها، أمّا أحوال الناس التي جاءت السياسة خادمة لها؛ فإنّها على نحو من السعة ما ليس لغيرها، وبمقابل ذلك فإنّ لها من الموانع ما ليس لغيرها، وانظر جميل كلام الجويني إذ يقول في حق الغرض من السياسة في الغياثي:" والغرض استصلاح أهل الإيمان على أقصى ما يفرض فيه الإمكان". ص١٧٥. فقيّد الأمر بالإمكان، وهذا مهمّ في أمر السياسة التي عرّفها البعض كما مرّ بفنّ الممكن. وأيّ سلوك سياسي من قيادة المقاومة ينافي الالتزام بهذه القاعدة غير مقبول، والاعتراض على الالتزام بهذه القاعدة من الآخرين كذلك الأمر. والواجب زيادة قوة صف المؤمنين ليتسع أمامهم هامش الإمكان على وجه الحقيقة لا الخيال والأمانيّ.

[١٢٦] يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً بل وإماماً، وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها، فلا يمكنه ذلك، بل هناك من يمنعه من ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وعمر بن عبد العزيز عودي وأوذي على بعض ما أقامه من العدل، وقيل إنه سُمّ على ذلك، فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه، بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها". مجموع الفتاوى، ج١٩، ص٢١٨.
ويقول أيضاً:" فنشر العدل بحسب الإمكان ورفع الظلم بحسب الإمكان؛ فرض على الكفاية، ويقوم كل إنسان بما يقدر عليه من ذلك إذا لم يقم غيره في ذلك مقامه، ولا يطلب والحالة هذه بما يعجز عنه من رفع الظلم ". مجموع الفتاوى، ج٣٠، ص٢٥٦.
ويقول ابن حجر رحمه الله تعالى:" وفي صلح الحديبية جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بإيثارهم أهل الإسلام على غيرهم، ولو كانوا من أهل دينهم، ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهاراً على غيرهم، ولا يعد ذلك من مولاة الكفار ولا موالاة أعداء الله، بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وإنكاء بعضهم لبعض)، فابن حجر – رحمه الله - يرى جواز استنصاح زعماء الكفار، فكيف بوجود العلاقات الذي هو مجرد تبادل مصالح مع من ليسوا كفارا وهو أقل درجة من استنصاحهم؟". ابن حجر، **فتح الباري**، ج٥، ص٣٣٨.

هذا الكتاب

إن اعتماد نموذج تفسيري أحادي لا يمكن أن يفسر نشأة العلاقة وتطورها بين إيران الشيعية الإثني عشرية وحركة حماس الإسلامية السنية ذات المشرب الإخواني، ولذلك فإن الباحثة تلجأ إلى بناء نموذج تفسيري مركب، يأخذ بعين الاعتبار الأرضية الفكرية والأيديولوجية لطرفي العلاقة وفي مقدمة ذلك الموقف من إسرائيل. ويركز كذلك على توصيف العلاقة بمنأى عن الصيغ الجاهزة ووصمة "الوكيل" أو "الدمية" أو "التابع" التي يستخدمها بعض الدارسين لتوصيف علاقة حماس مع إيران، إذ تعتقد الباحثة أن هذا التوصيف وبناء على معطيات كثيرة لا يصدق بصورة دقيقة على طريقة إيران في بناء التحالفات كما لا يصدق بصورة خاصة على حركة حماس.

وعلى عكس ما ترى بعض الدراسات التي "تسقط الخطاب من عدّتها بوصفه مخادعًا ولا يمكن الحكم من خلاله" تؤكد الباحثة أهمية الأطر الفكرية والمعيارية وهوية الطرفين في فهم بنية العلاقة ومسارها دون أن يعني ذلك إغفال عنوان المصلحة وبناء الدور والنفوذ وتعريف هذه المصالح من باب العنوان العريض وهو دعم القضية الفلسطينية.يمتاز هذا العمل الذي يعد من أعمال "التاريخ الآني"، عن غيره مما كتب في الموضوع باعتماده أساسا على الرواية الشفاهية التي تشكل عموده الفقري. ونظرا لحساسية الموضوع فقد تطلب جمعها من مصادرها في حماس أو إيران وقتا طويلا وجهدا كبيرا.

المؤلف

فاطمة الصمادي، باحثة وأستاذة جامعية أردنية مختصة في الشأن الإيراني، حاصلة على درجة الدكتوراه من جامعة علامة طباطبائي في إيران. لها عدد من الكتب والأبحاث المتعلقة بالشأن الإيراني. تعمل حاليا باحثا أول في مركز الجزيرة للدراسات وتشرف على الدراسات المتعلقة بإيران وتركيا ووسط آسيا.

مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTRE FOR STUDIES
studies.aljazeera.net

توزيع
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.


ISBN: 978-625-8479-03-4


ISBN: 978-614-01-3759-2